سبحان من انزل القرآن على نبيه الانس والجان

قد استتب طبع المجلد الاول من التفسير الموسوم بانوار التنزيل واسرار التاويل

المعروف

بتفسير البيضاوي

المنسوب

الى الشيخ الكبير البحر الذحار بحواهر التفسير قاضي البيضا عبد الله بن عمر الشافعي

في المطبع الكائن بمعرى المشهور بلكشور

سبحان من انزل القرآن على نبي الانس والجان

قد استنب طبع المجلد ا ى سوم بانوار التنزيل واسرار التا ويل

مروف

ا ه

نالند

مر البيضاوي

سوب

الى الشيخ الكبير البحر الذ ظهر التفسير قاضي البيضا عبد الله بن عمر الشافعي

في المطبع الكرهي المعنى لي المشتهر بكشور

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدى باقصر سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب
العرباء فلم يجد به قديرا وافحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا انهم سحروا تسحيرا
ثم بين للناس ما نزل اليهم حسبما عن لهم من مصالحهم ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب تذكيرا فكشف قناع
الانغلاق عن ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات هن رموز الخطاب تاويلا وتفسيرا وابرز غوامض الحقائق ولطائف الدقائق ليتجلى لهم
خفايا الملك والملكوت وخبايا القدس والجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد لهم قواعد الاحكام واوضاعها من نصوص
الايات والماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا فمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد
ومن لم يرفع اليه راسه واطفا نبراسه يعش ذميما ويصلى سعيرا فيا واجب الوجود ويا فائض الجود ويا غاية كل مقصود صل عليه
صلوة توازي غناءه وجازه عنا ما يجازي عناءه وعلى من اعانه وقرر تبيانه تقريرا وافض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك
كراماتهم وسلم عليهم وعلينا تسليما كثيرا **وبعد** فان اعظم العلوم مقدارا وارفعها شرفا ومنارا علم التفسير
الذي هو رئيس العلوم الدينية وراسها ومبنى قواعد الشرع واساسها لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم
فيه الا من برع في العلوم الدينية كلها اصولها وفروعها وفاق في الصناعات العربية والفنون الادبية بانواعها
ولطالما احدث نفسي بان اصنف في هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين
ومن دونهم من السلف الصالحين وينطوي على نكت بارعة ولطائف رائقة استنبطتها انا ومن قبلي من افاضل
المتاخرين واماثل المحققين ويعرب عن وجوه القراءات المشهورة المعزية الى الائمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن
القراء المعتبرين الا ان قصور بضاعتي يثبطني عن الاقدام ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به
عزمي على الشروع فيما اردته والاتيان بما قصدته ناويا ان اسميه بعد ان اتممته بانوار التنزيل واسرار التاويل فها انا الان
اشرع وبحسن توفيقه اقول وهو الموفق لكل خير والمعطي لكل سؤل

سورة فاتحة الكتاب

وتسمى ام القران لانها مفتتحه ومبدؤه فكانها اصله ومنشاه ولذلك تسمى اساسا او لانها تشتمل على ما فيه من الثناء

على الله عز وجل والتعبد بأمره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسوق الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها والصلوة لوجوب قراءتها واستحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله صلى الله عليه وسلم هي شفاء لكل داء والسبع المثاني لانها سبع ايات بالاتفاق الا ان منهم من عد البسملة آية دون المغضوب عليهم ومنهم من عكس وتثنى في الصلوة او لانزال ان صح انها انزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة لما حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاءهما وابن المبارك والشافعي وخالفهم قراء المدينة والبصرة آية السبع وتمامها ومالك والاوزاعي ولم ينص ابو حنيفة فيه بشيء فظن انها ليست من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن الشيباني عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله لنا احاديث كثيرة منها ما روى ابو هريرة رضي الله عنه انه عليه الصلوة والسلام قال فاتحة الكتاب سبع ايات اولهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام سلمة قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية ومن اجلها اختلف في انها آية برأسها او بما بعدها والاجماع على انها من القرآن في موضع دليل على انها كتبت كذلك في المصاحف بالمبالغة في تجريد القرآن حتى لم يكتب آمين والباء متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ او اتلو الذي يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له وذلك اولى من ان يضمر ابدأ لعدم ما يطابقه وما يدل عليه او يبتدئ لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول هنا واقع كما في قوله باسم الله مجريها وقوله اياك نعبد لانه ادل على الاختصاص وادخل في التعظيم واوفق للوجود فان اسمه مقدم على القراءة كيف لا وقد جعل آلة لها من حيث ان الفعل لا يتم ولا يبتدأ شرعا الا برسم التبرك باسمه تعالى لقوله عليه الصلوة والسلام كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله اقرأ او هذا وما بعده مقول على السنة العباد ليعلموا كيف يتبركون باسمه ويحمدون على نعمه ويسألون من فضله وانما كسرت الباء من حروف الجر وفتحت الهمزة ان فتحت لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة وذاخلة على المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتداء ولام التاكيد والاسم عند البصريين من الاسماء التي حذفت اعجازها لكثرة استعمالها فبقيت او ائلها على السكون فدخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لان ضم ابتدائها ان يبتدأ او بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له نقصه على اسم واسأ ثم وسمي ويسمى سمي هذا لغتان فيه قال* والله اسماك سمي مباركا* اثرك الله ايانا بما اثرك* والقلب بعيد غير مطرح واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلال وردت بان الحمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاته سم وسم وقال لبسم الذي في كل سورة سمه فالاسم ان زيد به اللفظ فغاير

المسمى لانه يتالف من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الاعصار وتتعدد مادته ويتحلل الحروف
لايكون كذلك وان اريد بذات الشئ فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى فقوله تعالى تبارك اسم ربك وسبح اسم ربك
المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب اقول الاسم في
مفهم كما في قول الشاعرة الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر وان اريد نفس الصفة كما هو راى الشيخ ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة
عندنا اما هو نفس المسمى الى ما هو عين وما ليس هو ولا غير وانما قال اسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة انما
للفرق بين اليمين واليمين ولم يكتف بالالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت لباء عوضا عنها والله اصله الفحذفت
الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل يا الله بالقطع الا انه يختص بالمعبود بالحق والاله في الاصل يقع على كل معبود ثم
على المعبود بحق واشتقاقه من الاله الهة والوهة والوهية بمعنى عبد وتنسك واستاله وقيل من اله اذا تحير اذ العقول
تتحير في معرفته او من اله الى فلان اى سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته
او من اله اذا فزع من امر نزل عليه والهه غيره اجاره اذا العائذ يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او زعما او من اله
الفصيل اذا ولع بامه اذ العباد مولعون بالتضرع اليه في الشدائد او من وله اذا تحير ولخبط عقله
كان اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضمة في وجوه فقيل لاء كما عاد
اشاح ويرده الجمع على الهة دون اولهة وقيل اصله لاه مصدر كلاه عليها ولاها اذا احتجب وارتفع لانه تعالى
محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع على كل شئ وعما يليق به ويشهد له قول الشاعرة كلفت من ابى رباح يسعى لاهة الكبار
وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لابد له من اسم يجرى عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه
ولانه لو كان وصفا لاريكن قولنا لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة ولا اظهر انه وصف
اصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره وصار كالعلم مثل الثريا والصعق اجرى مجراه في اجراء الوصف
وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار امر اخر حقيقي او غير معقول
للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوص لما افاد ظاهر قوله تعالى وهو الله في السموات
معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق هو كون احد اللفظين مشاركا للاخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة
وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انتفخ ما قبلها وانضم سنته وفاه
مطلقا وحق الفخر تفسيره بالصلوة ولا يعتقد به صرح به الحبر فقد جاء لضرورة الشعر الا يارك الله في سهيل
اذا ما الله بارك في الرجال الرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمن في اللغة
رقة القلب وانطاف يقتضي التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها واسماء الله تعالى توخذ باعتبار الغايات
هي افعال دون المبادئ التي تكون انفعالا والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطع وكبار وكبار
انما توخذ تارة باعتبار الكمية واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل الرحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر والرحيم الاخرة لانه يختص المؤ
وعلى الثاني قيل الرحمن الدنيا والاخرة والرحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام اما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم

والقياس يقتضي الترقي من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره لان معناه المنعم الحقيقي
البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لان من عداه فهو مستعيض بلطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب
او جميل ثناء او يزيح رقة الجنسية او حب المال عن القلب ثم انه كالواسطة في ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة
على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى التي بها يحصل الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لا يقدر
عليها احد غيره او لان الرحمن لما دل على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف له او
للمحافظة على رؤس الآي والاظهر انه غير مصروف وان حظر اختصاصه بالله ان يكون له مؤنث على فعلى او فعلانة الحاقا
له بما هو الغالب في بابه وانما خص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به في مجامع الامور
المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس ويتمسك
بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره الحمد لله الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة او غيرها و
المدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان
والشكر في مقابلة النعمة [illegible] افادتكم النعماء مني ثلاثة + يدي ولساني والضمير المحجبا + فهو اعم منهما من
[illegible] اشيع للنعم وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في آداب الجوارح من الاحتمال
جعله راس الشكر والعمدة فيه فقال عليه وآله الصلوة والسلام الحمد راس الشكر ما شكر الله من لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران
نقيض الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله واصله النصب وقد قرئ به وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه
وهو من المصادر التي تنصب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه [illegible] الحمد ما هو
او للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة كله له اذ ما من خير الا وهو موليه بوسط او بغير وسط كما قال الله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله
وفيه اشعار بانه تعالى حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا
لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة رب العالمين الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله
شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك لانه
يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به
الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما جمعه
ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر اوصافهم وقيل اسم وضع لذوي العلم
من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عني به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على
نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه في العالم الكبير ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال الله تعالى وفي انفسكم
افلا تبصرون وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح او النداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها
فهي مفتقرة الى المبقي حال بقائها الرحمن الرحيم كرره للتعليل على ما سنذكره مالك يوم الدين قرأه عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله
يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وقرأ الباقون ملك وهو المختار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولما فيه من التعظيم

والمالك هو المتصرف في الاعيان اي اوكله كيف شاء من الملك والملك هو المتصرف بالامر والنهي في المأمورين من الملوك
ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل وما كا بالنصب على المدح او الحال ومالك بالرفع منونا او مضافا على انه خبر مبتدأ محذوف
وملك مضافا بالرفع والنصب يوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة + ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا
اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار ومعناه مالك امور العباد في يوم الدين
طريقتنا في اصحاب الجنة اولياء الملك وفي هذا الوصف على وجه الاستمرار لتكون الاضافة حقيقية مفيدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل
الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما لتنظيم الجزاء لتفرده بنفوذ الامر فيه
واجراء هذه الاوصاف على الله ثم من كونه مستوجبا للعالمين ربا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها كالكا
لامور يوم يوم الثواب والعقاب لله لا لاحد على ان الحقيق بالحمد لا احد حقيق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على
الوصف يشعر بعليته له والاشعار من طريق المفهوم على من يخصه بذلك الصفة لا سيما اذا علل بما يعم فضله على العبيد ليكون دليلا
على بعده فالوصف الاول للبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثاني والثالث لذلك لانه على متفضل بذلك فهو قادر
ليس بصيد منه لا يجاب بالذات ووجوب عليه قضية لسوابق الاعمال ولا يستدعي ان يكون الجزاء لاحقا بل هو في الدنيا ايضا
مما لا يقبل الشركة فيه وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين الالتفات يستثقل الضم في وجوه فقيل لاء كاها
بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك اي يا من هذه شانه تخصك بالعبادة والاستعانة ليكون ادل على الاختصاص والترقي من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى
الشهود فكان المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا بقي اول الكلام على ما هو مساق حال العارف من الذهول
الفكر والتامل في اسمائه والنظر في الادلة والاستدلال بها على عظم شانه وباهر سلطانه ثم فقي بما هو منتهى امره
هو ان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين
العين والسامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من اسلوب الى آخر تطرية له وتنشيطا للسامع
فيعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس كقوله ت حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله
الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول امرء القيس عن طلل ولي ليلك بالاثمد + ونام الخلي ولم ترقد + وبات وباتت له ليلة + كليلة ذي العائر الارمد + وذلك من نبأ جاءني + وخبرته عن ابي الاسود + وايا ضمير منفصل وما يلحقه من البنية
والكاف والهاء حرفي زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لاحوالها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في اراينك وقال الخليل
مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه واياها الشواب وهو شاذ لا يعول عليه وقيل الضمائر
باياه عمدة فانها لما فصلت عن العوامل لفقد النطق بها مفردة ضم اليها ايا لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح
الهمزة وهيتاك بقلبها هاء والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اي مذلل بالوطء وثوب وعبد اذا كان في غاية الصفاقة
والذلك لا تستعمل الا في الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهي اما ضرورية او غيرها والضرورية ما لا بد منها في الفعل ومنه
كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها وعدد اجتماعها بوصف الرجل الاستطاعة وهي ان يكلف بالفعل

وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل وسهل كالراحلة في السفر القادر على المشي او يقرب به الفاعل الى الفعل وتمكنه
عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات كلها او في اداء العبادات
والضمير المستكن في الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضري صلوته الجماعة اوله ولسائر الموحدين
ادرج عبادته في تضاعيف عباداتهم وخص حاجته بحاجتهم لعلمها بقبول بركتها وتجاوب اليها ولهذا شرعت
الجماعة وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس معناه نعبدك
ولا نعبد غيرك ونقل ما هو امعدام في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود
اولا وبالذات وسنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة
اليه ووصلة بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وجوده اذا استغرق فيه فلا حظة جناب القدس
وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث انها ملاحظة اليه ومنتسبة اليه
ولذلك فضل ما حكى الله عن حبيبه حيث قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه حيث قال ان معي ربي
سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان به لا غير فقدمت العبادة على الاستعانة ليوافق رؤس الآي ويعلم منه
ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقرب المناسب لمتكلم العبادة الى نفسه او هم ذلك تلجلجا واعتادا
منه بما صيد عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا يستقيم الا بمعونته
وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف
المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم ما بعدها اهدنا الصراط المستقيم بيان للمعونة المطلوبة فكانه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا
او افراد لما هو المهم الاعظم والهداية هنا لا تزايلك في الحال فلذلك نستعمل في الخبر وقوله فهو يهدين فهو يطعمني
منه الهداية وهو اي الوحي لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى والفعل منه هدا واصله ان يعدى باللام او الى فحمل معه معاملة اختار في قوله
واختار قومه وهذا يدل على ان الله تعالى شرع لهم اعمالا يحصل بها مزيته الا قل افاضة القوى التي بها يتمكن المرء
من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الادلة الفارقة بين
الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حيث قال وهديناه النجدين وقال انا هديناه السبيل فاما شاكرا واما كفورا
والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياه عنى بقوله وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القرآن يهدي
للتي هي اقوم والرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هي ملكوتيا وربما الهاما والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بكمل
الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالاول
اعم مزيدا ما مخوض من الهدى والثبات عليه او حصول اعلى المرتبة عليه فهذا فاقر لما للعارف الواصل على بدارشاد ناطرق السير
فيك لتحو عنا ظلمات احوالنا وتميط عنا حجب انانيتنا لنستضئ بنور قدسك فنراك بنورك والامر والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى
ويتفاوتان بانه مستعلاء والتسفل وقيل الرتبة والصراط من سرط الطعام اذا ابتلعه فكانه يسرط السالكة ولذلك سمي
الطريق لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء في الاطباق وقد يشم الصاد صوت الزاي ليكون

اقرب الى المبدل عنه وقرأ ابن كثير وقالون بخلف عنه ورويس عن يعقوب بكسر الصاد وحمزة بالاشمام والباقون بالضاد وهو لغة قريش والثابت في الامام وجمع سراط مكتوب هو كالطريق في التذكير والتانيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وقيل هو دين الاسلام صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل وهو في حكم تكرار العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدة التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على اكمل وجه وابلغه لانه جعل كالمسلم والبيان لما فيه من الابهام الذي لاخفاء فيه ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وقيل الذين انعمت عليهم الانبياء وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من انعمت عليهم بوصل الالف على الاصل الحالة التي يستلذها المغضوب عليه اذا استشاط غضبا من النعمة وهي للذين انعم الله عليهم وان كانت لا تخصى كما قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تختص في حسبان بتوقي واحترزوا لا اول فسبحان موهبي وكسبي والموهبي فسبحان روحاني الذي فيه واشار فيما يعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسب تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني ان يفيض فرط منه ويرضى عنه ويثيبه في اعلى عليين مع الملائكة المقربين ابدا الآبدين والمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم الآخر فان ما يدرك ذلك ينال فيه المؤمن والكافر غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل من الذين على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال وصف له صريحة او مقيدة على معنى انهم جمعوا بين المنعة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين نعمة السلامة من الغضب والضلال وذلك انما يتم باحد تاويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذ لم يقصد به معهود كما في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني فمضيت ثمة قلت لا يعنيني وقولهم وانى لامر على الرجل مثلك فيكرمني او جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ما له ضد واحد وهو المنعم عليهم فيتعين بتعين المركبة من غير السكون وعن ابي كثير رضيه على الحال عن الضمير المجرور والعامل النعمت او باضمار اعني او بالاستثناء وان فسر بهما القبيلتين او الغضب لان النفس عند ارادة الانتقام اذا استدال الله تعالى اريد به المنتهي والقائم على ما مر وعليهم في محل الرفع نائب مناب الفاعل بخلاف الاول والمزيدة لتاكيد النفي في غير من معنى النفي فكانه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك صح انا زيدا لغير ضاربه كما جاز انا زيدا لا ضاربه وان امتنع انا زيدا لمثل ضاربه وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق المسلوك عمدا وخطاء ولهذا عرض عرضين والتفاوت بين اداناه واقصاه كثير وقيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى فمن لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وقد روي مرفوعا وبحقه ان قيل المغضوب عليهم العصاة والضالون الجاهلون بالله لان المنعم عليهم من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به فكان المقابل له من اخل بحق منهما فعاقبة والد والمخل بالعمل فسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال وقرئ ولا الضالين بكسر الهمزة على لغة من حقه في الهمز من التقاء الساكنين امين اسم الفعل المبني وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه سار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه فقال افعل يبنى على الفتح كاين لالتقاء الساكنين وحقه

مدّ ألفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا * وقال آخر * آمين فزاد الله ما بيننا بعدا * وليس من القرآن وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله علمني جبريل آمين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال إنه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي رضي الله عنه ختم رب العالمين ختم به دعاء عبده يقول الإمام ويجهر به في الجهرية للمأموم وعن وائل بن حجر أنه صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن أبي حنيفة أنه لا يقوله والمشهور عنه الخيار كما رواه عبد الله بن مفضل والمأموم يؤمن عقب قراءة الإمام ولا الضالين قولوا آمين فإن الملائكة تقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي الإخبرك بسورة لم تنزل في التوراة ولا الإنجيل ولا القرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب فيها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه ملك فقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منها إلا أعطيته وعن خلاد بن يزيد بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبيا من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة

سورة البقرة مدنية وآيها مائتان وسبع وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

الم وسائر الألفاظ التي يتهجى بها أسماء مسميات هي الحروف التي ركبت منها الكلم لدلالتها في حالة الاسم وعدم ما يختص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير وغير ذلك عليها وبه صرح الخليل فأبو علي وما روي ابن مسعود أنه قال من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه فإن تخصيصه ببعض مجاز بل المراد المعنى اللغوي لعلة اسما باسم ما دالة و كانت سميت بها حروفا وصوتا وهي مركبة صدرت بها ليكون تنبيها بالمسمى أول ما يقرع السمع واستعرت الهمزة مكان الألف لتعذر الابتداء بها وهي لم تدلها العوامل موقوفة خالية عن الإعراب لفظا وحيا وتقتضيه لكنها فاتته إياه معرضة لها إذ لم تناسب مبنى الأصل ولذلك قيل ص وق محمولة عليها بين الساكنين ولم يعامل معاملة أين وهو لا يقع ان مسمياتها لما كانت عشر الكلام وبسائطه التي تركب منها افتتح السور بطائفة منها إيقاظا لمن عرفها بالقرآن تنبيها على ان المتلو عليهم بكلام منظوما مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله تعالى عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وتوفر أسباب التعاضد فيما بينهم عن الإتيان بما يدانيه وليكون أول ما يقرع الأسماع مستقلا بنوع من الإعجاز فإن المنطق بأسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فما من الأمي الذي لم يخالط الكتاب فيها متشرب مستبعد خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد دل على ذلك ما يعرض عند الأكثر من الريب لفائت في حقه وهو أنواع ورد في هذه الفواتح أربعة عشر نصفها أسماء حروف المعجم إذ لا تعدو أسماؤها الألف حرفا فإنها تسع وعشرون وقد بعدها إذا عددتها الألف مشتملة على نصف أنواعها فاذكر من الهموس والمجهور ما يضعف الاعتماد على حرف منها فيجهر به استثقل صفة صفيرها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقي المجهورة نصفها يجمعه لن يقطع أمرؤ من الشدائد

الثمانية المجموعة في أجد هوز طبقات ريغ بيجهما أبجد ومن البواقي الزوج عشر يجمعها حمش علي نصر ومن المطبقة التي هي الصاد والطاء
والضاد والظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهي حروف تضطرب عند خروجها وجمعها قد طجك نصفها
الأقل بقلتها ومن الليينتين ألياء لأنها أقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي يتصعد الصوت بها والحنك الأعلى وهي
سبعة القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الأقل ومن البواقي المنخفضة نصفها ومن حروف البدل
وهي أحد عشر على ما ذكر سيبويه واختارم ابن جنى وجمعها اجد طويت منها الستة الشايعة التي جمعها اسطمين وقد زاد
بعضهم سبعة أخرى وهي اللام في أصيلال والصاد والزاء في صاط وزراط والفاء في جدف والعين في أعن والثاء في
ثرع غ الدال والواو والباء في باسماك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكرنا منها ستة عشر المذكورة واللام والصاد والعين وعما يدغم
فيمثله ولا يدغم فيه والمقارب وهي خمسة عشر الهمزة والحاء والعين الصاد والطاء والميم والياء والخاء والغين والضاد والطاء والشين
والراء والفاء والواو ونصفها الأقل وما يدغم فيهما وهي ثلثة عشر الباقية نصفها الأكثر الحاء والقاف والتاء والراء والسين واللام والنون لما
في الأدغام من الحفة والفصاحة ومن الأربعة التي لا تدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والراء والشين والفاء نصفها ولما
كانت الحروف الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة يجمعها رب من فقل والحلقية التي في الحاء والخاء والعين الغين والهاء والهمزة
كثيرة الوقوع في الكلام ذكرتها وما كانت البنية المزيد لها جاء وزعة الثلثة أذكر من الزوائد العشرة التي يجمعها اليوم تنساه سبعة لحروفها
تنبيها على ذلك ولو استقرت الكلم وتراكيبها وجدت الحرف المزيد من كل جنس مكتوبا بالمذكر ثم انه ذكرها مفرقة وثنائية ومكررة
ثلاثية ورباعية وخماسية ليدل أنها بان الحق به مركبة من كلماتهم التي أصولها كلمات مفردة ومرتبة من حروف صارت الى الخمسة فذكر أولا
ثلث مفردات في ثلث سور لأنها توجد في الأقسام الثلثة الاسم والفعل والحرف وأربع ثنائيا لأنها تكون في الحرف بلا حد وكل في الفعل
حذف كهل في الاسم لغير حذف كمن وبلى كلم في تسع سور لوقوعه في كل واحد من الأقسام الثلثة على ثلاثة أو واحد ففي الاسماء
أخ ودو ومن في الافعال قل وبع وخف في الحروف فلان ومن ومذ على لغة من جرها وثلاث ثلاثيات لمجيئها في الأقسام الثلثة
ثلث عشرة سورة تنبيها على أن أصول الأبنية المستعملة ثلث عشرة عشرة منها للأسماء وثلثة أضعافها خمسة وثلثون تنبيها على أن كلا
منهما أصلا لكجعفر وسفرجل وطحلبا كقرد ودحنقل ولعلها وقعت على السبع ولم تعد بأجمعها في وكل القرآن لهذه الفائدة
مع ما فيه من إباحة التحدي وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى أن هذا التحدي بسورة من جنس هذه الحروف والمؤلف منها كلام وقيل هي
أسماء السور وعليه طباق الأكثرين سميت بها اشعارا بأنها كلمات مغرقة التركيب فلو لم تكن وحيا من الله لم تتلاشا مقدمة ثم دون ومعارضتهم
عليها بأنها لو لم يكن فيها كان اخلالا بالمعجز والتكلم بالزنجي مع العربي لم يكن القرآن بأسره بيانا وهدى ولما أمكن التحدي به وإن كانت
مفهمة فما أريد بها السور التي هي مسمياتها على أنها القابها أو طير ذلك والتنابا طل لأنه إما أن يكون المراد أو وضعت في لغة العرب وظاهر
ليس كذلك وغيره وهو باطل لأن القرآن نزل على لغتهم ليكتسبا عربيين فلا يجوز على ما ليس في لغتهم لا يقال لا يجوز أن تكون مرموزا للتنبيه أو للدلالة
على انقطاع كلام واستئنا آخر كما قالوا ر ط ب واشارة الى ما يأتي منها اقتصر عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت لها قفي فقالت قاف وتمام
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر وحم ون مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناه انا
الله اعلم وقيل افتتح بها تنبيها على فواتح الوحي وعنه ان الالف عن الله واللام من جبريل والميم من محمد أي القرآن نزل من الله بلسان جبريل على محمد عليه السلام

او الوزن الواحد واجاب بعضهم بان كان لابو العالية يسمعه كثيرا بامر الله عليه الصلوة والسلام لما اتاه البهود وتلى عليهم الر البقرة فسئلوه فلما كيف نظم
في دين تسعة وسبعون سنة فتبسم رسول الله فقالوا اهل غير فقال الص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري بايها نأخذ
فان قلا ونأخذ ايا ها بهذا القرينة عليهم وتقريره الى استنباطهم دليل على ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها كانت شائعة فيما بين
الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات كالمسكويه والسجيل والقسطاس وحد الذ على الحروف المبسوطة تمتعا بها كليتها فهم من حيث انها تسمى اسماء الله
وعادة خطابه هذا وان القول الاخر اسماء السور فجريا الى ما ليس في لغة العرب التسمية ثلثة اسماء ضاعد لمستذكر عندهم وتعود
الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعي تاخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم يتاخر من المسمى بالرتبة لانا نقول هذا لا لفاظ لم تعهد مزيدة للتسمية و
الدلالة على الانقطاع والاستيناف لزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور ولا يقتضي ذلك ان لا يكون لها معنى في حد ذاتها ولم تستعمل
للاختصاص من كلمات معينة في افهمهم اما الشعر فشذ واما قول ابن عباس فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادي الكلام وتمثيل لو
امثلة حسنة الا يرى ان الله على كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير ولا تخصيص بهن المتعادون غيرها ادعى تخصص لفظا ومعنى بحساب
الجمل فتلخ بالمعربات والجدة لا دليل فيه لجواز ان تتسم بها من جهتهم وجعلها مقسما بها وان كان غير معتد به لكنه يحوج الى انها اشياء لا دليل عليها
والتسمية بثلثة اسماء انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك فاما اذا نثرت نثر اسماء العدد فلا وناهيك
بتسويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة من اسماء حروف المعجم والمسمى بمجموع السورة والاسم حرفها فلا اعتداد
وهو مقدم مر حيث ذا ثم ومؤخرا عنا كرنيا اسما فلا دور والوجه الاول اقرب الى التحقيق واوفق لاقطاع التنزيل واسلم من لزوم النقل
ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع واحد فانه يعود بالنقض على ما هو مقصود بالعلمية وقيل انها اسماء القرآن واذ لا ك اخر عنها
بالكتاب في القرآن وقيل انها اسماء الله تم ويدل عليه ان علي كرم الله وجهه كان يقول يا كهيعص يا حمعسق ولعله اراد يا
منزلها وقيل الالف من اقطع الحلق وهو مبداء المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهي اخرها
جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه وآخره ذكر الله تعالى وقيل انه سر استاثره الله بعلمه وقيل وبه عن الخلفاء
الاربعة وغيرهم من الصحابة بما يقرب منه رد لقولهم اراد وانها اسرار بين الله تم ورسوله ولم يقصد بها افهام غيره اذ يبعده الخطاب
لا يفيد ان جعلتا اسماء الله تم او القرآن او السور كان لها حظ من الاعراب اما الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على
طريقة الله لافعلن بالنصب وغيره كما ذكر او الجر على اضمار حرف القسم وبتاء الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة
لمفرد محكم فيها بيل والحكاية ليست فيما عدا ذلك وسنبوح لك بذكر مفصلا ان شاء الله تم وان بقيتها على معانيها فان قدرت
المؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بانه مبتداء او الخبر على ما مر وان جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين في
الله لافعلن ويكون جملة قسمية بالفعل المقدر وان جعلتها ابعاضا كلا او اسما واحدا منها فمحلها الرفع او النصب بتقدير فعل لها محل من الاعراب كالجمل
المبتداة والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقف التام اذا قدرت بحيث لا تحتاج الى ما بعدها وليس شيء منها آية عند غير
الكوفيين واما عندهم فاكثر في مواقعها والمص كهيعص وطسم وحم آية وحم عسق آيتان والبواقي ليست بآيات
وهذا الوقف لا مجال للقياس فيه ذلك الكتاب اشارة الى القرآن او الى ما انزل اليه من هذه الحروف او الى ما في هذه السورة
او القرآن فانه كلام بعض او وصل من المرسل الى المرسل اليه صاعدا متباعدا والاشارة اليه ايضا اشارة الى البعيد وقد يكون منزلا بمنزلة

بالسورة لتذكير الكتب فانه خبر او صفته الذي هو هو الى الكتاب فيكون صفته و
المراد به الكتاب الموعود انزاله بقوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ويحتمل ان يكون
هو مصدرا سمي به المفعول للمبالغة او فعال بني للمفعول كاللباس ثم اطلق على المنظوم عبارة قبل ان يكتب
لانه مما يكتب اصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة لريب فيه معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه يحقيق بان
العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حدا لا يجارى ان احدا يرتاب فيه الا ترى الى قوله تعالى وان كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله فانه جاء بعد الريب عنهم بل عزفهم الطريق المزيح له وهو
ان يجتهدوا في معارضة نجم من نجي مرموز بديع وافيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس
فيها مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور
والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الاصل مصدر رابني الشيء اذا حصل فيك الريبة و
هي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق النفس فيزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى
ما لا يريبك قال الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه ريب الزمان لنوائبه هدى للمتقين يهديهم الى
الحق والحدى في الاصل مصدر كالشرى والنقى ومعناه الدلالة الموصلة الى البغية لا بد جعل مقابل الضلالة
في قوله تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه
بالمتقين لانهم المهتدون به والمتقون بعضه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم او كافر
وبهذا الاعتبار قال هدى للناس ولانه لا ينتفع بالتامل فيه الا من صقل العقل وهيئه في تدبر الايات
والنظر في المعجزات وتعرف البرهان لانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا ما لم تكن الصحة
حاصلة واليه اشار بقوله تعالى وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا
ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم يتك عن بيان تعين المراد منه والمتقي اسم فاعل
من قولهم وقاه فاتقى الوقاية فرط الصيانة وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الاخرة وله
ثلث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة
التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف
باسم التقوى في الشرع وهو المعني بقوله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغله
سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله واتقوا الله حق تقاته وقد فسر قوله هدى
للمتقين على الاوجه الثلثة واعلم ان الاية تحتمل وجها من الاعراب ان يكون الم مبتدا على انه اسم القران
او مقدرا بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان اخص من المؤلف مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد
المؤلف الكامل في تاليفه البالغ اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون
الم خبر مبتدا محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته ولا ريب في المشهورة مبني لنفيه معنى

افتحت له وجوه الظفر هذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق فلذ في يدل على الشق والفتح و
تعريف المفلحين للدلالة على المتقين بهم الناس الذين بلغت انهم المفلحون في الاخرة او الاشارة الى
ما فيه كل واحد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم **تنبيه** تامل كيف بنا سبحانه على اختصاص
المتقين بنيل ما نالوه احد من وجوه شتى بناء الكلام على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكرير وتعريف الخبر
بسيط الفصل لظهور قدرهم والترغيب في اقتفاء اثرهم وقد تثبت به الوعيدية في خلود الفساق من اهل القبلة في
النار وورد بان المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح ويرد عليه ان كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح لرأسا
ان الذين كفروا لما ذكر خاصة عباده وخالصة اوليائه صفاتهم التي اصلتهم الهدى والفلاح عقبهم اضدادهم
الدائمة المؤبدة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يغني عنهم الايات والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف
في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض فان الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شانه والاخرى
مسوقة لشرح قبائحهم واباطيلهم في الضلال وان من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسمية
واعطاء معناه والتعجب خاصة في دخولها على اسمين فذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الاول ورفع الثاني اذا بانا فرع
في العمل حمل به وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالابتداء وهي بعد باقية مقتضية للرفع فتضيه للاستصحاب
ولا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء الحادث الرفع مشروط بالتجرد ولم يتجرد عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف
وقد مر تمام تاكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة وتذكر في معرض الشك مثل ويسئلونك عن ذي القرنين
قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض قال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين قال البرهة قوال عبد الله فاتم
اخبر عن قيامه وان عبد الله فاتم جواب سائل عن قيامه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول
به والمراد به ناس بأعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود والجنس متناول لامثالهم
عليهم على الكفر وغيرهم فخص عنهم غير المصرين بما استند اليه والكفر لغة ستر التغطية واصله الكفر بالفتح وهو الستر
ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكافر النعمة كافور وفي الشرع انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به واتما عد سنة لبس
الكفر الا ما دل على التمكن فيه كمن صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد بنحو استهزاء عليها
او جحود او عناد او سنة سابقة او نحو ذلك واختيت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ المضي على حدوثه لا سيما آية سابقة نصب
على انه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام كما في السلم سواء عليهم ءانذرتهم
خبران وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر كما قال الله تعالى الا كلمة
بينكم رفع بانه خبر ان وما بعده مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا استوى عليهم انذارك وعدمه او ثابت
انذارك وعدمه سيان عليهم والفعل انما يتبع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع له اما لو اطلق واريد
به مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع نحو كلامه في الاعتناء والاسناد اليه كقوله تعالى واذا
قيل لهم امنوا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم لشيخ بالكتيبة خير من ان تراه وانما عدل هنا عن المصدر الى الفعل

لما فيه من ايهام التجريد وحسن دخول الهمزة وما عليه لتقرير معنى الاستواء وتاكيده فانها اخرج ما عن معنى الاستفهام
المجرد الاستواء كما جردت حرف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة والانذار
التخويف ويدل به التخويف من عقاب الله وانما اقتصر عليه دون البشارة لانه اوقع في القلب واشد تاثيرا في النفس من
حيث ان دفع الضار اهم من جلب النفع فان المتيقظ فيهم كاد يشتغل بالبشارة لعلمه بالنفع اولى وقرئ انذرتهم بتحقيق
الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها الفا وهو لغة لان المتحركة لا تقلب ولانه يؤدي الى
جمع الساكنين على غير حده وتوسيط الف بينهما محققتين وتوسيطها والثانية بين بين وعلى ما
الاستفهامية وتجذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لا يؤمنون جملة مفسرة لاجمال ما قبلها
فيما فيه الاستواء فلا محل لها او حال موكدة او بدل عنه او خبران والجملة قبلها اعتراض وما هو
علة الحكم والاية مما نعي به من حيث تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم
بالايمان فلو امنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان بانهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان
التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي غرضا سيما الاستدلالي نحكه غير
واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تع عما يفعله هو او العباد
باختياره وفائدة الانذار مع العلم بانه لا يتجه الزام الحجة وخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل ابلاغ ولذلك قال
سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الاية
اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم وهي من المعجزات ختم الله على قلوبهم
وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق
من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ اخر نظرا الى انه اخر فعل يفعل في احراز والغشاوة فعالة من غشاه اذا
غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد بهما ارتكاز
في نفوسهم هيئة قمرتهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم والتقليد
واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كانها
مستوثق منها بالختم وابصارهم لا تجتلي الايات المنصوبة في الانفس والافاق كما تجتليها عين المستبصرين
فتصير كانها غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماه على الاسناد ختما وتغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم
الموقوفة باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستفاع بها ختما وتعطيله وقد عبر عن ادراك هذه الهيئة
بالطبع في قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم بالاغفال في قوله تعالى ولا
تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالاقساء في قوله تعالى وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث
ان الممكنات باسرها مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته استناد اليه ومن حيث انها مسببة عما اقترفوه
بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله تعالى ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وفي الاية

تاعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطرب المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التاويل الاول
ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم يشبه بالوصف الخلقي
المجبول عليه الشائن ان المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن
الفطن او قلوب مقفلة ختم الله عليها ونظير سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء
اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر لكن لما كان صدوره عنه
باقدار الله تعالى اياه اسند اليه اسناد الفعل الى المسبب الرابع ان اعراضهم لما رسخت في الكفر وتمكنت
بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف
عبر عن تركه بالختم فانه سد لا يمانهم وفيه اشعار على تردي امرهم في الغي وتناهي ايمانهم في الضلال
والبغي الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر
ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله تعالى لم نكن الذين كفروا الآية السادس ان ذلك في الآخرة
وانما اخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما السابع
ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسيمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم ويتنفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم
فيما يضاف الى الله تعالى من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقولك ختم على سمعه وقلبه والوقف على
الوقف عليه ولانهما لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب جعلا كالمنبع من خاصر فيها الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك
الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون
ادل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحد السمع للامن عن اللبس واعتبار الاصل لانه
مصدر في اصله والمصادر لا تجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر هو ادراك
العين وقد تجيء طلقا مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع وتعلق المراد بهما في الآية العضو لانه اشد مناسبة
للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما قال تعالى ان في ذلك لذكرى
لمن كان له قلب وانما جاز اما لتهامع الضاد لان الراء المكسورة تقلب مستعلية لما فيها من التكرير و
غشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية و
قرئ بالنصب على تقدير وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم بنفسه اليه والمعنى
ختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع والفتح والنصب وهما لغتان فيهما وغشوة بالكسر مرفوعة
وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين الغير المعجمة وهم عذاب عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه والتنكير
كالتكميل بناء ومعنى تفول اعذب عن الشيء ونكل عنه اذا امسك ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش ويردعه
ولذلك سمي نقاخا وفراتا ثم استعمل فاطلق على كل الم فادرج وان لم يكن نكالا اي عقابا يرتدع الجاني عن العاودة فهو اعم
فهما وقيل اشتقاق من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض

الصغير فهما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا قيس بسائر ما يجانسه
قصر عنه جميعه وحقر بالاضافة اليه ومعنى التنكير في الآية ان على ابصارهم غشاوة ليس مما يتعارفه الناس
وهو الثقاء عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله ومن الناس من يقول آمنا بالله و
باليوم الآخر لما افتتح سبحانه بشرح حال الكتاب العظيم وسائر لبيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله وطابت
فيه قلوبهم المستتبع وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفتة راسا تلك بالقسم
الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين امنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم
اخبث الكفرة وابغضهم الى الله لانهم مموهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول في بيان
خبثهم وجهلهم واستهزائهم وتهكم بافعالهم وجعل شطر غيهم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم ان المنافقين في
الدرك الاسفل من النار وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة المصرين والناس اصله اناس لقولهم انسان وانس واناسي في
الجمع حذفها في اللفظة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس الامنينا
شاذ وهو اسم جمع كرجال اذ لو ثبت فعال في ابنية الجمع ماخوذ من انس لانهم مستانسون بامثالهم او انس لانهم
ظاهرون متصرفون ولذلك سموا البشر اما من الجن جنا فالالف واللام فيه للجنس ومن موصوفة اذ لا عهد فكانه قال
ومن الناس ناس يقولون او للعهد والمعهودون هم الذين كفروا ومن موصولة مراد بها ابن ابي واصحابه ونظراؤه فانهم
من حيث انهم صمموا على النفاق وخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة ازدادوها على الكفر
لا بادي ذوي لهم تحت هذا الجنس فان الاجناس تتنوع بزيادات تختلف فيها انواعها فعلى هذا يكون الآية تقسيما القسم
الثاني واختصاص الايمان بالله وباليوم الآخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعائهم جنايزوا
الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه وابانوا بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق
لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله وباليوم الآخر ايمانا كالا لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد
ان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وغيرها وتمرون المؤمنين انهم امنوا مثل
ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم في كفرهم لان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق
وعقدتهم عقيدتهم لم يكن ايمانا كيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء ادعاء الايمان بكل
واحد على الاصالة والاستقلال والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور في النفس المعبر
عنه باللفظ وللرأي والمذهب مجازا والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا نهاية له اولا الى ان يدخل اهل الجنة
الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة وما هم بمؤمنين انكار لما ادعوه ونفيا لما تحلوا باثباته وكان
اصله وما آمنوا البتة فوضع في التصريح بشان الفعل دون الفاعل لمكنه عكس تاكيدا ومبالغة في التكذيب
لان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين ابلغ من نفي الايمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك اكد النفي بالباء واطلق
الايمان على معنى انهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل ان يقيد بما قيدوا به لانهم ما آمنوا به والا لما دخل احد من ادعى

الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما وافقه
اويناقضه لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية في الثاني فلا ينتهض حجة عليهم يخادعون الله والذين آمنوا
الخدع ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتزله عما هو بصدده من قولهم خدع الضب اذا توارى و
جحر وضب خادع وخدع اذا اوهم الحارش اقباله عليه ثم خرج من باب الخرو واصله الاخفاء ومنه الخدع للخزانة
والاخدعان لعرقين خفيين في العنق والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانهم لا يخفى
عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد انما مخادعة رسوله على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول صلى الله
عليه وسلم معاملة الله من حيث انه خليفته كما قال ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله واما ان صورة صنيعهم مع الله من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنيع الله معهم باجراء احكام المسلمين
عليهم وهم عند اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين امر الله في اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم
صورة صنيع المخادعين ويحتمل ان يراد يخادعون يحدعون لانه بيان ليقول او استيناف بذكر ما
هو الغرض منه الا انه اخرج في زنة فاعلت فان الزنة لما كانت للغالبة والفعل حتى غولب فيه
كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة معارض ومبارز استصحبت ذلك ويعضده قراءة من قرأ يخدعون
وكان غرضهم في ذلك ان يدفعوا عن انفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم ما يفعل
بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على اسرارهم ويدلوها الى مناديهم
الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد وما يخادعون الا انفسهم قرأه نافع وابن كثير وابو عمرو والمعنى
ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم وانهم في ذلك خدعوا انفسهم لما غرروها بذلك وخدعتهم
انفسهم حيث حدثتهم بالامانى الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية وقرأ الباقون وما
يخدعون لان المخادعة لا تتصور الا بين اثنين وقرئ يخدعون من خدع ويخدعون بمعنى يختدعون
ويخادعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشئ وحقيقته ثم
قيل للروح لان نفس الحي به والقلب لانه محل الروح او متعلقه وللدم لان قوامها به وللماء لقرب حاجتها
اليه وللراى في قولهم فلان يؤامر نفسه لانه تنبعث عنها او يشبه ذاتا يأمر ويشير عليه والمراد بانفسهم
ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وآرائهم وما يشعرون انه لا يحيق بذلك لتمادي غفلتهم
جعل الخوض وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى لا على ما في الحواس و
الشعور الاحساس ومشاعر الانسان حواسه واصله الشعر ومنه الشعار في قلوبهم مرض فزادهم
الله مرضا استعارة المرض حقيقة فيما يعرض البدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب اختلال افعاله
ومجازا في الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي

لانها مانعة عن نيل الفضائل او مؤدية الى زوال الحيوة الحقيقية الابدية والاية تحتملهما فان قلوبهم كانت
مشتملة تحرقا على ما فاتهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول صلى الله عليه وسلم
واستعلاء شانه يوما فيوما وزاد الله غمهم بما زاد في اعلاء امره وازدياد ذكره ونفوسهم كانت مؤوفة
بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم ونحوها فزاد الله ذلك بالطبع او بازدياد
التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف النصرة وكان اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه مسبب من فعله
واسنادها الى السورة في قوله تعالى فزادتهم رجسا الى كونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ما دخل قلوبهم
من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم و
بزيادته تضعيفه بما زاد لرسوله صلى الله عليه وسلم نصرة على الاعداء وتبسطا في البلاد وكم عاد
اليما اي مولما يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله بنيهم ضرب وجيع
على طريقة قولهم جده جده بما كانوا يكذبون قرأ عاصم وحمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم او ببدل الجزاء له وهو
قولهم امنا وقرأ الباقون يكذبون من كذبه لازما كانوا يكذبون الرسول بقلوبهم واذا خلوا الى شياطينهم ومن
كذب المكثر هو المبالغة او التكثير مثل بين الشيء وموتت لبهائم او من كذب الوحشي اذا جرى شوطا ووقف لينظر
وراءه فان المنافق يحير مترددا والكذب هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب
حيث نسب عليه وما روي ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلث كذبات فمن قبيل التعريض ولكن لما شابه الكذب في صورته
سمي به واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض عطف على يكذبون او يقول وما روي عن سليمان ان اهل هذه الاية لم يولدوا
بعد فلعله اراد به ان اهله ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون من بعدهم من حاله حالهم لان الاية متصلة بما قبلها
بالضمير الذي فيها والفساد خروج الشيء من الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعان كل ضار ونافع وكان من
فسادهم في الارض نقض الحروب والفتن بمعاداة المسلمين ومعاونة الكفار عليهم وافشاء الاسرار اليهم فان
ذلك يؤدي الى فساد في الارض من الناس والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين
فان الاخلال بالشرائع والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل هو الله تعالى والرسول
او بعض المؤمنين وقرأ الكسائي وهشام قيل باشمام الضم الاول قالوا انما نحن مصلحون جواب اذا ورد
للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شأننا ليس الا الاصلاح وان حالنا مقتضية من
شواهد الفساد لان انما يفيد قصرا يدخله على ما بعده مثل انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم
تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا الا
انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ثم لما ادعوا ابلغ مرتبة للاستيناف به وتصدير الجملة في التاكيد الاية المنبهة على
تحقيق ما بعدها فان همزة الاستفهام التي للانكار اذا دخلت على النفي افادت تحقيقا ونظيره الا ليس ذلك
بقادر ولذلك لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى به القسم واختها امّا التي هي من طلائع القسم

وان المقربة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد ما في قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين و
الاستدراك بلا يشعرون وإذا قيل لهم آمنوا من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بخضوع الاسرار لاجتناب
عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله لا تفسدوا او الايمان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله آمنوا كما آمن الناس
في حيز النصب على المصدر وما مصدرية او كافة مثلها في ربما واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون في الانسانية
العاملون بمقتضى العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لما مر مطلقا كذلك يستعمل لما يستلزم المعاني المخصوصة بالبعض والمقصود منه
ذلك كما يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم وبخوع وقد جمعهما الشاعر في قوله *
اذا الناس ناس والزمان زمان * او العهد والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه او من آمن من اهل جلدتهم
كابن سلام واصحابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم واستدل به
على قبول توبة الزنديق وان الاقرار باللسان ايمان وان لم يقبل التقييد قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء
الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس للجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم
فساد رائهم او لتحقير شانهم فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال او لقلة عدد المتبعة
بمن آمن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام واشباهه والسفه خفة ونخافة رأي يقتضيهما نقصان
العقل والحلم يقابله الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون * رد ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل بجهل
الجاهل على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة وانم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعلم وينفعه الاياء
والتنبيه وانما فصلت الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا بذكر السفه ولان الوقوف
على امر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر وتفكر وما النفاق وما فيه من الغش والفساد مما يدرك باد
تفطن وتامل فما ينبغي ان يشاهد من اقوالهم وافعالهم واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار
ومعاشرتهم اثر بيان تلك القصة نسبا فذلك بيان مذهبهم ومعتقد نفاقهم فليس تكريرا وقد ابن ابي واصحابه استقبلهم نفر من
الصحابة فقال بعضهم انظروا كيف ترد هؤلاء السفهاء عنكم فخذ بيد ابي بكر وقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام
وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي
في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه وسيد
بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته
واستقبلته ومنه القينة اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى واذا خلوا الى شياطينهم من خلوت فلانا والبه اذا انفرد معه او من خلاك ذم اي ملك ومضى عنك ومنه الفرس الخالية او من خلون به اذا سخرت منه و
عدي باللام لتضمين معنى الانتهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشيطان في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم
اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه نادرة اصلية على انه من شطن اذا بعد
انه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل قالوا انا معكم

اى فى الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بدعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال فى الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار انما نحن مستهزئون تأكيد لما قبله لان المستهزئ بالشئ المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر واستخفافهم كما ان الشياطين قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فالكرام تواضعوا المؤمنين وتلاعبوا الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزأ واستهزأ بمعنى كاجبت واستجبت واصله الخفة من الهزء وهو الفتل السريع يقال هزأ فلان اذا مان على مكانه وناقة تهزأ به اى تسرع وتخف

الله يستهزئ بهم جازيهم على استهزائهم سمى جزاء الاستهزاء باسمه كما سمى جزاء السيئة سيئة اما للمقابلة اللفظية كقوله ومكروا ومكر الله فى القدر او ترجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذى هو لازم الاستهزاء والغرض منه او نفاقهم معاملة المستهزئ اما فى الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واسناد اجم بالامهال والزيادة والنعمة على التمادى فى الطغيان واما فى الاخرة فبان يفتح لهم وهم فى النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا سارعوا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون وانما استؤنف ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين ان يعارضوهم وان استهزاءهم لا يؤثر فى مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايمانا بان الاستهزاء يحدث حالة فحالة وتجدد حينا فحينا وهكذا كانت تكاليف الله تعالى فيهم كما قال ولا يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة او مرتين وقيل يبتلون بالجدب والقحط طغيانهم يتمادون من مد الجيش وامد كذا اذا زاده وقواه ومنه مدت السراج والارض اذا استصلحتها بالزبل لتمام لام المد فى العمر فانه يعدى باللام كما على له وتدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة ما تعدى عليهم اجراء الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله تعالى الطاف التى يعلم انها المؤمنين خذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسلك بهم طريق التوقيف على انفسهم فقد ابان لهم قلوبهم مرضا وظلمة تزايد فلوب المؤمنين نشرا حا ونورا ومكن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا استدل ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب واضافى الطغيان اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق ذلك انه تعالى انه المذل الشياطين طلق التخلى وقال واخوانهم يمدونهم فى الغى وقيل اصله يمدلهم بمعنى يملى لهم ويمد فى اعمارهم كى يتنبهوا او يطيعوا فما زادوا الا طغيانا وعمها فحذفت اللام وعدى الفعل بنفسه كما فى قوله ثم اختار موسى قومه او النقدا يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك يمعهون فى طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كالغيان والغيان تجاوز الحد فى الغى كما ان الكفر اصله تجاوز الشئ عن مكانه قال الله ثم انا لما طغى الماء حملناكم والعمه فى البصيرة كالعمى فى البصر وهو التحير فى الامر يقال رجل عامه وعمه وارض عمهاء لا منار بها قال + اعمى الهدى والجاهلين العمه + اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اى اختاروها عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان احد العوضين نقدا قيل من حيث انه لا يطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله اشتراء والا فاى العوضين تصور بصورة الثمن

فباذله مشتر واخذه بائع ولذلك عدت الكلستان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما في يد محصلا به
غيره سواء كان من المعاني او الاعيان ومنه + اخذت بالجمة رأسا ازعرا + وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمرا جيدا + كما اشترى المسلم اذ تنصرا + ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشيء طمعا في غيره
المعنى انهم اخلوا بالهدى الذي جعل الله لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا
اليها او اختاروا الضلالة واحبوها على الهدى فما ربحت تجارتهم ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم شبه ما
يشاكله تمثيلا لخسارهم وبخهم + ولما رأيت النسر عز ابن دأية + وعشش في وكريه جاش له صدري
التجارة طلب الربح بالبيع والشراء والربح الفضل على راس المال ولذلك سمي شفا واسناده الى التجارة وهي
لا تربح بها على الاتساع لتلبسها بالفاعل او لشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران وما كانوا مهتدين
لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة راس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين لان راس مالهم
كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق
لهم راس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين عن الربح فاقدين للاصل +
منلهم كمثل الذي استوقد نارا + لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فانه اوقع
في القلب واقمع للخصم الالد لانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولهذا ما اكثر الله في كتبه الامثال
وفشت في كلام الانبياء والحكماء والمثل في الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه
ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير
لكل حال او قصة او صفة لها شان وفيها غرابة مثل قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله ولله المثل الاعلى والمعنى حالهم
العجيبة الشان كحال من استوقد نارا والذي بمعنى الذين كما في قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا ان جعل مرجع الضمير في نورهم
وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم موضع القائمين لانه غير مقصود به الوصف بل الغرض الجملة التي هي صلته وهو وصلة
الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه فحقه ان لا يجمع كما لم يجمع اخواتها ويشتق فيه الوجهان
والجمع وليس الذين جمعه الصحيح بل ذو وزيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة التي
عليها التنزيل ولكونه مستطالا لصلته استحق التخفيف لذلك بولغ فيه بحذف ياء ثم كسرة ثم اقتصر على اللام في
اسماء الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين او الفوج الذي استوقد لان الاستيقاد طلب الوقود والسعي
في تحصيله وهو مطبوع النار وارتفاع لهبها واشتقاق النار من نأر ينئر نأرا ونئورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا فلما اضاءت
ما حوله اي النار ما حول المستوقد ان جعلتها متعدية والا فمكان ان تكون مسندة الى ما والتانيث لان ما
حوله اشياء واماكن او الى ضمير النار مما دون ذكرها في معنى الاماكنة نصب على الظرفية او مفعول وحوله طرف وتاكيد
للحول الا ترى ان قيل للعام حوال لانه يدور ذهب الله بنورهم جواب لما والضمير الذي وجمعه لحمل على المعنى وعلى
هذا انما قال بنورهم ولم يقل بناره لان المراد من يقال منهم او استينافا اجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم

بحال مستوقدا نطقت نكرة أو بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين و
الجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للاجازة امن الالباس واسناد الاذهاب الى الله تعالى
اما لان الكل بفعله واما لان الاطفاء حصل بسبب خفي واجراهما وي كريح او مطر او للمبالغة ولذلك عدي
الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب بسلطان بماله اذا اخذه
وما اخذه الله وامسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظال النور فانه لو قيل
ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم رأسا
الا ترى كيف قرن ذلك وأكد بقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون فذكر الظلمة التي هي عدم النور واظهر
بالكلية وجمعها لنكرها ووصفها بانها ظلمة خالصة لا يرى فيها شعاع وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله
مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب كقوله وتركهم في ظلمات وقول الشاعر فتركته جزر
السباع ينشنه + والظلمة ما خوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل بمعنى ما منعك لانها تشد البصر وتمنع الرؤية و
ظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيمة يوم تر المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم
وبايمانهم او ظلمة الضلال وظلمة سخط الله تعالى وظلمة العقاب او ظلمة شديدة كانها ظلمات
متراكمة ومفعول لا يبصرون محذوف تقديره لا يبصرون شيئا من قبيل المطروح المتروك فكان الفعل غير متعد والاية مثل ضربه الله لمن
اتاه ضربا من الهدى فاضاعه ولم ينتفع به الى ان يغلبه الامر فبقي متحيرا متفكرا او توضيحا لما تضمنه الاية
الاولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فانهم اضاعوا ما اظهروه بالسنتهم من الحق باستبطان الكفر و
اظهارهم حين خلوا الى شياطينهم ومن اثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة او ارتد عن دينه بعد ما امن وبرء
له احوال الارادة فادعى لحوال المحبة فذهب الله عنه ما اشرق عليه من نور الارادة او مثل لايمانهم من حيث انه
يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين في المغانم والاحكام بكلمتي الموقدة
للاستضاءة ولذهاب نورهم وانطماس ضوئهم باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله تعالى اياها واذهاب نورهم بكم عمي
لما سدوا اسماعهم عن الاصغاء الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم ويبصروا الايات بابصارهم جعلوا كانما
فقدت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء عندهم اذيعوا
قوله * اصم عن الشيء الذي لا يريدني * واسمع خلق الله حين اريد + واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة
لان شرطها ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير
لدى اسد شاكي السلاح مقذف + له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ذهب المحققون الى ان نحو قولهم للبخيل كالحمار وللجبان كالثور
لكنه وحلم المنطوق به وظاهر * اسيد على في الحروب نعامة * فتحاء تنفر من صفير الصافر هذا اذا جعلت
الضمير للمنافقين على ان الاية قد تكون التمثيل وتتبعه وان حملته للمستوقدين فهي على حذفها

والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة ادهشتهم بحيث اخذت
حواسهم وانقصمت قواهم وثلثها قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصم اصل صلابة
من اكمة بناء الاجراء ومنه قيل حجر اصم وقناة صماء وصمام القارورة سمي به لفقدان حاسة السمع
لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم
الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة فهم لا يرجعون لا يعودون الى
الهدى الذي باعوه وضيعوه او عن الضلالة التي اشتروها او فهم متحيرون لا يدرون اينقدمون ام
يتاخرون والى متى ابدا ومنه كيف يرجعون والفاء للدلالة على ان اتصافهم باحكام السابقة سبب
لتحيرهم واحتباسهم او كصيب من السماء عطف على الذي استوقد او كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون
اصابعهم او في الاصل للتساوي في الشك ثم اشيع فيها فاطلقت للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن او
ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا فانها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان ومن
ذلك قوله او كصيب ومعناه ارقصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانما سواء في صحة التشبيه
بهما وانت مخير في التمثيل بهما او باحدهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول ويقال للمطر والسحاب
قال الشيخ + واعلم ان صادق الوعد صيب وفي الاية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به نوع من المطر
مثل يدل ويقرب السماء للدلالة على ان الغمام مطبق اخذ نا في السماء كلها فان كل افق منها يسمى سماء كما
ان كل طبقة منها سماء قال + ومن بعد ارض بيننا وسماء بيتا به ما وصيب من المبالغة من جهة
الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فالام للتعريف الماهية فيه ظلمات وتبعد وبرق ان
اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجملة وكانا للوعد
والبرق لانهما في اعلاه ومحيطان به مكتنفين به وان اريد السحاب فظلماته تجمعه وتطبيقه مع ظلام الليل
وارتفاعها بالظرف وفي لانه مغمور على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور ان سببه
اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا حداها الريح من الارتياد والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشئ برقا وبريقا
مصدر في الاصل فان ذلك لم يجعلوا اصابعهم في اذانهم الضمير لاصحاب الصيب هو وان حذف لقرينة
واقيم الصيب مقامه لكن معناه بان فيجوز ان يعود عليه كما عاد حسان في قوله يسقون من ورد البريص عليهم
برد يصفق بالرحيق السلسل صحت ذكر الضمير لان المعنى ماء برد والجملة استيناف فكانه لما ذكر ما يؤذ
بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك فاجيب بها وانما اطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة
من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل
معها نار لا تمر بشئ الا اتت عليه الصعق وهو شدة الصوت وقد يطلق على كل هائل مسموع او مشاهد
ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او شدة الصوت وقرئ من الصواعق وهو ليس بقليس من

من الصواعق لاستواء كلا البناءين في الانصراف فيقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاقعة

في الاصل اما صفة تقصيفة الرعد او الرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدر كالعافية والكاذبة جعل

الموت ناضب على العلة كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره + والموت نزال الحيوق وقيل عرض بضادها

لقوله تع خلق الموت والحيوق ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدورة والله محيط بالكفرين

لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية لا محل لها كاد

البرق يخطف ابصارهم استيناف كان كانه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق وكاد من

افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود فعروض سببه لكنه لم يوجد او لفقد شرط او لعرض

مانع وعسى موضوعة لرجائه في خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه

ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب من غير ان ليوكد القرب بالدلالة على الحال وقد

تدخل عليه حملا لها على عسى كما تحمل عليها بالحذف عن خبرها المشاركة لها في اصل معنى المقاربة والخطف

الاخذ بسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف على انه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء ثم ادغمت

في الطاء ويخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء لها ويتخطف كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا

اظلم عليهم قاموا استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في تارتي خفوق البرق وخفيته فجيب بذلك

واضاء اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم مشوا في خلوق او لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في

مطرح نورهم وكذلك اظلم فانه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة اظلم على البناء

للمفعول وقول ابي تمام بهما اظلما حالي ثم اجليا + ظلاميهما عن وجه امرد اشيب فانه وان كان من المحدثين

لكنه من علماء العربية فلا يبعد ان يحمل ما يقوله بمنزلة ما يرويه وانما قال مع اضاءة كلما ومع اظلام

اذا لانهم حراص على المشي فكلما صاد قوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك الوقوف ومعنى قاموا وقفوا منه

قامت السوق اذا الكاسدت وقام الملك اذا جلد ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم لو شاء ان يذهبهم

بتضعيف الرعد وابصارهم جمع مبيض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد

تكاثر حذفه في شاء واراد حتى لا يكاد يذكر الا في الشيء المستغرب كقوله ع فلو شئت ابكي دما لبكيته + ولو من حذر

الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه وقرئ لا ذهب

باسماعهم بزيادة الباء كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقرئ هذه الشرطية ابداء المانع للذهاب

سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على ان تاثير الاسباب في مسبباتها مشروط بمشية الله تعالى

وجوبها مرتبطا باسبابها واقع بقدرته نفوذ قوله ان الله على كل شيء قدير كالتصريح به والتقرير له والشيء يختص

بالموجود لانه في الاصل مصدر شاء اطلق بمعنى شائ تارة وجائ يتناول الباري تعالى كما قال تعالى قل اي شيء اكبر شهادة قل الله وبمعنى

مشيء اي شيء وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله ان الله على كل شيء قدير والله خالق كل شيء

الى الحظوظ العاجلة وسدّدها عن الفوائد الآجلة ولو شاء الله لجلبهم بالحالة التي يجلوها فانه على
ما يشاء قدير يا أيها الناس اعبدوا ربكم لما عدّد فرق المكلفين وذكر خواصهم وعظائم امورهم
اقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزّا للسامع وتنشيطا له واهتماما بأمر العبادة وتفخيما لشأنها وجبرا
لكلفة العبادة بلذة المخاطبة وبأحرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد
اما لعظمته كقول الداعي يا رب يا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بأمره
له وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نائب مناب فعل دائي حصل وصلة الى نداء المعرف باللام
فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فانهما كمثلين واعطي حكم المنادى واجري عليه
المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا بانه المقصود ولقلت بينهما جاء التنبيه تأكيدا وتعويضا عما
يستحقه اي من المضاف اليه وانما كثر النداء على هذه الطريقة في القرآن لاستقلاله باوجه من التأكيد وكل ذلك
الله له عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون
حتى بان ينادى له بالآكد لا بالغ والجموع واسماؤها الحالة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه
صحة الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة
بعمومها شاهد اذا فان الناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد معنى لما تواتر من دينه عليه السلام
ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلتين ثابت الى قيام الساعة اذا حققه الدليل وتروى عن علقمة والحسن
كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها الذين امنوا فمدني فان صح روايته فلا يوجب تخصيصه بالكفار فرب اوامر
بالعبادة فان المأمور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار
هو الشروع فيها بعد الايمان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشيء وجوب
ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلوة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال
بها عقيبه ومن المؤمنين ازدیادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هو التربية
الذي خلقكم صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح ان خص الخطاب بالمشركين و
اريد بالرب غير من الرب الحقيقي والالهة التي يسمونها ارباب والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله التقدير
يقال خلق النعل اذا قدّ حذاها وسواها بالمقياس والذين من قبلكم متناول كل من تقدمهم الانسان بالذات او
الزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة اخرجت مخرج المفرد عندهم اما لاعترافهم بها كما ان لام
سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر
فرقي من قبلكم على الحاق الموصول الثاني بين الاول وصلته تأكيد كما الحق حرف في قوله يا ليتني كنت معهم
بين الاول وما اضيف اليه لعلكم تتقون حال من الضمير في اعبدوا كانه قال اعبدوا راجين ان تخرطوا
في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى بنيه على ان التقوى منتهى درجات

السالكين وهو التبرأ من كل شئ سوى الله الى الله ثم وان العابد ينبغي ان لا يغير بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال الله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه او مفعول خلقكم والعطف عليه على معنى انه خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الداعي وغلب الخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق الى خلقكم لكي تتقوا كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة مثله والآية تدل على ان الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته وسائر صفاته للعباد النظر في صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته ثوابا فانها مما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجر قبل العمل الذي جعل لكم الارض فراشا صفة ثانية او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره فلا تجعلوا او جعل من الافعال العامة يجئ على ثلثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله شعر فقد جعلت قلوص بني سهيل من الاكوار مرتعها قريب و بمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير فيتعدى الى مفعولين كقوله تعالى جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول والعقد اخرى وبمعنى خلقها فراشا ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهيأة لان يقعد ويناموا عليها كالفراش المبسوط وذلك لا ينافي كونها مسطحة لان كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا تأبى الافتراش عليها كالجبل والسماء بناء قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به المبنى بناء كان او قبة او خباء ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوج احدهم ضرب عليها خباء جديدا او انزل من السماء قباء خرج به من الثمرات رزقا لكم عطف على جعل وخرج الثمار بقدرة الله ومشيته ولكن جعل الماء الممتزج بالتراب سببا في اخراجها وعادة لها كانطفة الحيوان بان اجرى عادته بان ضمنه صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما او ابدع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشاءها مدارج من حال الى حال صنائع وحكما تحار فيها العقول وتكل دونها الالسن وسكونا الى عظيم قدرته ليس ذلك في ايجادها دفعة ومن الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب فان ما علاك سماء او الفلك فان المطر يبتدأ من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه الظواهر او من اسباب سماوية تثير الاجزاء المائية من اعماق الارض الى جو الهواء فينعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات اكنافا البيكرين له اعني ماء وزرقا كانه قال وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل المرزوق ثمارا والتبعيض مرزقا مفعول به على المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا وانما سلك التمرات والموضع موضع الكثرة لان المراد به جماعة الثمرة التي في قولك ادرك ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من قرأ من الثمر على التوحيد ولان الجموع يتعاورها ويضعها موضع بعض

كقوله تعالى كم تركوا من جنات وقوله ثلثة قروء اولانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق ومفعوله ان اريد به المصدر كانه قال رزقا اياكم فلا تجعلوا لله اندادا متعلق بأعبدوا على انه نهي معطوف عليه او نفي منصوب باضمار ان جواب له او بتجعلوا نصب تجعلوا نصب طلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب سباب السموات فاطلع الحاتا لها بأحد اشياء الستة لاشتراكها في انها غير موجبة والمعنى ان تنتفوا ان تجعلوا لله اندادا او بالذي جعل ان استأنفت به على انه نهي وقع خبرا على تاويل مقول فيه لا تجعلوا والفاء للسببية ادخلت عليه لتضمن المبتدا معنى الشرط والمعنى من حقكم عبادة المنعم الجسام والآيات العظام ينبغي ان لا يشرك به والند المثل المناوي قال جرير تشهر تيما تجعلون الي ندا + وما تيم لذي حسب نديد من ند ندوا اذا نفر وانادد الرجل خالفته فهو باين المماثل في الذات كما خص المساوي للمماثل في القدر وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا وما زعموا انها مساوية في ذاته وصفاته ولا انها تخالفه في افعاله لانهم لما تركوا اعبادته الى عبادتها وسموها الهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم باس الله وتنجيهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا لله اندادا لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال وانتم تعلمون كما قال زيد بن عمرو بن نفيل اربا واحدا ام الف رب + ادين اذا تقسمت الامور + تركت اللات والعزى جميعا + كذلك يفعل الرجل البصير وانتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطروح اي وحالكم انكم من اهل العلم والنظر واصابة الرأي فلو تأملتم ادنى تامل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات منفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات اومنع وهو انها لا تماثله ولا تقابله على مثل ما فعلته كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتقريع بتقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل التمكن من العلم سواء في التكاليف واعلم ان مضمون الآيتين هو الامر بعبادة الله تعالى والنهي عن الاشراك به والاستدلال له هو الصلة والمقتضي وبيانه انه ربكم لا مر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا بانها الصلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق لاصولهم وما يحتاجون اليه في معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم والملبوس والرزق اعم من المأكول والمشروب ثم لما كانت هذه امورا لا يقدر عليها احد غيره شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشراك به ولعله سبحانه وتعالى اراد من الآية الاخرى مع ما دلت عليه الظاهر فرسيق فيه الكلام لاشارة الى تفصيل خلق الانسان ثم ما افاض عليه من النشأتين والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض عليه من الفضائل العملية والنظرية للصلاة بوساطة استعمال العقل الحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلية والارضية المنفعلة بمقتضى الفاعل المختار فان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا وان كنتم في ريب تشكون في كونه منزلا على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم فأتوا بسورة لما قرن توحيده بالامر بالعبادة وبين الطريق

الموصل الى العلم بما ذكر عقيبه وهو الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن المعجز بفصاحته التي بلغت
فصاحة كل منطيق وافحامه من طولب بمعارضته من فصاحاء الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وافراط
في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعارضة والمعارة وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله كما
بدء عيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقائع على ما ترى عليه اهل الشعر والخطابة مما يهيجهم
كما حكى الله عنهم فقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة وكان الواجب عندهم على هذا الوجه
ازاحة الشبهة والزاما للحجة فاضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مخصوص بمنقاد لحكمه وفي عبادنا
يريد محمدا صلى الله عليه وسلم وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها ثلث ايات سميت بذلك
واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة من القرآن مغرزة محوزة على حيالها او محتوية على
انواع من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة
في المجد ليس عرابها بمطارح لان الشرف كالمنازل والمراتب يرتقي فيها الفارس اولها مراتب في الطول والقصر في
الفضل والشرف وثواب القراءة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السؤرة التي هي البقية والقطعة من الشيء
والحكمة في تقطيع القرآن سورا وافراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارئ وتسهيل
الحفظ والترغيب فيه فانه اذا اختم سورة تشوف ذلك منه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى برهيا
والحافظ متى جدتها اعتقد انه احدث من القرآن حظا تاما وفاز باطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك
عنده وابتهج به الى غير ذلك من الفوائد من مثله صفة سورة اي بسورة كائنة من مثله والضمير
لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وزائدة عند الاخفش اي بسورة مماثلة القرآن في البلاغة وحسن
النظم او لعبدنا ومن للابتداء اي بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يعاني
العلوم او صلة فاتوا والضمير للعبد والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله فاتوا بسورة من مثله ولسائر
ايات التحدي ولان الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسنى والترتيب في النظم ولان
مخاطبة الجم الغفير بان ياتوا بمثل ما اتى به واحد من ابناء جلدتهم ابلغ في التحدي من ان يقال لهم لياتوا
بمثله او بما هو اخر مثله ولانه معجز في نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لان اجتمعت الانس والجن
على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم امكان صدوره ممن لم يكن على
صفته ولا يلائمه قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم
ويقيهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر والقائم بالشهادة او الناصر او الامام وكانه سمي به لانه
يحضر التوادي ويقوم بحضرة الاسود اذ التركيب للحضور اما بالذات او بالنصور ومنه قيل للمقتول في
سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجو او الملائكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه الدون
الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا اي خذه من ادنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل

زيد دون عمرو اى فى الشرف ومده الشئ الدون ثم اشتهر فيه فيستعمل فى كل تجاوز حد الى تخطى اعراض الآخر
قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المومنين اى لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين
وقال امية شعر يا نفس مالك دون الله من واق اى اذا تجاوز وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة
بادعوا او المعنى وادعوا المعارضة من حضركم او رجوهم معونته من تسكم وجنكم والمعنى غير الله فانه لا يقدر
ان يأتى بمثله الا الله وادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بان ما اتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله كما
من دين المبهوت العاجز عن اقامة الحجة او يشهدكم الذين تعبدونهم من دون الله اولياء والهة وتزعمون انها
تشهد لكم يوم القيمة او الذين ليشهدون لكم بين يدى الله على زعمكم من قول الاعشى * ثم ابك الفدى
من دونها وهى دونه * يعينوكم وفى امرهم ان يستظهروا بالجماد فى معارضة القرآن غاية التبكيت والتهكم بهم و
قيل من دون الله اى من دون اولياكم يعنى فصحاء العرب ووجوه المشاهدين ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله
فان العاقل اذا رضى لنفسه ان يشهد بحجة ما لم يعلم فسادها وبان لضلاله ان كنتم صادقين انه من كلام
البشر جوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن ابى هاشم
لانه تعالى كذب المنافقين فى قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصحة التكذيب على قولهم نشهد انك
الشهادة اخبار عما علموه وهم ما كانوا عالمين به فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ان تقولوا النار التى وقودها الناس والحجارة
لما بان لهم ما يعجزون فوض امر الرسول عليه الصلوة والسلام وما جاء به وما زجرهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو
كالنتيجة له وهو انكم اذا اجتهدتم فى معارضته وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر انه محق و
الصدق به واجب فاتقوا عذاب المعاند الكاذب فعبر عن الاتيان بالمكلف بالفعل الذى يجب الاتيان به وعن تركه
ايجازا وترك لازم الجزاء ومنزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكنى عنه وتهويلا لاشتهار العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز
وصدر الشرطية بان النفى للشك والحال يقتضى اذا لذلك الوجوب فان العاقل يجانبه لم يكن شاكا فى عجزهم ولذلك تفوه ايانهم
معترضا بين الشرط والجزاء تهكما بهم او خطابا معهم على حسب ظنهم فان الخوف فعل التامل لم يكن محققا عنهم ونفوا جزمهم
لانها واجبة لاعمال مختصة بالمضارع منفصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صار كالكسير مندرجا تحت حروف الشرط كالداخل على المجموع عملا
فعل فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا فى نفى المستقبل عند البلخى وهو حرف منصب عند سيبويه والخليل
فى احد الروايتين عنه وفى الرواية الاخرى اصله لا ان وعند الفراء لا فابدلت الفا ونونا والوقود بالفتح ما توقد به النار
وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح وقال سيبويه سمعنا من يقول وقدت النار وقودا عاليا والاسم
بالضم ولعله مصدر سمى به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم وان زيد
به المصدر فعلى حذف المضاف اى وقود ها احتراق الناس والحجارة وهى جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير
منقاس والمراد بها الاصنام التى نحتوها وقرنوها بانفسهم وعبدوها طمعا فى شفاعتها والاستشفاع بها واستدفع
المضار بكانتهم ويدل عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون فلو كانت

جزمهم كما عذب الكافرون بما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم وقيل الذهب والفضة التي
كانوا يكنزونهما ويفرّون بهما وعلى هذا الوجه لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل
بحجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شأنها وتفاقم لهبها بحيث يثقله
بما لا يثقل به غيرها والكبريت تشتد بها كل نار وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس لعله عنى
به ان الاحجار كلها كتلك النار كالحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت الآية مدنية نزلت بعد ما نزل
بمكة قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوا صح تعريف النار ووقوع الجملة
صلة فانها يجب ان يكون قصة معلومة اُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ * هُيِّئَتْ لهم وجعلت عُدَّة لعذابهم وقرئ
أُعِيدَتْ من العتاد بمعنى العدة والجملة استيناف او حال باضمار قد من النار لا من الضمير التي في وقودها وان
جعلته مصدرا للفصل بينهما بالخبر وفي الآيتين ما يدل على البتوة من وجوه الاول ما فيهما من التحدي والتعريض
على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من
سور القرآن ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا للمعارضة والتجأوا الى جلاء
الوطن وبذل المهج والثاني انها تتضمن الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما و
الطاعنون فيه اكثف من الذابين عنه في كل عصر والثالث انه عليه الصلوة والسلام لو شك في امر لمادعاهم الى
المعارضة بهذه المبالغة مخافة ان يعارض فتفتضح حجته وقوله اعدت للكافرين دليل على ان النار مخلوقة معدة لهم الآن
وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف حال من آمن بالقرآن
ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا
لا نسنا ما ينجي وتثبيطا عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب له ما يناسبه من امر او نهي فيعطف عليه
او صلى فاتقوا انهم اذا لم يأتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب و
من آمن به استحق الثواب فذلك ليستدعي ان يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وانما امر الرسول صلى الله عليه وسلم او علم كل عاص
او كل احد يقدر على البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشأنهم والدلالة انهم احقاء بان
يبشروا ويهنؤا بما أُعِدَّ لهم وقرئ ويبشر على البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون استيناف والبشارة الخبر السار فانه يظهر
اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هي الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيد من بشرني بقدوم ولدي فهو حر
فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله *
تحية بينهم ضرب وجيع * والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الاسماء كالحسنة قال
الخطيئة * كيف الهجاء وما تنفك صالحة * من آل لام بظهر الغيب تأتيني * وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتلقيها
على تأويل الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليهما اشعارا بان السبب استقلاق
هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اسٌّ

والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء بأس لا بناء عليه ولذلك قلما ذكر امفردين وفيه دليل على انهما خارجة
عن مسمى الايمان اذا الاصل ان الشيء لا يعطف على نفسه وباهو داخل فيه ان لهم منصوب بنزع الخافض و
افضاء الفعل اليه او مجرور بإضمار مثل الله لا فعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر لجنه اذا ستره و
مدار التركيب على الستر سمي بها الشجرة المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه لستره ما تحته ستره واحدة
كان عينيه في عرفه مقتلة من النواضح تسقى جنة نخلا اي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة
المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من
افنان النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وجمعها وتنكيرها لان الجنان على
ما ذكره ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى و
دار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال
والعمال واللام تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما يترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاته فانه لا يكافئ
النعم السابقة فضلا من ان يقتضي ثوابا وجزاء فيما ينبغي بل بحمل الشارع ومقتضى وعده ولا على الاطلاق
بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك
حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيه عليه السلام لئن اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله سبحانه وتعالى
هنا استغنى بها يجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها كما ذكر اجاريا تحت الاشجار النابتة على شاطئ
وعن مسروق انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء
الجاري او للعهد والمعهود هي الانهار المذكورة في قوله تعالى فيها انهار من ماء غير آسن الا ينير والنهر بالفتح والسكون المجرى
الواسع فوق الجدول دون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ما وهاء على الاضمار او الجاري او الجاري انفسها و
استاد الجري اليها مجازا كما في قوله ثم اخرجنا الارض انفالها كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل صفة ثانية لجنات
او خبر مبتدا محذوف وجملة مستانفة كانه لما قيل ان لهم جنات وقع في خلد السامع انها مثل ثمار الدنيا ام اجنس
اخر فقيل رزقنا بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعوله ومن الاولى والثانية للابتداء واقتضاء موقع الحال واصل الكلام و
معناه كل حين اوقع رزقا رزقوا من ثمرة مبتدا من الجنات مبتدا من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدءا من الجنات وابتداؤه
منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال الاول رزقا وصاحب الحال الثانية ضمير المستكن في الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة
بيانا لما قبله كما في قولك رأيت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع
فانك لا تعني به العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم المستمر بحسب جريانه وان كانت الاشارة الى عينه والمعنى هذا
مثل الذي رزقنا ولكن لما تحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقول ابي يوسف ابو حنيفة من قبل اي من قبل هذا في الدنيا
حمل ثمرة الجنة من جنس ثمرة الدنيا ليميل النفس اليه اولا ثم ترقى الطباع فانتزاع المألوف مستنفرة عن غيره ويتبين
لها فرقه وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن انه لا يكون الا كذلك او في الجنة لان طعامها

متشابها الصورة كما حكي عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بآخرها فيراها مثل الاولى فيقول اتيت بهذا فيقول الملك كل فالالوان واحدة والطعم مختلف او كما روي انه عليه الصلوة والسلام قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول اللقمة فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم اذا اتوا على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول اظهر لما فطنه على عمومه كلما فانه يدل على تردديهم هذا القول كل مرة قالوا اتوا به من قبل فرط استغرابهم وتلجمهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة وأتوا به متشابها بقاط اعتراض يقرر ذلك والضمير على الاول راجع الى ما يرزقون في الدارين فانه مدلول عليه بقوله تعالى هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغنى والفقر وعلى الثاني الى الرزق فان قيل التشابه والتماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس ليس في الجنة من الطعام الا الاسماء قلت التشابه بينهما حاصل في الصورة دون المقدار والطعم وهو كاف في اطلاق التشابه هذا وان للآية محملا آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة ما يرزقون في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قولهم ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد ولهم فيها ازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والادرار ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال للنساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل ذل * واذا العذارى بالدخان تقنعت + واستعجلت نصب الفدر قولت * فالجمع على اللفظ والافراد على تغيير الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسرها بمعنى مطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وليس هو الا الله عز وجل والزوج يقال للذكر والانثى وهو في الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل فائدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع وفائدة المنكوح التلذذ وحفظ النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها وسائر احوالها تماثل نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى يستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها وهم فيها خالدون * دائمون والخلد والخلود في الاصل الثبات المديد دام او لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار خوالد وللرسم الذي يبقى من الانسان على حاله ما دام جامدا خلد ولو كان وضعه للابد دام كان التقييد بالتابيد في قوله خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله حيث لا دوام كقوله وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا والاصل نفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه واستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان مثل قوله تعالى وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام من قبلك الخلد لكن المراد به الدوام ههنا عند الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنن فان قيل الابدان مركبة من اجزاء متضادة بالكيفية معرضة للاستحالة والتفكك والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان قلت الله تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها

لاستحالة بان يجعل اجزاءها مثلا متفاوتة ومتفاوتة فتتساوى في الفوق لا يفوق شيئا منها على حالة اخر
متعاظمة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما نشاهد في بعض المعادن هذا فان قياس ذلك العالم
واحواله على ما نجد ونشاهد من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم انه لما كان معظم اللذات الجسمية
مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء وكان مآل ذلك كله الى الفناء والدثور
فان كل نعيم جليل اذا فكرنا فيها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب الالم لو لم تنغص الموجودين بها
ومثل ما اعدلهم في الاخرة يأبى ما يستدل به منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في النعيم والسرور
ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة لما كانت الايات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقبت لذلك ببيان حسنه
وما هو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له من الجهة التي يقابل بها التمثيل في العظم والصغر والحسة
والشرف دون الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد
المحسوس ليساكد فيه الوهم العقل ويصادمه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان
من طبعه ميل الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء
واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان المثل اعظم من كل عظيم كما مثل في
الانجيل على الصدر بالخالية والقلوب القاسية بالحصاة وفي مخاطبة السفهاء بازاورة الزنابير وجاء في كلام العرب
اسمع من قراد واطيش من فراشة واغر من مخ البعوض لما فاقت الجهلة من الكفار بما مثل الله تعالى حال
المنافقين بحال المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجعلها
اقل من الذباب واحس قدرا منه الله اعلى واجل من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وايضا لما ارشد
الى ما يدل على ان الهدى به وحي منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن به بعد ظهوره امر شرع في جواب
ما طعنوا به فيه فقال ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بما حقارتها والحياء
انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجرأة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل
الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحيوة لانه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيذهب عنها
افعالها فقيل حيي الرجل كما قيل نسي وحشي اذا اعتلت نسيا وحشا واذا وصف به الباري تعالى كما
جاء في الحديث ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه
اليه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فلم ار به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه
اصابة المعروف والمكروه اللازمين لهما ونظير قول من وصف ابلا * اذا استخذين الماء رئد نفوسه *
كرعن بسبت في اناء من الورد * وانما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة ويحتمل الا يذهب خاصة
ان يكون جميئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل عبارة من ضرب الخاتم واصله رفع شيء على
اخر وان يصلها يخفض الحل عند الخليل باضمار من وينصوب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه

وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا وتشد عينها اطراف التقييد كقولك اعطني كتابا ما اي اي كتاب كان او مغايرة للتاكيد كالتي في قوله تعالى فبما رحمة من الله ولا تفنى بالمزيد اللغو الصائم فان القرآن كله هدى وبيان بل بالمهم يوضح المعنى يراد منه وانما وضعت لان يذكر مع غيره فيفيد له وثاقة وقوة وهو زيادة في الكلام غير قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال قدمت عليه لانها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على انه خبر مبتدإ وعلى هذا يحتمل ما وجوها احدها ان يكون موصولة حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تعالى تماما على الذي احسن وموصوفة بصفة كذلك وحقها النصب بالبداية على الوجهين واستفهامية هي المبتدإ اي كانه لما رد استبعادهم ضرب الله الامثال قال بعد ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي بما يهب مادينا ودينارا والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش فما فوقها عطف على بعوضة او ما ان جعل اسما ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت كانه فصل به مما استنكر والمعنى انه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوض فصلا عما هو اكبر منه او في الشيء الذي جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كحالهما فانه عليه الصلوة والسلام ضربه مثلا للدنيا ونظيره في الاحتمالين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضي الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما يجاوز الشوكة في الالم كالخرور او ما زاد عليها في القلة كخدش النمل لقوله عليه السلام ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى الخيط والشوكة فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم اما حرف يفصل ما اجمل وعوكبا ما به صدر ويتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيدا فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب اي هو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوها على الخبر وعوضوا المبتدأ عن الشرط لفظا وفي تصدير الجملتين به ايجاد لاهر المؤمنين واعتداد بعلمهم ودم للكافرين على قولهم والضمير في انه للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يعم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقوق محكم النسج واما الذين كفروا فيقولون ما ان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قوله يقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه ماذا اراد الله بهذا مثلا يحتمل وجهين ان يكون ما استفهامية وذا بعده اللذي وما بعده صلته والمجموع خبرها وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء منصوب المحل على المفعولية مثل ماذا اراد الله والاحسن في جواب الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السؤال والارادة

نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبدأ النزوع والاول مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور في اتصاف الباري تعالى به ولذلك اختلف في معنى ارادته ففعل ارادته لا فعاله انه غير ساه ولا مكره ولا فعال غيره امر بها فعلى هذا لم يكن العاصي بارادته تعالى وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تخصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه على الاخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا الترجيح وهي اعم من الاختيار فانه ميل مع تفضيل وفي هذا استخفار واستزلال ومثلا نصب على التمييز او الحال كقوله هذا ناقة الله لكم اية يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جواب ماذا اي اضلال كثير وهداية كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان للجملتين المصدرتين بما او تشمل بان العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه ايراده والانكار الحسن موردة ضلال وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلتين بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فان المهديين قليلون بالاضافة الى اهل الضلال كما قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال قليل اذا عد والكثير اذا شدوا وقال ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل واركث وما يضل به الا الفاسقين اي خارجين عن حد الايمان كقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشرع الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلث الاولى التغابي وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها مستحلا اياها فاشارت هذه المقامات بخطى خطاها خلع ربقة الايمان من عنقه ولا يسلب الكفر مادام هو في درجة التغابي او الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاضافته بالتصديق الله هو مسمى الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا لان بين منزلتي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل على انه الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال به وذلك لان كفرهم وعلوهم عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى سخروا به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به وقرئ تضل على البناء للمفعول والفاسقون بالرفع الذين ينقضون عهد الله صفة الفاسقين للذم وتقرير الفسق وانتقض فسخ التركيب واصله في طاقات الحبل واستعمالها في ابطال العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهدين باحد طرفي الحبل مع لفظ الحبل كان ترشيحا للجاز وان ذكر مع العهد

كان رمزا الى ما هو من روادفه وهوان العهد مثل الجعل فى ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاعتك
يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس فان فيه تنبيها على انه اسد فى شجاعته بحر بالنظر
الى افادته والعهد الموثق ووضعه لما من شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال
للدار من حيث انها تراعى بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد الماخوذ
بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه
نزل قوله تعالى واشهدهم على انفسهم او الماخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول
مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله تعالى واذ اخذ
الله ميثاق الذين اوتوا الكتب ونظائره وقيل عهوده الله ثلثة عهد اخذه على جميع ذرية آدم بان
يقروا بربوبيته وعهد اخذه على النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء
بان يبينوا الحق ولا يكتموه من بعد ميثاقه الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة
وهى الاستحكام والمراد به ما وثق الله به عهده من الايات والكتب وما وثقوم به من الالتزام و
القبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق ويقطعون ما
امر الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن الموالاة
المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب فى التصديق ونزاع الجماعات المفروضة
وسائر ما فيه رفض خير وتعاطى شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصود بالذات من
كل وصل وفصل كل امر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمى الامر الذى
هو احد الاسود تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شان وهو الطلب والقصد
يقال شأنت شأنه اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض على انه بدل من ما او ضمير والثانى
احسن لفظا ومعنى ويفسدون فى الارض بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التى بها
نظام العالم وصلاحه اولئك هم الخسرون * الذين خسروا بايهال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم
الجمود الابدية واستبدال الانكار والطعن فى الايات بالايمان بها والنظر فى حقائقها والاقتباس من انوارها
واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله استخبار فيه انكار و
تعجيب لكفرهم بانتفاء ما يقتضى الكفر عليها على الطريق البرهانى لان صدوره لا ينفك عن حال وصفة
فاذا انكران يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واوفى فى انكار الكفر من تكفرون
واوثق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا انما وصفهم بالكفر وسوء المآل وخيبة الفعال خاطبهم على طريقة
الالتفات وبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبرونى على اى حال تكفرون
وكنتم امواتا اى اجساما لا حيوة لها عناصرها اغذيته واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة

فاحياكم بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطف بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف
اليوالى تقديمكم عند تقضى اجالكم ثم يحييكم بالنشور يوم الصور والسؤال فى القبور ثم اليه ترجعون
بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تشورون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم بعد علمكم بحالكم
هذه بان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم
من العلم بما اكتسب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم فى ازاحة العذر سيما وفى الاية تنبيه على ما يدل عليهما
وهو انه تعالى لما قدر ان احياهم اولا قدر ان يحييهم ثانيا فان بدأ الخلق ليس بأهون عليه من اعادته او مع
القبيلتين فانه سبحانه لما بان دلائل التوحيد والنبوة ووعيدهم على الايمان واوعدهم على الكفر لذلك
بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستبعد ضدد الكفر منهم واستبعد عنهم مع ذلك النعم الجليلة فان
عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف يعد الا انه من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وسيلة
الى الحيوة الثانية التى هى الحيوة الحقيقية كما قال تعالى وان الدار الاخرة لهى الحيوان كانت من النعم العظيمة مع
ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كما ان الرائع حالا هو العلم بحال كل واحد من الجمل
فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكذا لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعية
الكفرة عنهم على معنى كيف تصورون منكم الكفر وكنتم امواتا اى جمادا فاحياكم بما افاد كم من العلم والايمان ثم يميتكم
الموت المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر والحيوة حقيقة فى القوة الحساسة وما يقتضيها وهى فى الحيوان حيوانا مجازا فى القوة النامية لانها من ظلالها
ومقدماتها وقيل هى ما يختص الانسان من الفضائل كالعلم والعقل والايمان من حيث انه كمالها وغايتها والموت بازائها
يقال على ما يقابلها فى كل مرتبة قال تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال على ان الله يحيى الارض بعد موتها و
قال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس واذا وصفها البارى تعالى اريد بها
صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذا الوصف فينا او معنى قوله يقتضى ذلك على الاستعارة وقرأ
يعقوب ترجعون بفتح التاء فى جميع القران هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا بيان نعمة اخرى عديدة
على الاولى فانها خلقت لهم احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذا خلق ما يتوقف عليه بقاءهم وتتم بمنافعهم
ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم فى دنياكم باستنفاعكم بها فى مصالح ابدانكم بوسط او غير وسط وديمومة بالاستدلال
والتفرج لما بالايمان من الذات الاخرة والآمها على وجه الفرض فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض
من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضى اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض الاسباب
عارضة فانه يدل على ان الاصل للكل ان كل واحد للكل واحد مما فى الارض لا الارض الا اذا اريد بها جهة
السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال عن الموصول الثانى ثم استوى الى السماء قصد اليها بارادته من قولهم استوى
اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوى على شئ واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال

لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه تعالى لانه من خواص الاجسام وقيل استولى وملك قال

الشاعر قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق والاول اوفق للاصل والاصلية المعتبر في

المتشابه عليها بالغاء والمراد باسماء هذه الاجرام العلوية او جهات العلو ثم لعله لتفاوت ما بين خلقهن فضل خلق

السماء على خلق الارض كقوله ثم كان من الذين امنوا الا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى و

الارض بعد ذلك دحيها فانه يدل على تاخر دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان

تتكلف بدحاها مقدرا النصب الارض فعلا آخر دل عليه اتنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين اشئه خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسواها

الارض وقدر اقواتها بعد خلقها على ان لكنه خلاف الظاهر فسوهن عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن

ضمير السماء ان فسرت بالاجرام لانه جمع او في معنى الجمع والا فضميرها بعد تقولهم ربه رجلا سبع سموات بدل اشتمال

او بتفسير فان قيل ليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا التسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس في الاية

نفي الزائد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف وهو بكل شيء عليم فيه تعليل كانه

قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان

فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن

الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازاحة قد يختلج في صدور هم من ان الابدان بعد ما تفتتت وتبددت

اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف يجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها

ما ليس معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلث

مقدمات وقد برهن عليها في هاتين الايتين اما الاولى ففي ان مواد الابدان قابلة للجمع والحياة واشار الى البرهان

عليها بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحيوة عليها يدل على انها

قابلة لهما بذاتها وما بالذات لا يأبى ان يزول ويتغير واما الثانية والثالثة فانه عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها وجعلها

واشار الى وجه اثباتهما بانه تعالى قادر على ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم

واحيائهم او انه خلق ما خلق فلا بد ان يميتهم ثم يحييهم ليجازيهم على اعمالهم وسد حاجاتهم وذلك

دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جملت قالته وقد سكن نافع وابو عمرو الكسائي الهاء من يحيي

فهو وهي تشبيها له بعضد وادغم قال ربك للملئكة اني جاعل في الارض خليفة وقد اراد لغة ثالثة ثم التنبيه

كلهم فان خلق آدم واكرامه وتفضيله على سكان ملكوته بان امرهم باسجود له انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع

لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة تقع فيه اخرى ولذلك يجاء اضافتها

الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا لشبههما بالحروف الموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة وعاملهما المنصوب بادا بالظرفية

فانهما من الظروف الغير المتصرفة كما ذكرناه واما قوله واذكروا اذ انتم قليل فمحمول على تاويل اذكروا الحادث

اذ كان كذا في وقت الحادث وادا يقدر الظرف مقامه وعامله فزالا يزيغون قالوا واذكر على التاويل المذكور لانه جاء معمولا له

صريحا في القرآن كثيرا او مضمرا دل عليه مضمون الاية المتقدمة مثل وبدأ خلق الانسان من طين وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة في حكم الصلة وعن معمر انه مرسل الملائكة جمع ملاك على الاصل كالشمائل جمع شمال والتاء لتأنيث الجمع وهو مقلوب مألك من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسائط بين الله تعالى وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل اليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة فاخبر بانها اقدر الكائنات المسلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية الفارقة للابدان وزعم الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس المناطقة في الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم عليون والملائكة المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبته في كتاب الطوالع والمقول لهم الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم في الارض اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس في جند من الملائكة فدحرهم وفرقهم في الجزائر والجبال وجاعل من جعل للدلالة على انه مفعول ثان وبمعنى الاستقبال ومعتمد مستند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والتاء فيه للمبالغة والمراد بداد عليه السلام لاستكمال خليفة الله تعالى في ارضه وكذلك كل نبي استخلفه في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة الى من يقوم به بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره بغير وسط ولذلك لم يستخلف بعد نبينا صلى الله عليه وسلم لكمال تلقي امته عنه وقوة استعدادهم لاقتباس انوار الشريعة منه كما قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الا ترى ان الانبياء لما فاقت قوتهم واستعلت فطرتهم بحيث يكاد نور بعضهم يضيء ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة ومن كان منهم اعلى رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى عليه السلام في الميقات وعرج عليه السلام ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الباري تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطي ذاك او خليفة من سكن الارض قبله او هي ذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا او افرادا واللفظ اما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغنى بذكر ابي القبيلة في قولهم مضر حامشم وعلى تأويل من يخلف او خلقا يخلف وفائدة قوله هذا الملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شأن المجعول بأن تشير بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضلها الراجح على ما فيه من الفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك مما تولى الفحل فيها من تفسيره وكيفية الدراية يجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها او يستخلف سكان اهل الطاعات اهل المعصية واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي تبينت تلك المفاسد وانفقها استخبار عما بر شدهم وزيغ شيعتهم كسؤال المتعلم معلمه ليعلم ما يجهله في صدده وليس باعتراض على الله ولا طعن في

بنى ادم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم
بامره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله او تلقي من اللوح واستنباط عما ركنه في عقولهم ان العصمة من
خواصهم او قياس لاحد النقلين على الاخر والسفك والسبك والسفح والشن انواع من الصب فالسفك يقال في
الدم والدمع والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب من اعلى والشن في الصب عن فم القربة ونحوها وكذلك
السن وفي يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجح الى من سواء جعل موصولا او موصوفا فيحذف وتا اى ليسفك
الدماء فيهم ونحن نسبح حمدك ونقدس لك حال مقدرة لجهة الاشكال كقولك اخسن الى اعدائك
وانا الصديق المحتاج والمعنى اتستخلف عصاة ونحن معصومون احقاء بذلك والمفصوح منه الاسفساد عما
رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف والتفاخر وكانهم علموا ان المجعول خليفة
دو ثلث قوى عليها مدار امره شهوية وغضبية توديان به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة و
الطاعة وتزهده فيها مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تلك القوتين لا يقتضي الحكمة ايجاده فضلا عن
استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فحيث يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن
فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة وجاهد
الهوى والانصياع ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الاحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات
واستخراج منافع الكائنات من القوى الى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف واليه اشار تعالى اجمالا
بقوله قال اني اعلم ما لا تعلمون والتسبيح تنزيه الله عن السوء وكذلك التقديس من سبح في الارض والماء
وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال فلان يسبح اذا اظهر لان مطهر الشيء مبعد عن الادناس فجعلك في موضع الحال
اى متلبسين بحمدك على ان الممتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك ندارك به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس
لك نظهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الافساد المضر بالشر عنه فيما بالتسبيح وسفك الدماء الذي
هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الآثام وقيل نقدسك واللام زائدة وعلم آدم الاسماء كلها
اما بخلق علم ضروري بها فيه او القاء في روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب
عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم اعجمي كآزر وشالخ واشتقاقه من الادمة وهي
السمرة او من الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من ادم الارض لما روي عنه عليه السلام انه تعالى قبض
قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك ياتي بنوه اخيافا او من الادم والادمة بمعنى الالفة
تشبيها كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق
ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا في اللفظ
الموضوع لمعنى سواء كان مركبا او مفردا اخبارا عنه او حينا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على
معنى في نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلثة والمراد في الآية اما الاول او الثاني وهو يستلزم

الاول لان العالم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف على العالم بالمعاني والمعنى انه تعالى خلقه من لحم اعلى خلافته
وفي متباينة مستعدة لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسيات والتخيلات والموهومات الهمه
معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية الاتها ثم عرضهم على
الملائكة الصابرين فيه للمسمى المدلول عليها ضمنا اذ التقدير اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض
عنه الالف واللام كقوله تعالى واشتعل الراس شيبا لان العرض السوال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان اريد
الالفاظ والمراد بها ذوات الاشياء ومدلولات الالفاظ فتذكير لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها
على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها قال ائتوني باسماء هؤلاء بتكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف و
التدبير واقامة العدل قبل التحقق بالمعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس تكليف ليكون من باب التكليف
بالمحال والابناء اخبار فيه اعلام والذال يجري كل واحد منهما ان كنتم صادقين في زعمكم انكم احق بالخلافة فتصدكم
وان خلقي واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يطرق الى الكلام
باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه بعرض ما فلن مصدر لوله من الاخبار وعبد الاعتبار معنى الانشاء ان قالوا سبحانك لا علم لنا
الا ما علمتنا اعتراف بالعجز والقصور واستعار بان سوالهم كان استعسارا ولم يكن اعتراضا وانقدا بان لهم ما خفي عليهم من فضل
الانسان والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم
كله اليه وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه
على الشذوذ في قوله سبحان من علقمة الفاخر وتقدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال و
لذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه السلام سبحانك تبت اليك وقال يونس سبحانك اني كنت من
الظالمين انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية الحكيم في الحكم لسبق عنايته الله لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل
وقيل تاكيد الكاف كما في قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك
جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدا خبره ما بعده والجملة خبر ان قال يا آدم انبئهم باسمائهم اي اعلمهم
وقرئ بقلب الهمزة ياء ووحذفها بكسر الهاء فيهما فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب
السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون استحضار لقوله اني اعلم ما لا تعلمون
لكنه جاء به على وجه السبط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور السموات والارض وما ظهر لهم من احوالهم
الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وتنبيه على ان يبنوا لهم و
قيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وما كنتم تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة و
انه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسروا من المعصية والحمزة للانكار دخلت
حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه الايات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على
العبادة وانه شرط في الخلافة قيل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه

لاختصاصه بمن شرف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها
ظاهر في القائها على المتعلم مبتدأ له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينبغي ان يكون ذلك
الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله تعالى وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله انك انت
العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم قبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة الاعلى منهم وحملوا عليه
قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى
هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم لما انبأهم بالاسماء وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه و
قيل امرهم به قبل ان يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين امتحانا لهم
واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبتموه بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على
الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في الاصل التذلل
نظما من قال المشاعر تزهى الا كرم فيه سجدا للحوافر وقال + وقلن له اسجد ليلى فاسجدا + يعني البعير اذا طأطأ رأسه
وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له في الحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم
قبلة تسجدوا بهم تحقيقا لشأنه او سببا لوجوبه وكانه تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها بل للموجودات
باسرها ونفخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات ووصلة الى
ظهور ما تأبى عنه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا لما رأوا فيه من عظيم قدرته وباهر آياته وتكرمة لهم
عليهم بواسطته فهو للام فيه كاللام في قول حسان للبس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن
او في قوله فخر الصلوة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي وهو التواضع لآدم تحيته وتعظيما له كسجود اخوته يوسف له
او الذل والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينبغي به معاشهم ويلتئم به كمالهم والكلام في ان المأمور بسجود آدم
الملائكة كلهم او طائفة منهم ما سبق فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه
وصلة في عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه الا باء امتناع
باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع وكان من الكافرين
اي في علم الله او صار منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود لآدم عليه السلام اعتقادا بانه افضل منه
ولا فضل لاحد ان يحتج به للتفضيل والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله ما منعك ان تسجد
لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده والآية تدل على ان آدم افضل من
الملائكة المأمورين بالسجود له ولو من وجه وان ابليس كان من الملائكة والا لما استثناه وله امرهم ولم يصح
استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك قوله تعالى الا ابليس كان من الجن لجواز ان يقال انه كان من الجن فلا من الملائكة
نوعا ولان ابن عباس روى ان الملائكة ضربان يطيرون يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم انه

لم يكن من الملائكة ان يقول انه كان جنيا بل انه اظهر الملائكة وكان معهم فغلبوا عليه او اجرى
ايضا كانوا مأمورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مأمورون بالتذلل
لآدم والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مأمورون به والضمير في فسجدوا راجع الى القبيلين فكأنه قال فسجد المأمورون
بالسجود كلا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين و
الغالب فيهم عدم العصمة ولعل خبرا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض و
والصفات كالبررة والفسقة من الانس والجن ثم لهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قاله ابن عباس فذلك
صح عليه التغير من حاله والهبوط عن محله كما اشار اليه بقوله عز وعلا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه
لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من نار لما روت عائشة رضي الله عنها انه عليه السلام
قال خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من مارج من نار لانه كالمقابل لما ذكر كأن المراد بالنور الجوهر المضيء و
النار كذلك غير ان ضوءها مكدر مشوب بالدخان محذور يرعنه بسبب ما يصيبه من فرط الحرارة والاحراق
فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة الاولى جذعة ولا تزال تتزايد
حتى يطغى نورها ويفنى الدخان الصرف وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع بين النصوص وفي العلم عند الله تعالى
ومن فوائد الآية استفاضح الاستكبار بانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر والحث على الاتعاظ بما حل به وبذلك الخوض
في سر وان الامر للوجوب وان الذي علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتم
وان كان يحكم بالحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا الاشعري وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك
الجنة السكنى من السكون او الاستقرار ولبث وانت تأكيد لكن لما استكن ليصح العطف عليه وانما يخاطبهما او
تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب لان اللام للعهد او للجنس وهو
زعم انها لم تخلق بعد قال انما بستان كان بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لآدم وحمل الاهباط
على الانتقال منها الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا وكلا منها رغدا واسقاطها صفة مصدر محذوف
حيث شئتما مأتى مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعلل في التناول من الشجرة المنهي
عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر ولا تقربا هذه الشجرة متكونا من الظالمين فيه مبالغات بتعليق النهي بالقرب
الذي هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب من الشيء يوشك
داعية وميلا ما خذ من تجاذب القلب اليه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روي حبك الشيء يعمي ويصم فلينبغ ان لا يحمي ما
حول ما حرم الله عليهما مخافة ان يعافيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب
المعاصي وبنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والتعليم فان الفاء يفيد السببية سواء جعلته للعطف
على النهي او الجواب له والشجرة هي الحنطة او الكرمة او التينة او شجرة من كل منها احدث والاولى ان لا يعين من
غير قاطع كما لم يعين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتقرا بكسر النون وهذه بالياء

فازلهما الشيطان عنها اصدرا زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عرهن في قوله تعالى وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما وبعضهم قراءة حمزة فازالهما وبهما يتقارب ان في المعنى غير ان ازل يقتضي عثرة مع الزوال وازلاله قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله اني لكما من الناصحين واختلف في انه تمثل لهما فقال ولهما بذلك او القاه اليهما على طريق الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ايليس لادم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخلت ولم يعرفه لكرامة وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله فاخرجهما مما كانا فيه من الكرامة والنعيم وقلنا اهبطوا خطاب لادم وحواء لقوله قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصلا الانس فكانهما الجنس كلهم او لانهما والابليس اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة او السماء تتسمح للبعض عفوا حال استغنى فيها عن الواو والضمير والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله وكم في الارض مستقر موضع استقرار ومتاع تمتع الى حين بر يذهب به وقت الموت او القيمة فتلقى آدم من ربه كلمات استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حتى علمها وقرا ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس ان يارب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يارب الم تنفخ في من روحك قال بلى قال الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يارب ارئيت ان اصلحت وارجعت ارجعت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التاثير المدرك باحد الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة فتاب عليه رجع اليه بالرحمة وقبول التوبة وانما ربه بالقاء على تلقي الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى بذكر آدم لان حواء كانت تبعا له في الحكم ولذا طوى ذكر النساء في اكثر القرآن والسنن انه هو التواب الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف الباري تعالى ارتفع الرجوع عن العقوبة الى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة والجمع بين الوصفين وعد التائب بالاحسان مع العفو قلنا اهبطوا جميعا كرر للتاكيد او لاختلاف المقصود فان الاول لما على ان عيوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلد من والثاني اشعارا بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجى ومن ضل هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين وحدها كافية للحاجر ان يقوله حق مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه ينسى ولم نجد له عزما وان كل واحد منهما كاف بمكانه لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الى سماء الدنيا والثاني منها الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال في اللفظ تاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك يستدعي اجتماعهم الى الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤا جميعا فاما يانينكم مني هدى فمن تبع هداي الآية فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون جواب الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول وما مزيدة اكد بها ولذلك حسن تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى ان يانينكم

منى هدى بانزال او اوسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جئ بحرف الشك وان الهدى كائن لانه تحمل في نفسه
غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى وان يضمر لانه اراد بالثاني اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل واقتضاه العقل
اي فمن شيع ما اتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا من ان يحل بهم مكروه ولا هم يحزنون عند هم محجوب
فيحزنوا عليه والخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب واثبت لهم الثواب على اكمل وجه وابلغه وقرئ
على لغة هذيل ولا خوف بالفتح والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون معطوف على فمن تبع الى
اخره تقسيم له كانه قال ومن لم يتبع بل كفر بالله وكذب بآياته اوكفر بالآيات وكذب بها لسانا فيكون الفعلان منوطين
الى الجار والمجرور او الاية في الاصل العلامة الظاهرة ويقال للصنوف من حيث انها تدل على صانع وعلم وقدرة وكل طائفة
من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من آيهم اذا رجعوا لانها تتلو اشياء اثر اشياء او من اوى لانه واصلها اية او اوية كشجرة فالفت عينها الفا
على غير قياس واية او اوية كراكة فاعلة او اية كقائلة فخففت الهمزة تخفيفا والمراد بها ثناء الآيات المنزلة او ما يعمها والمعنى
وقد تسكن الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبياء عليهم السلام من حين ابوتهم الاولى الى ادم صلوات الله عليه كان بنبيا وارد
المنهي عنه والمرتكب له عاص والثاني انه حمل الباء على السببية اي من اجل ظلمهم والظالم ملعون لقوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين والثالث ان اسناد
اليه العصيان والغي وقتل وعصى آدم ربه فغوى والرابع انه تعالى لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم والعازم على ان لا يعود
بانه خاسر لولا ان غفر الله اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسرين من يكون من اكابرة والناس
انه لو لم يتب لم يجز عليه ما جرى والجواب من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والثاني ان النهي للتنزيه وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسرحظه بترك الاولى به واما اسناد الغي والعصيان اليه فسيأتي الجواب عنه
في موضعه ان شاء الله تعالى واما امر بالتوبة بقوله فتاب عليه وحث عليه ما حث معاتبة على ترك الاولى وفي هذه الآية دليل للملائكة قول
خلاف والثالث انه فعل ناسيا لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بذلك التحفظ عن اسباب النسيان ولعله وان حط
عن الامة لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال عليه السلام انا معاشر الانبياء اشد الناس بلاء ثم الامثل فالامثل والاولى ان يحمل
ما جرى عليه على طريقة السلبية للقدوة دون المؤاخذة كما تأول السلف على المجمل بشانه لا يقال انه باطل فهو لقاء ما هنالك كما وقع في سهما
الايمان لانه ليس فيها ما يدل على انه تناوله حين ما قاله ابليس فعل ما قاله اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انكف نفسه عنه ما علم الله
تعالى ان سيذهب ذلك فزال المانع فحمله الطبع عليه والرابع انه عليه السلام لشدة حرصه على اجتهاد اخطأ فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او كان
الى عين تلك الشجرة فيكون من غيرها من نوعها ولو كان المراد بها الاشارة الى النوع كما روي انه عليه السلام اخذ حريرا وذهبا
بيمينه وقال هذان حرام ان على ذكور امتي حل اناثها وانما حرمي عليه ما جرى تقطيعا لشأن الخلة ليجتنبها اولاده وفيه دلالة
على ان الجنة مخلوقة وانها في جهة عالية وان التوبة مقبولة وان متبع الهدى مأمون العاقبة وان عذاب النار مرتب على
الكافر فيها خلود وان من لا يخلد فيها لقوم قوله تعالى هم فيها خالدون والله اعلم انه سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة
والمعاد وعقبها بانعامه العام والنعم العامة تقريرا لها وتأكيدا فانها من حيث انها احداث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده
لا شريك له من حيث ان الاحتجاج بها على ما هو ثابت في الكتب السابقة ممن لم يقرأها ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب معجزة تدل

على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وفاضل اعضائه من ذلك تدل على انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروها نعم الله عليهم ويوفوا بعهوده في اتباع الحق والتقفي بالصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرث وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائيل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرائيل بقلب الهمزة ياء اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وارعوا بالتفكر فيها والقيام لشكرها وتقييد النعمة بهم فان الانسان غيور وحقوق بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط وان نظر الى ما انعم به عليه حمله حب النعمة على الرضاء والشكر وقيل اراد بها ما انعم على ابائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد عليه السلام وقرئ اذكروا والاصل اذكرو فحذفوا احدى الواوين لالتقاء الساكنين واسقاط همزة ابي وهو منتصب من لا جرك الياء المكسورة ما قبلها واوفوا بعهدي اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد وفعل الاول يضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم والوفاء بهما عرض عريض قول حرابيت الوفاء منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدم والمال واخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالى الوفاء بالفناء الدائم وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم اوف بعهدكم في رفع الاصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب اوفوا باقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والتعليم المقيم فانظر الى الوسائط وقلة كلا بما مضافا الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله لاكفرن عنكم خطاياكم وقرئ اوفت بالتشديد للمبالغة وايايَ فارهبون تخافون وتذرون وخصوصا في نقض العهد وهو كالدليل على افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنت راهبا شيئا فارهبني والرهبة خوف معه تحرز والاية متضمنة للوعد والوعيد الدالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف احدا الا الله وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم افراد للايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية مر حيث انه نازل حسب ما ينبغي فيها ومطابق لها في الفصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في المصالح مر حيث ان كل واحدة منها حق في حينها داع الى ما دعا اليه مما مر غير في نفسها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم في ايام المتاخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي تنبيه على ان اتباعه اياه لا ينافي الايمان بل يوجبه ولذلك عرض بقوله ولا تكونوا اول كافر به بان الوجيه ان تكونوا اول من امن به ولا تهم كانوا اهل النظر في معجزاته والعلم بشانه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه اول كافر فرقه

خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او فوج او نحو ذلك لان كل واحد منهم اول كافر به كقولك كسانا حلة فان قيل كيف يصح
عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركو العرب قلت المراد به التعريض لان الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك انا اول عالم تجب
تكونوا اول كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بالقرآن فتكفروا به ايضا ومثل من يكفر من مشركي مكة واول فعل لا فعل له وقيل اصله
اوال من وال اذا رجع بدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسي او اوءل من آل يئول فقلبت همزته واد غمت ولا تشتروا بايآتي ثمنا قليلا ولا تستبدلوا
بالايمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مستنزرة بالاضافة الى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك
الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا من سفلتهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختار رضاها
عليه وقيل كانوا ياخذون الرشا فيحرفون من الحق ويكتمونه وايآي فاتقون بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت
الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادئ لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولان خطاب العالم اهم
والمقال امرهم بالرهبة التي هي مبدأ السلوك والمنال الثانية لخصوص اهل العلم امرهم بالتقوى الذي هو منتهاه ولا تلبسوا الحق
بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يجعل الشيء مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي
تختلقونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلال ما تذكرونه في تاويله
وتكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال او بالتلبيس على من سمع الحق
والاخفاء على من لم يسمعه او نصب باضمار ان على ان الواو والجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه وبعضد انه في حرف ابن
مسعود تكتمون الحق اي وانتم تكتمونه بمعنى كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وانتم تعلمون
عالمين بانكم لاسبون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر واقيموا الصلوة واتوا الزكوة يعني صلوة المسلمين وزكوتهم
فان غيرها كالصلوة ولا زكوة امرهم بفروع الاسلام بعد ما امرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكوة من
زكا الزرع اذا نما فان اخراجها يستجلب بركة من المال وتثير النفس فضيلة الكرم او من الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من
الخبث والنفس من البخل واركعوا مع الراكعين اي في جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما
فيها من مظاهر النفوس وعبر عن الصلاة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع ولا يقبل ما كان منهم مشروعا قبل الاضطهاد
كذلك نعيف عليه ان تتركوا والامر قد نسخ انا مرتم الناس بالبر تقريع مع توبيخ وتعجيب من البر التوسع في الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير
لذلك قيل الارثلثة بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة الاجانب وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس انها
نزلت في احبار اليهود كانوا يامرون سرا من يعرفونه باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون
وانتم تتلون الكتب تبكيت كقوله تعالى وانتم تعلمون اي تتلون التوراة وفيها الوعيد على العاصي وترك البر ومخالفة القول
العمل افلا تعقلون قبح صنيعكم فيعدكم عنه او افلا عقل لكم يميز عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الاصل
الحبس يسمى به ادراك الانسان لانه يحبسه عما يقبح ويعقله عن ان يحس ثم القوة التي بها النفس تدرك هذا الادراك والاناة
تاءية على من يبطئ عنه ولا يتعظ نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وان فعل الجاهل بالشرع الحاد جرى كالناشئ عن العقل فان الجامع
بينهما ان كلا عنه شكيمة والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس بالاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم لا منع الفاسق عن الوعظ

تمسك المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار بالآيات والاحاديث الواردة
في الشفاعة وقيل ان الخطاب معهم والآية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان اباءهم تشفع لهم واذ نجيناكم من آل فرعون
تفصيل لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وعطف على الشتى عطف جبريل وميكائيل على الملائكة وفرعون
واصل آل اهل لان تصغيره اهيل خصص بالاضافة الى الاولى الخطر كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة كقيصر للروم
والفرس لعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد
وفرعون يوسف عليه السلام مرثان وكان بينهما اكثر من اربع مائة سنة يسومونكم يعذبونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما
واصل السوم الذهاب وطلب الشيء سوء العذاب اضافه اليه قبح بالاضافة الى سائره والسوء مصدر ساء يسوء وضبه على
المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما يذبحون ابناءكم
ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ بتخفيف الذبح انما فعلوا بهم ذلك لان فرعون رأى في المنام او
قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب ملكه فلم يزد احتراسهم من قدر الله شيئا وفي ذلكم بلاء اشارة الى ما صنع بهم
ويحتمل ان اشير بذلكم الى الانجاء والاول اظهر لكن لما كان لانجاء الله عباده فائدة بالحرية وفائدة بالنجاة اطلق عليهما ويجوز ان
يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الانجاء الشامل بكليهما من ربكم بتسليطهم عليكم او بعثتي موسى عليه السلام عظيم يحتمل الخلوص
بهما وصفة بلاء والآية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير او شر اختبار من الله تعالى فعليه ان يشكر على مسائه ويصبر
على مضاره ليكون من خير المختبرين وإذ فرقنا بكم البحر فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك يسلكونها
فيه او بسببكم او ملتبسا بكم كقوله شعرا ونشربها الجاموالذبابا وقرئ فرقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثني عشر
بعدا لا سطا فانجيناكم واغرقنا آل فرعون اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان لا يرضى الا بما يرضاه وقيل
كان يقول لا اصل على آل محمد الا صلى على فلان وفلان واستغنى بتذكيره عن تذكيرها وانتم تنظرون ذلك الاغراق نهم واطباق البحر عليهم وانفلاق
البحر عن طرق يابسة مدلولة او جثتهم التي قذفها البحر الى الساحل وينظر بعضكم بعضا وانه تعالى امر موسى ان يسير ببني اسرائيل فخرج في
قبطهم فرعون وجنوده فصاد فيهم على شاطئ البحر فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهرت فيه اثنا عشر طريقا
يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم فنتح الله فيها كوى فنظروا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل
اليه فرعون وراءه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم وانغرقهم اجمعين واعلم ان هذه الواقعة من اعظم النعم التي انعم الله
به على بني اسرائيل ومن الآيات المجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه السلام ثم انهم اتخذوا العجل وآثروا
عبادته من بعد ذلك حتى تاب الله عليهم ونحو ذلك فانهم تمرنوا في الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الانقياد عن امة محمد صلى الله عليه وآله
فانهم اشعروا ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية دقيقة يدركها الاذكياء واخبارهم عليه السلام عنها من جملة معجزاته على طائر مقدر
واذ وعدنا موسى اربعين ليلة تماما عدد والى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله تعالى ان يعطيه التوراة وضرب لميقاتها اذا القعدة
وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا لانه تعالى
وعد الوحي وواعد موسى المجيء الميقات الى الطور ثم اتخذتم العجل الها ومعبودا امر تعجيب مر بصيغ موسى عليه السلام اي

وانتم ظلمون ﴿ ٥٤ ﴾ باشرا كم عفونا عنكم حين تبتم والعفو عن الجريمة من عفا اذا درس من بعد ذلك اى اتخاذ
لعلكم تشكرون ﴿ ٥٥ ﴾ لكى تشكروا نعمونى واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان يعنى التوراة الجامع بين كونه كتابا وبين
فرق بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل فى الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل
الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذى فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد يوم بدر لعلكم
تهتدون ﴿ ٥٦ ﴾ لكى تهتدوا وابتدئ الكتاب بالتفكر فى الايات واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم
العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم اى بليغ بعضكم بعضا بالسيف او اقتلوا المعبودين منكم فعبر عنهم بالانفس
لانهما كشىء واحد او اقتلوا انفسكم حقيقة بقتل من لم يعبد العجل من عبده فان السبعين الذين اختارهم موسى
للميقات لم يعبدوه فقتلوا بالصواعق او اقتلوا انفسكم بقطع الشهوات كما
قيل من لم يعذب نفسه لم ينعم بها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان
يقتل العبدة روى ان الرجل كان يرى بعضه وقريبه فلم يقدر على المضى لامر الله فارسل ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فيها
فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشى حتى دعا موسى وهرون فكشفت السحابة وتيب التوبة وكانت القتلى سبعين الفا
والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم خير لكم عند بارئكم من حيث انه طهرة من الشرك ووصلة الى
الحياة الابدية والنجاة السرمدية فتاب عليكم متعلق بمحذوف جعلته من كلام موسى عليه السلام تقديره
ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم وعطف على المحذوف جعلته خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات كانه قال
ففعلتم ما امر تم به فتاب عليكم بارئكم وذكر البارئ وترتيب الامر عليه اشعارا بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى
تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقرة التى هى مثل فى الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه حقيق بان لا يسترحم منه ولذلك
امروا بالقتل وفك التركيب انه هو التواب الرحيم الذى يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ فى الانعام عليهم
واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك لاجل قولك او لن نقر لك حتى نرى الله جهرة عيانا وهى فى الاصل صفة لمصدر محذوف جهرت
بالقراءة استعيرت للمعاينة وبنيت على المصدر لانها نوع من الرؤية او الحال من الفاعل او المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها
مصدر كالغلبة او جمع جاهر كلكبة فيكون حالا والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام للميقات وقيل عشرة
الا فى من قومه والمؤمن به ان الله الذى اعطاك التوراة وكلمك او انك نبى فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت و
طلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام فطلبوا رؤيته رؤية الاجسام فى الجهات والاحياز المقابلة للرائى وهى محال لذاته
ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين فى الآخرة ولا يرد ما روى عن بعض الانبياء فى بعض الاحوال فى الدنيا قيل جاءت نار
من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صاعقين ميتين يوما وليلة وانتم تنظرون ﴿ ٥٥ ﴾ ما اصابكم
اوانتم تنظرون ﴿ ٥٥ ﴾ ما اصابكم ثم بعثناكم من بعد موتكم لسبب لصاعقة وقيد البعث بالموت لانه قد يكون عن اغماء او نوم كقوله تعالى ثم بعثناهم
لعلكم تشكرون ﴿ ٥٦ ﴾ نعمة الاحياء وما كفرتموها اذ لم ترتدعوا بما اصابكم وظللنا عليكم الغمام حمى الله لهم الشمس حين كانوا فى التيه
وانزلنا عليكم المن والسلوى المن كالترنجبين والسلوى طير يشبه السمانى قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع ويسيب الجنوب عليهم السمانى

وينزل سيل عوثا ربيسر ودفي ضويه وكانت ثابيه بيت ... عوامن كليبات مارثقا كم حالا دة القبل باظا با
فيه لخصه ار واصل اعظموا بان كفروا هذه النعم ما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران لانه لا يضاعف
وادقلنا ادخلوا هذه القرية يعني بيت المقدس قيل ريحا وامر وابه بعد التيه كلوا منها حيث شئتم رغدا واسعا نصب على
المصدر والحال من الواو وادخلوا الباب باب القرية او القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لو يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى
عليه السلام سجدا متطامنين حنيين ساجدين لله تعالى شكرا على اخراجهم من التيه قولوا حطة اي مسئلتنا او امرنا حطة وهي
فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاخبار بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة
وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط فحذفت حطة وقيل معناه احطنا حطة نغفر لكم خطاياكم بسجودكم ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر
بالتاء على البناء للمفعول وخطاياكم اصله خطايئ كخطائع فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف
وجمعت همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الالفين فابدلت ياء عند الخليل قلبت الهمزة على الياء ثم
ادغمت وسنزيد المحسنين ثوابا بجعل الامتثال به طمعي وسبب زيادة الثواب الحسن واخرجه عن صورة الجواب الى
الوعد بما ما بان الحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفرله لا محالة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي
قيل لهم بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء
في تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المامور به موضعه او على انفسهم بترك ما امروا به وجب
عليهم كما يجب الجزاء من السماء بما كانوا يفسقون عذابا بما قد امر ابسماء بسبب تسقهم والرجز في الاصل ما يعز عنه وكذلك
الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه مات به في ساعة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى
موسى لقومه لما عطشوا في التيه فقلنا اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد على ما روي انه كان حجرا طوريا
مكعبا حمله معه وكان ينبع من كل وجه ثلث اعين بسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة العسكر
اثنا عشر ميلا او حجرا هبطه آدم من الجنة ووقع الى شعيب فاعطاه مع العصا او الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه عليه
ليغتسل ورآه الله تعالى عريانا فرموه بالادرة فاشار اليه جبريل عليه السلام او الحجر فاخذه قيل لو يامر ان يضرب حجرا بعينه
ولكن لما قالوا اين نجد الماء اوحي اليه انك تجد الماء عند حجر فاضرب به الحجر فانفجرت منه او لعله عرف ذلك بالقرائن
او اذا ارتد بعصا فقالوا ان هذا لعجب فاوحي الله تعالى اليه ان الحجارة تفر مني فاضرب بعصاك الحجر حتى اضربه
وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصا عشرة اذرع على طول موسى من آس الجنة وله شعبتان تشتعلان في
الظلمة فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت وفصرف لانه في تاويل السكب او
الانبجاس كما مر في قوله فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه قد علم كل اناس كل سبط مشربهم
على تقدير القول ثم قيل لهم كلوا واشربوا من رزق الله يريد به ما رزقهم من المن والسلوى والعيون وقيل الماء وحده لا يصلح لشربه وكل ما ينبت به تعثوا
في الارض مفسدين لا تعتدوا واحال افسادكم وانما قيد به لانه وان غلب في الفساد فقد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلته
الذي هو الاعتداء بعينه او منه ما يتضمن جلب منفعة كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العبث غير انه ينبئ عما يدرك حسا

انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره في عجائب صنعه فانه لما امكن ان يتكون
من الاحجار ما يحلق الشعر ويقرح الخل ويذيب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يتفجر
لخت الارض او لجذب الهواء من الجوانب وتصييره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ
لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ يريد به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى وبوحدته انه لا يختلف
ولا يتبدل كقولهم طعام مائدة الامير واحد يريدون انه لا تتغير الوانه ولذلك اجملوا وضرب
واحدا لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما ألفوه فدعوا لنا
ربك سله لنا يدعائك اياه يخرج لنا يظهر لنا ويوجده وجزمه بانه جواب فدع فان دعوته سبب
الاجابة مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ من الاسناد المجازي واقامة القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض من
بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار و
البقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز فومة
لنا وقيل الثوم وقرئ ثُنَّائِها بالضم وهي لغة فيه قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ
أقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد في الشرف
والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقرئ ادنأ من الدناءة بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ يريد به المن والسلوى
فانه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعي اهْبِطُوا مِصْرًا انحدروا اليه من التيه يقال هبط
الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد بين
الشيئين وقيل ما رادبه العلم وانما صرفه لسكون وسطه او على تاويل البلد ويؤيده انه غير منون في
مصحف ابن مسعود وقيل اصله مصرائم فعرب فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وضربت عليهم الذلة والمسكنة
احيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب الطين على الحائط عجازاة لهم على
كفران النعم واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على التكلف مخافة ان تضاعف جزيتهم
وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ رجعوا به او صاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل
البوء المساواة ذلك اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ
اللَّهِ ويقتلون النبيين بِغَيْرِ الْحَقِّ لتسببه كفرهم بالمعجزات التي من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام
وانزال المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر وبالكتب المنزلة كالاخيل والفرقان وآية الرجم التي فيها
نعت محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعيا وذكريا ويحيى
وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك
اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ اى جرهم العصيان
والتمادي والاعتداء فيه الى الكفر بالآيات وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب

يؤدي الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تخرب كبارها وقيل كرر الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب تكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جيء بنون الاشارة بالمفرد الى شيئين نظرا الى ما ذكر او تغليبا للاخص او نظيره في الضمير قول رؤبة * فيها خطوط من سواد وبلق * كانه في الجلد توليع البهق * والذي حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة وذلك جاء الذي بمعنى الجمع ان الذين آمنوا بالسنتهم يريد به المنتسبين بين محمد صلى الله عليه وسلم والمخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لاخراطهم في سلك الكفرة والذين هادوا انتهوا في ايقال هاد وهوج اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما معرب يهوذا كانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه السلام والنصارى جمع نصران كندمان اي في اليائه في نصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح او لانهم كانوا معه في قرية يقال له نصران او ناصرة فسموا باسمها او من اسمها والصابئين فوق بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وان كان عربيا فمن صبأ اذا خرج وقرأ نافع وحفص بالياء اما لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من سائر الاديان الى دينهم او من الحق الى الباطل من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فمن كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا قلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا وداخل الاسلام دخولا صادقا فلهم اجرهم عند ربهم الذي وعدهم على ايمانهم وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدأ خبر فلهم اجرهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفاء لتضمن المسند اليه معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد بقوله فقال ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم واذ اخذنا ميثاقكم باتباع موسى والعمل بالتوراة ورفعنا فوقكم الطور حين اعطيتم الميثاق روي ان موسى لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم واجافوا لها فامر جبريل بقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا خذوا ما اتيناكم بقوة على ارادة القول ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه ادرسوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب وعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجيء عند المعتزلة ان يتعلق بالقول المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم من بعد ذلك ثم اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمجموع صلى الله عليه وسلم يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين المغبونين بالانهماك في المعاصي او بالانحطاط والضلال

في فذم من الرسل ولو في الاصل لامتناع الشيء لامتناع غيره فاذا دخل على لا افاد اثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع بعد عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسدّه وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا فِي السَّبْتِ﴾ اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سميت به السبت واصله القطع امروا بان يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود على نبينا وعليه السلام واشتغلوا بالصيد فمسخ ذلك انهم كانوا يسكنون في قرية على الساحل يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه واذا مضى نفرت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان يدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فقلنا لهم ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ جامعين بين صورة القردة والخسو وهو الصغار والطرد وقال مجاهد مسخت صورهم ولكن قلوبهم فشلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة فجعلناها اي المسخة او العقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكال للقيد ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ من يديها ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصتهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لمن حضرها من القرى وما اتى بعدها او لاهل تلك القرية وما حولها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تاخر منها ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ من قومهم او لكل متقى سمعها ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ واول هذه القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقد عطف عليه لاستقلاله بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر قتل ابن اخيه طمعا في ميراثه وطرحه الى باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بدمه فامرهم ان يذبحوا بقرة ويضربوا ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ اي مكان هزء او اهله او هزءا بنا او الهزء نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله او اتخاذا به وقرأ حمزة واسمعيل عن نافع بسكون الزاي وحفص عن عاصم بضم الزاي وقلب الهمزة واوا ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ لان الهزء في مثل ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه ما رماه به على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة الاستعاذة استعظاما لحاله ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ اي ما حالها وصفتها وكان حقه ان يقولوا اي بقرة هي كيف هي لان ما يسأل به عن الجنس غالبا لكنهم لما رأوا امره اياهم به على حال لم يجدوا بها شيئا من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ﴾ هرمة ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾ لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ نصف قال هو اعلم بين اسنان وعوان بين ذلك اي ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى متعدد وعوى هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة يدل على ان المراد بها معينة ويلزمه تاخير

البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من سائر البقر غير مخصوصة ثم انقلبت
مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جواز ذلك و
يؤيد الرأي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه السلام لو ذبحوا اي بقرة اردوا لاجزأتهم ولكن
شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وتفريعهم بالفاء الخ وزجرهم عن المراجعة بقوله فافعلوا ما تؤمرون
اي تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير ففعل ما امرت به واوامركم بمعنى مأموركم قالوا
ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها ففقوع بضوء الصفرة و
لذلك تؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناده الى اللون وهو صفة صفراء لابسته
فضل تأكيد كأنه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى
جمالات صفر قال الاعشى تلك خيل منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب ولعله عبر بالصفرة
عن السواد لانها من مقدماته او لان سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة هذا اللعنة لا تؤكد بالفقوع
تسر الناظرين اي تعجبهم والسرور اصله اللذة في القلب عند حصول نفع او توقعه من السر قالوا ادع لنا
ربك يبين لنا ما هي تكرير السؤال الاول واشتكافه زائد وقوله ان البقر تشابه علينا اعتذار عن ذلك اي
ان البقر الموصوف بالنعوت والصفة كثير فاشتبه علينا وفرط ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر كالاباقر والبوقر
ويتشابه بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء واحداها عليهما على التذكير والتانيث وتشابهت مخففا ومشددا اي
بمعنى تتشبه وتشبه بالتذكير ومتشابه ومشتبهة ومشبه وانا ان شاء الله لمهتدون الى المراد
ذبحها او الى القاتل وفي الحديث لولم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد واخبر به اصحابنا على ان الحوادث باراد الله تعالى
وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة
واجيب بان التعليق باعتبار التعلق قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لم تذلل
للكراب وسقي الحرث ولا ذلول صفة البقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتأكيد الاولى والفعلان
صفتا ذلول كأنه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا
جبان لك حيث هو وتسقي من اسقى مسلمة سلمها الله من العيوب واهلها من العمل او اخلص لونها من
سلم له كذا اذا خلص له لا شية فيها لا لون فيها يخالف لون جلدها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا
وشية اذا خلط بلونه لونا اخر قالوا الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وحقيقتها لنا وقرئ
الآن بالمد على الاستفهام والآن بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها وفيه اختصار اي التفتيش
فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها وما كادوا يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة في
ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اخرج ابن جرير وغيره ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني
استودعك هذا العجل لابني حتى يكبر فشب وكان بارا بوالديه وحيد بتلك الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء

ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك ثلثة دنانير وكاد من افعال المقاربة ووضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل عليه النفي قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر الافعال ولا ينافي قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا ان يفعلوا حتى فعلوا سوأ انهم وانقطعت علة الامر فعلوا كالمضطر الملجئ الى الفعل وادارأتم فيها اختصمتم وتدافعتم من درأ الحد اذا دفعه بالشبهة والاصل تدارأتم فيها فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة واعل مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعل ياسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تاويل الشخص او المجنى عليه ببعضها اى ببعض كان وقيل بالصغرى وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب كذلك يحيي الله الموتى دليل على ما حذف وهو فضربوه فحيي والخطاب مع من حضر حيوة القتيل او نزول الاية وقيل الخطاب لكفار مكة وما بعده لهم ويريكم آياته دلائله على كمال قدرته لعلكم تعقلون لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قادر على احياء الانفس كلها او تعقلون على قضيته ولعله تعالى انما شرع لهذه الامة ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب واداء الواجب ونفع الميت والتنبيه على كمال التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويتوانى بثمنه كما روي عن عمر انه ضحى بنجيبة بثلثمائة دينار وان المؤثر في الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات لا اثر لها وان من اراد ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يدع نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شرة الشبيبة ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت مجبولة على الغفلة منطرحة عن مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا شيء بها من مقابحها بحيث يصل اثره الى نفسه فيحيي حيوة طيبة ويقرب عما به ينكشف احوال وبين ما بين العقل والوهم من التدارؤ والتنازع ثم قست قلوبكم القساوة عبارة عن انغلاظ الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار وتم لا استبعاد القسوة من بعد ذلك بعد احياء القتيل او جميع ما ورد من الايات فانها مما توجب لين القلب فهي كالحجارة في قسوتها او اشد قسوة منها والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة او ازيد منها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كما حذف من المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الجر بالفتح عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال الفضل على زيادة الوجوه للتفضيل او للتزيد بحسب ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها وان من الحجارة لما يتحجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وتعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتاثر وتنفعل فان منها ما ينشق

فيتبع منه الماء وينفجر عنه الانهار ومنها ما يتردى من اعلى الجبل انقيادا لما اراد الله به وقلوب
هؤلاء لا تتاثر ولا تنفعل عن امر ولا تنجر لخشية بعدة ولكن والخشية مجاز عن الانقياد وقرء ابن عامر
انها المخففة من الثقيلة وبلزمها اللام الفارقة بينها وبين النافية ويهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون
وعيد على ذلك قرأ ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف وابو بكر وحماد بالياء ضما الى ما بعده والباقون بالتاء
افتطمعون بالخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يصدقوكم ويؤمنوا
لاجل دعوتكم يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم يسمعون كلام الله يعني التوراة
ثم يحرفونه كنعت محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم او ما ولوه فيفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء
من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور ثم قالوا سمعنا الله يقول في اخر ان استطعتم
هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه اى فهموا معقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة
وهم يعلمون انهم مفترون ومبطلون وتثنية الاية ان اخبار هؤلاء ومقلديهم كانوا على هذه الحالة
فاطمعكم يا فلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا الذين امنوا
يعني منافقيهم قالوا امنا بانكم على الحق ورسولكم هو المبشر به في التوراة واذا خلا بعضهم الى بعض
قالوا اى الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في
التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم او الذين نافقوا الا عقابهم اظهار اللتصلب في اليهودية ومنعا
لهم عن ابداء ما وجدوا في كتابهم فيما فضوا الفريقين فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثاني انكار
ومعنى ليحاجوكم عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا احاجتهم بكتاب الله وحكمه
محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به انه في كتابه وحكمه وقيل عند ربكم اى مما عند
ربكم او بين يديه رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيامة وفيه نظر اذ الاخفاء لا يدفع افلا تعقلون
اما من تمام كلام الامين وتقديره افلا تعقلون انهم يحاجونكم به فيحجونكم او خطاب من الله تعالى
للمؤمنين منفصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم او ولا يعلمون
يعني هؤلاء المنافقين او اللامين او كليهما او ايا هم والحرفين ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن
جملتها اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهاء غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه
ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب جملة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التوراة ويحققوا ما فيها او التوراة الا اماني
استثناء منقطع والاماني جمع امنية وهي في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه من مرض اذا قدر ذلك يطلق على
الكذب وعلى ما يشتهى ويتمنى ويقرأ والظن ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا من المحرفين او سواعد فارغة سمعوها
من غير اهل الجنة لا يدرى ما هي ان كان هودا او النارى لم يمسهم الا ايام معدودة وقيل الا ما يقرؤن قراءة عارية
عن معرفة المعنى وتدبر من قولهم تمنى كتاب الله اول الليلة اذا تلاه تمنى داود الزبور على رسل وهو لا ينسب صفيرا بانهم

امیون وانهم الا یظنون ما هم الا فی مظنون لا علم لهم وقد یطلق الظن بازاء العلم علی کل رای واعتقاد
من غیر قاطع وان جزم به صاحبه کاعتقاد المقلد والنزاع عن الحق لشبهة فویل الی تحسر وهلاک ومن
قال انه واد او جبل فی جهنم فمعناه ان فیها موضعا یستحق فیها من جعل له الویل ولعله سماه بذلک مجازا و
هو فی الاصل مصدر لا فعل له وانما سلک الابتداء به نکرة لانه دعاء للذین یکتبون الکتب یعنی المحرف و
لعله اراد به ما کتبوه من التاویلات الزائغة بایدیهم تاکید لکونها کتبته بیمینه ثم یقولون هذا
من عند الله لیشتروا به ثمنا قلیلا لکی یحصلوا به عرضا من اعراض الدنیا فانه ان جل قلیل بالنسبة
الی ما استوجبوه من العقاب الدائم فویل لهم مما کتبت ایدیهم یعنی المحرف وویل لهم مما یکسبون بها یاخذ
الرشا وقالوا لن تمسنا النار المس اتصال الشئ بالبشرة بحیث یناله الحاسة وخص اللمس کما طلب له ولذلک
یقال المسه فلا اجد الا ایاما معدودة محصورة قلیلة روی ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ایام
عبادة العجل اربعین یوما وبعضهم قالوا مدة الدنیا سبعة الاف سنة وانما نعذب بمکان کل الف
سنة یوما قل اتخذتم عند الله عهدا خبر او وعدا بما ترجون وقراء ابن کثیر وحفص باظهار الذال
والباقون بادغامه فلن یخلف الله عهده جواب شرط مقدر ای ان اتخذتم عند الله عهدا فلن یخلف
الله عهده وفیه دلیل علی ان الخلف فی خبره محال ام تقولون علی الله ما لا تعلمون ام معادلة
لهمزة الاستفهام بمعنی ای الامرین کائن بل سبیل التقریر للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعنی
بل اتقولون علی التقریر والتقریع بل اشبات لما نفوه من مباشرة النار لهم زمانا مدیدا وده طویلا
علی وجه اعم لیکون کالبرهان علی بطلان قولهم وتخصیص بجواب النفی من کسب سیئة قبیحة و
الفرق بینها وبین الخطیئة انها قد یقال فیما قصد بالذات والخطیئة تغلب فیما یقصد بالعرض لانها من الخطاء
والکسب اجتلاب النفع وتسلیقه بالسیئة علی طریقة قوله فبشرهم بعذاب الیم واحاطت به خطیئته
ای استولت علیه وشملت جملة احواله حتی صار کالمحاط بها لا یخلو عنها شئ من جوانبه وهذا انما یصح
فی شان الکافر لان غیره ان کم یکن له سوی تصدیق قلبه واقرار لسانه فلم تحط الخطیئة به ولذلک
فسرها السلف بالکفر وتحقیق ذلک ان من اذنب ذنبا ولم یقلع عنه ربما جره الی معاودة مثله والا نهماک فیه و
ارتکاب ما هو اکبر منه حتی تستولی علیه الذنوب ویاخذ بمجامع قلبه فیصیر بطبعه مائلا الی المعاصی
مستحسنا ایاها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن ینهاه منها مکذبا بالمن ینصحه فیها کما قال تعالی ثم کان عاقبة
الذین اساؤا السوای ان کذبوا بایات الله وقرا نافع خطیئاته وقری خطیاته وخطیاناته علی القلب والادغام فیهما
فاولئک اصحاب النار هم لازموها لا یخرجون منها کما انهم یلازمون اسبابها فی الدنیا ثم فیها خالدون والذین
اذا یتوهم لبثا طویلا والایة کسابقتها ترد الاحجاة فیها علی خلود صاحب الکبیرة وکذا التی قبلها والذین
امنوا وعملوا الصالحات اولئک اصحاب الجنة هم فیها خالدون لما جرت عادته سبحانه وتعالی علی ان یشفع

وعد بوعيد ليرجى رحمته ويخشى عذابه وعطف الفعل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ
بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ اخبار في معنى النهي كقوله تعالى لا يضار كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من
صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضد قراءة لا تعبدوا وعطف عليه قولوا
عليه فيكون على ارادة القول وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله ألا أيهذا الزاجري احضر الوغى
ويدل عليه قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا من الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم محذوف
كانه قال حلفناهم لا تعبدون وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون
بالياء لانهم غيب وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا متعلق بمضمر تقديره وتحسنون او احسنوا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ
عطف على الوالدين وبنا مى جمع يتيم كنديم وندامى وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه وَقُولُوا
لِلنَّاسِ حُسْنًا اى قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة وقرأ حمزة والكسائي وحسنى وحسنا بضمتين وقرئ حسنا بضمتين و
هو لغة اهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به كما فيه تحاسن واوامر وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وبر بهما
ما فرض عليهم في ملتهم ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم في عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن قبلهم على التغليب إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ اعرضتم عن الميثاق وَأَنْتُمْ قَوْمٌ عَادَتُكُمُ الْإِعْرَاضُ من قام اليهودية في عصره
وجمهرا قبل النسخ ومن اسلم منهم وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ على نحو ما
سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء وانما جعل قتل الرجل غير قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا
او لانه يوجه قصاصا وقيل معناه لا تفعلوا ما يسبب سفك دمائكم واخراجكم من ديارهم او لا تفعلوا ما امركم
وبصركم عن الحيوة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فانه
الجلاء الحقيقي ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ بالميثاق واعترفتم بلزومه وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ توكيد كقولك فلان يعلم ذلك وفلان
شاهد على نفسه وقيل وانتم اليوم تشهدون على اقراركم بذلك فيكون استثنافا ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره
على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك انت ذلك الرجل الذي فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير
الذات وعدم باعتبارها اسند اليهم حضورا وباعتبارها سيخبر عنهم غيبا وقوله تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وتخرجون
فريقا منكم من ديارهم اما حال والعامل فيها معنى الاشارة او بيان لهذه الجملة وقيل هو لانه تأكيد لانها
هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلة والمجموع هو الخبر وقرئ تقتلون على التكثير تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون من الظهر وقرأ عاصم والكسائي وحمزة
بحذف احدى التاءين وقرئ باظهارهما وتظهرون بمعنى تتظهرون وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وقرئ ان يكن فريق
كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلوا كان كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار

واجلاء اهلها واذا اسر احد من الفريقين جمعوه حتى يفدوه وقيل معناه ان يأتوكم اسارى في ايدي الشياطين تفدونهم لانفاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم كقوله اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقرأ حمزة اسرى وهو جمع اسير كجريح وجرحى واسارى جمعه كسكارى وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير وكانه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم وهو حكم عليكم اخراجهم مبتدأ وخبر محرم متعلق به وقوله وهو محرم عليكم اخراجهم اعتراض والضمير للشان او مبهم ونفسير اخراجهم او راجع الى ما دل عليه المخرجون من المصدر واخراجهم بدل او بيان اتؤمنون ببعض الكتاب يعني الفداء وتكفرون ببعض يعني حرمة المقاتلة والاجلاء فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا كقتل قريظة وسبيهم واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم واصل الخزي ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل في كل منهما ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب لان عصيانهم اشد وما الله بغافل عما تعملون تأكيد للوعيد اي الله سبحانه عالم بجميع اعمالكم لا يغفل عن عقابكم لهم وقرأ عاصم في رواية المفضل ترجعون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع وعاصم في رواية ابي بكر ويعقوب يعملون على ان الضمير لامة الثلاثة اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة اثروا الحيوة الدنيا على الاخرة فلا يخفف عنهم العذاب بنقص الجزية في الدنيا والتعذيب في الاخرة ولا هم ينصرون بدفعهما عنهم ولقد اتينا موسى الكتاب اي التوراة وقفينا من بعده بالرسل اي ارسلنا على اثره الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه به اتبعه اياه من القفا نحو ذنبه من الذنب واتينا عيسى بن مريم البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالغيبات وآله المجيل وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وهو للعبيد من النساء كالذكر من الرجال قال ربه تقبلت مني نذيرتي حررته وقوي به مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه قويناه وقرئ ايدناه بروح القدس بالروح المقدسة فعولت حاتم الجود ورجل صدق اراد به جبريل وقيل روح عيسى ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان اولكرامته على الله ولذلك اضافها الى نفسه او لانه لم يشاركه احد في ولادته بلا اصلاب ولا ارحام الطوامث او الاهيجيل واسم الله الاعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرأ ابن كثير القدس بالاسكان في جميع القرآن افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه فاستكبرتم فريقا كذبتم وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها في النفوس فان الامر فظيع ومراعاة للفواصل والدلالة على انكم بعد فيه فانكم حول قتل محمد لولا

قال المصباح للحال الخ اي التقرير

انى اغضه منكم ولذلك سيحرمنى وسيحرمه الشاة وقالوا قلوبنا غلف مغشاة باغطية خلقية
لا يصل اليها ما جئت به ولا نفقهه مستعار من الاغلف الذى لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف
فخفف والمعنى انها اوعية العلم لا تسمع علما الا وعته ولا تعى ما تقول او نحن مستغنون بما فينا من غير بل
لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فابطل
استعدادهم او انها لم تأب قبول ما يقوله لخلل فيه بل لان الله خذلهم بكفرهم كما قال الله تعالى فاصمهم واعمى
ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك قليلا ما يؤمنون ٥ فايمانا
قليلا يؤمنون وما مزيدة للمبالغة فى التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتب وقيل اراد بالقلة العدم وقيل
بل جاءهم كتب من عند الله يعنى القرآن مصدق لما معهم من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب
للتخصيصة بالوصفية وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية وكانوا من قبل يستفتحون على الذين
كفروا اى يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبى آخر الزمان المنعوت فى التوراة او
يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم قد قرب زمانه والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل
يسأل ذلك عن نفسه فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به حسدا وبغيا على الرياسة فلعنة الله
على الكافرين ٥ اى عليهم وانى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون
الجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم بئس ما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شئ مميزة
لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا او شروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم
من العقاب بما فعلوا ان يكفروا بما انزل الله هو المخصوص بالذم بغيا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة
يكفروا ودون اشتروا واللفضل ان ينزل الله اى لان ينزل الله حسدا على ان ينزل الله وقرأ ابن كثير وابو عمرو
بالتخفيف من فضله يعنى الوحى على من يشاء من عباده على من اختارهم للرسالة فباءو بغضب على غضب
للكفر والحسد على من هو افضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد عيسى او بعد
قولهم عزير ابن الله وللكافرين عذاب مهين ٥ يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصى فانه مطهر للذنوب
واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله يعم الكتب المنزلة باسرها قالوا نؤمن بما انزل علينا اى بالتوراة
ويكفرون بما وراءه حال عن الضمير فى قالوا ووراء فى الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد
به ما يتوارى وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يوارى به وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد وهو
الحق الضمير لما ورائه والمراد به القرآن مصدق لما معهم حال موكدة لتضمن مردودهم ابطالهم لانهم
لما كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين
اعتراض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعاء الايمان بالتوراة والتوراة لا يسوغه وانما اسند اليهم
لانه فعل آبائهم وانهم راضون به عازمون عليه وقرأ نافع وحده انبياء الله مهموزا وفى اول القرآن

ولقد جاءكم موسى بالبينات يعني الآيات التسع المذكورة في قوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع
آيات بينات ثم اتخذتم العجل الهاء من بعده اي بعد ذهابه بالبينات او ذهابه الى الطور وانتم
ظالمون حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بآيات الله او اعتراض بمعنى انتم قوم عادتكم
الظلم ومشاقة الانبياء ايضا لا بطل قولهم نؤمن بما انزل علينا او التنبيه على ظلم بقيتهم مع الرسول عليه السلام
طريقة اسلافهم مع موسى عليه السلام لاتكرير القصة وكذا ما بعدها واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا
فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا اي قلنا لهم خذوا ما امرتم به في التوراة بجد واسمعوا
سماع طاعة قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك واشربوا في قلوبهم العجل تداخلهم حبه وريانه في
قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يداخل الصبغ الثوب والشراب اعان البدن في قلوبهم بيان
لمكان الاشراب كقوله تعالى انما يأكلون في بطونهم نارا يكفرهم بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا معجبة
او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري قل بئسما يأمركم به ايمانكم اي
بالتوراة والخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر او ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة في الآيات الثلث
الزاي عليهم ان كنتم مؤمنين تقرير الفساد في دعواهم الايمان بالتوراة وتقدير ان كنتم مؤمنين
بها بما امركم بمثله القبائح ولا يرخص لكم فيها ايمانكم بها او ان كنتم مؤمنين بها فبئس ما يأمركم
به ايمانكم بها لان المؤمن ينبغي ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يأمر به فاذا السقم
هو منهن قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة
الا من كان هودا اضبها على الحال من الدار او الآخرة من دون الناس سائرهم او المسلمين فان اللام
للعهد تتمنوا الموت ان كنتم صادقين لان من يعتقد انه من اهل الجنة اشتاق اليها واحب الخلاص
اليها من الدار ذات الشوائب كما قال امير المؤمنين علي كرم الله وجهه لا ابالي سقطت على الموت
او سقط الموت علي وقال عمار بصفين الآن ألاقي الاحبة محمدا صلى الله عليه وسلم وحزبه وقال
حذيفة حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم على التمني سيما اذا علم انها سالمة
له لا يشاركه فيها غيره ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم من موجبات النار كالكفر بمحمد
صلى الله عليه وسلم والقرآن وتحريف التوراة ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان
الة لقدرته بها عامة صنائعه ومنها اكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة اخرى
وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا الموت لنقل واشتهر فان
التمني ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت كذا وان كان بالقلب لتمالوا
تمنينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه
وما بقي يهودي على وجه الارض والله عليم بالظالمين تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون

في وعيد بما ليس لهم ونفيه عن من هو لهم ولكنهم أحرص الناس على حياة من وجد بعضلة الباء مصدر
علم ومفعوله محذوف أي هم احرص وتنكير حياة لأنه أريد فرد من أفرادها وهي الحياة المتطاولة وفي باب الإيلام
ومن الذين أشركوا محمول على المضاف فكأنه قال احرص من الناس ومن الذين أشركوا وأفرادهم بالذكر
للمبالغة فإن حرصهم شنيع إذ لم يصدقوا إلا الحياة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتفريع فإنه لما أخبر عنهم
وهم مقرون بالجزاء على حرص المشركين دل ذلك على علمهم بأنهم صائرون إلى النار ويحوز أن يراد بأحرص
من الذين أشركوا الحذف لدلالة الأول عليه وأن يكون خبر مبتدأ محذوف صفته يود أحدهم على
أنه أريد بالذين أشركوا اليهود لأنهم قالوا عزير ابن الله أي ومنهم ناس يود أحدهم وهو على الأولين
بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف لو يعمر ألف سنة حكاية لود أحدهم ولو بمعنى ليت وكان أصله
لو أعمر فجرى على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر
الضمير لأحدهم وأن يعمر فاعل مزحزحه أي وما أحدهم بمن يزحزحه من النار تعميره ولما دل عليه يعمر وهو
أن يعمر بدل منه أو بهم وأن يعمر موضحه وأصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة لقولهم سانهته
وتسنهت النخلة إذا أتت عليه السنون والزحزحة التبعيد والله بصير بما يعملون
فيجازيهم قل من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عمن ينزل عليه فقال جبريل فقال ذلك عدونا عادانا مرارا وأشد ما عادانا أنه أنزل علينا بيتا المقدس سيخرب
بخت نصر فبعثنا من قتله فرأى ببابل غلاما مسكينا واخاه يقتل فدفع عنه جبريل وقال إن كان ربكم أمره
بهلاككم فلا يسلطكم عليه وإلا فبم تقتلونه وقيل خل عمر مدراس اليهود يوما فسألهم عن
جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على أسرارنا وأنه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب
الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما
عداوة فقال لا إن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولأنتم أكفر من الحمير ومن كان عدوا لأحدهما فهو عدو الله
ثم رجع عمر فوجد جبريل إلى الإسلام فذسبقه بالوحي فقال عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر وفي
جبريل ثماني لغات قرئ بهن أربع في المشهورة جبريل كسلسبيل قراءة حمزة والكسائي وجبرئيل بكسر
الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير وجبرئل كجحرش قراءة عاصم برواية أبي بكر وجبريل كقنديل قراءة الباقون
وأربع في الشواذ جبرأيل وجبرأئيل وجبرئل وجبرئون ومنع صرفه للعجمة والتعريف وقيل معناه عبد الله
فإنه نزله الباء زائدة الأول لجبريل والثاني للقرآن وأضمار غير هذا مما يدل على فخامة شأنه كأنه
لتعينه وفرط شهرته لم يحتج إلى سبق ذكره على قولك فإنه الفاعل الأول للوحي وعمل الفهم والحفظ وكان
حقه على قولك لكنه جاء على حكاية كلام الله كأنه قال قل ما تكلمت به بإذن الله بأمره أو نتيسيره حال
من فاعل نزله معللا فإنما بين يديه وشكك وتبشيره للمؤمنين احوال من مفعوله والظاهر أن جواب

الشرط فانه نزله والمعنى من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف ونقض بمسعة من الكتاب
لمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحى لانه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب
واقيم علته مقامه اومن عاداه فالسبب فى عداوته انه نزل عليك وقيل مجازوف مثل فلمست
عيظا او فهو عدول وانا صدر كما قال مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلّٰهِ وَمَلٰٓئِكَتِهٖ وَرُسُلِهٖ وَجِبْرِيْلَ وَمِيْكَالَ فَاِنَّ
اللّٰهَ عَدُوٌّ لِّلْكٰفِرِيْنَ اراد بعداوة الله مخالفته عناد او معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام
بذكره تفخيما لشانهم كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وافرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من
جنس اخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل سواء فى الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى
وان من عادى احدهم فكانه عادى الجميع اذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد ولان الحاجة
كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة
والرسل كفر وقرأ نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم برواية حفص ميكال كميعاد وقرئ
ميكئل ميكئل وَلَقَدْ اَنْزَلْنَآ اِلَيْكَ اٰيٰتٍۢ بَيِّنٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ اِلَّا الْفٰسِقُوْنَ اى المتمردون من
الكفرة والفسق اذا استعمل فى نوع من المعاصى دل على اعظمه كانه فحاوزعن حده نزل فى ابن صوريا حين
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشئ نعرفه وما انزل عليك من اية فنتبعك اَوَكُلَّمَا عٰهَدُوْا
عَهْدًا الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالايات وكلما عاهدوا او قرئ بسكون
الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا او كلما عاهدوا او قرئ عوهدوا وعهدوا نَبَذَهٗ فَرِيْقٌ مِّنْهُمْ نقضه
واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما يلقى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض بل اكثرهم لَا يُؤْمِنُوْنَ
رد لما يتوهم ان الفريق الناقضين هم الاقلون او ان من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به خفية وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُوْلٌ مِّنْ
عِنْدِ اللّٰهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ لعيسى ومحمد عليهما السلام نَبَذَ فَرِيْقٌ مِّنَ الَّذِيْنَ اُوْتُوا الْكِتٰبَ كِتٰبَ اللّٰهِ يعنى
التورية لان كفرهم بالرسول الصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين
بالايات وقيل لما مع الرسول كالقران وَرَآءَ ظُهُوْرِهِمْ مثل لاعراضهم عنه راسا بالاعراض عما
يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه كَاَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ انه كتاب الله يعنى ان علمهم به رصين و
لكن يتجاهلون عنادا واعلم انه تعالى دل بالايتين على ان جل اليهود اربع فرق فرقة امنوا بالتورية وقاموا بحقوقها
كموسن اهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها و
تخطى حدودها ثم ترددوا فسوق وهم المعنيون بقوله نبذ فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا
لجمالهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها حقيقة عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون
وَاتَّبَعُوْا مَا تَتْلُوا الشَّيٰطِيْنُ عطف على نبذ اى نبذ كتاب الله واتبعوا كتب السحر التى تقرأها او تتبعها
الشياطين من الجن والانس ومنهما عَلٰى مُلْكِ سُلَيْمٰنَ اى عهده ويتلوا حكاية حال ماضية قيل

كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب ويلقونها الكهنة فيدونها ويعلمون الناس
وفشى ذلك فى عهد سليمان عليه السلام حتى قيل ان الجن يعلم الغيب وان ملك سليمان تجمع العلم
وانه استخرج به الانس والجن والريح له وما كفر سليمان تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر
ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما عنه ولكن الشياطين كفروا باستعماله وقرأ ابن عامر
حمزة والكسائى ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين يعلمون الناس السحر اغووا واضلوا الجملة حال عن الضمير
فى كفروا والمراد بالسحر ما يتعاطى فى تحصيله بالتقرب الى الشياطين مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يتسبب لمن
يناسبه فى الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط فى التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبى والولى وما
منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية او بما يصاحبه من خفة اليد فيريهم وتشمينه تخييلا على التخيل
اولما فيه من الدقة تشبيها فى الاصل لما خفى سببه وما انزل على الملكين عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير
الاعتبار او بدل نوع اخر اقوى منه او على ما تلوا وهما ملكان ابرهما شعلم السحر ابتلاء من الله للناس وتمييز بينه وبين المعجزة
وما روى انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصى والشرك ثم
صعدت الى السماء فمسخت كوكبا فمحكى عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحيله لا يخفى على ذوى البصائر
وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما وعوبد قراءة الملكين بالكسر وقيل ما انزل نفى معطوف
على ما كفر وتكذيب لليهود فى هذه القصة ببابل ظرف او حال من ملكين او الضمير فى انزل والمشهور
انه بلد من سواد الكوفة هاروت وماروت عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعجمة والعلمية
ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين او بدل البعض
وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى
يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فسعناه على الاول ما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما نحن
ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وقف فى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد جواز
العمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر وما لا يجوز لاتباعه غير محظور وانما المنع من اتباعه والعمل به وعلى
الثانى ما يعلمانه حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من احد
ما يفرقون به بين المرء وزوجه اى من السحر ما يكون سببا لتفريقهما وما هم بضارين به من احد
الا باذن الله الا بارادته وتخليته لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامر تعالى وجعله وقرئ بضارى على
الاضافة الى احد وجعل الجار جزءا من المضاف والفصل بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لا ينفعهم
به العمل اولان التعلم يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم اذ جرد العلم به غير مقصود ولا نافع فى الدارين وفيه
ان الضرر عنه اولى ولقد علموا اى اليهود لمن اشتراه اى استبدل ما تلوا الشياطين بكتاب الله
والظاهر ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل ما له فى الاخرة من خلاق فى نصيب وكيبس ما شروا به انفسهم

يحتمل العينين على ما مر لو كانوا يعلمون ينفكرون فيه او يعلمون قبحه على التعيين او حقيقة ما يتبعه
من العذاب المثبت لهم او لا على التاكيد القسمي العقل الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل وترتب العقاب
من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم ولو انهم امنوا بالرسول
والكتاب واتقوا بترك المعاصي كتبد كتاب الله واتباع السحر لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله
لاثيبوا مثوبة من الله خيرا مما شتروا به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية ليدل على ثبات
المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشيء من
الثواب خير وقيل لو للتمني والمثوبة كالمرمبتدأ وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب
اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير جهلهم لترك التدبر او العمل بالعلم يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا
وقولوا انظرنا الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون للرسول راعنا اي ارقبنا وتانن بنا
فيما تلقننا حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن او سبه بالكلمة
التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا فنهى المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل
التلبيس وانظرنا بمعنى انظر الينا واسمعوا واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب الاعادة
او واسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود او واسمعوا ما امرتم به جيدا حتى لا تفتقروا الى ما تميزونه وللكافرين
عذاب اليم يعني الذين تهاونوا بالرسول وسبوه ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين
نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير فالود محبة الشيء
مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ومن للتبيين كما في قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب و
المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء و
فسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم ويبخلون ان ينزل عليكم شيء منه وبالعلم وبالنصرة ولعل المراد به
يعم ذلك والله يختص برحمته من يشاء بنبوته وعليه الحكمة وينصره لا يجب عليه شيء وليس لاحد عليه حق
والله ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة من الفضل فان حر بأن يمنع عباده ليس لضيق فضله بل لسعته وبما عرف
فيه من حكمته ما ننسخ من اية او ننسها نزلت لما قاله المشركون او اليهود ان الا ترون الى محمد صلى الله عليه وسلم
يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشيء واثباتها في غيره كنسخ الظل
للشمس والنقل ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الاية بان
انتهاء المتعبد بتركها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساها اذهابها عن القلوب وبأشرطية حائزة للنسخ
منصبة به على المفعولية وقرأ ابن عامر ننسخ من انسخ اي نأمر او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير

وابو عمر ونسأها اى نؤخرها من النساء فتح نونه اى نتركها او نؤخرها نسأها اى انت وتنسها على البناء للمفعول وننسكها بانظهار المفعولين تأت بخير منها او مثلها اى بما هو خير للعباد فى النفع والثواب ومثلها فى الثواب قرأ ابو عمر بقلب الهمزة الفا الم تعلم ان الله على كل شئ قدير فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير منه والاية دلت على جواز النسخ وتاخير الانزال اذ هو من خصائص او ما يتضمنها كالامور المحمولة وذلك لان الاحكام شرعت والايات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع فى عصر قد يضر فى غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل او بدل اثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو المأتى به بدلا والسنة ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم او الاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغير والسنة مما اتى به الله وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك فى اللفظ والمعنى بل على جدوى القرآن فان البعض والتفاوت من لوازمه واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلق بها المعنى القائم بالذات القديم الم تعلم الخطاب للنبى والمراد هو وامته لقوله ومالكم وانما افرده لانه اعلمهم ومبدأ علمهم ان الله له ملك السموات والارض ط يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شئ قدير وعلى جواز النسخ ولذلك ترك العاطف ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير اما هو الذى يملك امركم وينجريها على ما يصلحكم والفرق بين الولى والنصير ان الولى قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور ام تريدون ان تسئلوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ام معادلة للهمزة فى الم تعلم اى الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يامر وينهى كما اراد ام تعلمون ويقترحون بالسؤال كما اقترح اليهود على موسى او منقطعة والمراد ان يوصيهم بالتفهم بعد ترك الاقتراح عليه قيل نزلت فى اهل الكتاب حين سألوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل فى المشركين لما قالوا لن نؤمن لك حتى تنزل لنا عينا كتابا نقرأه ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ومن ترك الثقة بالايات البينات وسلك غيرها وافرح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع فى الكفر بعد الايمان ومعنى الاية لا تقترحوا فتضلوا اوسط السبيل ويؤدى بكم الضلال الى البعد من المقصد وتبديل الكفر بالايمان وفى ايراد لفظ من ابدل وذكر كثير من اهل الكتاب يعنى احبارهم من اليهود لو يردونكم ويكفرون بعد ايمانكم حسدا من عند انفسهم فان لو ينوب عن ان فى المعنى دون اللفظ من بعد ما تبين لهم الحق حال من ضمير المخاطبين حسدا علة ود ومن عند انفسهم يجوز ان يتعلق به اى من تلقاء انفسهم وشهوتهم من قبل التدين والميل مع الحق او بحسدا اى حسدا ابتدائيا منبعثا من اصل نفوسهم من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة فى التوراة فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه حتى يأتى الله بامره الا بالسيف فنسخ هذا الامر بايات القتال او بقتل قريظة واجلاء بنى النضير عن ابن عباس او بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة واجلاء بنى النضير عن ابن عباس ان منسوخ بآية السيف فيه نظر ان الامر غير مطلق ان الله على كل شئ قدير فيقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وما

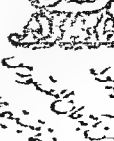

عطف على كفوا كأنه امرهم بالصبر والمخالقة والالجاء الى الله بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم
من خير كصلوة او صدقة وفي قراءة بالياء فقد موا من اقدم يجدوه عند الله اي ثوابه ان الله بما تعملون
بصير لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا وقالوا عطف على ود والضمير لاهل
الكتاب من اليهود والنصارى لف بين قولي الفريقين
كما في قولهم كونوا هودا او نصارى تقديره بفهم السامع وهود جمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد
الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى تلك امانيهم اشارة الى الامانى المذكورة وتمنى لا ينزل
على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما في الاية على حذف
المضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض والامنية افعولة من المنى كالاضحوكة والاعجوبة
قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم فان كل قول
لا دليل عليه غير ثابت بل في اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله اخلص نفسه
او قصد واصل الوجه العضو وهو محسن في عمله فله اجره الذي وعد الله على عمله عند ربه ثابتا عنده لا يضيع ولا ينقص
والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى
ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم وجهه ولهم اجرهم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الاخرة وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود
على شيء اي اصلا وبه نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرت
اتاهم احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك ويتلون الكتاب والواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا
ذلك وهم من اهل العلم والكتاب بكذا اي مثل ذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الاصنام
والمعطلة وجحدهم على المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد صدق قولا كلا الدينين بعد النسخ
ليس بشيء قلت لم يقصد واذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين الاخر من اصله الكفر بنبيه و
كتابه مع ان ما لزم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به فالله يحكم بينهم بين الفريقين يوم
القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ثم بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان
يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله عام لكل من خرب مسجدا او سعى في تعطيل
مكان عن شيء للصلوة وان نزل في الروم لما غزو ابيت المقدس وخربوه وقتلوا اهله او المشركين لما منعوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ان يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع وسعى في خرابها
بالهدم او التعطيل اولئك اي الماتعون ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين ما كان ينبغي لهم ان
يدخلوها الا بخشية وخضوع فضلا عن ان يتجرؤا على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين
من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله تعالى وقضائه فيكون

وعدا لنخرسنين بالبشرة وتخاربت مساجدهم وقد لخربوه وعدم وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول
في المسجد واختلف الائمة فيه فجوزه ابو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره لنص
في الدنيا خزي قتل او سبي او ذلة بضرب الجزية ولهم في الاخرة عذاب عظيم بكفرهم وظلمهم
ولله المشرق والمغرب يريد بهما ما حتى الارض اي له الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان فاين
ان تصلوا في المسجد الحرام او اله قضى وقد حملت لكم الارض مسجدا وطهورا فاينما تولوا فثم وجه الله اي مكان الله فلم التولية
شطر القبلة فثم وجه الله اي جهته التي امر بها فان امكان التولية لا يختص مسجدا ومكانا وقيل ثم ذاته
الى عالم مطلع بما يفعل فيه ان الله واسع باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عليهم
بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن عمر رضي الله عنهما انها نزلت في صلوة المسافر على الراحلة وقيل
يوم غيمت عليهم القبلة فصلوا الى الخاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاهم وعلى هذا الواحطاء المجتهد ثم نبين الخطاء
لم يلزمه التدارك وقيل هو توطية للنهي عن القبلة وتنزيه للمعبود ان يكون في حيز وجهة وقالوا
اتخذ الله ولدا نزلت لما قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى مسيح ابن الله وبشركوا العرب
الملائكة بنات الله وعطفه على قالت اليهود او منع او منهوم قوله ومن اظلم وقرا ابن عامر بغير واو
سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي الشبيه والحاجة وسره الفناء الا ترى ان لا جرام الفلكية لما تمت
امكانيتها وفنائها لما كانت باقية ما دام العالم لم يتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا
او طبعا بل له ما في السموات والارض ملكا وخلقا فالوه واستدل به على فساده والمعنى انه خالق ما
في السموت والارض الذي من جملته الملائكة والعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنعون
عن مشيئته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولدا لان من حق
الولد ان يجانس والده وانما جاء بما للدلالة لغير اولي العلم وقال قانتون على تغليب اولي العلم بخبيرا لشانهم وتنوين كل
عوض من المضاف اليه اي كل ما في هما ويجوز ان يراد كل من جعلوه ولدا له مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما
بعد اقامة الحجة والآية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلثة اوجه واجب بها القضاء على ان من ملك ولدا
عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضي تنافيهما بديع السموت والارض مبدعهما ونظيره
السميع في قوله ان ربكم الله الذي السميع * او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة لابنية وقفر
ان الولد عنصر الولد المنفصل بانفصال ادنى شيء عنه والله سبحانه وتعالى مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق
منزه عن الانفعال فلا يكون والدا ولان الابداع اختراع الشيء لا عن شيء مادة وهو الذي يبدأ الموضع من الصنع
الذي هو تركيب الصور والعناصر والتكوين الذي يكون بتغيير وفي زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا على
البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح واذا قضى امرا اي اراد شيئا واصل القضاء اتمام الشيء وكذا قوله
وقضى ربك الا تعبدوا فعلا كقوله فقضاهن سبع سموات واطلقوا على ايجاد الارادة لان المهيئ يوجد الشيء من حيث ان

يوجبه وانما يقول له كن فيكون من كان النائمة احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر استتار البرقع
حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المأمور المطيع بلا توقف وفيه تقريب لمعنى دعاء وايماء الى صحة
خامسة وهو ان اتخاذ الولد يكون باطوار وهلة وفعله تعالى يستغنى عن ذلك وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب
واعلم ان السبب في هذه الضلالة ان ارباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله تعالى اذ عبدا اذ السبب الاول
لحقه قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه وتعالى هو الرب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة
فاعتقدوا ذلك تقليدا لاسلافهم كفرة قاله ومنع منه مطلقا لما فيه من مادة الفساد وقال الذين لا يعلمون اى
جهلة المشركين او يتجاهلون من اهل الكتاب لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة او يوحى الينا بانك
رسوله او تأتينا آية حجة على صدقك والاول استكبار والثاني جحود ان بمعنى اتاهم آيات الله استهانة به وعنادا
كذلك قال الذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل
علينا مائدة من السماء تشابهت قلوبهم وقلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد وقرئ بتشديد الشين
قد بينا الآيات لقوم يوقنون اى يطلبون اليقين او يوقنون الحقائق لا غيرهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة
الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الآيات او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا انا ارسلناك بالحق بيان لسبب موته
به بشيرا وبالجنة نذيرا فلا عليك ان اصروا وكابروا ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد البلاغ والبيان
قرأ نافع ولا تسأل على انه نهى للرسول عليه الصلوة والسلام عن السؤال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة
الكفار كأنها لفظاعتها لا يقدر ان يخبر عنها او السامع لا يصبر على استماع خبرها فينهاه عن السؤال والجملة المتأخرة من
النار ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة في اقناط الرسول عن اسلامهم فانهم اذا
لم يرضوا منه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم ولذلك قال قل تعليما
للجواب ان هدى الله هو الهدى اى هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعون
اليه ولئن اتبعت اهواءهم آراءهم الزائغة والملة ما شرعها الله لعباده على لسان انبيائه من بعد ما جاءك من العلم
الكتاب اذ المليء والهوى رأي يتبع الشهوة بعد الذي جاءك من العلم اى من الوحي او الدليل المعلوم
صحته ما لك من الله من ولي ولا نصير يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن الذين آتيناهم الكتاب
يرتلونه به من غير اهل الكتاب بمؤلفة حق تلاوته بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر في معناه والعمل
بمقتضاه وهو حال معللة والخبر ما بعده او خبر على ان المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب اولئك
يؤمنون به دون المحرفين ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فأولئك هم
الخاسرون * حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وانى فضلتكم
على العالمين * واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة
ولا هم ينصرون * لما صدر خطابهم بأمرهم بذكر المنعم والقيام بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف

عن الساعة واهوالها كرر ذلك وختم بها الكلام مهما مبالغة في النصح وايذانا بانه فذلكة القضية
والمقصود من القصة وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ كلفه بأوامر ونواه والابتلاء في الاصل
التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب طرق فيراد فهما ويصير
لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تاخر رتبة لان الشرط احد التقدمين والكلمات قد يطلق على
المعاني ولذلك فسرت بالخصال الثلثين المحوجة المذكورة في قوله التائبون العابدون وقوله إن
المسلمين الى آخر الآيتين وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون كما فسرت بها في
قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وبالعشر التي من سننه ومناسك الحج وبالكواكب في الفرس وذبح الولد
النار والهجرة على انه تعالى عامله بما عامله من الخبر بهن وبما تضمنه الآيات التي بعدها وقرئ ابراهيم ربه
على انه دعا ربه بكلمات مثل ارني كيف تحيي الموتى اجعل هذا البلد آمنا اللهم هل محمد وقرئ ابن
عامر ابراهيم ها فاعمهن وفاهن كملا ووفى بهن حق القيام كقوله وابراهيم الذي وفى وفي الآخرة الضمير لربه
اي اعطاه جميع ما ادعاه قال إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا استيناف ان ضمن ناصب اذ كانه قيل فما قال
ربه حين اتمهن فاجيب بذلك وبيان لقوله ابتلى فيكون الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت
ورفع قواعده والاسلام وان نصبته يقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من حيث الذي
له مفعولان والامام اسم لمن يؤتم به وامامته عامة مؤبدة اذ لو بعث نبي لا كان من ذريته
مامورا باتباعه قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي عطف على الكاف اي وبعض ذريتي كما تقول وزيدا في جواب
سكرمك والذرية نسل الرجل فعلية وفعولة قلبت الراء الثالثة ياء كما في تقضيت من الدر بمعنى
التفريق او فعولة او فعيلة قلبت همزتها ياء من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريئي بالكسر وهي لغة قَالَ لَا يَنَالُ
عَهْدِي الظَّالِمِينَ اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون
الامامة لانها امانة من الله وعهد والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على
عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل
ما نالك فقد نلته وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ اي الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا مَثَابَةً لِلنَّاسِ مرجعا يثوب
اليه اعيان الزوار واشباحها او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة كل
احد وَأَمْنًا وموضع امن كالمشعر الحرام لاهله كقوله حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم او يامن حاجه
من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يؤاخذ الجاني الملتجئ اليه حتى يخرج وهو مذهب ابي حنيفة
رحمه الله وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى على ارادة القول وعطف على المقدر عاملا
لاذا واعتراض معطوف على مضمر تقديره ثوبوا اليه واتخذوا او على ان الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم
وهو احد الجوابين ومقام ابراهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه او الموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج

او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روي انه عليه الصلوة والسلام اخذ بيد عمر فقال هذا مقام
ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اؤمر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به
الامر بكيفية الطواف لما روى جابر انه عليه الصلوة والسلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم
فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى والشافعي في وجوبهما قولان وقيل
مقاما ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى وقرأ
نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اى واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة
قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل امرناهما ان طهرا بيتي بان طهراه وحسن ان تكون
مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس وما لا يليق به او اخلصا لطائفين
حوله والعاكفين المقيمين عنده او المعتكفين فيه والركع السجود اى المصلين جمع راكع وساجد واذ قال
ابراهيم رب اجعل هذا بلدا يريد البلد او المكان بلدا امنا ذا امن كقوله في عيشة راضية او امنا اهله كقولك
ليل نائم وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله والبدل الاخير ابدل من امن من اهله بدل البعض للتخصيص
قال ومن كفر عطف على من امن والمعنى وارزق من كفر قاس ابراهيم الرزق على الامامة فنبه سبحانه على
ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين او مبتدأ تضمن معنى الشرط
فامتعه قليلا خبره والكفر وان لم يكن سبب التمتيع لكنه سبب تقليله بان يحيله مقصورا بالحظوظ الدنيا غير
موصل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثم اضطره الى عذاب النار اى الزمه اليه لزوم المضطر لكفره وتضييعه
ما متعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابراهيم
في قال ضمير وقرأ ابن عامر فأمتعه من امتع وقرئ فمتعته ثم نضطره واضطرم بكسر الهمزة على لغة من يكسر
حرف المضارعة واطرد بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس
وليس الضمير المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت حكاية
حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز مقابل
للدوام ومنه قعيدك الله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان
يراد بها السافات فان لكل سافة قاعدة ما يوضع فوقه ورفعها بناءها وقيل المراد رفع مكانته واظهار
شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي ايهام القواعد وتبيينها تفخيم شانها واسمعيل كان بناء وله الحجارة وعن
ابن عباس لم يدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيانها في طرفين او على لتناوبة ربنا تقبل منا اى يقولان ربنا وقد قرئ كذلك والجملة حال
منهما انك انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك حذف ما بعد ان لدلالة ما قبله عليه
اذ استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة فالاخلاص والاذعان والثبات عليه ومن للتبعيض او للبيان لان المراد انفسهما وهاجر وان التثنية من حيث
ومن ذريتنا امة مسلمة اى واجعل بعض ذريتنا وانما خصها الذكية بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم

اذا صلحوا اصلح بهم الابناء وخصا بعضهم لما علما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضي
الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله تعالى فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى خربت
الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه ويجوز ان يكون من التبيين كقوله وعد الله
الذين امنوا منكم قدم على المبين وفصل بين العاطف والمعطوف كما في قوله خلق سبع سموات
ومن الارض مثلهن وآرنا من رأى يتعدى ابصارا وعرفا ولذلك لم يتجاوز مفعولين مناسكنا متعبداتنا
في الحج او مذابحنا والنسيك في الاصل ذبح العبادة وسلكي في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرأ
ابن كثير وارنا السوى عن ابي عمرو ويعقوب آرنا قياسا على فخذ في احد وجهيه اختلاسا لان الكسرة منقولة من الهمزة
الساقطة دليل عليها وقرأ الدوري عن ابي عمرو بالاختلاس وتب علينا استتابة لذريتهما او عما فرط منهما
سهوا او لعلما فالاولى لا عصمة لانبيائهما وارشاد الذريتهما انك انت التواب الرحيم لمن تاب رجعهما او تبت عليهم اي في
الامة المسلمة رسولا منهم ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلوات الله عليه فهو اجابة دعوتهما كما قال انا دعوة ابي ابراهيم
وبشرى عيسى ويتلو عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة ويعلمهم
الكتاب القرآن والحكمة ما يكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام ويزكيهم عن الشرك والمعاصي انك انت العزيز
الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم الذي لا يحكم الا بما ينبغي ومن يرغب عن ملة ابراهيم استبعاد وانكار لان يكون احد
عن ملته الواضحة الغراء اي لا يرغب احد عن ملته الا من سفه نفسه الا من استهضها واذلها واخبث بها قال المبرد وثلب
سفه بالكسر سفها بالضم لازم وليشهد له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله
سفه نفسه على الوقف فصب على التمييز نحو غبن رأيه والم رأسه وقول جرير وتأخذ بعده بذناب عيش * اجب الظهر
ليس له سنام * او سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع على الخبر بدلا من الضمير وترغب
لانه في معنى النفي ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين * حجة وبيان لذلك فمن كان صفوة
العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيمة كان حقيقا بأن لا يرغب عنه لا سفيه او
مبيعه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ظرف
لاصطفيناه وتعليل له او منصوب باضمار اذكر كأنه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق للامامة
والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان والاخلاص لسر حين دعاه ربه واخطر بباله دلائل الموحدية الى
المعرف الداعية الى الاسلام روي انها نزلت لما دعا عبد الله بن سلام ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة
وابوا مهاجر ووصى بها ابراهيم بنيه والتوصية هو التقديم الى الغير بعمل فيه صلاح وقربة واصلها الوصل
يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل الموصى والضمير في بها للملة او لقوله
اسلمت على تأويل الكلمة او الجملة وقرأ نافع وابن عامر وطى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابراهيم
اي وصى هو ايضا بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابراهيم يا بني على اضمار القول عند البصريين

ومتعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه وتظهر حجاز بن رضبة اخبرانا انا رأينا رجلا عريانا يكسر وبنو
ابراهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحاق ومدين ومدائن وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب اثنا عشر روبيل
وشمعون ولاوى ويهوذا ويشسوخور ورولون ودوبنى ونفتالى ولوا واشير وبنيامين ويوسف ان الله اصطفى
لكم الدين دين الاسلام الذى هو صفوة الاديان لقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره النهى عن
الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهى عن ان يكونوا على غير تلك الحال اذا ماتوا والامر بالثبات على الاسلام
كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير النبأ رة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم
وينظر فى الامر مثله وانت شهيد ترى ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب
اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة ومعنى الهمزة
فيها الانكار اى ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تكذبون اليهودية عليه او متصلة
بمحذوف تقديره اكنتم غائبين ام كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شاهدتم ذلك وانما علمتموه من الوحى
وفتحت حضر بالكسر اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون من بعدى اى شئ تعبدونه اراد به تقريرهم
على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسأل به عن كل شئ مما لم يعرف فاذا عرف
خص العقلاء بمن اذا سئل عن تعيينه وان سئل عن وصفه فقيل ما زيد افقيه ام طبيب قالوا نعبد الهك
واله اباءك ابراهيم واسمعيل واسحق لتنقن على وجوده والوحدانية ووجوب عبادته وعد اسمعيل
من اباءه تغليبا للاب واجلا ولانه كالاب لقوله عليه الصلوة والسلام عم الرجل صنو ابيه كما قال فى العباس رضى الله عنه
هذا بقية ابائى وفرق اله ابيك على انه جمع بالواو والنون كما قال * ولما تبين اصواتنا بكين وفدينا بابنا * او
مفرد وابراهيم وحده عطف بيان الها واحدا بدل من اله اباءك كقوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة
وفائدته التصريح بالتوحيد ودفع التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتقدير العطف على المجرور والتاكيد او نصب على
الاختصاص ونحن له مسلمون * حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا تاتيها
امة قد خلت يعنى ابراهيم ويعقوب وبنيهما والامة فى الاصل المقصود وسمى بها الجماعة لان الفرق تؤمها
لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما ينفعهم
موافقتهم واتباعهم كما قال عليه الصلوة والسلام يا بنى هاشم لا يأتينى الناس باعمالهم وتأتونى بانسابكم وكما
تسئلون عما كانوا يعملون * ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما تثابون بحسناتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى
الضمير الغائب لاهل الكتاب او للشويع والمعنى قالهما احد هذين الفريقين لنا اليهود كونوا هودا وقالت النصارى
كونوا نصارى تهتدوا جواب الامر قل بل ملة ابراهيم بل نكون ملة ابراهيم اى اهل ملته او بل نتبع ملة ابراهيم
وقرئت بالرفع اى ملته ملتنا او عكسه او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته حنيفا مائلا عن الباطل الى الحق حال من
المضاف او المضاف اليه كقوله تعالى ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا وما كان من المشركين تعريض

بأهل الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم سيشركون قولوا آمنا بالله الخطاب له وحده او له وللمنين لقوله فان
آمنوا بمثل ما آمنتم به وما أنزل إلينا يعني القرآن وانما ذكره لانه اول بالاضافة الينا لانه سبب الايمان بغيره
وما أنزل إلى إبراهيم وإسمٰعيل وإسحٰق ويعقوب والأسباط الصحف وهي وان نزلت الى اباء اصلهم لما
كانوا متعبدين بتفصيلها داخلين تحت احكامها فهي ايضا منزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا والاسباط
جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب اولاده وذراريهم فانهم صفوة ابراهيم واسحٰق وما أوتي
موسى وعيسى التوراة والانجيل وما فرق بينهما بالذكر تحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما
سبق والنزاع وقع فيهما وما أوتي النبيون جملة المذكورين منهم وغيرهم من ربهم صفة عليهم
لا نفرق بين احد منهم كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض ولا يدخل فيه التفريق بين الانبياء عليهم السلام
في الايمان به ونحن له مسلمون منقادون مخلصون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وامن باب التجنيس والتبكيت
كقوله فاتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما آمن به المسلمون ولا دين كدينهم الاسلام وقيل الباء للالصاق
الغدية والمعنى بان تحروا الايمان بطريق يهدى الى الحق مثل طريقكم فان وحد القصد لانه نائب مناب الطريق
او مزيد للتاكيد كقوله جزاء سيئة سيئة مثلها والمعنى فان امنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم كما في قوله
وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اى عليه ويشهد لقراءة من قرأ بما آمنتم به او بالذي آمنتم به وان تولوا
فانما هم في شقاق الى ان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون لهم فانهم لا في شقاق الحق وهو المناواة والمخالفة فان
كل واحد من المتخالفين في شق غير شق الآخر فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم
بالحفظ والنصرة على من ناوأهم وهو التعميم العليم ◦ اما من تمام الوعد يعني انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم
وهو مجازيكم او وعيد للمرضين يعني انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه صبغة
الله اى صبغنا الله صبغته وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فانها حلية لا تزول كما ان الصبغة حلية
المصبوغ او هداية الله اياه وارشاده اياه او طهره فانه بالايمان تطهير وسمي صبغة لانه ظهر اثره عليهم
ظهور الصبغ على المصبوغ ولذلك خاطب في قولهم بدل الصبغ الثوب او للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون
اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحق نصرانيتهم ونصبها على انه مصدر
مؤكد لقوله آمنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابراهيم ومن احسن من الله صبغة لا صبغة احسن من
صبغته ونحن له عابدون نعرض بهم اى لا نشرك به كشركهم وهو عطف على آمنا وذلك يقتضي دخول قوله
صبغة الله في مقول قولوا ونصبها بتقدير الاغراء او البدل ان نضمر قولوا معطوفا على الزموا او انتبعوا ملة ابراهيم
وقولوا امنا بدل اشتمال حتى لا يلزم حذف الظرف وسواء التركيب قل اتحاجوننا اتجادلونا
في الله في شانه واصطفائه نبيا من العرب دونكم وهي ان اهل الكتاب قالوا لو كان نبيا لكان منا فلو
كنت نبيا لكنت منا فافترقت وهو ربنا وربكم لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده

ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فلا يبعدان يكرهنا يا عمالنا كانه الزمهم على كل مذهب يتحرونه انفيا اما او تبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتخلي بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا رعاها الله في اعطائها قلنا ايضا اعمال ولنحن له مخلصون ۝ موحدون مخلصه بالايمان والطاعة ۝ ولكم ام يقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالتاء يحتمل ان يكون معادلة للهمزة في الحاجونها بمعنى الامر بتاقين الحاجة او ادعاء اليهودية او النصرانية على الانبياء قل ءانتم اعلم ام الله وقد نفى الامرين عن ابراهيم بقوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده وهو لاء المعطوفون عليه اتباعا في الدين وفاقا ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعني شهادة الله لابراهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او مثلوا كتمانهم الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد صلعم بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما في قوله براءة من الله وما الله بغافل عما تعملون ۝ وعيد لهم وقرئ بالياء تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون ۝ تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما يحكم في الطباع من الافتخار بالاباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفي الآية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة في الاول الانبياء وفي الثاني اسلاف اليهود والنصارى

الجزء الثاني ۸۱

سيقول السفهاء من الناس الذين خفت احلامهم او استهوتهم الشياطين بالتقليد والاعراض عن النظر وهم اليهود والمشركون وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب قبل وقوعه ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة في الاصل الحال التي عليها الانسان من الاستقبال ثم صارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلوة قل لله المشرق والمغرب لا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتيه تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بامر الله اياه ايام لاختصوص المكان يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ۝ وهو ما يقتضيه الحكمة ويقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى وكذلك اشارة الى مفهوم الاية المتقدمة اي كما جعلناكم هدينا للصراط المستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل جعلناكم امة وسطا اي خيارا او عدولا ممكنين بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم المكان الذي يستوي اليه المسافرة من الجوانب استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التي يوصف بها واستدل به على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما يقولوا عليه باطل لانتقض به غرض التنبيه لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا علة للجعل اي لتعلموا بالتامل فيما نصب لكم من الحجج وانزل عليكم من الكتاب انه تعالى ما كلف احدا ما ظهر بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات وآثروا عرض هذه الايات فتشهدون بذلك

على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روى انه ﷺ امتكم يوم القيمة يجدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله
ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فيقول
الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق
فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسئل عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن
لما كان الرسول كالرقيب المهيمن على امته عدت عليه وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون
الرسول شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فانه
صلى الله عليه وسلم كان يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تالفا لليهود او الصخرة لقول ابن عباس
كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالخبر به على الاول للجعل الناسخ وعلى
الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس الا لنعلم من يتبع
الرسول ممن ينقلب على عقبيه الا لنميز الناس ونعلم من يتبعك في الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك الفا
لقبلة اتالة او لنعلم الان من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لتصرف بزوال بزواله وعلى الاول يعتاد مارد ذلك
الى ما كتب عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لثقله وضعف ايمانه فان قيل كيف
يكون علة لفعل غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالي الله هو مناط الجزاء والمعنى
ليتعلق علمنا به موجودا او قيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسند الى نفسه لانهم خواصه او ليميز الثابت
عن المتزلزل كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التميز المسبب عنه وليشهد له
قراءة ابي بالياء والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما في من من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني من
ينقلب اي نعلم من يتبع الرسول ممتازا ممن ينقلب وان كانت لكبيرة ان هي المخففة من الثقيلة واللام
هي الفاصلة وقال الكوفيون هي النافية واللام بمعنى الا والضمير المدلول عليه قوله وما جعلنا القبلة
التي كنت عليها من الجعلة او الردة او التحويلة او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فيكون كان زائدة الا
على الذين هدى الله الى حكمه الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع وما كان الله ليضيع ايمانكم
اي تبائكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتكم اليها لما روي انه صلى الله عليه وسلم
لما وجه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله بالناس
لرؤف رحيم فلا يضيع اجوركم ولا يدع صلاتكم ولعله قدمها للرؤف وهو ابلغ محافظة على الفواصل
وقراءة الحرميين وابن عامر وحفص لرؤف بالمد وبالباقين بالقصر قد نرى تقلب وجهك
في السماء تردد وجهك في جهة السماء تطلعا للوحي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع
في روعه ويلوح من ربه ان تحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم واقدم القبلتين وادعى
للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسأل ولكنه تمنى

قبلة فليكن من استقبالها من قولك ولّيته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلي جهتها ترضاها تحبها و
وتشتهي فولها لمقاصد دينية وافقت مشية الله وحكمته قول وجهك اصرف وجهك شطر المسجد الحرام
نحوه وقيل الشطر في الاصل لما انفصل عن الشيء من شطر اذا انفصل ودار شطور منفصلة عن الدور ثم استعمل
لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والكرام المحرم اي محرم فيه القتال او ممنوع عن الظلم ان يعرضوه وانما ذكر المسجد دون
الكعبة لانه عليه السلام كان في المدينة والبعيد ايكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه خلاف القريب
روي انه عليه السلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة في رجب بعد الزوال
قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فحول في الصلوة واستقبل الميزاب و
تبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول
بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتخصيصا للامة على المتابعة و
ان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم جملة تعليلهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة
بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه يصلي الى القبلتين والضمير للتحويل او التوجه وما الله بغافل عما
يعملون * وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء وعيد للفريقين ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب
بكل اية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم المضمر ما تبعوا قبلتك جواب القسم المضمر
وساد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وما
انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم عنه لما ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا ان تكون صاحبنا الذي ننتظره فنعرفه
له وطمعا في رجوعه وقبلتهم وان نسخت لكنها حقة بالطلان ومخالفة الحق وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان
اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى موافقتهم كما لا يرجى موافقة بعضهم بعضا في
هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم على سبيل الفرض والتقدير اي ولئن اتبعتهم على
سبعة بان لك الحق وجاءك فيه الوحي انك اذا لمن الظالمين وتاكيد تهديد وبالغ فيه مرتبة او جد بعظيم الحق
المأمور بتعريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء الذين اتيناهم الكتاب يعني
علماءهم يعرفونه الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه وقيل العلم والقرآن والتحويل
كما يعرفون ابناءهم يشهد الاول الى يعرفونه باوصافه كنعرفهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر انه سأل عبد الله
ابن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي
فاما ولدك فلعل والدته خانت وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص لمن علم انه واستئناف لمن
الحق من ربك كلام مستانف والحق اما مبتدأ خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول او الحق
الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه اهل الكتاب
واما خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه

بدل من الاول او مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين ٥ الشاكين في انه من ربك او في كتمانهم
الحق عالمين به وليس المراد به نهي الرسول عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار
بل اما تحقيق الامر فانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة بالكشف عن المعارف المزيحة للشك على الوجه
الابلغ ولكل وجهة ولكل امة قبلة او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين بدل
الاضافة هو مولاها احد المفعولين محذوف اى هو موليها وجهه او الله تعالى موليها اياه وقرئ ولكل
وجهة بالاضافة والمعنى كل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد لجبر الضعف العامل
وقرأ ابن عامر مولاها اى هو مولى تلك الجهة قد ولاها فاستبقوا الخيرات من امر القبلة وغيره مما سيان
سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهي المساهمة للكعبة اينما تكونوا يات بكم الله جميعا في
اى موضع تكونوا من موافق او مخالف تجمع الاحياء والمتفرقها تحشركم الله الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من
اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المتقابلات يات بكم الله جميعا ويجعل
صلوتكم كانها الى جهة واحدة ان الله على كل شيء قدير * فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع ومن حيث
خرجت ومن اى مكان خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام واذا صليت وانه وان هذا الامر
للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ٥ وقرأ ابو عمر بالياء ومن حيث خرجت فول وجهك تلقاء
المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر التحويل تلك على
تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته وجرى العادة الالهية على ان يولي كل اهل ملة وصاحب دعوة وجهة
يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما بينه وقرن كل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من ادلته
تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها شان والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحري ان يؤكد امرها ويعيد ذكرها
مرة بعد اخرى لئلا يكون للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة لئلا تدوم
احتجاج اليهود بان المنعوت في التوراة قبلته الكعبة وان محمدا يجد ديننا ويتبعنا في قبلتنا والمشركين بان
يدعي ملة ابراهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس اى لئلا يكون لاحد من الناس
حجة الا المعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او يدله او فرجع الى قبلة ابائه
ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة كقوله حجتهم داحضة لانهم يسوقون مساقها وقيل الحجة
بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة راسا كقوله * ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم *
بهن فلول من قراع الكتائب * للعلم بان الظالم لا حجة له وقرأ الا الذين ظلموا على انه استثناف بحرف
التنبيه فلا تخشوهم فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم واخشوني فلا تخالفوا امري تكم
به ولاتمم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة محذوف اى وامرتكم لاتم نعمتي عليكم ولارادتي
اهتداءكم او عطف على علة مقدرة مثل لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتي عليكم او لئلا يكون في الحديث

تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم
متصل بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الاخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم او متعلق بقوله
اركيكم اي يكمل تزكيتكم بالارسال فاذكروني بيان لوجه التزكية اثيبكم او بتقدير اذكروني بالطاعة اذكركم بالمغفرة
باعتبار الفضل واخر في دعوة ابراهيم باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا
تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سواهما وكرر الفعل ليدل على انه جنس اخر
فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون بجحد
النعم وعصيان الامر يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر عن المعاصي وحظوظ النفس والصلوة التي
هي اصل العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين ان الله مع الصابرين بالنصرة و
اجابة الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات اي هم اموات بل احياء بل هم احياء
ولكن لا تشعرون ما حالهم وهو تنبيه على ان حيوتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من
الحيوانات وانما هي امر لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض
ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح ال فرعون غدوا وعشيا
فيصل اليهم الوجع والاية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة
بانفسها مغايرة لما يحس من البدن بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الآيات
والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله تعالى ومزيد البهجة والكرامة ولنبلونكم
ولنصيبنكم اصابة من تخبر الاحوال هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف والجوع
اي بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ما وفى بهم عنه ليخف عليهم ورحيم ان رحمته لانفارقهم و
بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم في الاخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص من
الاموال والانفس والثمرات عطف على شيء او الخوف وعن الشافعي رض الخوف خوف الله والجوع
صوم رمضان والنقص من الاموال الزكوة والصدقات وفي الانفس الامراض وفي الثمرات موت الاولاد و
عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون
نعم فيقول اقبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك
واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة
قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول صلعم ولمن يتأتى منه البشارة والمصيبة نعم ما يصيب الانسان
من مكروه لقوله عليه السلام كل شيء يوذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع بالسكوت
بل وبالقلب ان ينصرف ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه لدى ما ابقى عليه اضعافا ما استرده منه
فيهون على نفسه ليستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة في الاصل

الدعاء ومن الله التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان
عن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله تعالى مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا
صالحا يرضاه وأولئك هم المهتدون * للحق والصواب حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله تعالى إن الصفا
والمروة هما لكما جبلان بمكة من شعائر الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة شن حج البيت او
اعتمر الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين فلا
جناح عليه ان يطوف بهما كان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا
سعى بهما فلما جاء الاسلام وكسر الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بهما لذلك فنزلت والاجماع على
انه مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف في وجوبه فمن احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس لقوله فلا جناح
عليه فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا ينافي
وعن ابي حنيفة انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي انه ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب
عليكم السعي ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف
او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال الفعل اليه او
بتعدية الفعل لتضمنه معنى آتى او فعل وقراءة حمزة والكسائي ويعقوب يطوع واصله يتطوع فادغم مثل يطوف
فإن الله شاكر عليم * مثيب على الطاعة يخفى عليه إن الذين يكتمون كاحبار اليهود وما انزلنا من البينات كالآيات
الشاهدة على امر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى وما يهدي الى وجوب اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه
للناس لخصناه في الكتاب في التوراة أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون * اي الذين يتأتى
منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين إلا الذين تابوا عن الكتمان وسائر ما يجب ان يتاب عنه وأصلحوا
ما افسدوا بالتدارك وبينوا ما بينه الله في كتابهم ليتيروهم وقيل ما احدثوه من التوبة ليمحو اسم الكفر
عن انفسهم ويقتدى بهم اضابهم فأولئك أتوب عليهم بالقبول والمغفرة وأنا التواب الرحيم * المبالغ في
قبول التوبة وافاضة الرحمة إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار اي ومن لم يتب من الكافرين حتى مات
أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين * استغرقهم لعنة الله لو من يعتد بلعنه من خلقه وقيل
الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك
اعجبني ضرب زيد وعمرا وقيا على الفعل مفدرا نحو ويلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة او النار واضمارها
قبل الذكر فخيما لشانها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون * يمهلون
او لا ينظر لهم بعين رحمة او لا ينظر اليهم نظر رحمة والالتفات لتشديد الخطاب عام اي المستحق منكم العبادة واحد
شريك المسيح ازيد وليس الها الا إله هو تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود الها ولكن لا يستحق منهم
العبادة الرحمن الرحيم كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة او منعم عليه

لم يستحق العبادة احد غيره وهما خبران آخران لقوله الحكم او للابتداء محذوف قيل لما سمعه المشركون
يعجبوا ولو ان كنت صادقا فأت بآية نعرف بها صدقك فنزلت إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ
انما جمع السموات وافراد الارض لانها طبقات متفاضلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين
وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ارتقاء بهما كقوله جعل الليل والنهار خلفة وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا
يَنْفَعُ النَّاسَ اى بنفعهم او بالذى ينفعهم والقصد به الى الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر
لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما
البحر فى غالب الامر وتأنيث الفلك لانه بمعنى السفينة وقرئ بضمتين على الاصل او الجمع وضمة الجمع غير
ضمة الواحد عند المحققين وَمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ من الاولى للابتداء والثانية للبيان و
السماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا بالنبات وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ عطف على انزل كأنه استدل بنزول المطر وتكون النبات به وبث الحيوانات فى الارض او على احيى فان
الدواب يتمون بالخصب ويعيشون بالحياء والبث النشر والتفريق وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ فى مهابها ولواحقها
وقراءة حمزة والكسائى على الافراد وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لا ينزل ولا ينقشع مع ان
الطبع يقتضى احدهما حتى يأتى امر الله وقيل مسخر الرياح تقلبه فى الجو بمشيته الله واشتقاقه من
السحب لان بعضه يجر بعضا آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * يتفكرون فيها وينظرون اليها بعقولهم اعقلهم و
عنه عليه السلام ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها اى لم يتفكر فيها وأعلم ان دلالة هذه الآيات على وجود
الالهة ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة وحد كل منها
بوجه مخصوص من وجوه محتملة والحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان لا يتحرك السموات او بعضها كالارض
وان يتحرك بعكس حركتها وبحيث يصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض اصلا
او على هذا الوجه لبساطتها وتساوى اجزائها فلا بد لتهاما من موجد قدير حكيم يوجدها على ما يستدعيه
حكمته ويقتضيه مشيته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو كان معه آلهة يقدر على ما يقدر عليه فاما ان
اراد تمانع فلفعل ان كان لهما لزم اجتماع مؤثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما لم يكن الفاعل
بلا مرجح وعجز الآخر المنافى لالهيته وان اختلفت لزم التمانع والتطارد كما اشار اليه بقوله تعالى
لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفى الآية تنبيه على شرف علم الكلام واهله وحث على البحث و
النظر فيه وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللّٰهِ أَنْدَادًا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا
يطيعونهم لقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله عن الله تعالى
يُحِبُّونَهُمْ يعظمونهم ويطيعونهم كَحُبِّ اللّٰهِ كتعظيمه والميل الى طاعته اى يسوون بينه وبينهم
فى المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ

فيها ومحبة العبد لله ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله في
الطاعة وصونه عن المعاصي والذين آمنوا اشد حبا لله لانه لا ينقطع محبتهم لله بخلاف محبة الانداد
فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن الهتهم الى الله عند الشدائد
ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره ولو يرى الذين ظلموا ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ
الانداد اذ يرون العذاب اذا عاينوه يوم القيمة واجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله ونادى
اصحاب الجنة ان القوة لله جميعا سد مسد مفعول يرى وجواب لو محذوف اى لو يعلمون ان
القدرة لله جميعا اذا عاينوا العذاب لندموا اشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعول
محذوف والتقدير ولو يرى الذين ظلموا انادهم لا تنفع لعلموا ان القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره
وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اى ولو ترى ذلك
امرا عظيما وقراء ابن عامر اذ يرون على البناء للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا وان الله شديد
العذاب على الاستئناف او اضمار القول اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون او
اذ تبرء المتبوعون من الاتباع وقرئ بالعكس اى تبراء الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب اى
رأتين له والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبراء وتقطعت بهم الاسباب يحتمل العطف
على تبرأ وارواو الحال والاول اظهر والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق
على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر وقرئ تقطعت
على البناء للمفعول وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا لو للتمني لذلك
اجيب بالفاء اى ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات
عليهم فدامات وهي ثالث مفاعيل يرى ان كانت رؤية القلب والا فحال وما هم بخارجين من النار
اصله وما يخرجون فعدل به الى ما هو ابلغ للمبالغة في الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع
الى الدنيا يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا نزلت في قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة
والملابس وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حال مما في الارض ومن للتبعيض
اذ لا يوكل كل ما في الارض طيبا يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل على الاول و
لا تتبعوا خطوات الشيطان لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرأ
نافع وابو عمرو وحمزة بتسكين الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهو ما بين قدمي الخاطي وقرئ
بضمتين وضمة جلت ضمة الطاء كما نها عليها وبفتحتين على انه جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه
لكم عدو مبين ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه
وان ذلك سماه وليا في قوله اولياءهم الطاغوت انما يأمركم بالسوء والفحشاء بيان لعداوته

ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرأيهم وتحقير الشأنهم والسوء

والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل به و

فحشاء لاستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما تجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا

حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم

الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع الظن رأسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن مستند الى مدرك

شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه كما بيناه في الكتب الاصولية وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ الضمير

للناس وعدل عن الخطاب عنهم للنداء على ضلالهم كانه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء

الحمقى ماذا يجيبون قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ما وجدناهم عليه نزلت في المشركين امروا باتباع

القران وسائر ما انزل الله من الحجج والايات فجنحوا الى التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله

صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلى هذا فيعم

ما انزل الله التورية لانها ايضا تدعو الى الاسلام أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ الواو للحال

او العطف والهمزة للرد والتعجب وجواب لو محذوف اي لو كان اباؤهم جهلة لا يتفكرون في امر الدين ولا

يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واما اتباع الغير في الدين

اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء والمجتهدين في الاحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله تعالى

وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً على حذف مضاف تقديره ومثل

داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او مثل الذين كفروا كمثل بهائم الذي ينعق والمعنى ان الكفرة

لانهماكهم في التقليد لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتاملون فيما يقرر معهم فهم في

ذلك كالبهائم التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل

هو تمثيلهم في اتباع ابائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم

ما تحته او تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا

يغني عن الاضمار ولكن لا يساعده قوله الا دعاء ونداء لان الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك

من باب التمثيل المركب صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ رفع على الذم فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ اي بالفعل للاخلال بالنظر

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم ما

في الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها

فقال وَاشْكُرُوا لِلَّهِ على ما رزقكم واحل لكم إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ان صح انكم تخصونه

بالعبادة وتقرون بانه مولى النعم فان عبادته لا تتم الا بالشكر فالمعلق بفعل العبادة هو الامر بالشكر

لاتمامه وهو عدم عند عدمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اني والانس والجن في نبأ

عظيم اخلق وبعيد غيرى وازرق ونيشكر غيرى انما حرم عليكم الميتة اكلها والانتفاع بها وهى التى
ماتت من غير ذكوة والحديث الحق بها ما ابين من الحى والسمك والجراد اخرجهما البيهقى فى عالم و
استثنى الشرع والحرمة المضافة الى العين تفيد عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا الا ما خصه الدليل
كالتصرف فى المدبوغ والدم ولحم الخنزير انما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر
اجزائه كالتابع له وما اهل به لغير الله اى رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية
الهلال يقال اهل الهلال واهللنا لكن لما جرت العادة ان يرفع الصوت بالتكبير اذا رأى الهلال سمى
ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان بغيره فمن اضطر غير باغ بأكله مستبشار على مضطر اخر وقرأ
عاصم وابو عمرو وحمزة بكسر النون ولا عاد سد الرمق او اتى عدوا قيل غير باغ على الوالى ولا عاد بقطع
الطريق فعلى هذا يباح للعاصى بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعى وقول احمد فلا اثم عليه فى تناوله ان الله
غفور لما فعل رحيم * بالرخصة فيه فان قيل انما يفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر
الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء
عام تضطروا اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا عوضا حقيرا
اولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار اما فى الحال لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه
فكانه اكل النار كقوله * اكلت دما ان لم ارعك بضربة * بعيدة مهوى القرط طيبة النشر * يعنى
الدية او فى المآل اى لا يأكلون يوم القيمة الا النار ومعنى فى بطونهم ملاء بطونهم يقال اكل فى
بطنه واكل فى بعض بطنه كقوله * كلوا فى بعض بطنكم تعفوا * ولا يكلمهم الله يوم القيمة عبارة عن
غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابلتهم فى الكرامة والزلفى من الله وكثيرا كبهم ولا يثنى عليهم
ولهم عذاب اليم * مؤلم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فى الدنيا والعذاب بالمغفرة
فى الاخرة بيمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم فى
الالتباس موجبات النار من غير مبالاة وما نافية مرفوعة عند الابتداء وتخصيصها كتخصيص قولهم شر
اهر ذا ناب او استفهامية وما بعدها الخبر او موصولة وما بعدها الصلة والخبر محذوف ذلك
بان الله نزل الكتاب بالحق اى ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فرضوا بالتكذيب
او الكتمان وان الذين اختلفوا فى الكتاب اللام فيه اما للجنس واختلافهم فيه ايمانهم ببعض
كتب الله وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة اما الى التوراة واختلافهم انهم تخلفوا عن المنهج
المستقيم فى تأويلها او خلفوا خلاف ما انزل الله سبحانه اى حرفوا ما فيها وما الى القرآن واختلافهم
فيه قولهم سحر وقول وكلام علمه بشر واساطير الاولين لفى شقاق بعيد * لفى خلاف بعيد من
الحق ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر كل فعل مرضى والخطاب

الاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت وادعى كل طائفة ان البر هو التوجه
الى قبلته فرد الله عليه وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بينه الله تعالى و
اتبعه المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين اي ليس البر مقصورا باحد القبلة او ليس البر العظيم الذي
احسن ان تذهلوا بشانه عن غيره امرها وقرأ حمزة وحفص البر بالنصب مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ
الْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ اي ولكن البر الذي ينبغي ان يهتم به بر من امن ويجوز ان يكون ذا البر من امن ويؤيده
قراءة ولكن البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب الجنس او القرآن وقرأ نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف و
رفع البر وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ اي على حب المال كما قال عليه السلام لما سئل اي الصدقة افضل ان تتصدق
وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير لله او للمصدر والجار والمجرور في موضع الحال
ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى بريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالباس وقدم ذوي القربى لان ايتاءهم
افضل كما قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان صدقة وصلة وَ
الْمَسَاكِينَ جمع المسكين وهو الذي اسكنه الخلة واصله دائم السكون كالمسكير لدائم السكر
وَابْنَ السَّبِيلِ المسافر سمي به لملازمته السبيل كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل
يرعف به وَالسَّائِلِينَ الذين الجاء هم الحاجة الى السؤال وقال عليه السلام للسائل حق وان جاء على
فرسه وَفِي الرِّقَابِ وفي تخليصها بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى او ابتياع الرقاب لعتقها وَأَقَامَ
الصَّلَاةَ المفروضة وَآتَى الزَّكَاةَ يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله اتى المال الزكوة المفروضة
ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها وبالثاني اداءها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل
الصدقات او حقوقا كانت في المال سوى الزكوة وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا
عَاهَدُوا عطف على من امن بالله والصابرين في الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ نصبه على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على
سائر الاعمال وعن الازهري البأساء في الاموال كالفقر والضراء في الانفس كالمرض وحين الْبَأْسِ وقت مجاهدة
العدو أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا في الدين واتباع الحق وطلب البر وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ * عن الكفر وسائر
الرذائل والاية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية بأسرها دالة عليها صريحا او ضمنا فانها
بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلثة اشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد
اشير الى الاول بقوله من امن الى والنبيين والى الثاني بقوله واتى المال الى في الرقاب والى الثالث
بقوله واقام الصلوة الى اخرها ولذلك وصف المتجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده
وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار بقوله عليه
الصلوة والسلام من عمل بهذه الاية فقد استكمل الايمان يا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ في القتلى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى

كان في الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الاخر فقسموا التقتلن الحر منكم
بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وامرهم ان
يتبعوا فاوه يدل على ان يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما انه يدل على عكسه فان المفهوم حجة عند
نفرض سواء في اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الفرض وانما منع مالك والشافعي قتل الحر بالعبد سواء كان عبده
او عبد غيره لما روي علي رضي الله عنه ان رجلا قتل عبده فجلده الرسول صلى الله عليه وسلم ونفاه
سنة ولم يقد به وروي عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذمي عهد ولا حر بعبد وكان ابا بكر و
عمر رضي الله عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة رضي الله عنهم من غير نكير والقياس
على الاطراف ومن سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما في التوراة
فلا ينسخ ما في القرآن واحتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد العفو حتما وهو ضعيف اذ الواجب
على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه
وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص بالنصب وكذلك كل مثل جاء في القرآن فمن عفي له من
اخيه شيء اي شيء من العفو كأن عفا له مرة وقد نزلت الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام في اسقاط
القصاص وقيل عفي بمعنى ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفى الشيء بمعنى تركه
بل اعفاه وعفى بمعنى بعض الى الجاني والى الذنب قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفى الله عنها فاذا
عدي به الى الذنب عدي الى الجاني باللام وعليه ما في الاية كأنه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة
اخيه يعني في الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه
فاتباع بالمعروف واداء إليه بإحسان اي فليكن اتباع او فالامر اتباع والمراد به وصية العافي
بان يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو بان يؤديها باحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل
على ان الدية احد مقتضى العمد وان الامر بادائها على مطلق العفو والشافعي رضي الله عنه في
المسئلة قولان ذلك اي الحكم المذكور في العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة
لما فيه من التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو
مطلقا وخير هذه الامة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقريرا للحكم على حسب مراتبهم
فمن اعتدى بعد ذلك قتل بعد العفو واخذ الدية فله عذاب اليم * في الاخرة وقيل في
الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله عليه السلام لا اعافي احدا قتل بعد اخذ الدية ولكم في القصاص
حيوة كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف
القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما وذلك
كان العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون سبب حيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون

غير القاتل والجماعة بالواحد فتقوى الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك
سببا لحيوتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بها الحيوة الاخروية فان القاتل
اذا اقتص منه في الدنيا لم يواخذ به في الآخرة ولكم في القصاص يحتمل ان يكون اخبرا ان لحيوة وان يكون
احدهما خبرا والآخر صلة له او حالا عن الضمير المستكن فيه وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من حكم
القتل حيوة اوفي القرآن حيوة للقلوب يا أولي الألباب ذوي العقول الكاملة نادا بهم للتامل في حكمة القصاص
من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون + في المحافظة على القصاص الحكم به ولا ذعان له
او عن القصاص فتكفوا عن القتل كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اي حضر اسبابه وظهرت اماراته
ان ترك خيرا اسما او قيل ما لا كثيرا المروي عن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي و
له سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا واخبره ان المال الكثير وعن عائشة رضي
الله عنها ان رجلا اراد ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلثة الاف فقالت كم عيالك قال اربعة قالت
انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا شيء يسير فدعه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين مرفوع
بكتب وتذكير فعلها للفصل وعلى تاويل ان يوصي او الايصاء ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله
بعد ما سمعه والعامل في اذا مادل كتب لا الوصية لتقدمه عليها وقيل بمنتهى اخبره للوالدين والجملة
جواب الشرط باضمار الفاء كقوله * من يفعل الحسنات الله يشكرها * وردبانه اضعف فمن ضرورات
الشعر وكان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ بآية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذي
حق حقه الا لا وصية لوارث وفيه نظر لان اية المواريث لا تعارضه بل توكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية
مطلقا والحديث من الاحاد تلقى الامة لها بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية لما
اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم الله او بايصاء المحتضرين بتوفير ما اوصى
به الله عليهم بالمعروف بالعدل فلا يفضل الغني ولا يجاوز الثلث حقا على المتقين * مصدر
مؤكد لما قبله حق ذلك حقا فمن بدله غيره من الاوصياء والشهود بعدما سمعه وصل
اليه وتحقق عنده فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على
مبدله لانه الذي خالف وخالف الشرع ان الله سميع عليم * وعيد للمبدل بغير حق
فمن خاف من موص جنفا ميلا عن الحق او اثما تعمدا للحيف فاصلح
بينهم بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع فلا اثم عليه في هذا التبديل لانه تبديل باطل
الى حق بخلاف الاول ان الله غفور رحيم * وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكونه
الفعل من جنس ما يؤثم يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم

يعني الانبياء والامم من لدن ادم وفيه تاكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس والصوم في اللغة
الامساك عما تنازع اليه النفس وفي الشرع الامساك عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه الانفس لعلكم تتقون
المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدأها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او
الاخلال بادائه لاصالته وقدره اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا و
الكثير يهال هيلا وتضبرها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا الدلالة الصيام عليه والمراد
بها رمضان اوما وجب صوم قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء وثلثة ايام من كل شهر ويجاء كتب
على الظرفية او على انه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل معناه صوموكم كصومهم في عدد الايام لما
روي ان رمضان كتب على النصارى فوقع في برد او حر شديد فحولوه الى الربيع وزاد واعليه عشرين كفارة
لتحويله وقيل زاد واذلك لموتان اصابهم فمن كان منكم مريضا مرضا يضره الصوم ويعسر معه او على
سفر او راكب سفر وفيه ايماء بان من سافر اثناء اليوم لم يفطر فعدة من ايام اخر فعليه صوم على ايام
المرض او السفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها و
قرئ بالنصب اى فليصم عدة او فصام عدة على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب
الظاهرية وبه قال ابو هريرة رض وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية طعام
مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم
في ذلك اول الامر لما امروا بالصوم شق عليهم لانهم لم يعتادوه ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر برواية
ابن ذكوان باضافة الفدية الى الطعام وجمع المساكين وقرأ ابن عامر برواية هشام مساكين
بغير اضافة الفدية الى الطعام والباقون بغير اضافة وتوحيد مسكين وقرئ يطوقونه على
بناء المفعول اويقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة او القلادة ويتطوقونه اى يتكلفونه او يتقلدونه
ويتطوقونه بالادغام ويطيقونه ويطيقونه على ان اصلهما يتطيقونه ويتطيقونه من فعيل وتفعيل
بمعنى يتطيقونه وعلى هذه القراءات يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وبها
الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد اول به قراءة المشهورة اى يصومونه جهدهم و
طاقتهم فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو في التطوع والخير خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون
وجهد تم طاقتكم والمرخصون في الافطار ليندرج تحتها المريض والمسافر خير لكم من الفدية في
تطوع الخير او منهما ومن التاخير للقضاء ان كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة
وجوابه محذوف دل عليه ما قبله اى اخترتم وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبير
علمتم ان الصوم خير لكم من ذلك شهر رمضان مبتدا خبره ما بعده او خبر مبتدا محذوف تقديره ذلكم
شهر رمضان وقيل الامر الصيام على حذف المضاف اى كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على

اضمارهصوموا او على انه مفعول وان نصوموا وفيه ضعف او بدل من ايام معدودات والشهر
من الشهرة ورمضان مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف
للعلمية والالف والنون كما منع دراية في ابن دراية علما للغرابة العلمية والتانيث وقوله عليه
السلام من صام رمضان فعلى حذف المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك اما لانه يرمض
من حر الجوع والعطش ولانه يرمض الذنوب فيه او لوقوعه في ايام رمض الحر حينما نقلوا اسماء الشهور
عن اللغة القديمة الذي انزل فيه القرآن اي ابتدا فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر او انزل
فيه جملة الى السماء الدنيا ثم نزل نجما الى الارض او انزل في شانه القرآن وهو قوله كتب
عليكم الصيام وعن النبي صلى الله عليه وسلم انزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان
انزلت التوراة لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقرآن لاربع وعشرين والموصول بدل منه
خبر المبتدا او صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدا بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار
بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان
حالان من القرآن لانه انزل وهو هداية للناس باعجازه وايات واضحات مما يهدي الى الحق ويفرق بينه
وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن حضر منكم في الشهر و
لم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه ولكن وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم
ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب الضمير الثاني على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر
فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلوتها فيكون ومن كان مريضا او على
سفر فعدة من ايام اخر مخصصا له لان المسافر والمريض قد يشاهد الشهر وتعلق تكريره لذلك ولئلا
يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر اي يريد ان يسهل عليكم و
لا يعسر ولذلك اباح الفطر للمسافر والمرض لتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم
تشكرون علل بفعل محذوف دل عليه ما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم
الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى اخرها على سبيل
اللف فان قوله ولتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته
ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير او لافعال كل لفعله او معطوفة على
علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعملون ويجوز ان يعطف على اليسر اي ويريد
بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك
عقب بفعل وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدر والجمع
والذي هذكم الآية وعن عاصم برواية ابي بكر ولتكملوا بالتشديد واذا سالك عبادي عني فاني

قريب اى فقل اللهم انى قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد وافواههم واطلاعه على
احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روى ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب
ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة الداع اذا دعان تقرير للقرب ووعد للداعين
بالاجابة فليستجيبوا لى اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعونى لمهماتهم
وليؤمنوا بى امر بالثبات والمداومة عليه لعلهم يرشدون * راجين اصابة الرشد و
هو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه تعالى امرهم بصوم الشهر ورعاية العدة
وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقيبه هذه الاية الدالة على انه تعالى خبير باحوالهم
سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم ومجازيهم على اعمالهم تاكيد له وحث عليه ثم بين احكام الصوم
فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روى ان المسلمين كانوا اذا امسوا حل لهم الاكل و
الشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء او يرقدوا ثم ان عمر رضى الله عنه باشر بعد العشاء فندم و
اتى النبى صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت
وليلة الصيام الليلة التى نصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث
وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدى بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره ههنا لتصوير الامر
ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف يبين سبب
الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما
كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه بالملابس قال الجعدى
+ اذا ما الضجيع ثنى عطفها * تثنت فكانت عليه لباسا * او لان كلا منهما ستر لحال
صاحبه ومنعه عن الفجور علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب
ونقيص حظها من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب فتاب عليكم لما
تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم وجاوز عنكم باشروهن لما نسخ عنكم الحرج وفيه
دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن والمباشرة الزاقى البشرة بالبشرة كنى به عن الجماع
وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدره لكم واثبته فى اللوح من الولد والمعنى ان المباشرة ينبغى
ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لاقضاء الوطر وقيل النهى عن
العزل وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذى كتبه الله لكم وكلوا واشربوا حتى
يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض فى
الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بطوله
من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه بعد ذلك حرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من

للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فصيد رجال الى خيطين اسود
وابيض ولا يزالون ياكلون ويشربون حتى يتبين لهم فنزلت آن صح فلعله كان قبل دخول رمضان
وتاخير البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى اولا باشتهارها في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس
على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم المصبح
جنبا ثم اتموا الصيام مما الى الليل بيان آخر وقته واخراج الليل عنه فينتفي صوم الوصال ولا
تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد
بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطي وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امراته فيباشرها
ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد لا يختص بمسجد دون
مسجد وان الوطي يحرم رفثا وتعقيبه لان النهي في العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله
اي الاحكام التي ذكرت فلا تقربوها نهي ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يزاد الباطل
فضلا ان يتخطى عنه كما قال عليه السلام ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن وقع حول
الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه
كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر والنواهي ولا
تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي ولا ياكل بعضكم مال البعض بالوجه الذي لم يجعله الله وبين نصب
على الظرف او الحال من الاموال وتدلوا بها الى الحكام عطف على النهي او نصب باضمار ان والادلاء
الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم بما يوجب
اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب
المعصية مع العلم بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي ادعى الى امرء القيس الكندي قطعة ارض ولم يكن
بينهما فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرء القيس فهم به فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين
يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت وفي دليل على ان
حكم القاضي لا ينفذ باطنا وتاويله قوله عليه السلام انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم يكون الحن
بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقطع له قطعة من نار
يسئلونك عن الاهلة سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ويستدير
ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا فنزل مواقيت للناس وانما جمع الميقات لان كل جزء من اجزاء الزمان
صالح لوقوع العبادة فيه فكانه ميقات في نفسه او لان المراد مواقيت امورهم ومعايشهم
او حذف المضاف وتقديره ويسئلونك عن سبب اختلاف حال القمر فنبذ
امره فامره الله ان يجيب بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان يكون معالم للناس يوقتون بها امورهم ومعالم
للعبادات المؤقتة يعرف بها اوقاتها خصوصا الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء
والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد

حركة الفلك من مبداها الى منتهاها والزمان مدة مفسومة والوقت الزمان المفروض لامر

وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى قرأ ابو عمرو وورش وحفص

بضم الباء والباقون بالكسر وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف لكن ورفع الركائب الانصار اذا احرموا

لم يدخل خلوا دار او لا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من النقب او فرجة وراءه وقيل ذلك

برآفين لهم انه ليس بر وانما البر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا عن الاهلة

او انه لما ذكر انها مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكره للاستطراد او انهم لما سألوا عما

يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما

سألوه تنبيها على ان اللائق بهم ان لا يسألوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها وان المراد به التنبيه على

تعكيسهم السؤال وتمثيل حالهم بحال من نزل باب البيت ودخل من وراءه والمعنى ليس البران تعكسوا في

مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجر على مثله وأتوا البيوت من ابوابها اذ ليس في العدول براو

باشر الامور من وجوهها واتقوا الله في تغيير احكامه والاعتراض على افعاله لعلكم تفلحون لكي

تظفروا بالهدى والبر وقاتلوا في سبيل الله جاهدوا لاعلاء كلمته واعزاز دينه الذين يقاتلونكم

قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والحاجزين وقيل معناه الذين

يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشائخ والصبيان والرهبانية والنساء او

الكفرة كلهم فانهم يصدقون قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيده الاول ما روي ان المشركين

صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا

له مكة ثلثة ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوا في الحرم والشهر

الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ولا تعتدوا ابتداء القتال او بقتال المعاهد والمفاجأة به من غير

دعوة او المثلة او قتل من نهيتم عن قتله إن الله لا يحب المعتدين لا يريد بهم الخير واقتلوهم حيث

ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم واصل الثقف الحذق في ادراك الشئ علما

كان او عملا فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال ره فاما تثقفنهم واقتلنهم * فمن

ثقف فليس الى خلود * واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم

يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب

من القتل لدوامتعبها وتألم النفس بها وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من

قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه لا تفاجئوهم بالقتال و

هتك حرمة المسجد الحرام فان قتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثم فانهم الذين هتكوا حرمته وفرحوه

والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم والمعنى حتى تقتلوا بعضكم كقولهم قتلتنا بنو اسد

كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا فإن انتهوا عن القتال والكفر
فإن الله غفور رحيم ... يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك ويكون الدين
لله خالصا له ليس للشيطان فيه نصيب فإن انتهوا عن الشرك فلا عدوان إلا على الظالمين، اى
فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمى جزاء الظلم
باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان غرضكم للمنتهين صرتم ظالمين
وينعكس الامر عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون
عام الحديبية فى ذى القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا ان يقاتلوهم فيه فقيل
لهم هذا شهر بذاك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص فيجتاح عليه اى كل حرمة
وهو ما يجب ان يحافظ عليها يعنى فيه القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فاصدوا بهم
مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
بمثل ما اعتدى عليكم وهو فك النقرير واتقوا الله فى الانتصار ولا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم
واعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شأنهم وانفقوا فى سبيل الله ولا تمسكوا اكل الامساك ولا
تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فانه يقوى
العدو ويسلطهم على اهلاككم وعن ابى ايوب الانصارى انه قال لما اعز الله الاسلام و
كثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدى
الى الهلاك المؤبد ولذلك سمى البخل هلاكا وهو فى الاصل انتهاء الشئ فى الفساد والالقاء طرح الشئ و
على بال تضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بايديكم الانفس والتهلكة والهلاك والهلك واحد فى
مصدر كالنصرة والنشرة لا توقعوا انفسكم فى الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها اخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم
انفسكم اليها فحذف المفعول واحسنوا اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على المحاويج ان الله يحب المحسنين
واتموا الحج والعمرة لله ايتوا بهما تامين مستجمعين المناسك لوجه الله وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده
قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة وما روى جابر انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال
لا ولكن ان تعتمر خير لك معارض بما روى ان رجلا قال لعمر رضى الله عنه انى وجدت
الحج والعمرة مكتوبين على اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال انه فسر
وجدانهما مكتوبين بقوله اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب لسبب اهلاله بهما لانه
رتب الاهلال على الوجدان وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرموا بهما
من دويرة اهلك او ان تفرد لكل منهما سفرا وان تجردهما لهما لا تشوبهما بغرض دنيوى او ان يكون النفقة
حلالا فإن أحصرتم منعتم فقال حصر العدو واحصره اذا حبسه ومنعه عن المضى مثل صده واصده

والمراد حصر العدو عند مالك والشافعي لقوله فاذا امنتم وليزوله في الحديبية ولقول ابن عباس لا حصر الا
حصر العدو وكل منع من عدو او مرض وغيرهما عند ابي حنيفة لما روي عنه عليه السلام من كسر او عرج
فقد حل فعليه الحج من قابل وهو ضعيف وقل بما اذا شرط الاحلال به لقوله عليه السلام لضباعة بنت الزبير حجي
واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني فما استيسر من الهدي فعليكم ما استيسر واقالوا واجب ما استيسر
او فاهدوا ما استيسر قلنا معناه ان احصر المحرم واراد ان يحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة
حيث احصر عند الاكثر لانه عليه السلام ذبح عام الحديبية ما وهي من الحل وعند ابي حنيفة يبعث به
ويجعل للمبعوث بيده يوم امارة فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي
محله اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل
الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حراما واقتضاره على الهدي دليل عدم
القضاء وقال ابو حنيفة يجب القضاء والحل بالكسر يطلق للمكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية
وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي في مطية فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى من رأسه
كجراحة او قمل ففدية اي ففعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها
فقد روي انه عليه السلام قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم
ثلثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلثة اصوع فان كان منكم مريضا او به اذى من رأسه
فحلق في حال امن وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في
اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر من
الهدي فعليه دم استيسر لسبب التمتع وهو تمتعه بالنسك في اشهر الحج فان لم يجد اي الهدي فصيام ثلثة ايام في الحج في ايام الاشتغال به بعد الاحرام
وقيل التحلل وقال ابو حنيفة في اشهر بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه
ولا يجوز يوم النحر وايام التشريق عند الاكثرين وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم وهو احد قولي
الشافعي او نفرتم وفرغتم من اعماله وهو قوله الثاني ومذهب ابي حنيفة رحمه الله وقرئ سبعة بالنصب
عطفا على محل ثلثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او
كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان الكثرة العربية يحسنوا الحساب
وان المراد بالسبعة العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما كاملة صفة مؤكدة وفيه المبالغة في محافظة العدد
او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به ينتهي الاحاد وبتم مراتبها او مقيدة فقيد كمال بدليتها من الهدي
ذلك اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابي حنيفة رحمه الله اذ لا متعة ولا قران لحاضري
المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان من الحرم

على مسافة القصر عندنا فان من كان على اقل منها فهو مقيم لهما او في حكم من مسكنه وراء الميقات عندنا وأهل الحل عند طاوس في غير الحل عند مالك واتقوا الله في المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه في تصدكم العالم به عن العصيان الحج اشهر اي وقته كقولك البرد شهران معلومات معروفات وهي شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة بليلة الفجر عندنا والعشر عند ابي حنيفة وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف على ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان ما تكره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهرين وبعض الشهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا وبالتلبية او سوق الهدي عند ابي حنيفة وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعي وان من احرم بالحج لزمه الاتمام فلا يرفث فلا جماع او فلا يخرج من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشرع بالسباب وارتكاب المحظورات ولا جدال ولا مراء مع الخادم والرفقة في الحج في ايامه نفي الثلثة على قصد النهي للمبالغة والدلالة على انها حقيقة بان لا تكون وما كانت منها مستقبحة في انفسها ففي الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة والضرب بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرأ ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع على معنى لا يكون رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا بعرفة وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر ليستدل به ويستعمل مكانه وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس واتقون يا اولي الالباب فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله فيتبرؤا عن كل شيء سوى الله تعالى وهو مقتضى العقل للعرق من ثمرة التقوى فان الخ خص او لا لان الخطاب ليس عليكم جناح ان تبتغوا ان يبتغوا الى ان قالوا اصلا من ربكم عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمون فيها موسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضضتم فرارا من تضعيف المفعول كما حذف فرضت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانمائون وكسر قافه العلمية والتانيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذي باب الكسر فتبع ذا باب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او زيدت التانيث او ان يكون اثناء المذكورة وهي ليست تانيث انما هي مع الالف التي قبلها علامة مجموع المؤنث وبنيت مفعلة كما في معاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة تضعيف مرجيث لم يكن لها حضضا مها بالمؤنث كما بنيت وانما سمي الموقف عرفة لانه قيل لابراهيم عليه السلام

فلما ابصر عرفة اوعلم جبريل كان يدعوه فى المشاعر فلما اراه قال قد عرفت اوكان آدم وحواء التقيا منه
فتعارفا اوكان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة فى ذلك وهى من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه
دليل على وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهى تمامه وروى بها بقوله ثم افيضوا او مقدمة
للذكر المأمور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب الامر به غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل
بصلوة العشاءين عند المشعر الحرام جبل يقف عليه الامام وسمى مزدلفة وقيل لها بين بأرمى عرفة ووادى محسر
يؤتين الاول ما روى جابر انه عليه السلام لما صلى الفجر اتى بالمزدلفة فبات بها حتى اذا اسفر ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام
فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر انما سمى مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمة ما فيه ومعنى
عند المشعر الحرام ما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادى محسر واذكروه
كما هداكم كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هدايا حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة
وان كنتم من قبله اى الهدى لمن الضالين الجاهلين بالايمان والطاعة وان هى المخففة واللام هى الفارقة
وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله تعالى وان ظننا لمن الكاذبين ثم افيضوا امر من حيث افاض الناس اى من
عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك منقصة عليهم
فامروا بان يساووهم ويقفوا معهم لتفاوت ما بين الافاضتين كما فى قوله احسن الى الناس تستحبب الى قلوبهم
وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وفيه الناس بالكسر اى الناسى ربه
آدم من قوله تعالى فنسى والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من
جاهليتكم وتغيير المناسك ونحوه ان الله غفور رحيم لمن استغفره ومنعم عليه فاذا قضيتم
مناسككم فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم عنها فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا ذكره وابلغوا
فيه كما تفعلون بذكر اباءكم فى المفاخر وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم ووقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون
مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا امر مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله
ذكرا كذكركم اباءكم او كذكرا شد منه وابلغ او على انا اضيف اليه على ضعف بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا او امتا
منصوب بالعطف على آباءكم وذكرا من حيث المذكور بمعنى كذكركم اشد ذكورا من اباءكم او منجر محل عليه المعنى
تقديره او كونوا اشد ذكرا الله منكم لاباءكم فمن الناس من يقول تفضيل الذاكرين الى مقل لا طلب لذكر الله الا الدنيا
وما كذا يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار والارشاد اليه ربنا اتنا فى الدنيا اعطنا ما نتمناه فى
الدنيا وما له فى الاخرة من خلاق اى نصيب خير لان همه مقصور بالدنيا او من طلب خلاق ومنهم من
يقول ربنا اتنا فى الدنيا حسنة يعنى الصحة والكفاف وتوفيق الخير وفى الاخرة حسنة يعنى
الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وقول على رضى الله عنه الحسنة فى الدنيا العلم والعبادة وفى الاخرة
الجنة وفى الاخرة الحوراء وعذاب النار امراة السوء وقول الحسن الحسنة فى الدنيا العلم والعبادة وفى الاخرة

الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المودية الى النار امثلة للمراد بها اولئك اشارة
الى الفريق الثاني وقيل اليهما لهم نصيب مما كسبوا اى من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله تعالى مما خطيئاتهم
اغرقوا او مما دعوا به تعظيما منه ما فانه اسرع شيء في الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد
على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات
واكتساب الحسنات واذكروا الله في ايام معدودات كبر في ادبار الصلوات وعند رمي الجمار وغيرها في ايام التشريق فمن تعجل
في يومين يوم النفر والذي بعده اى فمن تعجل فنفر في ثاني
ايام التشريق بعد رمي الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عندهما فلا اثم عليه باسقاط حجه ومن تاخر فلا اثم عليه
فمن تاخر في النفر حتى رمى اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة لم يجز تقديم رميه على الزوال ومعنى
نفي الاثم بالتعجيل والتاخير التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتاخر
لمن اتقى اى الذي ذكر من التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى
لا يضره بارتكاب ما يحبط حجه واتقوا الله في جامع امركم لعلكم اذا علمتم انكم اليه تحشرون فتجزون بالجزاء بعد الاحياء
واصل الحشر الجمع وضم المتفرق ومن الناس من يعجبك قوله يروقك ويظهر في نفسك والتعجب حيرة تعرض للانسان
لجهله بسبب المتعجب منه في المخلوقات الدنيا متعلق بالقول اى ما يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش او في معنى الدنيا فانها
مراده مراد عاء المحبة واظهار الايمان او يعجبك اى يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الاخرة لما تعتريه من
الدهشة والحبسة او لانه لا يوثق له في الكلام ويشهد الله على ما في قلبه يحلف ويستشهد الله على ما في قلبه موافق كلامه
وهو الد الخصام شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب معنى شدة الخصومة
خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وادعى الاسلام وقيل في
المنافقين كلهم واذا تولى ادبر او انصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث
والنسل كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او
بالظلم حتى يمنع الله بشومه المطر فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد لا يرضى به فاحذروا غضبه عليه واذا قيل له
اتق الله اخذته العزة بالاثم حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي نهي عنه بالتكبر فجاجا من قولك احذيته بلدا اذا ألجأته
عليه والزمته اياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا وجهنم تعليل لدلالة العقاب وهي في الاصل مراد في النار وقيل معرب و
لبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما وطأ للجنب ومن الناس من يشري نفسه
يبيعها في الجهاد او يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه وقيل انها نزلت في صهيب بن سنان
الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فخذوني وما انا
عليه وخذوا مالي فاخذوا منه ولحق بالمدينة والله رؤوف بالعباد حيث ارشد الى مثل هذا الشراء وكافهم
بالجنة فرضهم لثواب الغزاة والشهداء يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة السلم بالكسر والفتح الاستسلام

والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والاسلام فيخص ان كثر ونافع والكسائي وكسره الباقون وكافة
اسم للجملة لانها تكلف الاجزاء من التفرق حال من الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب قال + السلم تاخذ منها
ما رضيت به + والحرب تكفيك من انفاسها جرع + والمعنى استسلموا لله واطيعوا جملة ظاهرا وباطنا و
للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره والخطاب للموجودين من اهل الكتاب فانهم بعد
اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها او في شرائع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا ونهوا
لاهل الكتاب او في شعب الاسلام واحكامها فلا تخلوا بشيء والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات
الشيطان بالتفرق والتفريق انه لكم عدو مبين + ظاهر العداوة فان زللتم عن الدخول في السلم من
بعد ما جاءتكم البينات الايات والحج الشاهدة على انه الحق فاعلموا ان الله عزيز لا يعجزه الانتقام حكيم
لا ينتقم الا بحق هل ينظرون استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده الا ان يأتيهم الله اي يأتيهم امره او بأسه
كقوله تعالى او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا او يأتيهم الله ببأسه فحذف المأتي به للدلالة عليه بقوله ان الله عزيز
حكيم في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما اظلك وقرئ ظلال كقلال من الغمام السحاب الابيض وانما
يأتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان اقطع لان الشر اذا جاء من حيث لا
يحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير والملئكة فانهم الوسائط في اتيان امره او الاتون على
الحقيقة بأسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وضم الماضي
موضع المستقبل لدلالته وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله ترجع الامور قرأه ابن
كثير ونافع وابو عمرو وعاصم على انه من الرجع وقرأ الباقون على البناء للفاعل بالتانيث غير يعقوب على
انه من الوجوع وقرئ بالتذكير وبناء المفعول سل بني اسرائيل امر للرسول او لكل احد والمراد بهذا السؤال
تقريعهم كم اتيناهم من اية بينة معجزة ظاهرة او اية في الكتب شاهدة على الحق والصواب على ايدي الانبياء وكم
خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر واية مميزها
ومن للتفصيل ومن يبدل نعمة الله اي اية الله فان سبب الهدى الذي هو اجل النعم لجعلها اسبب الضلال له وايراد
الرسم او تحريف التاويل الزائغ من بعد ما جاءته من بعد ما وصلت اليه تمكن من معرفتها وفيه تهديد لهم بان لهم ما عاقبوا به ما عطلوها
ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل فان الله شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة
زين للذين كفروا الحيوة الدنيا حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا
عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله تعالى اما من شيء الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة زين على
البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلق الله فيها من الاموال البهية و
الاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين امنوا يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب
ليسترذلونهم ايريهم انهم يستحقرون بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كانهم جعلوا مبدأ

السخرية منهم والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة كما نهم في عليين وهم في اسفل السافلين ولانهم في كرامة
وهم في مذلة اولانهم يظاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد
قوله من الذين امنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاهم للتقوى والله يرزق من يشاء في الدارين بغير
حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة منفقين على
الحق فيما بين آدم وادريس او نوح او بعد الطوفان ومتفقين على الجهالة والكفر في فترة ادريس او نوح فبعث
الله النبيين مبشرين ومنذرين اى اختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن ابن عباس
علمته من عدة الانبياء مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور في القران بأسم
العلم ثمانية وعشرون وانزل معهم الكتاب بريد به الجنس ولا يريد انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان الكتب لم
لم يكن كتابا يخصهم وانما كانوا ياخذون بكتب من قبلهم بالحق حال من الكتاب اى متلبسا بالحق شاهدا له ليحكم بين الناس
اى الله او النبي المبعوث او كتابه فيما اختلفوا فيه اى في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه
او الكتاب الا الذين اوتوه اى الكتاب المنزل لازالة الخلاف فيه عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مرجعا للاختلاف سببا
لاستحكامه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما حرصهم على الدنيا فهدى الله الذين امنوا لما
اختلفوا فيه اى للحق الذي اختلف فيه من اختلف من الحزبين بيان لما اختلفوا فيه باذنه باعلامه او بارادته ولطفه و
الله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم لا يضل سائلكه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة خاطب النبي والمؤمنين بعد
ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجئ الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفيهم وامر منقطعة ومعنى الهمزة فيها
ولما ياتكم وليأتكم واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها نوع توقع ولذلك حسن مقابلة متل الذين خلوا من قبلكم حالهم التي هي
مثل في الشدة مستهم البأساء والضراء بيان لما قبله والبأساء الفقر والضراء السقم وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد حتى
يقول الرسول والذين امنوا معه لتناهي شدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر فرارا نافع يقول بالرفع على
انها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه متى نصر الله استبطاء له لتاخره الا ان نصر الله قريب استيناء على اراد الرسول
فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الحالبنهم من عاجل النصر فيه اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى
واللذات ومكابدة الشدائد والرياضات كما قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسئلونك
ماذا ينفقون عن ابن عباس ان عمرو بن الجموح الانصاري كان ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق
من اموالنا واين نضعها فنزلت قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتمى والمساكين وابن السبيل
سئل عن المنفق فجيب ببيان المصرف لانهم اهم فان اعتداد النفقة باعتبارهم ولانه كان في سؤال عمرو وان
لم يكن مذكورا في الآية واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله ما انفقتم من خير وما تفعلوا من خير في
ما معنى الشرطي فان الله به عليم جوابه اى ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه وليس في
الآية ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ به كتب عليكم القتال وهو كره لكم شاق عليكم كره طبعا وهو مصدر نعت به

للمبالغة او فعل بمعنى مفعول كالخبر وقرئ بالفتح على انه لغة فيه كالضعف والضعف وبمعنى الاكراه على الجاز
كانهم اكرهوا عليه لشدته وعظم مفسدته كقوله جملته امر كرها وضعته كرها وعسى ان تكرهوا شيئا وهو
خير لكم وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو شاق صلاحهم وسبب فلاحهم وعسى ان يحبوا شيئا وهو
شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا زاولت
شيئا تألفته وان كان شاقا او تركت شيئا تركته وان كان صالحا والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل على ان الاحكام تتبع المصالح الزائدة
وان لم يعرف عينها يستفتونك عن الشهر الحرام روي انه عليه السلام بعث عبد الله بن جحش في عشرين رجلا
الاخرة قبل بدر بشهر ليترصد عير القرشيين فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف كان ذلك غرة رجب وهم يظنونه جمادى الاخرة فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام بأمر فيه الخائف ويمد جرهم الناس الى سعايتهم وشق على اصحاب السرية وقالوا اما ينزع
حتى ينزل توبتنا ورد رسول الله العير واسراءه وعن ابن عباس ما نزلت احد لرسول الله صلى الله عليه وسلم
الغنيمة وهو اول غنيمة في الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه وذلك تشنيعا وتعييرا وقيل اصحاب السرية
قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر قرئ عن قتال بكسر العين على لغة من قال قلت فيه كيرا اي ذنب كبير والاكثر على انه
بقوله في قتله الشهر كبير وحد تموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف الاولى منع دلالة الاية على
حرمة القتال في الشهر الحرام مطلقا فان قتالا فيه نكرة في حيز مثبت فلا تعم وصد عن سبيل الله اي
الاسلام او ما يوصل العبد الى الله من الطاعات وكفر به اي بالله والمسجد الحرام عطف على سبيل الله او
قول ابي حنيفة اذا كان اهل مكة كفارا فنحن نقاتلهم ابتداء في الشهر الحرام وفي كل مكان ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله
وكفر به على وصد عاما منه اذ لا يقدم العطف على الوصول على العطف على الصلة ولا على الهاء في به وان
العطف على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار واخراج اهله منه اي اهل المسجد الحرام وهم النبي والمؤمنون
اكبر عند الله مما فعلتم بالسرية خطاء وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من كبائر قريش
وافعل من يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اكبر من القتل اي ما ارتكبوه من اخراج
والشرك اقطع مما ارتكبوا من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم اخبار عن
دوامهم على الكفر لهم وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى
ادخل الجنة لقوله ان استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت بي فلك كذا
على وايمان بأنهم لا يرجعونهم ويقدرون عليه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم قتل
الردة بالموت عليها واحباط الاعمال كما هو مذهب الشافعي والمراد بها الاعمال الناقصة وقرئ
حبطت بالفتح وبنى لغة فيه لتماثل الطاء ان ما يختلوم وفوات ما لا سلام من الفوائد الدنيوية والاخروية ليسقط
الثواب واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة ان الذين امنوا نزلت ايضا في السرية

اموالهم خبر من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم في الدين ومن حقّ
الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح وعيبه وعلى مخالطتهم
الافساد واصلاح اى يعلم من فيها نية عليه ولو شاء الله اعنتكم اى ولو شاء الله اعناتكم لاعنتكم اى كلفكم
ما يشق عليكم من العنت وهو المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب يقدر على الاعنات حكيم يحكم
ما يقتضيه الحكمة ويتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اى ولا تتزوجوهن وقرئ بالضم اى ولا
تزوجوهن من المسلمين وللمشركات نعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله
وقالت النصارى المسيح بن الله الى قوله سبحانه عما يشركون لكنها خصت عنها بقوله والمحصنات من الذين اوتوا
الكتاب روى انه عليه السلام بعث مرثد الغنوى الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان
هوى لها في الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بى فقال نعم ولكن
استأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمره فنزلت ولامة مؤمنة خير من مشركة اى ولامرأة مؤمنة خير
كانت او مملوكة فان الناس عبيد الله واماؤه ولو اعجبتكم لجمالها وشمائلها او لوالمال ولو اعجبتكم ان وهو كثير

ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تزوجوا منهم المؤمنات يعنى يؤمنوا وهى على عمومه ولعبد مؤمن خير
من مشرك ولو اعجبكم لتعليل النهى عن مواصلتهم وترغيب في مواصلة المؤمنين اولئك اشارة الى المذكورين
من المشركين والمشركات يدعون الى النار اى الكفر الموجب للنار فلا يليق مواصلتهم ومصاهرتهم والله اى
اولياؤه يعنى المؤمنين حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه تفخيما لشانهم بل يدعو الى الجنة والمغفرة له
الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فنهم الاحقاء بالمواصلة بإذنه بتوفيق الله وتيسيره او بقضائه وارادته ويبين آياته
للناس لعلهم يتذكرون لكى يتذكروا او ليكونوا على رجى من التذكر لما ركز في العقول من
ميل الخير ومخالفة الهوى ويسئلونك عن المحيض روى ان اهل الجاهلية كانوا لا يساكنوا الحيض ولم يؤاكلوهن
كفعل اليهود والمجوس وشق ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال ابو الدحداح في نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجيء
والمبيت ولعله سبحانه انما ذكر يسئلونك بغير واو وثلثها بها لان السؤالات الاول كانت في اوقات متفرقة
والثلثة الاخيرة كانت في وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع قل هو اذى اى الحيض مستقذر موجب لبعد من
نفرة منه فاعتزلوا النساء في المحيض فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عليه السلام اصنعوا كل شيء الا النكاح وعامة
اذا حضن ولا تأمروهن بأجرائهن مثل البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى
فانهم كانوا اما مواجهتهن ولا يبالون بالحيض واما مجانبتهن رأسا ويدل الحكم عليه بالفاء واشعارا بانه العلة ولا
تقربوهن حتى يطهرن تأكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن لقوله فاذا تطهرن فاتوهن فانه يقتضى
وعاصم في رواية ابن عياش يطهرن اى يغتسلن والتزاما في قوله فاذا تطهرن فاتوهن فانه يقتضى
تأخر جواز الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة رح ان طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل

من حيث امركم الله اى المأتى الذى امر كم به وحلله لكم ان الله يحب التوابين من الذنوب ويحب
المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار كهما معه الحائض والاتيان فى غير المأتى نساؤكم حرث لكم
مواضع حرث لكم شبههن بها لتشبيها لما يلقى فى ارحامهن من البطف بالبذر وفى قوله انى شئتم اى فى
كما كانوا يحارث وهو كالبيان لقوله فأتوهن من حيث امركم الله ان شئتم من اى جهة شئتم روى ان اليهود
كانوا يقولون من جامع امرأته من دبرها فى قبلها كان ولدها احول فنزلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد اتيت وقدموا لانفسكم ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله بالاجتناب عن
معاصيه واعلموا انكم ملاقوه فترقدوا اما نفضحون به وبشر المؤمنين الكاملين فى الايمان بالكرامة والنعيم الدائم
امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان يبشرهم ويبشر من صدقه وامتثل امره منهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم
ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس نزلت فى الصديق رض لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة او فى عبد الله بن
رواحة حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين امرأته والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة لما يقبض
والعرض دون الشئ والمعرض للامر وجه الآية على الاول لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير
فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها كقوله عليه السلام لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا
منها فأت الذى هو خير وكفر عن يمينك وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض
ويجوز ان يكون للتعليل ويتعلق ان بالفعل او بعرضة اى ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى
الثانى لا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف يقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان
تبروا علة النهى اى انهيكم عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله والمجترئ عليه
الله لا يكون برا متقيا ولا موفقا فيه فى اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم عليم بنيتكم لا يؤاخذكم الله
فى ايمانكم اللغو الساقط الذى لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان او تكلم به
جاهلا بمعناه كقول لا والله وبلى والله لجرد التأكيد لقوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم بر والمعنى لا
يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بما واحدتها بما قصدتم من الايمان وواطأت فيها قلوبكم
السنتكم وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يؤاخذكم بما اخطأتم فيه من الايمان ولكن
يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها والله غفور حيث لم يؤاخذ باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين
الجد نصبا للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اى يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلى
ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدى بمن تربص اربعة اشهر مبتدأ ما قبله خبره او فاعل الظرف على
خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع او على حذف الثلثين فى هذا المدة فلا
يطالب فيه ولا طلاق ولذلك قال الشافعى رضى الله عنه لا ايلاء الا فى اكثر من اربعة اشهر فيؤدين
فان فاؤا رجعوا فى اليمين بالجماع ان الله غفور رحيم للمولى اثم حنثه اذا كفر وما تؤخر به الكفارة من ضرار

المرأة ونحوهم بالفيئة التي هي كالتوبة وإن عزموا الطلاق وإن صمموا قصدا فإن الله سميع لطلاقهم عليم
بنياتهم فيه وقال أبو حنيفة الإيلاء أربعة أشهر فما دونها وحكمه أن المولي إن فاء في المدة بالوطء فقد رجع
لو علم أن عجز عن الفيء ولزم الواطئ أن يكفر فإذا بانت بعد هذا بطلقة وعند نا يطالب بعد المدة بحد الإيلاء
فإن فاء عنها طلق عليه الحاكم والطلقات يريد بها المدخول بهن من ذوات الأقراء لما دلت الآيات والأخبار أن حكم غيرهن
خلاف ما ذكر وتربص خبر بمعنى الأمر لتغير العبارة للتأكيد والإشعار بأنه مما يجب أن يسارع إلى امتثاله وكان المخاطب فضلا
يمتثل الأمر فيخبر عنه كقولك في الدعاء رحمك الله بنناه على البناء يزيد فضل تأكيد بأنفسهن تهييج وبعث لهن على التربص أن نفوسهن
النساء طواع الرجال فمن بأن يقمعنها ويحملنها على التربص ثلثة قروء نصب على الظرف والمفعول الثاني يتربصن مضمرا أو
قرء وهو يطلق للحيض لقوله عليه السلام دعي الصلوة أيام أقرائك وللطهر الفاصل بين حيضتين لقول الأعشى موردة
ألا وفي الحي رضة * لما ضاع فيها من قروء نساؤكا * وأصله الانتقال من الطهر إلى الحيض وهو المراد به في الآية لأنه للذي أحق
براءة الرحم لا الحيض كما قالت الحنفية لقوله عليه السلام لفاطمة بنت قيس إذا حضت فدعي الصلوة وقت قرئك والطلاق المشروع لا يكون في
الحيض وأما قوله عليه السلام لابن عمر مروه فليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء طلق قبل أن يمس فتلك العدة التي أمر الله أن
تطلق لها النساء وكان القياس أن يذكر بصيغة القلة التي هي الأقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد
من البناءين مكان الآخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الأقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها ولا يحل لهن أن
يكتمن ما خلق الله في أرحامهن من الولد والحيض استحالة في العدة وإبطالا لحق الرجعة وفيه دليل على أن قولها
مقبول في ذلك إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر ليس المراد منه تقييد النهي بأيمانهن بل التنبيه على أنه مناف للإيمان
وأن المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغي له أن يفعل وبعولتهن أزواج المطلقات أحق بردهن إلى النكاح والرجعة البعض وكرر
إذ كان الطلاق رجعيا للآية التي تتلوها في الضمير أحق من المرجوع إليه ولا استثناء فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه و
البعولة جمع بعل والتاء لتأنيث الجمع كالعمومة والخؤولة أو مصدر من قولك بعل حسن البعولة يبعل بالضم بعالة وأقيم مقام
المضاف المحذوف وفي واحد بعولتهن وأبعل هاهنا بمعنى الفاعل في ذلك أي في زمان التربص إن أرادوا وأصلحوا
بالرجعة لا إضرارا للمرأة وليس المراد منه شرطية قصد الإصلاح للحث بل التخريض عليه والمنع من قصد الضرار
ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف في أي ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة
لا في الجنس ولا للرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضل فيه لأن حقوقهم في أنفسهن وحقوقهن لهم في الأكثر وذلك
الضرار ونحوها أو شرف وفضيلة لأنهم قوام عليهن وحراس لهن ليشاركوهن في غرض الزواج ويخصون بفضيلة الرئاسة
والإنفاق والله عزيز بقدرته على الانتقام ممن خالف الأحكام حكيم يشرعها للحكم ومصالح العباد الطلاق مرتان أي
التطليق الرجعي اثنتان لما روي أنه عليه السلام سئل عن الثالثة فقال عليه السلام أو تسريح بإحسان وقيل معناه
التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفرق وذلك لأن الحنفية الجمع بين الطلقتين في الثلث بدعة

فامساك بمعروف بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدأ وتخييره مطلق عقيب تعليمهم كيفية التطليق ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا اى من الصداق فان رؤى ان جميلة بنت اخت عبد الله بن ابى بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع رأسى ورأسه شئ والله ما اعتب عليه فى دين ولا خلق ولكنى اكره الكفر فى الاسلام فقال اتطيقين فراقه فان رضيت جانب الحياء فرأيته اقبل فى عدة فاذا هو شئ سواد واقصرهم قامة وافبحهم وجها فقالت اختلعت منه بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام او اساند لاخذه والايتاء اليهم لانهم الامرون بهما عند النزاع وقيل انه خطاب مع الازواج وما بعده خطاب الحكام وهو تشويش النظم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اى الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن ان لا يقيما حدود الله بان لا تؤدى الزوجة الواجب من حسن العشرة وتؤدى الزوج من الطاعة فان خفتم ايها الحكام الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به على الزوج فى اخذه افتدت به نفسها واختلعت وعلى المرأة فى اعطائه تلك حدود الله اشارة الى ما حد من الاحكام فلا تعتدوها فلا تتعدوها يا مخالفة ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون تغليب للمخاطبين بالوعيد بالغائبة والتهديد واعلم ان ظاهر الاية يدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا تحته يكاد الزوج اليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله عليه السلام ايما امرأة سألت زوجها طلاقا فى غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة ويأتى ان شاء الله تعالى ما روى انه عليه السلام قال لجميلة اترددين عليه حديقته فقالت نعم فقال عليه السلام للزوج اقبل حديقته وطلقها فقال عليه السلام للزوج فلا تأخذ منها شيئا فانه لا يحل لك وهو محمول على الكراهة ولكن يقتضيه ظاهر النهى انه اذا اخذ بغير لفظ الطلاق فليس بخلع او طلاق فمن جعله فسخا احتج بقوله فان طلقها فان تعقيبه للخلع بذكر الطلقتين يقتضى ان يكون طلقة رابعة ولو كان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا يحل له من بعد من بعد ذلك الطلاق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح كذلك كل منهما كالتزوج ويتعلق بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب ووافق الجمهور على انه لا بد من الاصابة ثم ان امرأة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقنى فبت طلاقى وان عبد الرحمن بن زبير تزوجنى وانما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعى الى رفاعة قالت نعم قال عليه السلام لا حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك فالاية مطلقة فيها مسنة ويحمل غير المسنة بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة فى هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عندنا لانه زواج موقت وجوزه ابو حنيفة مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له فان طلقها الزوج الثانى فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان يرجع كل من المرأة

والزوج الاول الى الاخر بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حد الله تعالى
وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير الظن بالعلم ههنا كتفسيره بذلك في عوالب الامور غير بين ويظن ولا يعلم و
لانه لا يقال على ان يقوم زيد لان ان الناصبة للفعل وهو ينافي العلم وتلك حدود الله اي الاحكام المذكورة
مبينة لقوم يعلمون * يفهمون ويعملون بمقتضى العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي اخر عدتهن والاجل طائفة
لمنتهى لها فيقال لعمر الانسان والذي اليه ينتهي فان كل حي مستكمل مدة العمر فهو قد اتى اجله والبلوغ هو الوصول
الى الشيء وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد والاية تحتمل ان يراد به هذا فامسكوهن بمعروف وسرحوهن بمعروف
فاذا لامساك بعد انقضاء الاجل فالمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل وهو عادة الجاهلية
الصوفية بالاهتمام به ولا تمسكوهن ضرارا ولا تراجعوهن لارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف انقضاء اجل ثم
يراجعها ليطول العدة عليها فهي عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة او الحال بمعنى مضارين لتعتدوا
لتظلموهن بالتطويل او اذاء الاذى واللام منتظمة بالضرار اذ اللام تفيد وتعتدوا فقد ظلم نفسه بتعريضها
للعقاب ولا تتخذوا آيات الله هزوا بالاعراض عنها والتهاون في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجب في امر فلان هزؤا كانه نهى
عن الهزء واراد به الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه عليه السلام ثلث
جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية وبعثة محمد عليه السلام
بالتذكير والقيام بحق شكرها وما انزل عليكم من الكتاب الحكمة القرآن والسنة افرد بهما بالذكر اظهارا لشرفهما يعظكم به بما انزل
عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم تاكيد فيهما يد واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن
عن الشافعي رضي الله عنه دليل على ان الخلاف على افتراق البلوغ فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن الخاطب الاولياء
لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جميلا ان تزوج الزوجها الاول بالاستيناف فيكون دليلا على ان المراة
لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الاول معنى ولا يعارض باستئناف النكاح اليهن لانه بسبب توقف على اذنهن وقيل
الذين يعضلون نساءهم بعد مضي العدة ولا يتركونهن يتزوجن بازواجهن وقيل لانه جواب قوله واذا طلقتم وقيل الاولياء والازواج
قبل الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق ومنه
عضلت الدجاجة اذا نشبت بيضها قلم تخرج اذا اراضوا بينهم اي الخطاب والنساء وهو ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف
بما عرفه الشرع حسنه المروة حال عن الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج
من غير كفو غير صحيح ذلك اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب للجمع على تاويل الفصيل او لكل واحد فان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين
الحاضر والمستقبل دون تعيين المخاطبين والرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة قولها ايها النبي اذا طلقتم للدلالة على ان خطابه امر
امر لامته يوعظ به كل احد ويوعظ به من كان منكم يومن بالله واليوم الاخر لانه المنتفع به وللتشريف كقولك العالم يقتضي ذكر اذلكم
انفع واطهر مما تسلكونه من الاتام والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح وانتم لا تعلمون فتصوبون عليكم والوالدات يرضعن اولادهن امر عبر عنه بالخبر
للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم يرضع الصبي الا من امه او لم توجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار

والوالدات يرضعن اولادهن والمطلقات وغيرهن وقيل يختص بمن اذا كلام فيهن حولين كاملين اكد بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه لمن اراد ان يكمل الرضاعة بيان للمتوجه اليه الحكم اى ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة او متعلق بترضعن ولا يجب عليه الارضاع كالنفقة والامر مرضع له وهو دليل على ان الاب احق من الام بالارضاع حولين لان الاصرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنهما بتراض المولود له اى الذى يولد له يعنى الوالد لان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضى لوجوب الارضاع وهو كون المرضعة عليه رزقهن اى طعامهن وكسوتهن اجرهن واختلف فى استيجار الام فجوزه الشافعى ومنعه ابو حنيفة ما لم يتبين وجه او معتد تكاح بالمعروف حسب ما يراه الحاكم وفى وسعه لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب الحولين والتقييد بالمعروف ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد الا ما يطيقه وذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده قصد للمفعول له وتقريب اى لا يكلف كل منهما الا خر ما ليس فى وسعه ولا يضار بسبب الولد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب تضار بالرفع بلا عن قول لا يكلف واصله على القراءتين تضارر بالكسر على البناء للفاعل والفتح على البناء للمفعول على الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته اى لا تضر الوالدان بالمولود فيفرط فى تعهده ويقصر فيما ينبغى له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف ومع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضاف الولد اليها اخرى استعطافها عليه وتنبيها على انه حقيق بان يشفقا على استصلاحه وان يشفق فلا ينبغى ان يضربها او يضار اسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبى اى مؤن الرضعة من ماله اذا مات او قبل البالغ امر الاب بمؤن من تولد عليه منه واجعل الوارث مثنى وكلا القولين يوافق مذهب الشافعى اذ لا نفقة عنده فيمن له الولاد وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابى ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب ابى حنيفة وقيل عصباته وبه قال ابو يوسف وفى ذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان اراد فصالا عن تراض منهما وتشاور اى فصالا صادرا عن التراضى منهما والتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة استخراج الرأى من شرت العسل اذا استخرجته فلا جناح عليهما فى ذلك وانما اعتبر تراضيهما وتشاورهما لصلاح الطفل وحذر ان عدم احدهما على مضارة به لغرض وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم بان تسترضعوا للمراضع اولادكم يقال استرضعت المرأة الطفل واسترضعتها اياه كقولك نجح الله حاجتى واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه فلا جناح عليكم فيه والخطاب فيه يدل على ان للرجل ان يسترضع لمولوده غير امه اذا سلمتم الى المراضع ما اتيتموهن اياه كقولك اذا فتحتم الصلوة وقرأ ابن كثير ما اتيتم من آتى اذا جاء او اعطى اى ما اتاكم الله واقدركم عليه من اجرة بالمعروف صلة سلمتم اى بالوجه المتعارف المستحسن شرعا ومروءة وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس بشرط التسليم جواز الاسترضاع بل السلوك ما هو الاصلح والاولى للطفل واتقوا الله مبتدأ الحافظة على ما شرع وامر به اطفال والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون بصير وعيد حث وتهديد والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا الى وازواج الذين او والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم الشمس منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اى يستوفون آجالهم وتانيث العشر باعتبار الليالى لانها غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون المذكر فى مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله اربعتهم الا عشرا تم الليلتهم الا يوما وبعل المقتضى لهذين التقديرين المميز فى غالب الامر فيخرج ثلثة اشهر ان كان ذكرا ولا بد ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر

استظهارا وذرعا يضعف حركته في المبادي فلا يحيش بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية فيه كما قال الشافعي والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها لكن القياس اقتضى تخصيص المدة للامة ولا اجماع خص الحامل عنه لقوله ثم واولات الاحمال اجلهن ان بضعن حملهن وعن علي وابن عباس انهما تعتد باقصى الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الامة المسلمون جميعا فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب وسائر ما حرم عليها للعدة بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع ومفهومه الهن لو فعلن ما ينكره فعليهم ان ينكروهن فان قصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فجازاكم عليه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء التعريض والتلويح ايهاما للقصد بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك والكناية تجيء للدلالة على الشيء بذكر لوازمه ومرادفه كقولك الطويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة عن المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المرأة والمراد بالنساء المعتدات اما الوفاة وتعريض خطبتها ان يقول لها انت جميلة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج وبحو ذلك او اكننتم في انفسكم او اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بتصريح ولا تعريض علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن فيه توبيخ وتسلية ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن الى ذكرونهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا او جماعا عبر بالسر عن الوطي لانه ليترتم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن في السر على الفتح بالمواعدة في السر الا بما يستهجن الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف اي لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة او الا مواعدة بقول معروف فقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لانه الى قولا تواعدوهن الا التعريض خوطر موعوق وفيه دليل على حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة وفاة واختلف في معتدة الفرقة البائن والاظهر جوازه ولا تعزموا تحققوا عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد او لا تعزموا عقد النكاح وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح وان اصل العزم القطع حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهي ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تغفلوه واعلموا ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل خشية من الله حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة من مهر وقيل من ونزه لانه لا بد عند نفي الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلى الله عليه وآله ينهى عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفى ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة والكساء مسوهن بضم التاء وحذف الالف في جميع القرآن او تقدروا لهن فريضة الا ان تفرضوا وحذف نفرضوا او تفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيله بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهرا اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى ومهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمى لها فلها نصف المسمى فتطوق الاية بنفي الوجوب ان الصورة الاولى ومفهومها يقتضي الوجوب على الجملة في الاحتمالين ومتعوهن عطف على محذوف تقديره فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقدر بما يفوض الى راي الحاكم ويؤيد قول من قدره بالموسع قدره

وعلى المقتر قدره اى على كل من الذى له سعة والفقير الضيق الحال بما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله عليه
السلام لا نصارى طلق امرأته المفوضة قبل ان يسميها متعها بقلنسوتك وقال ابو حنيفة بى درع وملحفة وخمار على
حسب الحال الا يقل مهرمثلها من ذلك فلها نصف مهر المثل فمفهوم الاية يقتضى تخصيص ايجاب المتعة المفوضة التى
لم يسمها الزوج والحقها الشافعى فى احد قوليه المسمى المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم وفى اجرة
والكسائى وحفص وابن ذكوان بضم الدال متاعا منتصبا بالمعروف بالوجه الذى ينبغى بحسب الشرع والمروءة حقا صفة
لمتاعا او مصدر مؤكد لما حق ذلك حقا على المحسنين الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال والى
المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وفى فريضة واِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ اَنْ تَمَسُّوهُنَّ وقد فرضتم
لهن فريضة لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها اقتضى ما فرضتم اى فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن
وهو دليل على ان الجناح المنفى ثم تتبعه المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها الا ان يعفون المطلقات فلا يأخذن
شيأ والصيغة تحتمل المذكر والتانيث والفرق ان الواو فى الاول ضمير والنون علامة الرفع فى الثانى لام الفعل والنون ضمير
الفعل مبنى ولذلك لم تؤثر فيه ان ههنا ونصب المعطوف عليه او يعفوا الذى بيده عقدة النكاح اى الزوج المالك لعقده
حمله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر فى
نفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية وقيل للولى الذى يلى عقدها حمن فى ذلك اذا كانت المرأة صغيرة وهو ضعيف
فى قول الشافعى وان تعفوا اقرب للتقوى تاييد الوجه الاول فى عفو الزوج على وجه التحمل ظاهر وعلى الوجه الاخر عبارة
عن الزيادة فى الحق وتسميتها عفوا على المشاكلة واما انهم ليسوا من اهل النساء عند الذبح فغير طائل فى المقيس
عليه حتى استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول فاعلم
لها الصداق وقال انا احق بالعفو منه ولا تنسوا الفضل بينكم اى ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ان الله بما تعملون
بصير لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا على الصلوات بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها وفى تضاعيف
احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشانهم عنها والصلوة الوسطى اى الوسطى بينها الفضل منها حصوصا
وهى صلوة العصر لقوله عليه السلام يوم الاحزاب شغلونا عن صلوة الوسطى صلوة العصر ملا الله بيوتهم نارا وقضاها
لكثرة اشتغال الناس فيها واجتماع الملئكة وقيل صلوة الظهر لانها فى وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم فامروا
بالمحافظة عليها لسكونهم واضل العباد احمزها وقيل الصبح لتوسطها بين صلوتى الليل والنهار والوتر فى حال الشك بينهما وقيل
المغرب لانها الوسطى بالعدد وتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهريتين وفى اضعين طرفى الليل وعن عائشة انه عليه السلام كان يقرا
والصلوة الوسطى وصلوة العصر فتكون صلوة من الاربع خصت بالذكر مع العصر لفرادتها بالفضل وقرئ بالنصب
على الاختصاص من المدح وقوموا لله فى الصلوة قانتين خاشعين لله فى القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خائفين وقال
ابن السيب المراد به القنوت فى الصبح فان خفتم من عدو او غيره فرجالا او ركبانا صلوا راكبين وراجلين رجال جمع
راجل ورجل بمعناه كقائم وقيام ويجيء دليل على وجوب الصلوة حال المسايفة واليه ذهب الشافعى وقال ابو حنيفة

لا هيئة حال الشدة والمسابقة مما يمكن الوقوف فإذا أمنتم وزال الخوف فاذكروا الله صلوا صلوة الامن واشكروه على
الامن كما علمكم ذكر امثل ما علمكم من الشرائع وكيفية الصلوة حالتي الخوف والامن او شكروا نزلة وما مصدرية او موصولة
مالم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهن فرفعها بالنصب ابو عمرو
وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية او ليوصوا وصية او كتب الله
وصية او الزم الذين يتوفون وصية وقيل ذلك قوارة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الحول كانه قرأ
الباقون بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون او وحكمهم وصية او والذين يتوفون لهل وصية او كتب
عليهم وصية او عليهم وصية وقرئ متاع بدلها متاعا الى الحول نصب بوصون ان اصمرت والا فبالوصية ومتاع
قرأه من قرأه لانه بمعنى التمتيع غير اخراج يدل منه او مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير مأفول وحال من ازواجهم اعني
مخرجات والمعنى انه تجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحضرهم الموت لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى وكان
ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان متقدما في التلاوة فهو متأخر في النزول اسقطت
النفقة بتوريثها الربع او الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابي حنيفة فان خرجن عن منزل الزوج فلا جناح عليكم فيما
افعلن في انفسهن كالتطيب وترك الحداد من معروف في مما ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة
مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها والله عزيز ينتقم ممن خالف
منهم حكيم راعى مصالحهم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعدما
اوجبها لواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا جرى لتخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل
مطلقة واول غيره بما يعم التمتيع الوجوب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون اللام للعهد والتكرير
للتأكيد او لتكرار الفصلة كذلك اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والوعد تبيين الله لكم آياته وحدانه سبيين لعباده
من الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون تفهمون بها فتستعملون العقل فيما ينفعكم ألم تر تعجيب وتنظير
لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب او ارباب التواريخ وقد يخاطب به من لم ير ولم يسمع فانه صار مثلا في التعجيب الى الذين خرجوا من
ديارهم يريد اهل داوردان قرية قيل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا حاذرين فماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان
مفر من قضاء الله وقد اوقوما من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد فقر احد الموف فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم
وهم الوف اي الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون وقيل ثمانون جمع الف والف كثاعد وقعود والوا والحال حذر
الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا فماتوا لعقوبة اخرى او لكن شاء الله موتهم والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير مدافعة بامر الله ومشيته وقيل بلا
دعاء استجاب الله تعالى لنبيهم او لقومهم حزقيل احد اهل اوردان وقد عرف عظامهم وقيل اشموئيل وقيل شمعون ثم احياهم
اليسع وفيهم ان قوما بأرض فنادوا ما نحن فيه فاماتهم الله ثم احياهم ليكملوا ما بقي من آجالهم وانما خص ذلك العدد
على التوكل والاستسلام للقضاء ان الله لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وفضل آخر على المتقين
ولكن اكثر الناس لا يشكرون فضله اي لا يشكرونه فيما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار وبالموت

سبيل الله لما بين ان الفرار عن الموت غير مخلص وان المقدر لا محالة واقع اعقبهم بالقتال اذ لو جاء احد فيه
سبيل الله والا فالفرار والثبات احلوا ان الله سميع لما يقوله المتخلف السابق عليهم بما يضمر نفوسهم من وراء الجراء
من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء وذا خبره والذي صفته ذا ويدل له واقرضوا الله مثل لتقديم العمل
الذي يطلب به قرضا حسنا اقراضا مفرونا بالاخلاص وطيب النفس ومقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة
والانفاق في سبيل الله فيضاعفه له فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقراءة عاصم بالنصب على جواب
الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في معنى اي فيقرض الله احد وقراءة ابن كثير يضعفه بالرفع والتشديد وابن
عامر فيضعفوه بالنصب اضعافا كثيرة كلا لا تقدر بها الا الله وقيل الواحد لسبعمائة واضعافا جمع ضعيف فنصبه
على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثاني لتضمن المضاعفة معنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر
وجمعه للتنويع والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسبما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليما وسع عليكم
كيلا يبدل حالكم وقرأ نافع والكسائي والبزي وابو بكر بالصاد وسلام والاعراب في قوله تعالى الخلق بسطة واليه ترجعون
فيجزيكم على ما قدمتم الم تر ألم انتهى من الى اسرائيل الملأ جماعة يجتمعون للتشاور او احد كالقوم من التبعيض
من بعد موسى اي من بعد وفاته ومن للابتداء اذ قالوا لنبي لهم وهو شمعون او اشمويل اسمت لنا ملكا نقاتل
في سبيل الله اقم لنا اميرا نتحز معه للقتال يدبر امرنا ونصدر فيه عن رايه وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال او
البتة لنا مقدرين القتال ويقال ان الياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف للكمال قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال
الا تقاتلوا افصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى اتوقع جبنكم من القتال ان كتب عليكم وادخل هل على فعل التوقع لانها
عما هو المتوقع عند الشريف وتشبيها وقرأ نافع عسيتم بكسر السين قالوا ومما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا
وابنائنا اي الى غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه وبحث من الاخراج عن الاوطان والابناء فراد عن الاولاد وذلك
يحالون وهو من العام الذي كانوا سبكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهر الجالوت على بني اسرائيل فاخذ ديارهم وسبوا
اولادهم واسر قتل من ابناء الملوك اربعمائة واربعين فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم ثلثمائة وثلثة عشر بعدد
اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت
علم عبري كالاود وجعله فعلوتا من الطول تسف به منع صرفه قرئ ان نبيهم عليه السلام لما دعا الله ان يملكهم اتى بعصا
ميقاس بها يملك عليهم فلم يسامها الا طالوت قالوا اني يكون له الملك علينا من ايكاد فلك تساهل في الحق بالمال ممنه ولم يؤت
سعة من المال والحال انا احق منه بالملك لوراثته ومكنه وانه فقير لا مال له يعتضد بسواه فان اذا لان كان فقيرا رعيا او سقاء او
دباغا مع اولاد بنيا مين وليكن جهيم النبوة والملك انما كانت النبوة في اولاد لاوا بن يعقوب والملك في اولاد يهوذا وكان فيهم من السبطين خلق كثير قال ان
الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا اعتلاكه للفقر وسقوط
نسبه رد عليهم ذلك وكان العلم اعظم شيء اصطفاه الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وتأييد الملك فيه فوق العلم لتمكن به من معرفة
الامور السياسية وحسن التدبير ليكون اعظم خطرا في القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم بمن يستحق الملك فيهما وكان الرجل القاهر

وقد زيد في البسطة بالعلم والجسم ولا يلزم من الزيادة في الجسم الزيادة في القوة لجواز أن يكون الجسم رخوا
والله يؤتي ملكه من يشاء ويعطي ما يشاء من يشاء ويمنعه من يشاء والواسع الفضل الذي وسع كل شيء فضله وعلمه
والعليم بمن يستحق الملك ويستعد له وقيل واسع الفضل على الفقير عليم بغناه وقيل واسع الفضل على خلقه عليم بمن يليق
بالملك من النسيب وغيره وقال لهم نبيهم ما طلبوا منه حجة على ان ما اصطفى طالوت وملكه عليهم إن آية تملكه أن يأتيكم التابوت فيه
فتكون من التوت فانه لا يزال يسمع اليه باب حج مبرور ليس بفاعول كقنو وسلس وقلق ومن قرأه بالهاء فلعله ابدل كما ابدل في رثاء الثانية كما مر
في الهمز الزيادة فيه صفة وقيل في التوت وكان من خشب الشمشاد موهبا بالذهب يحمل ثلثمائة اذرع وذراع فيه سكينة مقدر بكرم الصبا
للدليل في اتيانه سكون الكبر وطمأنينة او للتأكيد اي رجوع فيما تستكرهون البعد وهو النفور منه وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدم
وتسكن نفوس اسرائيل به هو من وقيل هو توراة كانت فيه من رضاض الالواح وشيء من التوراة وعصا هارون وقفيزا من المن وثياب هارون وخاتمه
تحمل الملائكة وهم ينظرون فاستقر بدار طالوت وسكنوا ونزل النصر وقيل صار التابوت الى محمد عليه السلام وقيل الى صاحب المهدي
عافية من العلم والاخلاص وايثار الآخرة بعد ان لم يكن وبقية مما ترك ال موسى وال هرون رضاض الالواح
وعصا موسى وثيابه وعمامة هرون والهما اتيا بهما او ابقاهما والاول مخم لتغيير شأنهما وابنياء بني اسرائيل لانهم ابناء عمهما تحمله الكابة
قيل رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان يقدم مع انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم الكفار عليه و
كان في ارض جالوت الى ان ردّه الله تعالى عليهم بدعاء شمويل فاتوا به فاصابهم بلاء حتى هلكت خمس مدائن فجعلوا يدا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى
فلما رأوا ذلك رجعوا وقالوا إن كنتم مؤمنين ويحتمل ان يكون من تمام كلام النبي وان يكون ابتداء خطاب من الله تعالى فلما فصل
طالوت بالجنود خرج معه عدد اهل بدر من اهل الشام فقال لهم ان الله مبتليكم بنهر فلا تشربوا منه ولكن لا بأس بغرفة يغترف كل واحد بيده
يخرج معه الا الشاب النشيط الفارغ فجعل لا يمر بأحد الا شرب منه الا قليلا منهم وكانوا ثمانين الفا وكان الوقت قيظا فشكوا العطش وسألوا ان يجري الله لهم نهرا فقال
إن الله مبتليكم بنهر فلا تشربوا منه فمن شرب منه فليس مني ولا يطعمه فليس مني الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فشربوا منه وانما قدمت عليه الجملة الثانية العناية بها كما قدم الصابرون
على الخبر في قوله ان الذين امنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة في القليل وترك الكثير وقرأ ابن عامر والكوفيون بضم الغين فشربوا
منه الا قليلا منهم اي فلم يغترفوا منه اذ الاصل في الاستثناء ان يكون بعض ما قبله ولا يتصل الا استثناء او افراط في الشرب
الا قليلا منهم وقوي بالرفع حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وقيل كانوا
الا وقد قيل الفارسي ان من اقتصر على الغرفة تكفه لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عليه عطشه واسوءت شفته ولم يقدر ان يمضه و
هكذا الدنيا لقاصد الآخرة فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه اي القليل الذين لم يخالفوه قالوا اي بعضهم
لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اي
قال المخلص منهم الذين يتيقنون لقاء الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عن عما قريب فيلقون
الله وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير الذين عنه اعتذار الى التخلف وعذر للقليل
وكانهم شاوروا بانه والتهس بينهما كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله
بحكمه وتيسيره وكم لتكثير الخبر لا استفهام ومن صبر فيه او قرب والفئة الفرقة من الناس فاعوت رجالها اذا شققته

او من فاء اذا رجع فوثبها وقتلها وقيل والله مع الصابرين بالنصر والاثابة ولما برزوا لجالوت وجنوده وراى ظهرهم
قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين التجاؤا الى الله بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سالوا اولا افراغ
الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسببين عنه ثم النصر على العدو المترتب عليهما فانزله
فكبسوهم بيضا واصاحبين ليضربوا ايابهم اجابة لدعائهم وقتل داود جالوت قيل كان الشجاع في عسكر طالوت ومعه ستة من بنيه و
كان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله اليهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد كمن في الطريق ثلثة
احجار وقال له انك بها تقتل جالوت فرماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته وآتاه الله الملك اي ملك بني اسرائيل
او الجمع بين النبوة والملك او علم الدروع وصنعتها كما سرد وكلام الدواب والطير وكل ما يحتاج اليه الناس بعضهم
ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين ولولا انه تعالى يدفع شر بعض الناس ببعض وينعم المسلمين على الكافرين وكيف
بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا في الارض او لفسدت الارض بشؤمهم وقرأ نافع هنا وفي الحج دفاع الله تلك اياتُ اللهِ اشارة الى ما قص
من حديث الالوف وقول نبيهم لهم وقتال داود جالوت نتلوها عليك بالحق بالوجه المطابق الذي لا يشك
اهل الكتاب ترى النواتي وانك لمن المرسلين لما اخبر بها من غير تعرف وسماع تلك الرسل اشارة الى الجماعة المذكورة وتعريفها
في السورة او العلوم للرسول وجماعة الرسل والا فكلا نستغرق او فضلنا بعضهم على بعض بان خصصنا بعضهم بفضيلة ليست لغيره منهم من
كلم الله فضيل الله وهو موسى قيل موسى ومحمد عليهما السلام كلموا ليلة المعراج حين كان يناجي ربه وقيل كلموا في الطور ومحمد ليلة المعراج حين كان يناجي ربه وبينما اي بين
يوم بعد ذري كلم الله وكلم الله بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلم فيل كليم الله بمعنى مكالم ورفع بعضهم درجات بان
فصله عنهم بمزيد مرجوح منفعة وشرف ومنبا عنه وهو محمد عليه السلام فانه خص بالدعوة العامة والحجج المكاثرة والمعجزات المستمرة والايات
المتناسقة التي اقلها القرآن الذي هو الى يوم القيامة معجزة بينة بالعلم والعمل الفائقة للحصر والاحاطة بوجوهها التي تضيع شانها كانه العلم المتعين لهذا الوصف المستغني عن التعيين وقيل ابراهيم
خصه بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل ادريس لقوله تعالى ورفعناه مكانا عليا وقيل اولو العزم من الرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات و
ايدناه بروح القدس خصه بالتعيير لان اسباط اليهود والنصارى في تحيره وتظيمهم وجعل معجزاته سببا لفضيلة عظيمة او اصحاب ومعجزات عظيمة لهم
غيره ولو شاء الله هداية الناس جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات الحجج الواضحة لاختلافهم في الدين وتضليل
بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من امن بتوفيق الله ومنهم من كفر بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا اكرر للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد فوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والاية دليل على ان الانبياء متفاوتة
الاقدام وان الحجج تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الجواز بمعنى الله تابعة لمشيته حتما اذ لا
اوشل ايمانا او كفرا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم وما اوجبت عليكم انفاقه من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه فتحصلوا ما تنفقونه او فتندموا من بخلكم العذاب
لا خلة حتى يفيد كم عليه اخلاء كم او يسامحكم به ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تكلموا على شفعاء تشفع لكم او
ما فرضه عليكم واعاد ذكرها تذكيرا مع تقييدها بالتعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو
يعقوب على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد والتاركون للزكوة بهم الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه فصرفوه على

غير وجهه فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا أقول ومن كفرهم كان من لم يجحد وإيذانا بأن ترك الزكوة من صفات الكفار كقوله تعالى ويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة الله لا إله إلا هو مبتدأ وخبر والمعنى أنه المستحق للعبادة لا غير والفاتحة في اندراج بيضة الإخبار مثل في الوجوه أو هي مع ما بعدها من حيث أن كل واحد منهما يصح أن يعلم وبقدر كل واحد منهما يصح أن يعلم ولا يمتنع عن العقول ولا كذلك القيوم القيام الدائم القائم بتدبير الخلق وحفظه وهو أبلغ من قيام لأنه مرادف احتفظ له لا تأخذه سنة ولا نوم السنة فتور يقدم النوم في الرأس ثم في العين ومنه قول الراجز وسنان أصمه الصدى ونعسة فعلة منه وليس بناؤه بناء فعلة ولا نوم حال يعرض للحيوان من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبة الأبخرة المتصاعدة من المعدة فتغشى الحواس الظاهرة عن الإحساس رأسا وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ما مر في الوجود وجعله نفي التشبيه وتأكيدا لكونه حيا قيوما فإن من أخذه نعاس أو نوم كان عاجزا وفي الحيوم قصر في الحفظ والتدابير والمالك الخلق طرا والمتصرف فيهم كيف شاء والجمل التي بعد له ما في السموات وما في الأرض تقرير لقيوميته واحتجاج على تفرده في الإلهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما دلالة على خلقهما وأحكامهما مستتبعا فيهما فيدخل فيه ما يتبع من قولد السموات والأرض وما بينهن من الذي يشفع عنده إلا بإذنه استيلاء سيد الكبرياء استفهام وإنكار أنه لا أحد يستولي أو يدانيه فكيف يشفع إلا بإذنه فهو يأذن شفاعة واستكانة فضلا عن إباء وتوعد عناد ومتابعة تعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وما قبلهم وما بعدهم أو بالعكس لأن المستقبل مستدبر الماضي أو أمر الدنيا وأمر الآخرة أو عكسه أو ما يحسونه وما يعقلونه أو ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والأرض لأن فيهم العقلاء أو لما عليه من ذوات الملائكة والأنبياء ولا يحيطون لا يعلمون ولا يقفون من علومه إلا بما شاء أن يعلموا وعطف على ما قبله لأن مجموع ما يدل على تفرده بالعلم الذاتي القاطع الدال على حدانيته وسع كرسيه السموات والأرض تصوير لعظمته وتمثيل لجلاله كقولهم ما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسي في الحقيقة ولا قعود ولا قاعد بل كل ذلك تمثيل مجازا عن علمه وملكه ما خوذ من كرسي العالم والملك قيل جسم بين يدي العرش ولذلك سمي كرسيا محيط بالسموات السبع لقوله عليه السلام ما السموات السبع والأرضون السبع مع الكرسي إلا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة وعلم الفعال المشتق من فعل يفعل بفتح العين في الماضي وضمها في المضارع وهي الأصل عند سيبويه لأنه قياس المصدر والكرس هو اللبد ولا يؤوده ولا يثقله ما حفظ فيه لا يؤوده وهو أعني حفظهما أي حفظ السموات والأرض فحذف الفاعل وأضاف المصدر إلى المفعول وهو العلي المتعالي عن الأنداد والأشباه العظيم المستحق لأن يعظم بالإضافة اليه كل ما سواه وفيه دليل على أن الاسم هو المسمى لأن العلو والعظمة لا يليقان إلا بالذات لا بالاسم الإلهية في نهاد الزعم على أنه تعالى موجود واحد في الأزل منصف بالحي والعلم والقدرة لأنه موجد لغيره إذ هو الخالق بنفسه العليم لغيره من ذاته عن التحيز والحلول وتراءى الغير والفتور لا يناسبان الحي ولا يغيره ما يغيري الأرواح ما لك الملك والملكوت ومدبر الجبروت والفرق بين ذي البطش الشديد الذي لا يشفع عنده إلا من أذن له كما جاء وخيرهما وجزيهما وسع ملكه والتدبير بحيث لا يصح أن يستقل به أحد ولا يستعين عليه بوزير ولا يستغل بشأن عن شأن ولا يتكاءد شيء منهما ولا يعجزه مع عظمه ولا يحيط به فهم ولذلك قال عليه السلام إن أعظم آية في القرآن آية الكرسي من قرأها بعث الله ملكا يكتب حسناتها ويمحو عن سيئاتها إلى الغد من تلك الساعة وقال من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد فرضها إذ الحفاظ غير مضيعة اسمه الله على نفسه وجاره جاءه والأبيات حول لا إكراه في الدين إذ الإكراه في الحقيقة إلزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمل عليه ولكن قد تبين الرشد من الغي

القطر والمعنى انفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال وان كانت متفاوتة باعتبار ما ينضم اليها من الرياء
يجوز ان يكون التمثيل لحال عند الله بالجنة على الرفع ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائلتين عن قريب
والطل والله بما تعملون بصير تحذير عن الرياء وترغيب في الاخلاص اليوم احدكم ان تكون
فيه للابكار ان يكون له جنة من نخيل وعنب تجري من تحتها الانهار فيها من كل الثمرات جعل الجنة
منبع كل ما فيها من سائر الاشجار لتميزها بما اشتهرت به من كبر الشان الفائق والعالي الشجرة
على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد بالثمرات المنافع واصابه الكبر في كبر السن فان الفاقة والعالة
اصعب والاول ادل والعطف عطف على المعنى فكانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر ولذرية ضعفاء
صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت عطف على اصابه او تكون باعتبار المعنى والاعصار
ريح عاصفة تشتد كس من الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى مثل حال من يفعل الافعال الحسنة وينضم اليها ما
يحبطها كرياء او ايذاء في الحسرة والاسف اذا كان في اهم الاشياء واشدها حاجة اليها وجدها محبطة بحال من هذا شانه
واشبههم بمن حاله بيده في عالم الملكوت وفي بقائه الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبه الى عالم الزور ولقلب
الرماد سوى الحرق وجعل سعيه هباء منثورا كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون اي تتفكرون فيها فتعتبرون بها
يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلال او جياد وما اخرجنا لكم من الارض له ومن طيبات ما اخرجنا من الحبوب
والثمار والمعادن فحذف لدلالة المضاف المذكور عليه ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا الرديء منه او من المال وما اخرجنا خصه
بالذكر لان التفاوت فيه اكثر وقرئ ولا تأمموا ولا تيمموا انضم التاء مشتقون حال مقدرة من فاعل تيمموا وبجوز ان يتعلق بيم
منه بكون الصفة الخبيث الجزء حال منه ولستم باخذيه وحالكم انكم لا تأخذونه في حقوقكم الا اذا تسامحوا فيه
الا بان تغمضوا فيه وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بشر التمر فنهوا عنه واخبروا ان الله غني عن نفاقكم وانما امركم به لانفاعكم
وانا بنه الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق والوعد في الاصل شائع في الخير والشر وقرئ الفقر بالضم والسكون بمعنيين
وفحشين ويامركم بالفحشاء ويزين لكم على البخل والعرب تسمي البخيل فاحشا وقيل المعاصي والله يعدكم مغفرة
منه او يعدكم بالانفاق مغفرة لذنوبكم وفضلا خلفا افضل مما انفقتم في الدنيا او في الاخرة والله واسع الفضل
لمن انفق رحيم بانفاقه يؤتي الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل من تشاء مفعول اول الخر للاهتمام بالمفعول الثاني و
من يؤت الحكمة بناءه للمفعول لانه المقصود تورا يعقوب بالكسر اي من يرزقه الله فقد اوتي خيرا كثيرا اي اتجر
كثيرا اذ خير الدارين مما يتذكر وما يتعظ بما قص من الايات او وما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر بما اودع الله في
قلبه من العلوم بالقوة الا اولوا الالباب ذوو العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى مناسبة الحس
وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا وعلانية في حق او باطل او نذرتم من نذر شرطا او غير شرط في طاعة او
معصية فان الله يعلمه فيجازيكم عليه وما للظالمين الذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها او يمنعون الصدقات

ولا يفون بالنذور ومن اكتسابهم من ينصرهم من الله وبينهم من عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وقرأ ابن عامر
حمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرأ ابو عمرو وابو بكر مقالون بكسر النون وسكون العين وروي عنهم بكسر
النون واخفاء حركة العين وهو ايس وان تخفوها وتؤتوها الفقراء اي تعطوها مع الاخفاء فهو خير لكم ولا اخفاء خير لكم هذا
في التطوع وممن عرف بالمال فان ايتاء الفرض افضل الا التهمة عن ابن عباس صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا
وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم قرأ ابن عامر وعاصم ونافع برفع الراء
حفص والله بالياء ويكفر والاخفاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم وروايان عن عيسى وبالنون مرفوعا على الجملة فعلية مبتدأة او
اسمية معطوفة على محل الفاء اي ونحن نكفر قرأ نافع وحمزة والكسائي بجزم ما على محل الفاء وبعده وقرأ الباقون برفعهما وجزم ما
والفعل الصدقات والله بما تعملون خبير ترغيب في الاسرار ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعل الناس هداة بين و
انما عليك ان تنشأ والحث على المحاسن والنهي عن القبائح كاملي الاهداء وانفاق الخير ولكن الله يهدي من يشاء صريح بان
الهداية من الله وبمشيئته وانما يحض بقوم مخصوصين فوم وما تنفقوا من خير من نفقة معروف قل ان انفسكم فهو لا يتسكم لا ينفع به غيركم
فلا تمنوا لها ان تنفقوا الخبيث وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال وكذلك ما تنفقوا من خير فلانفسكم خبر منفقين الا ابتغاء
وجه الله وطلب ثوابه او عطف على ما قبله اي وليس نفقتكم الا لابتغاء وجهه فالكم تنوون بها وتنفقون الخبيث قيل نفي في معنى النهي كما
منفقوا من خير يوف اليكم توفيرا اضعافا مضاعفة وتاكيد للشرط بالشرط انتم لا تظلمون وما تخالف المنفق اشتهاؤه او ما تخالف المنفق استحباب المنفق عليهم الا اجعل المنفق خلفا لتمسك
في ايراد اسم المسلمين كانت اصابها وفرض لها في البعد وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لاموال ينفقون عليهم فنهوا عنه فاخبرهم ان هداهم غير واجب عليهم
الى الهدى وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون ثوابها للفقراء متعلق بمحذوف اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء وصدقاتكم
للفقراء الذين احصروا في سبيل الله احصرهم الجهاد او كسيتطيعون لاشتغالهم بالجهاد في الارض ضربها بالتجارة لذهابهم اكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا
نحو اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم الحافا الحاحا وقرأ
ابن عباس وجماعة بفتح السين لتعففهم من التعفف من اجل تعففهم عن السؤال تعرفهم بسيماهم من الضعف والحال والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد تحسبهم اغنياء
التاس الحافا الحاحا وهو ان يكون له على صاحبه حق فيطيل في تقاضيه ويلح عليه في المسألة وقيل هو ان يسأل وله ما يغنيه وقيل هو ان يسأل وهو محتاج
اللام هي التي تقع في جواب لو كقولك لو جئتني لاكرمتك وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق وصون عليه وهو
الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي بعضها في بعض الاحوال في ابي بكر حين تصدق باربعين الفا بالليل وعشرة بالنهار
عشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في علي له اربعة دراهم فتصدق بواحد بالليل وواحد بالنهار واحد سرا وواحد علانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر الذين ينفقون الفاء للسببية وقيل للعطف على معنى ومعنى الذين يرتعون الربوا لا
الاخذون لما ذكر ان كل اذناب عظم منافع المال وكان الربوا انما في المطعومات وهو زيادة في اجل ان يباع مطعوما بمطعوم ونقد بنقد
اجل او في العوض ان يبيع احدهما بالكثر منه بجنسه وانما كتبوا بالواو على لفظ الصلوة للتفخيم على تفخيم الالف بعدها كتبوها ولهم لا يقومون اذا قاموا الا كما يقوم
الذي يتخبطه الشيطان لا قيام كقيامه للصرع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرعه والخبط ضرب على غير استواء كخبط العشواء من الليل اي
الجنون وهذا ايضا من زعمهم ان الجني يمسه فيخالط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون اي لا يقومون من قبور هم الا كقيام المجنون

آو يقوم المرتخيط فيكون لهم وضم وسقوط كما صرح به كثير من الاصحاب ولكن الاول في بطونهم ما اكل من الربوا فلو اخذ ذلك بيانا بعد قوله الا ما سلف
اي الربوا فلا يجب عليه شيء ذلك لان النهي نظم الربوا والبيع وسائر المعاوضات الباطلة في الوجوب فيتحلوا استحلالا وكان الاصل انما الربوا مثل بين ولكن عكس لبيان الحكم انهم جعلوا الربوا
اصلا وفي سوء البيع والقرض بان من اعطى درهمين بدرهم صحيح درهما ومن اشترى سلعة بمائة ودرهما بدرهم فالمسلم الحاجة اليهما او نوقع
وانما حرم هذا البيع واحل الله البيع وحرم الربوا انكار التسوية بينهم وابطال القياس لمعارضته النص قيل جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من
الله وزجر كالنهي عن الربوا فانتهى فله ما سلف فلا تعد اخذ الثمر لهود لا تبيعوا التمر بالتمر وقد مر في وضع الوضع بالظرفان جعلت من موصولة وبالبناء ان جعلت
شرطية على رأي سيبويه اذا الظرف متعلقا معنى ما فعل وامره الى الله بجازاته على الانتهاء ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل حكمه في شانه ولا اعتراض لكم
عليه ومن عاد الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانهم كفروا بتحريم الله الربوا ايذانا بكونه وبعمل المال المتاتي من فيه
يربي الصدقات يضعفها بما يسلب بركته او يمحقه بالكلية لما روي انه ما خرجت صدقة من مال الا بورك فيه ما بقي احدكم ثمرة فيتصدق بها او يأكلها او يعمل بها
والله لا يحب كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك في ركابه ان الذين امنوا بالله ورسوله وبما جاء هم منه
وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة عطفها على ما يعمها كالايمان اذ افضل الاعمال الصالحة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من ان يعاقبهم على ما سلف
على ما ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم فان الايمان يحمل على ذلك او بالقرائن فان لم يكن فبالاقرار
ما امرتم به من ترك المكاس لقيل على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فابوا فنزلت فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا بها
اذنه الشيء اذا علم به وقرئ بالمد اي فكونوا على اهبة من امره وايذان غيركم لان علمه اذن له وهو استماع فانه من طرق العلم وشكر بحرب لتفظيم ذلك يقتضي
يقال لمن ربح بعد ما سنح حتى اتى امر الله كابا وافتضحه كفره وفي نهاية ابن الاثير فان تبتم من اكل الربوا ورسوله وان تبتم من اكله الربوا واعتقاد حله فلكم رؤوس
اموالكم لا تظلمون باخذ الزيادة عليها ولا تظلمون بالمطل والنقصان وقرئ بضم التاء ان ليتوبوا فليس لهم رأس مال وهو سابق على ما قبلنا اذ المعنى على
مرتد وماله في وان كان ذو عسرة وان وقع غريم ذو عسرة وقرئ اعسرة له وان كان العسر ذا عسرة تنظروا فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن
نظرة مبني لما ظرف قرئ فنظرة على الخبر اي فالمستحق نظرة بمعنى منظرة او صاحبة نظرة على طرح الزيد وعلى الامر له فسامحه بالنظر الى ميسرة يسار وقرأ
نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان كشغل وشغل وقرئ بهما مضافا الى ضمير المديون وان تصدقوا بالاسقاط على المعسر خير لكم ان كنتم تعلمون ان الصدقة
وقراءة عاصم بتخفيف الصاد خيرا لكم اكثر ثوابا مما ان لا نظرا او خيرا لكم مما تاخذون لما عرفتم ثوابه وانما قيل الركوة بالتصدق لانه لا يحل لمن يحل له
فمن حمزة الاكمال ليحل يوم مصدر ان كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم لا تملكون فيه شيئا ولا ينفعكم
اليه قرأ ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت من خير وشر لا يظلمون بنقص ثواب او تضعيف عقاب روي عن ابن عباس
انها آخر آية نزلت به فعاش بعدها احدا وعشرين يوما او سبعة اياما او ثلاثة ساعات
يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم تعاملتم بدين اذا داين بعضكم بعضا فقولوا ايضا اذا عاملتم نسيئة معطيا او آخذا فاكتبوه فانه اذكر للدين واكتب لكم من ان يدعي بعد الاداء او يجحد
يعلم شهوده الى الموجل والمال وانثى لها على الكتبة ويكون مرجع ضمير لكم لكونه اجل مسمى معلوما بالايام او الاهلة شهرة بالحساب او بالحساب وقد روي ان الحاكم كتبوه لانه اوثق واقطع
للنزاع والجمهور على انه ندب وعن ابن عباس المراد به السلم وقال الماحرم الله الربوا باحل السلف ثم اكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية لا يزيد ولا
ينقص وهو في الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع ولا يأبى كاتب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علم من كتبة الوثائق ولا يأب ان ينفع الناس بكتابته فليكتب ولا يمتنع لعلمه بما فيه من فضل الله عليه بتعليمه ما لم يعلم وليملل الذي عليه الحق املاله لانه المشهود عليه بالاقرار في ذمته وليتق الله ربه في املائه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل كالمبذر او ضعيفا عاجزا عن الاملاء لصغر او بله او عي او خرس او جهل باللغة او ابكما او غائبا او مريضا لا يقدر على الحضور او الاملاء او كان شيخا او امرأة لا يليقان بمجلس الاملاء او كان مستوفزا لحاجة مهمة او خجولا او مستحييا من الاملاء لشرف او كان الحق لصغير او سفيه او غائب او ميت او كان الشاهد صبيا او امرأة او اعمى او كان الحق مجهولا او مقدار مشهود عليه كثيرا او حسابا او كان الشاهد يريد السفر او الحاجة فعلى كل واحد من هؤلاء ان يملل وليه او وكيله او من يعرف الحال من امين او غيره لان الحق يلحقه ضرر بالتاخير او الضياع او الجحود او الحلف او الاستبدال او غير ذلك
فليملل وليه بالعدل لان الولي هو الذي يلي امره بالشفقة والعدل واستشهدوا على ذلك بقوله تعالى وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب
واستشهدوا من رجالكم من احراركم المسلمين البالغين العدول واستشهدوا شهيدين وقرئ شهيدان على ان الشهيد بمعنى الشاهد او جمع شهيد كشريف واشراف
فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان فليشهد رجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء لعدالتهن وضبطهن للشهادة وانما اقيمت امرأتان مقام رجل لنقصان عقلهن
وقلة ضبطهن للشهادة وعدم اهتمامهن بها ولذلك قال ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ان نسيت الشهادة او ضلت عن سنن الشهادة او اخطأت فيها
ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاقامة الشهادة او لتحملها او اذا ما دعوا قبل الاداء او بعده ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم اقسط
اعدل عند الله واثبت للشهادة وادنى الا ترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها وقرئ تجارة بالنصب على كان التامة
واشهدوا اذا تبايعتم بدينا او عينا نسيئة او نقدا صغيرا او كبيرا ولا يضار كاتب وشهيد بان يدعى احدهما وهو على عذر او يعنف في ادائه او يحرف او يزيد او ينقص
او يكتم او يكتب ما لم يملل عليه او يشهد على ما لم يشاهد او يمتنع من الشهادة او الكتابة بعد ما دعي اليها وان تفعلوا ما نهيتم عنه من الضرار فانه فسوق بكم
ثابت بكم لازم لكم لا تنفكون عنه او فسوق ملتبس بكم واتقوا الله في امر الكتابة والشهادة ويعلمكم ما فيه صلاحكم في امر دينكم ودنياكم والله بكل شيء عليم
وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا يكتب لكم فرهن مقبوضة مستوثقا بها للدين بدل الكتاب والاشهاد وقرئ رهن كسقف ورهن كسقف ورهن كسبب
فان امن بعضكم بعضا فلم يرتهن الذي ائتمن الذي اؤتمن امانته ولم يطلب منه وثيقة وليؤد الذي اؤتمن امانته ما عليه من الحق بان لا يجحد ولا يمطل
وليتق الله ربه في ايجاب الامانة وترك الارتهان ولا تكتموا الشهادة ايها الشهداء او الحكام او الشهود او الكاتب او المتداينان او الولي او الوكيل
ومن يكتمها فانه آثم قلبه خبر ان او فاعل آثم على لغة من يقول اكلوني البراغيث او بدل من قلبه على الاسناد المجازي او منصوب على التفسير
والله بما تعملون عليم من الاخفاء والاظهار وفيه وعيد للكاتم والشاهد اذا امتنع وتهديد للمتداينين اذا لم يتوثقا
لله ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا وتصرفا فلا يحل الا ما احله ولا يحرم الا ما حرمه ولا يشرع الا ما شرعه وان تبدوا ما في انفسكم من السوء والعزم عليه
او تخفوه بالاقدام عليه او بالاخفاء يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ان يتوب ويعذب من يشاء ان يصر ويموت والله على كل شيء قدير من المغفرة والتعذيب
آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله في الايمان به والنصرة له كما فرقت اليهود والنصارى
وقالوا سمعنا اجبنا طاعتك ربنا غفرانك اي نطلب غفرانك او اغفر غفرانك ربنا واليك المصير المرجع بعد الموت فنجازى على اعمالنا
لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا طاقتها وهو ما يسع الفعل ولا يضيق عنه ولا يعجز عن النهوض به لها ما كسبت من الخير وعليها ما اكتسبت من الشر
لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ان تركنا ما امرتنا به او فعلنا ما نهيتنا عنه سهوا او خطأ او ان فعلنا ما يشبه الامر والنهي صورة وان لم يكن امرا ولا نهيا
ربنا ولا تحمل علينا اصرا عبئا ثقيلا يأصر صاحبه اي يحبسه مكانه لعجزه عن الحركة كالتكاليف الشاقة التي كلفت بها الامم السالفة
ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء والمحن او من العقوبات الدنيوية كالمسخ والخسف والقمل والطاعون او من التكاليف التي لا تسهل الا على المخلصين
واعف عنا اسقط عقاب ذنوبنا واغفر لنا استر ذنوبنا وارحمنا تعطف علينا بما يحصل لنا الامن من العقاب والفوز بالثواب انت مولانا فانصرنا
على من يجحد الحق ويعاندنا بالحجة والسيف وقد استجاب الله لهم ذلك كله فنصرهم على الكافرين وقهرهم وقتل منهم وسبى وغنم وقرئ بالهمز وتركه

سورة آل عمران مدنية وآيها مائتان

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم في المشهور وكان حقها أن يخفف عليها لكثرة دورها على ألسنتهم فيقال الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم استطلت للتخفيف كالدرج فإن الميم في حكم الوقف كقولهم واحد اثنان لالتقاء الساكنين فإنه غير مختص بالوقف لذلك لتحريك في لغة وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ أبو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الأصل الحي القيوم هما اسمان عليه السلام فإن اسم الله الأعظم في ثلث سور في البقرة الله لا إله إلا هو الحي القيوم وفي آل عمران الله لا إله إلا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب القرآن بجوما بالحق بالعدل أو بالصدق في أخباره أو بالحجج المحققة أنه من عند الله وهو في موضع الحال أي محدقا بما بين يديه من الكتب وأنزل التوراة والإنجيل جملة على موسى وعيسى واشتقاقهما من الوبل والأكل وزنهما تفعلة وافعيل تعسفا لأنهما أعجميان ويؤيد ذلك أنه قرئ الإنجيل بفتح الهمزة وهو ليس من أبنية العرب وقرأ أبو عمرو وابن ذكوان والكسائي التوراة بالإمالة كجميع القرآن وحمزة ونافع بين اللفظين الأولون فإنه يقرأ بالفتح كقراءة الباقين من قبل من قبل تنزيل القرآن هدى للناس على العموم من قبلنا أو مسعبدا من شرع من قبلنا وإلا فالمراد به قبل مهما وأنزل الفرقان يريد به جنس الكتب الإلهية فإنها فارقة بين الحق والباطل أو التوراة والقرآن وكرر ذكرهما بعد ذكر الكتب الثلثة لعم ما عداهما فكأنه قال وأنزل سائر ما يفرق به بين الحق والباطل أو التوراة والقرآن وكرر ذكرهما بما هو بغت لمدحا وتعظيما وإظهارا لفضلهما من حيث إنه يشارهما في كونه وحيا منزلا ويتميز بأنه معجز يفرق به بين الحق والمبطل أو المعجزات إن الذين كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد بسبب كفرهم والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جئ به بعد تقرير التوحيد والإشارة إلى ما هو العمدة في إثبات النبوة تعظيما للأمر وزجرا عن الاعتراض عنه إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء أي شيء كما في العالم كليا كان وجزئيا أو عاقلا أو غيره عبر عنه بالسماء والأرض إذ الحصر لا يتجاوزهما وإنما قدم الأرض لقربها من الدنى إلى الأعلى ولأن المفتوح بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء أي من الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال على أنه عالم بأتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم أي صور لنفسه وعبادته لا إله إلا هو أعاد لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز الحكيم إشارة إلى كمال قدرته وتناهي حكمته قيل هذا حجاج على من زعم أن عيسى كان إلها أو ولدا وقد حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت السورة من أولها إلى نيف وثمانين آية تقرر ما احتج به عليهم وأخذ عن شبههم هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب أحكمت عبارتها بأن حفظت من الاحتمال الاشتباه هن أم الكتاب أصله يرد إليها غيرها والقياس أم الآيات فوحد على تأويل كل واحدة أو على أن الكل بمنزلة آية واحدة وأخر خبرهن وأخريات متشابهات محتملات لا يتضح مقصودها لإجمال أو مخالفة ظاهر لا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على التفكر فيها فيفوزوا بالثواب الجزيل وفي تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنبط المراد بحكمها ورد بعضها إلى بعض وبالتأمل الفارق في بعض المواضع معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات فأما الذين في قلوبهم زيغ ميل عن الحق إلى الباطل فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك فيه وابتغاء تأويله طلب أن يؤولوه على ما يشتهونه ويطابق مذاهبهم الزائغة من غير أن يردوه إلى المحكم ويتأملوا حتى يعرفوا مآله وما يحتمله وما أنزل الله تأويله إلا الله وحده فإن لكل متشابه تأويلا استأثر الله بعلمه لا يكاد يطلع عليه أحد كوقت القيامة وخروج الدجال وتأويل الحروف المقطعة في أوائل السور وقيل الراسخون في العلم يعلمون تأويله بما آتاهم من العلم بلغات العرب وأساليب الكلام وقولهم آمنا به كل من عند ربنا استئناف بين به حال الراسخين في العلم وأنهم لا يتبعون المتشابه ولا يتكلفون علمه وإنما وظيفتهم الإيمان بأن كل ما أنزله الله من محكم ومتشابه حق وأن المتشابه لا يخالف المحكم وأن ما لا يعلمه إلا الله لا يعلمه غيره وما يعلمه الله ورسوله يعلمه الراسخون في العلم وما يذكر إلا أولوا الألباب إلا الذين يتدبرون الأمور ويتصفحون وجوهها ويتفكرون في معانيها ويستبطنون حقائقها ويستدلون بالشاهد على الغائب والمعلوم على المجهول ويقيسون الأمور بأشباهها ويعتبرون الثاني بالأول والفرع بالأصل ليتوصلوا بذلك إلى علم ما أشكل عليهم وهم الراسخون في العلم ربنا لا تزغ قلوبنا لا تملها عن الحق بالشك والشبهة بعد إذ هديتنا بالتوفيق للنظر الصحيح وهب لنا من لدنك رحمة تثبتنا بها وتعصمنا من الزيغ إنك أنت الوهاب الذي يهب المواهب كلها بلا غرض ولا عوض ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه لا شك في وقوعه لأجل الجزاء إن الله لا يخلف الميعاد تقرير لما قبله من الوعد والوعيد.

بالحرب ان قاتلنا العلية انا نحن الناس فغزاهم قد صدق الله وعده بقتل بني قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية
على من عداهم وهو من ذيل النبوة وقرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما على ان الامر بان يخبر لهم بما استبرء به من وعيد
وبشر الباء تمام بالياء قال الزجاج واستيناف وتقديره بشر المحاد بجهنم ويدل عليه انها في قراءة ابن مسعود فكان لكم آية الخطاب تهديد
وقيل الخطاب للمؤمنين فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين يرى المشركون المؤمنين مثلي عدد
المشركين وكان يوم بدر اثنا وثلثي عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر فذلك كان بعد القلة فقوى الله عليهم حتى جنوا مثليهم
وتوسم اليهود فلما لقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا مددا من الله للمؤمنين او يرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلثة امثالهم
ليثبتوا ثم يتيقنوا بالنصر الذي وعدهم الله به في قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيد تراءته تأنيث يعقب
بالتاء وقرئ تريهم على البناء للمفعول اي يريهم الله او يركبهم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين او النصب على الاختصاص
والحال من الفاعل او المفعول رأي العين رؤية ظاهرة معاينة والله يؤيد بنصره من يشاء نصره كما ايده يوم بدر ان في ذلك
اي في التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح وكون الواقعة آية ايضا يحتملهما ويحتمل
وقوع الامر على ما اخبر به الرسول لعبرة لاولي الابصار لعظة لذوي البصائر وقيل لمن ابصرهم رأي العين زين للناس حب الشهوات
اي المشتهيات سميت بها شهوات مبالغة وايماء على انهم تمكنوا في محبتها حتى احبوا نفس تلك الاشياء كقولك احببت حب الخير والمزين هو الله تعالى
لانه الخالق للافعال والداعي لعامة المكلفين او الشيطان فان الآية في معرض الذم فرق الجبائي بين المباح والمحرم من النساء
والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث بيان للشهوات والقنطار المال
الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف في انه فعلال او فعال وانه مشتق او غير مشتق منه للتأكيد كقولهم
بدرة سيدة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او الراعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر
والغنم ذلك متاع الحياة الدنيا اشارة الى ما يتمتع به وقد يذكر ويؤنث والله عنده حسن المآب اي المرجع سوق ترغيب على استبدال ما عنده من
اللذات الحسية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية قل أؤنبئكم بخير من ذلكم بل اريد به تقريرهم بان ثواب الله خير من
مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها استيناف لبيان ما هو خير ويجوز
ان تتعلق اللام بخير وترتفع جنات على هو جنات وتؤيده قراءة من جرها بدلا من خير وازواج مطهرة مما يستقذر
من النساء ورضوان من الله قراءة عاصم في رواية ابي بكر وقرئ جميع القرآن بضم الراء ما خلا الحرف الثاني في المائدة وهو قوله
يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ومما يتعلق به الله بصير بالعباد اي باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او بأحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم جنات وقد
يدل الآية على نعت عباده اما متاع الدنيا واعلاها رضوان الله لقوله ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة وتنبيها الذين
يقولون ربنا انا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار صفة للمتقين او للعباد او مدح منصوب او مرفوع وقف ترتيب السؤال على
مجرد الايمان دليل على انه كاف في استحقاق المغفرة او الاستعداد لها الصابرين في الشدائد والصادقين والقانتين والمنفقين
والمستغفرين بالاسحار حصر لمقامات السالك على احسن ترتيب فان معاملته مع الله اما توسل واما طلب والتوسل اما

بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما واما بالبدن وهو اما قوتي وهو الصدقة واما فعلي وهو الصوم
الله هو بلازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق في سبل الخير واما الطلب الاستغفار ان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع
لها وتقديم الوسيط الواو وبينها للدلالة على استقلال كل واحدة منها وبحالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص السحار
لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والقلوب اجمع سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون الى
السحر ثم يستغفرون ويدعون شهد الله انه لا اله الا هو بين وحدانيته بنصب الادلة الدالة عليها وانزل الآيات الناطقة بها
والملائكة بالاقرار واولوا العلم بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد عليه قائما بالقسط
مقيما للعدل في قضيته وحكمه وانتصابه على الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو الا بعد اللبس كقولهم
وهو يتأله اسحق ويعقوب نافلة او عن هو العامل في الجملة اي تفرد قائما او احقه لانها حال وكد او على المدح او الصفة للمنفي
وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة او حالا عن الضمير وفي القائم بالقسط على البدل
من هو او الخبر لحذف لا اله الا هو كرره للتأكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم بعد اقامة الحجة وليبني عليه
قوله العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف بهما وفي العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته وهو بدل من الضمير او
الصفة لقائما على شهد وقد روي في فضل آية ان عليا عليه السلام قال يجاء بصاحب هذه الآية يوم القيامة فيقول الله ان لعبدي هذا عندي عهدا و
انا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وهي دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله ان الدين عند الله الاسلام
جملة مستأنفة مؤكدة للاولى لا دين مرضي عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد والتدين بالشرع الذي جاء به
محمد صلى الله عليه وقرأ الكسائي بالفتح على تبديل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال
ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الفصل على الثاني واعتراض بينهما او اجراء شهد مجرى قال او اخواتها وعلم
اخرى لتضمنه معنى بينا وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة في امر الاسلام
نقل قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه اخرون مطلقا او في التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود
عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا في امر عيسى الا من بعد ما جاءهم العلم بان عبد اعترف
الامر بتمكنوا من العلم بها الا بان بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء فان من تدبر آيات الله وقف
الله سريع الحساب وعيد لمن كفر منهم وان حاجوك في الدين وجادلوك فيه بعد ما قمت الحجج قل اسلمت وجهي لله اخلصت
نفسي وجملتي لا اشرك فيها غيره وهو الدين القيم الذي قامت عليه الحجج ودعا اليه الانبياء والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف
الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس ومن اتبعن عطف على التاء وحسن للفصل او مفعول معه وقل للذين اوتوا الكتاب
والاميين الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب ءاسلمتم كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة امر ان لم يعد على كفرهم وتنظيره قوله
فهل انتم منتهون وفيه تغييرهم بالبلادة او للعناد فان اسلموا فقد اهتدوا انفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال وان
تولوا فانما عليك البلاغ اي فلم يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد وعيد ان الذين
يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم

هم اهل الكتاب الذين في عصره قتلوا اولوهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي والمومنين ولكن الله
عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة وقراهم ويقاتلون الذين وقد تبع سديوما دخال الغاء في خبر ان كما في قول الشاعر
قيل الخبر اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة كقولك زيد فاضل فمنهم رجل صالح والفرق انه لا يفيد معنى الابتداء
بخلافهما وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي التوراة او جنس
الكتب السماوية ومن للتبعيض والبيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم
محمد صلى الله عليه وكتاب الله القرآن او التوراة لما روي انه عليه السلام دخل مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث
بن زيد على اي دين انت فقال على ملة ابراهيم فقالا له ان ابراهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التوراة فانها حكمنا بيننا وبينكم فابيا فنزلت
قيل نزلت في الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون اختلافهم فيما بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة في اصول
الدين ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق و
انما اشعر التخصيص بالصفة بذلك اشارة الى التولي والاعراض بانهم فاتوا الزمستنا النار الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم امر العقاب
على انفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان النار لن تمسهم الا اياما قلائل وان
ابائهم الانبياء يشفعون لهم او ان الله تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم فكيف اذا جمعنا هم
ليوم لا ريب فيه استظهار لما يلحق بهم في الاخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما روي ان اول اية نزلت يوم القيامة
من ايات الكفار اية اليهود فيفضحهم الله على رؤوس الاشهاد ثم يامرهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت وفيه
دليل على ان العبادة لا تحبط وان المومن لا يخلد في النار لان توفية ايمانه وعمله لا تكون في النار ولا حمل دخولها دون
بعد الخلاص منها وهم لا يظلمون الضمير لكل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس قل اللهم اي يا من عوض من ياء ولذلك
لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم لكن خولها عليه مع لام التعريف قطع همزته وتاء القسم وقيل اصله يا الله امنا بخير فخفف
بحذف حرف النداء ومتعلق الفعل وهمزته مما لك الملك تتصرف فيما يمكن التصرف فيه تضرف الملاك وهو نداء ثان عند سيبويه
فان الميم عنده تمنع الوصفية تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعطي منه ما تشاء من تشاء وتشاء فالملك
الاول عام وهو الاخير ان بعضا منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها اخذها من قوم وايتاؤها من تشاء وتذل من
تشاء في الدنيا او في الاخرة او فيهما بالنصر والاظهار والتوفيق وامثاله لان بيدك الخير انك على كل شيء قدير ذكر
الخير دون الشر لانه المقتضي بالذات والشر مقتضى بالعرض اذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا او لما ان الادب في
الخطاب ولان الكلام وقع فيه اذ روي انه عليه السلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذ
يحفرون فظهر في صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء فاخذ المعول من
يده فضربها ضربة صدع ثلثها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها كالمصباح في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال
اضاء لي منها قصور الحيرة كانياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاء لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة
فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم

ويعيدكم الباطل ويخبركم انه بصير من يقرب فضول الحديث وانها نفخر لكراتها انما تخرص من الخندف من الفرق فانزلت وتبه
على ان الشرائع تصديق بقوله انك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل ويخرج الحي من
الميت ويخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت
والحيوة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والفقر واعتياد الملك ونزعه والولوج الداخل
في ضيق وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما على الآخر بالتغييب او الزيادة والنقص واخراج الحي من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات
من مواد هامنها او انشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وقرأ ابن كثير وابن عامر والكسائي
الميت بالتخفيف كما يجئ المؤمنون الكافرين اولياء هو عام في جميعهم نهاهم عن موالاة اوصد الكفار جاهلية وتحريما حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا في
الله او عن استتمامهم في الغزو وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين اشارة الى العلة اجمالا بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن
موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء فليس من الله في شيء من ولايته في شيء يصح ان يسمى ولاية فان موالاة
المتعادين لا يجتمعان قال شعر وقد عدتني ثم زعمت انني * صديقك ليس الود عندك بعاتر الا ان تقواهم تقية اي ان تخافوا
من جهتهم ما يجب اتقاؤه او اتقاء والفعل معدى بمزلته في نحو تحذروا وتخافوا وقرأ يعقوب تقية منع عن موالاتهم ظاهرا و
باطنا وانها وقعت كلها الا وقت الخائف فان اظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عليه السلام وسطوا وامشوا هامنا و
يحذركم الله نفسه والى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهو تهديد عظيم يستشعر منها
المنهي عنه في الفحوى وذكر النفس ليعلم ان الحذر منه عقاب يصدر منه فلا يوبه ودونه ما يحذر من سطوات الكفرة قل ان تخفوا ما في صدوركم
او تبدوه يعلمه الله اي انه يعلم ضمائركم من موالاة الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها ويعلم ما في السموات وما في الارض فيعلم
سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والآية بيان لقوله ويحذركم الله نفسه فكانه قال لا يحذركم نفسه لانها منصفة بعلم ذاتي محيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات سرا
فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب عليها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما
عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم منصوب به تود اي تتمنى كل نفس يومئذ محاسن اعمالها واحضار ما عملته
من الخير والشر حاضرة لوان بينها وبين ذلك اليوم وهو له امدا بعيدا او غير ذلك من الصغير والكبير وخير الله
لما عملت وشر مثل متصل على ما عملت من خير لا يكون ما شرطية لارتفاع تود ووتى ودون على هذا يصح ان تكون شرطية او
لكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانها حكاية كائن واوقع للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرره للتوكيد والتذكير ولان الله رؤف
بالعباد اشار الى ان الله تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ورعاية لصلاحهم او اشار الى مغفرة وذخر عقابه ترجى بعده يعني
عذابه قل ان كنتم تحبون الله فتتولون الجنة ميل القلب الى الشيء لكمال ادراك فيه بحيث يحمله على ان يتحرك اليه والعبد اذا
علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا ليس فيه او غير مستفاد من الله وبالله والى الله لم يكن فيه الا لله وفي الله وذلك
ذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وحيث سئل عن اتباع الرسول فرع عليه قوله
وطلب على مطاوعته يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم جزم الامر لانه يراد به عرض عنكم ولكنه لما كان الحب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم

فيقربكم من جناب عزّ وسيوكلون في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة والله عفو رحيم من يحبّ اليه
بطاعته واتباع نبيه ترجى اجابته لما نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح
حبا لله وقيل في اقوام زعموا على عهده عليه السلام انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا القولهم شاهدا من الفعل قل اطيعوا الله
والرسول فان تولوا يحتمل الخطاب والغيبة فمعنى ان تولوا فان الله لا يحب الكافرين لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل فان تتولوا
لتجيبهم بفصل العموم والدلالة على ان التولي كفر وانه من هذه الحيثية ينفي محبة الله وان محبته مختصة بالمؤمنين ان الله
اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية والذات فوق ما يليق
بقومه عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسول وبين انها الحالية لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم التي رضيها عليها وبه استدل على
فضلهم على الملئكة وآل ابراهيم اسمعيل واسحق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم وآل عمران موسى وهرون ابنا
عمران بن يصهر بن قهث بن لاوي بن يعقوب او عيسى وامه مريم بنت عمران فاما ان يكون ابن ماثان الذي هو بزعمهم بزر بابل بن شالتيل بن يوشيا بن آمون
آمون بن منشى بن حزقيا بن احاز بن يوثام بن عزريا بن يورام بن يهوشافط بن ايشا بن ابيا بن رحبعم بن سليمان بن داود بن ايشا بن عوبد
بن سلمون بن ياعز بن يخشون بن عميناب بن رام بن حضرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب وكان بين العمرانين الف وثمان مائة سنة
ذرية بعضها من بعض حال او بدل من الاولين او منهما ومن نوح اي انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل
بعضها من بعض في الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من الذرء او فعولة من الذر ابدلت الهمزة ياء ثم قلبت الواو ياء واد غمت والله سميع عليم
باقوال الناس واعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل او سميع
بقول امرأة عمران عليم بنيتها اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني فتقبل مني اذ وقيل بدل باضمار اذكر وهذه
حنة بنت فاقوذا جدة عيسى وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من هرون فظن انه المراد وعنته وبرهنه هنالك زكريا
فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع وكان لها منه يحيى وعيسى ابنا خالة من لا يرى انها كانت عاقرا ويجوز انها قبلتا
هي في ظل شجرة اذ رات طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي ان رزقتني ولدا ان اتصدق به
على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا في عهدهم في الغلمان فلعلها بنت على هذا
على التقدير او طلبت ذكرا محررا معتقا لخدمته كما تشاء بشرط او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال فتقبل مني نذري انك انت
السميع العليم لقولي فيني فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى الضمير لما في بطنها وتأنيثه لان كان انثى وجاز انتصاب انثى
حالا منتقلة لان تأنيثها علم لمقدر في الحال او صاحبها بالذات احد او على تأويل مولودة كالنفس والجملة واعتراض للتحسر او تحقير الربها
لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا والله اعلم بما وضعت اي بالشيء الذي وضعته هو استئناف من الله تعالى تعظيما
لموضوعها وتجهيلا لها بشأنه وقرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم وليس الذكر كالانثى بنصب كل على انه من كلام امها تسلية لنفسها اي
لعل لله فيه سرا واولا انثى كانت خيرا وقرئ وضعت على حكاية الله او كليم الله كرمه الانثى بيان لقولها او الله اعلم بكل الذكر الذي
طلبته كالانثى التي وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها معنى وليس الذكر كالانثى سميتها مريم وانى اعيذها بك
وانى سميتها مريم عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض قالت ذلك اذ رجاء تقربا اليه وطلبا لان

يعصمها وتصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على ان الاسم والمسمى
والتسمية امور متغايرة وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ اجيرها بحفظك واصل الرجم
الرمي بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا
من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما
ببركة هذه الاستعاذة فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا فرضي بها في النذر مكان الذكر بِقَبُولٍ حَسَنٍ بوجه حسن يقبل به النذائر وهو اقامتها
مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روي ان حنة لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى
المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت
رؤس بني اسرائيل وملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم
فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اي بذي قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى
استقبل كتقضى وتعجل اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها
وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم في رواية ابن عياش على ان الفاعل هو الله وزكريا مفعول
اي جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفف الباقون ومدوا زكرياء مرفوعا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ اي الغرفة التي بنيت لها
او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها سمي به لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا جواب
كلما وناصبه روي انه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس قَالَ يَا مَرْيَمُ
أَنَّى لَكِ هَذَا من اين لك هذا الرزق الآتي في غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل على جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك
معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها
ينزل عليها من الجنة إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان يكون من
كلامها وان يكون من كلام الله روي ان فاطمة رضي الله عنها اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع
بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق
من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته حتى شبعوا وبقي
الطعام كما هو فاوسع على جيرانها هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ في ذلك المكان او الوقت كما يقال هنا وثم وحيث للزمان لما رأى كرامة مريم
ومنزلتها من الله قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما رأى الفواكه في غير اوانها انتبه على جواز
ولادة العاقر من الشيخ فسأل وقال هب لي من لدنك لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ مجيبه
فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ اي من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادي كان جبريل وحده وقرأ حمزة والكسائي فناداه
بالامالة والتذكير وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ اي قائما في الصلوة ويصلي صفة قائم او خبر او حال آخر او حال عن
الضمير في قائم أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى اي بان الله يبشرك وقرأ نافع وحمزة وابن عامر بالكسر على ارادة القول او لان النداء
نوع منه وقرأ حمزة والكسائي يبشرك ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ اي

العبس سمي بذلك لانه وجد بامره نار ودواب فسئل عن ذلك فقال البعوضة التي هي اعلم الامم بجبال الله سمي كما قيل كلفة الحوايا بقصيدة وسيدا لقومه ويقوم فيهم وكان وقافا للناس كلهم في امرهم بصيرة وحصورا مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روي انه مر في صباه بصبيان وهم يدعون الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشيا منهم وكائنا من عداد من لهو ان كبيرة ولا صغيرة قال رب اني يكون لي غلام استبعادا من حيث العادة او استعظاما وتعجبا او استفهاما عن كيفية حدوثه وقد بلغني الكبر اد ركني كبر السن واثره في وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون واقعرة عاقرا لا تلد من العقر وهو القطع كانها قطعت من الاولاد قال كذلك الله يفعل ما يشاء اي مثل ذلك الفعل العجيب وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر او كما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد او كذلك الله مبتدا وخبر اي الله على مثل هذه الصفة يفعل ما يشاء بيان لما او كذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان لمن قال رب اجعل لي اية علامة اعرف بها الحبل لاستقباله بالبشاشة والشكر وتهيئة مشقة الانتظار قال اياتك الا تكلم الناس ثلثة ايام فان لا تقدر على تكليمهم الناس ثلثا وانما حبس لسانه عن كلامهم خاصة ليخلص للذكر الله وشكره فنشأ حتى النعمة وكانه قال اية تك ان تحبس لسانك الا عن الشكر فاحسن الجواب عن السؤال الا رمزا اشارة بيده او برأسه او بحاجبه ومنه الرموز للحركة والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما يعاد على الضمير وقرئ رمزا كحمر جمع رامز او رمز كسقف جمع رموز على انه حال منه ومن الناس متعلق بكلمه او بمحذوف هو صفة لثلثة ايام حال من فاعل تكلم اي ممتنعا من كلامهم ثلثة ايام بلياليهن وقوله شعر متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا واذكر ربك كثيرا في ايام حبسة وسبحه بكرة وعشيا من الاضداد يقال لكل ما قبل مبدا للفرض من نحو وتقييده لاجل الكثرة بدل على انه لا يعتد التكرار وسبح بالعشي من الزوال الى الغروب وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب الليل والابكار من طلوع الفجر الصبح وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملئكة يا مريم ان الله اصطفاك طهرك واصطفاك على نساء العالمين كلمتموها شفاها كرامة لها وانكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة لزكريا او ارهاصا للنبوة عيسى فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة لقوله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا وقيل الهموها والاصطفاء الاول تقبلها من امها ولم يقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناءها برزق الجنة عن الكسب تطهيرها مما يستقذر من النساء والثاني هداية اياها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير اب وتبرئتها مما قذفت به اليهود بالطاف الطفل وجعلها وابنها اية للعالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين امرت بالصلوة في الجماعة بتكرارها مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم او للتنبيه على ان الواو لا توجب الترتيب وليقترن اركعي مع الراكعين دلالة بان من ليس في صلوتهم كركوعهم ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما ويأتي السجود الصلوة كقولهم واد بار السجدي وبالركوع الخشوع والانحناء ذلك اشارة الى ما مر من انباء الغيب نوحيه اليك اي ما ذكرنا من القصص من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم اقلامهم للاقتراع وقيل اقترعوا بها فلامهم التي ضبطوا بها يكتبون بها التوراة تبركا والمراد تقريرك كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقائع المشاهدة والسماع وعلم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم فبقي ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل انهم يكفل مريم

متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اى يلقونها ليعلموا او يقولوا ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون
تنابصانى كفالتها اذ قالت الملئكة بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون على ان وقوعه اختصاصا
والبشارة فى زمان مشعر كقولك لقيته سنة كذا يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم للسيد الشاب
وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب يسوع واشتقاقه اما من المسح لانه مسح
بالبركة او بما طهر من الذنوب او مسح الارض ولم يقم فى موضع او مسحه جبريل ومن العيسر وهو ابيض يعلوه حمرة كما قالوا
حمته وان مريم لما كانت صفة غلبت تميزا لاسماء نقلت فى سلحفاة ونونا وتعدد الخبر اذا المبتدأ فاسم جنس مضاف
يحتمل ان يراد ان الله يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلثة وان الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه ويجوز ان يكون عيسى
خبر مبتدا محذوف وابن مريم صفته وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير اب ذكرا كولادة سائر الاولاد بالاب
ولا تنسب الى الام اذ لا فضل للاب فيها وفى الدنيا والاخرة حال مقدرة من كلمة وهى وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكير
الضمير للفظ والوجاهة فى الدنيا النبوة وفى الاخرة الشفاعة ومن المقربين من الله وقيل اشارة الى علو رتبته فى الجنة او رفعه الى السماء
وصحبة الملائكة ويكلم الناس فى المهد كهلا اى يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر
سمى به ما يمهد للصبى من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة الشأنية ارشاد الى انه مبرأ
عن الالوهية ومن الصالحين حال ثالث من كلمة او ضميرها الذى فى يكلم قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر
تعجب او استبعاد عادى او استفهام عن انه يكون بتزوج او غيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء القائل جبريل او الله وجبريل
حكى لها قوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون استئناف الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مبتدأ
بالاسباب وموادها يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك ونعلمه الكتب والحكمة والتوراة والانجيل كلاهما معطوفان على يبشرك او وجيها والكتاب
الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما وقرأ نافع وعاصم ويعلمه بالياء ورسولا الى بنى اسرائيل ان قد جئتكم
بآية من ربكم منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا بانى قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة
مضمنا معنى النطق فكأنه قال انى اطقا بانى قد جئتكم وتخصيص بنى اسرائيل لخصوص بعثته اليهم والرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم
انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير نصب بان انى قد جئتكم او جر بدل اية او رفع على هى انى اخلق لكم والمعنى قدرا لكم منه
شيئا مثل صورة الطير وقرأ نافع انى بالكسر فاستئناف فيه الضمير للكاف اى فى ذلك ... المماثل فيكون طيرا بإذن الله فيطير
حيا طيارا بامر الله نبه على ان احياءه من الله لا منه وقرأ نافع هنا وفى المائدة طائرا بالالف والتمر وابرئ الاكمه
الاعمى الذى لا بصر له ولد اعمى او الممسوح العين روى انه ربما كان يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى فما يأتى او يؤتى الا برأ
واحيى الموتى بإذن الله كرره باذن الله دفعا لوهم الالوهية فان الاحياء ليس من جنس
الافعال البشرية وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التى لا تشكون فيها ان فى ذلك لاية لكم
ان كنتم مؤمنين موفقين الايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات ومصدقين الحق غير معاندين وحصل فيما بين يديه

عه الالهيت عبرانى تقولون بشد تاى
لاهوت والاستان تاسوت

من التوراة عطف على رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اى وجئتكم مصدقا لما
بين يدى من التوراة ومقررا له وعلى قوله قد جئتكم بآية او معطوف على معنى مصدقا كأنه قيل جئتك معتذرا ولاطيب قلبك بعض الذى
حرم عليكم اى فى شريعتموه كالشحوم والثروب والسمك وغير الابل والعمل فى السبت وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع
موسى ولا يخفى ذلك بكونه مصدقا للتوراة كما لا يخفى نسخ القرآن بعضه ببعض عليه بنا ناقض ونكاذب فى النسخ فى الحقيقة تبارك
وتخصيص الاذهان وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم
اى جئتكم بآية اخرى الصنيعها ربكم وهى قولى ان الله ربى وربكم فاعبدوه فهو دعوة الحق الجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة بين
النبى والسحار وجئتكم بآية على ان الله ربى وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض فى الظاهر تكرير لقوله قد جئتكم
بآية من ربكم اى جئتكم بآية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول للتمهيد الحجة والثانى للتفويض الى الحكم والتأييد بما يثبت عليه
بالفاء قوله فاتقوا الله اى لما جئتكم بالمعجزات القاهرة والايات الباهرة فاتقوا الله فى المخالفة واطيعونى فيما ادعوكم اليه ثم
شرع فى الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربى وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذى غايته التوحيد
فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بلازم الطاعة التى هى الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهى ثم قرر ذلك بان بين
ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلام قل آمنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر
تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس قال من انصارى الى الله ملتجأ الى الله ومذهبا او ضاما اليه ويجوز ان يتعلق الجار بانصارى
مضمنا معنى الاضافة اى من الذين يضيفون انفسهم الى الله فى النصرة وقيل الى بمعنى مع او فى الا قال الحواريون حواء الرجل خاصته
من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحوارى للحنطة الخلوص الوانهن سمى به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم
وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصرهم عيسى من اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب اى يبيضونها نحن انصار الله
اى انصار دينه آمنا بالله واشهد يا انا مسلمون اشهد لنا يوم القيمة حين يشهد الرسل لقومهم وعليهم ربنا آمنا
بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اى مع الشاهدين بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون
لاتباعهم او امة محمد عليه السلام فانهم شهداء على الناس ومكروا اى الذين احس منهم الكفر من اليهود بالمكر
وكانوا عليه من بيتوا غيلة ومكر الله حين رفع عيسى والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه فى الاصل
حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يسند الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج والله خير الماكرين افوا هم
مكرا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب اذ قال الله ظرف لمكر الله او خير الماكرين او لمضمر مثل وقع ذلك يا
عيسى انى متوفيك اى مستوفى اجلك وموخرك الى اجل المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالى
او متوفيك نائما ادرى او رافعك نائما او ممينك عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل امانه الله سبع ساعات
ثم رفعه الى السماء واليه ذهب النصارى ورافعك الى محل كرامتى ومقر ملائكتى ومطهرك من الذين كفروا من
سوء جوارهم او قصدهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة يعلونهم بالحجة او السيف فى غالب الامر
ومنهم من اول بنبوتك من المسلمين والنصارى والى الان لم يسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة ثم الى مرجعكم

الضمير لعيسى ومن تبعه ومن كفر به وغلب الخاطب على الغائبين فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين قائما
الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين. واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم
اجورهم تقرير لحكمه وتفصيل له وفراغ من وعيدهم بانبائه والله لا يحب الظالمين. تقرير لذلك اشارة الى ما سبق
من نبأ عيسى عليه السلام وهو مبتدأ خبره نتلوه عليك وقوله من الآيات حال من الهاء ويجوز ان يكون خبرا ونتلوه حالا من
العامل معنى الاشارة وان يكون اخبارا بعد اخبار ذلك بمضمر يعني نتلوه والذكر الحكيم المشتمل على الاحكام والحكم الممنوع عن نظر
الخيال اليه يريد به القرآن وقيل اللوح ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون
للتمثيل بحاله التي هي اعجب الى من حال عيسى وهو انه خلق بلا اب كما خلق آدم من التراب بلا اب وام ثم بين حاله بما هو اغرب الى من حال
الخصم وقطعا لمواد الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب ثم قال له كن فكان من غير ان يتوقف على انشاء بشر كقوله ثم انشأناه خلقا آخر وقد يتكون منه من
التراب ثم كونه ويجوز ان يكون ثم للتراخي في الاخبار كقولك بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت امس عجبت منه خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق وقيل الحق مبتدأ ومن
ربك خبره والحق المذكور من الله فلا تكن من الممترين خطاب للنبي عليه السلام بطريقة التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع فمن حاجك من النصارى
فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا بالرأي والعزم مستعار من انباء الناقة وابائها وكرا ونشاطها
ونسائنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي بدأ كلا منا وبدأكم نفسه واعز اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويجعل عليها وانما قدمهم
على انفس الرجل بخاطر نفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل الى نتباهل ان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم واللعنة واصله
الترك من قولهم ناقة باهل اذا ارسلت فلم تعقل ثم نجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه بيان لقوله نبتهل لما دعوا الى المباهلة
قالوا حتى ننظر فلما كان الغد اقبل بهما يقدمهم فقالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ما ترى قال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا لنبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل في امر صاحبكم والله
ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فاتوا رسول الله وقد غدا محتضنا الحسين اخذا بيد الحسن
وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معاشر النصارى اني لارى وجوها لو سألوا الله ان
يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا الرسول الله وبذلوا له الجزية على كل عام الفي حلة حمراء وثلثين درعا
من حديد فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لو باهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل
الله نجران واهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من ان يهم من اهل بيته ان هذا اي ما قص من نبأ عيسى وصاحبيه
هو القصص الحق بجملتها خبران او هو فصل يفصل ان ما ذكرنا في شأن عيسى ومريم حق دون ما ذكروه وما بعده خبره والا للاستغراق دخل عليه
لانه اقرب الى المبتدأ من الخبر واصلها ان ندخل المبتدأ وما من الا الا الله ضرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تأكيد النفي
النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم لا احد سواه يساويه في القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه او يوهن
فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين. وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولي عن الحق والاعراض عن
التوحيد افساد للدين والاعتقاد الموصل الى فساد النفس بل الى فساد العالم قل يا اهل الكتاب يعم اهل الكتابين وقيل
يريد وفد نجران او يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيه الرسل والكتب يفسرها ما بعدها
ان لا نعبد الا الله اي ان نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة

ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا ارباباً من دون الله ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا نرى انها نزلت اهل الكتاب واحبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك فان تلك عبادتهم اشهدوا بانا مسلمون اي اثبتوا على الاقرار بانا مسلمون دونكم ايها المعاندون بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل للنبيه انظر الى ما راعى في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن الترتيب في الحجاج بان اولا اعوال عيسى وما تواطؤا عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدهم ويزيح شبههم فلما راى عنادهم وحاجتهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها واقاموا على الفضل الانفسا عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزمهم بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والاحبار وسائر الانبياء والكتب الالهية ذلك ايضا كما ليهم وعلم الزامهم بالايات والنذر لا تغني عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده افتزعمون انكم على دينه وملته وانتم تنازعون اليهود والنصارى في ابراهيم وزعم كل فريق انه منهم فنزلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثت بنزول التوراة والانجيل على موسى وعيسى وكان ابراهيم قبل موسى بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون عليهما افلا تعقلون فتردون الحال هذا انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم هاهنا حرف التنبيه يتنبهوا بها عن حالهم التي عقلوا عنها وانتم مبتدا وهؤلاء خبر وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى اي انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم حاججتم فيما لكم به علم مما وجد تموه في التوراة والانجيل عناد اوتدعون ورود فيه فلم تحاجون فيما لا علم لكم به ولا ذكر له في كتابكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين حاججتم صلته وقيل ها انتم اصله انتم على الاستفهام للتنبيه وحماقتهم فقلبت الهمزة هاء وقراء نافع وابو عمرو ها انتم حيث وقع بالمد من غير همزة وورش اقل مد وقنبل بالهمز من غير الف بعد الهاء والباقون بالمد والهمز والبزي بقصر المد على اصله والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا نفى بهذا ما يقتضيه ما قرروه من البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن العقائد الزائغة مسلما منقادا لله وليس المراد انه كان على ملة الاسلام ولا شرائعه الالزامية وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح وردا لادعاء المشركين انهم على ملة ابراهيم ان اولى الناس بابراهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الوالي وهو القرب للذين اتبعوه من امته وهذا النبي والذين امنوا الموافقتهم له في اكثر شرائع لهم على الاصالة وقرئ النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم والله ولي المؤمنين ينصرهم ويحارسهم الحسنى لايمانهم ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم وما يتخطاهم اضلال ولا يبور وبالهم الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم او ما يضلون الا اشباههم وما يشعرون وبرزته واختصاص ضررهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله بما نطقت من التوراة والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانتم تشهدون انها ايات الله او بالقرآن وانتم تشهدون بفضله في المحافل

او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتب لم تلبسون الحق بالباطل بالخلط او بالتحريف ابراز الباطل في صورة الحق او بالتفعيل في احد بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اى تلبسون الحق مع الباطل كقوله عليه السلام لا يسب الرجل والديه ومن ذلك قولهم لبست عليه الامر تلبيسا وتكتمون الحق نعت محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وانتم تعلمون عالمين بانكم تكتمونه وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار اظهروا الايمان بالقرآن اول النهار وآخره آخر لعلهم يرجعون وارجعوا ايها اليهود عن دينكم لعلهم يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم لحلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف وما لك بن الضيف وكانا من احبار اليهود حين حولت القبلة امنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخر النهار ليعلم الجهلة منهم انهم اعلم منا وقد رجعوا اليها رجعون وقيل اثنا عشر من احبارهم خبر نقالوا لاتباعهم ابن يذهبون في الاسلام اول النهار وقولوا آخره نظرا في كتابنا فلعلهم يرجعون عما هم عليه من دينهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تقروا عن تصديق قلبا لا لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم اذا رجعوا اليكم قل ان الهدى هدى الله بهدى من يشاء الى الايمان وبثبته عليه ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اى حسدتم ان يؤتى ذلك وقلتم لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اى لا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد بثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي شيئا وخبر ان على ان الهدى هو الهدى وقرأ ابن كثير ان يؤتى على الاستفهام للتقريع ويؤيده الوجه الاول اى انكار ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او انكار ان يحاجوكم عند ربكم وقرأ ابن عامر آن على انها النافية فيكون من كلام الطائفة اى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او ما يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو مضمرة كما في قوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين او بمعنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم رد وابطال لما زعموا بالحجة الواضحة ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك كعبد الله بن سلام واستودع عشرة آلاف اوقية ذهبا فاداها اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي اخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير المتصفون اذا الغالب فيهم الامانة والخائنون في القليل للجهل اذ الغالب عليهم الخيانة وقرأ جعفر والبوبكر وابو عمرو تؤده اليك ولا تؤده اليك باسكان الهاء وفي رواية باختلاس كسرة الهاء وكذا ري عن نفسه مع الباء فورا من غير اشباع لكسرة الا ما دمت عليه قائما اى ملازما رأسه على رجليك مطالبا له بالتقاضي والتزامه وافاضة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله لا يؤده اليك بانهم قالوا بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اى ليس علينا في شأن من ليس من اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم ويقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم فقالوا ليس علينا في التوراة حرمة وقيل حامل اليهود رجلا من قريش فلما اسلم اتقاضوه فقال اسقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي عليه السلام انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية

الا وهو مختص فيلزمه الايمان فانها موادة الى البر والفاجر بل اثبات لما تقوم اى يلى عليهم فيهم سبيل من وجب يؤدوه و
اتقى فان الله يحب المتقين استئناف مقرر للجملة التى سدت بل مسدها والضمير المجرور لمن والله وعموم المتقين ناشئ
الراجح من الجزاء الى من واستعمال ان التقوى بالاحرى هو بهم الوفاء وغيره مراداء الواجبات والاجتناب عن المناهى ان الذين
يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من ايمان بالرسول والوفاء بالامانات وايمانهم بها حلفوا به من
قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا لمتاع الدنيا اولئك لا خلاق لهم فى الاخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم
او بشئ اصلا وان الملائكة يسألونهم يوم القيمة او لا ينتفعون بكلام الله وايمانه والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم
لقوله ولا ينظر اليهم يوم القيمة فان من سخط على غيره واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه والا لتناقض كما مر
من عند بعضهم يقاوله ويكثر الظرافيه ولا يزكيهم ولا يثنى عليهم ولهم عذاب اليم على ما فعلوا وقيل انها نزلت فى
احبار حرفوا التوراة وبدلوا نعت محمد وحكم الامانات وغيرها واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت فى رجل اقام سلعة
فى السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشتر بها ليروج وقيل فى نزاع كان بين اشعث بن قيس ويهودى فى بئر او ارض فنكل الحالف
على اليهودى وان منهم يعنى الحرفين كعب ومالك وحيى لفريقا يلوون السنتهم بالكتب يفتلونها بقراءته فيميلونها
عن المنزل الى المحرف ويعطفونها بشبه الكتب وقرئ يلوون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفا عن همزها والقاء حركتها
على الساكن قبلها ليحسبوه من الكتب وما هو من الكتب الضمير المحرف المدلول عليه بقوله يلوون بما ومن قرئ ليحسبوه بالياء و
الضمير ايضا للمسلمين ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله تاكيد لقوله وما هو من الكتب وتشنيع عليهم بانهم
لانهم يزعمون ذلك تحريفا لا تعريضا اى ليس هو بنازل من عند الله وهذا لا يقتضى ان لا يكون فعل العبد فعل الله ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة
ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله تكذيب ورد على عبدة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظى والسيد النجرانى
قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله وان نامر بغير عبادة الله فما بذلك بعثنى الله ولا بذلك
امرنى فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض فلا نحيرك قال لا ينبغى ان يسجد لاحد من دون
الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين والربانى ينسب الى الرب
بزيادة الالف والنون كالجسمانى والروحانى وهو الكامل فى العلم والعمل بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم
معلمين الكتب وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرا ابن كثير ونافع وابو عمر ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من الثلاثى يقال درس بمعنى درس كذكر وذكر
ويجوز ان تكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما تدرسونه على الناس ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين
ارباب بالنصب ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول ويكون لا مزيدة لتاكيد معنى النفى فى قوله ما كان اى ما كان لبشر ان
يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادة نفسه ويامرهم باتخاذ الملائكة والنبيين ارباب او خبر مردود على معنى الله ليس له ان يامر بعبادته
ولا يامر باتخاذ الهة ارباب ينهى عنه وهو احد من العباد وقرئ على الاستيناف ويجعل الحال وقرا ابو عمرو

وجاءتهم البينات استبعادا لان يهديهم الله فان الحائد عن الحق بعيدا وضع له متهيأ في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي
انكار له وذلك يقتضي ان لا يقبل توبة المرتد ومنهم من اعتبر حال آبائهم من مبتدأ الفعل ونظيره قاصدين لكيد وعمال
بالعمارة قيل من كفر اي وحتى على الوجهين دليل على ان الكفر باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين الله
ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم ان
لعنة الله والملئكة والناس اجمعين بذلك منطوق به على جواز لعنهم ويحتمل ان يقال نفي جواز لعن شرير للعلم الغيب وقد ورد ما يدل عليه
على الكفر منهوا عن الجدل ثم يموتون عن الرحمة لهم الخالدين فيها في اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرها لانها معلومة
عليهم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد واصلحوا ما افسدوا
ويجوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح فان الله غفور يقبل توبته رحيم يتفضل عليه قيل انها
نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بذلك
فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم به
والتوراة ثم ازدادوا كفرا بجحد محمد والقرآن او كفروا بعد ايمانهم في اصلاب آبائهم قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد الطعن
فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كففوا ارتدادا والحق به كلمة ثم ازدادوا كفرا بموتهم على ردتهم لن يحدث الموت توبتهم
ترجح اليه ويناقضه باظهاره لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا اشرفوا على الهلاك فلا يقبل توبتهم
عند قولهم انا تبنا الآن ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة
كفرهم ولذلك لم يدخل الفاء فيه واولئك هم الضالون التامون في الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل
من احدهم ملء الارض ذهبا لما كان المعنى على الكفر حسبا لا مستناع قبول الفداء ادخل الفاء ايذانا بان الاستناع لاجل الشيء يأباه ويدفعه
ذهبا نصب على التمييز فرق بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف ولو افتدى به محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل
من احدهم فداء ولو افتدى به ملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو
تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة ولو اريد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما
في الارض جميعا ومثله مسوق للمثل مخيل في ازدادوا كفرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك لهم عذاب اليم مبالغة
في التحذير وانما طلان من لا يقبل منه الفداء مع ما يعني عنه تكرارا وما لهم من ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة
للاستغراق لن تنالوا البر اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال الخير او لن تنالوا برالله الذي هو الرحمة والرضوان
والجنة حتى تنفقوا مما تحبون اي من المال وما يعم به وجه كبذل الجاه ومعاونة الناس والبدن في طاعة الله والحجة في
سبيله روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء وانها صدقة احتسبها عند الله فقال
ذلك مال رابح او رايح وقد سمعنا ما فيها وانا ارى ان تجعلها في الاقربين فقال افعل بخ بخ ذلك مال رابح وقد جعلته في قرابتك
وبني عمك وروي انه لما نزل جاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال احملها في سبيل الله فكأنه عليه السلام
علم تثاقله فقال لعلك انما اعطيتها لتحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فقال زيد انما اردت ان اتصدق به فقال عليه السلام

الله تعالى قبل نفسه لنفسه، وذلك يدل على ان النفاس احب الاموال على اقرب الاقارب فضلا عن ابنائهم الا ان
الواو بمعنى مع في قول بعض المحققين وهو يدل على ان من للتبعيض ومحل التبيين وما يشتهون اى من
اى شيء محبوب او غيره ومن لبيان ما قال الله به تعليم فيجاز بكير بحسبه كل الطعام اى المطعوم والمراد انه كان حلالا
لبني اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال الله تعالى
الا من حل لهم الا ما حرم اسرائيل يعقوب على نفسه كلحوم الابل والبانها قيل كان به عرق النساء فنذر ان شفاه الله
ليحرمن احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل فداوى ذلك المداوى باشارة الاطباء وحرم به من جنس للنبي
يحبها والمانع ان يقول ذلك باذن من الله فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل التوراة اى من قبل انزالها مشتملة على كثير
واحرم عليهم ظلمهم وبغيهم عقوبة ومشديدا وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة عما نعي عليهم في قوله فبظلم من الذين هادوا
حرمنا عليهم طيبات وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآيتان بان قالوا السنا اول من حرمت عليه
وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهم حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا او في متن النسخ
والطعن في دعوى الرسول موافقة ابراهيم بتحليله لحوم الابل والبانها قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم
صادقين في دعواكم امر نبيه بان يحاجهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما قبل ذلك
لهم ليهتدوا ولم يحيروا ان يخرجوا التوراة وفيه دليل على نبوته فمن افترى على الله الكذب ابتداء على الله
بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التوراة على بني اسرائيل ومن بعدهم من بعد ذلك من بعد ما ازهقوا الحجة
فاولئك هم الظالمون الذين يضعون الشيء من انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح قل صدق الله تعريض
بكذبهم اى ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا اى ملة الاسلام
التي هي في الاصل ملة ابراهيم ومثل ملته حتى تختصوا من اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف المكابرة
لشهوية الاعراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها ابراهيم ومن بعده وما كان من المشركين فيه اشارة الى
ان اتباعه اجب التوحيد الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود
ان اول بيت وضع للناس الخ وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ
على البناء للفاعل الذي ببكة للبيت المعهد بمكة وبنى لغة في مكة كالتبطيط والتمتيط وامر ناتب ورائر ولازب وقيل
كانت مكة موضع المسجد وبكة البلد او بكة اذا زحم بعضهم بعضا في الطواف او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة
انه عليه السلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون
سنة وقيل اول من بناه ابراهيم ثم جدد مبناه في دهر من جرهم ثم العمالقة ثم القريش وقيل هو اول بيت بناه آدم
ثم الطوفان فرفعه ابراهيم وقيل كان في موضعه قبل آدم بيت يقال لها الضراح ويطوف به الملائكة فلما امر ابراهيم
ببنيانه وقعد عن رفع القواعد اوحي اليه ان ابن على بيت على مثاله وقدره لا يزيد ولا ينقص فبناه في مكانه
ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السماء الرابعة ويطوف به ملائكة السموات وهو الآن كذلك مباركا حال من
المراد اول بيت بالشرف لا بالزمان ان مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال

في التقريع ونفي التعذير لهم واشعارا بان كل واحد من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب في سبيل الله حينئذ
الحي الماضي بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتتنون المؤمنين ويخبرون سيرتهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروا لهم
بلسانهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحالفون لعدوهم عنه شقوقها عوجا جال من الواو اي
بالغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونحوهما او بان تحرفوا بين المؤمنين لتختلف كلمتهم وتحيل امرهم وانتم تشهدون بانها سبيل الله والصد عنها
ضلال واضلال او انتم عدول عند اهل ملتكم يثقون باقوالكم وليست شهادتكم في القضايا وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم
ولما كان الكفر في الايات الاولى كفرهم وبهم يجدر من به ختمها بقوله والله شهيد ولما كان في هذه الاية صدهم المؤمنين عن الاسلام
وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال يا ايها الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب
يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي
فغاظه تآلفهم واجتماعهم وامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث ويشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في
ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم
فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام
وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فحلوا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوكم فالقوا السلاح واستغفروا
وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما خاطبهم الله بنفسه بعد ما امر الرسول بان
يخاطب اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم بهم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم وكيف تكفرون وانتم
تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله انكار وتعجيب لكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر
من تعتصم بالله ومن يتمسك بدينه او يلتجئ اليه في جامع اموره فقد هدي الى صراط مستقيم فقد اهتدى لا محالة
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه ويجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالمواجب والاجتناب عن المحارم بقوله
فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان يجاهد في الله حق جهاده
الجهاد عن وضع الجائر عليها وفي هذا امر بتأكيد النهي عن طاعة اهل الكتاب في اصل فتنة وفيه قلبت واوها المضمومة تاء كما
في توجه وتخمة والياء الفا وكذا تموتن الا وانتم تسلمون اي ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادركم الموت
فان المرء عند مقاربة حاله يوشك ان يرجع الى ما كان عليه بالذات فحي الفعل لازمه والعنيد لغوي وقد يتوجه نحو المجموع دونها وكذلك
النهي واعتصموا بحبل الله بدينه الاسلام او بكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين وبسببه الجمل من حبل
ان التمسك بسبب النجاة عن الهلاك يحمل التمسك بالحبل لسببية السلامة عن التردي والتوثق بروالاعتماد عليه لاعتصار نجاة
الجار جميعا حميعين عليه ولا تفرقوا اي ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او لا تتفرقوا تفرق الجاهلية
يحارب بعضكم بعضا او لا تذكروا ما يوجب التفرق وينزل الالفة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية
والتوفيق للاسلام المؤدي الى التآلف وزوال الغل اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقاتلين فالف بين قلوبكم

بالاسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة في الله وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لاب فوقع بين
اولادهم العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفاها الله بالاسلام والف بينهم برسوله
عليه السلام وكنتم على شفا حفرة من النار مستفنين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ وادركم الموت في تلك
الحال لوقعتم في النار فنقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او النار او للشفا وتانيثه لتانيث ما اضيف اليه او لانه
بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو الفا في المذكر وحذفت في المؤنث
كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم ايانه دلائله لعلكم تهتدون ارادة ان يثابركم على الهدى وازدياد كم فيه ولتكن
منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من
فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد لما للمتصدي له من شروط لا تشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب
وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوه راسا اثموا جميعا ولكن
يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية او ليتبين بمعنى وكونوا امة آمرون كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف و
الدعاء الى الخير يعم الدعاء الى كل ما هو حسن في الدين والمروءة كصلاح ذات البين وعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان
بفضله واولئك هم المفلحون الحصر موصوف بحال الفلاح قرئ انه عليه السلام سئل من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف واتقاهم
عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب الامر به والنهي عن المنكر واجب كله
لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر ان العاصي يجب ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه والانكار فلا يسقط بترك احدنا
وجوابه ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد والنبوة واصول الاديان وفي
من بعد ما جاءهم البينات الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي فيه مخصوص بالمفرق في
الاصول دون الفروع لقوله عليه السلام اختلاف امتي رحمة ولقول من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطأ فله اجر وحط
واولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتقديد على التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بما في لهم
من معنى الفعل او باضمار اذكر وبياض الوجه وسوادهما عبارتان عن ظهور البهجة والسرور وكآبة الحزن وقيل يبيض اهل الحق ببياض الوجوه
الصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين ايديهم وبايمانهم واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم
بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعد ما اقروا بحين اشهدهم على انفسهم او تمكنوا
من الايمان بالنظر في الدلائل والآيات فتدبروا العذاب امرها انتم بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او جزاء لكفركم
واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله يعني الجنة والثواب الخالد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان
استغرق عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقال فاما الذين كفروا لكن فصل ذلك
ليكون مطلع الكلام ومقطعه على الموعدين وثوابهم هم فيها خالدون اخره عن خبر الاستئناف للتاكيد كانه قيل كيف
يكونون فيها فقال هم فيها خالدون تلك اشارة الى الآيات او الاخبار الواردة في وعد ووعيد نتلوها عليك يا محمد ملتبسة بالحق لا تشبه بها

وما الله يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يجب عليه شئ فيظلم بفعله
لانه المالك على الاطلاق كما قال ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور فيجازي كلا بما يستحقه
واو عن كنتم خير امة دل على خيريتهم فيما مضى ويدل على انقطاع طرو الخيرية وقيل كنتم في
علم الله او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين اخرجت للناس اظهرت لهم تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر اتيانا
بين به كونهم خير امة او خبر ثان لكنتم وتؤمنون بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يومن به لان الايمان به انما يتحقق ويعتد
به اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يومن به وانما اخره وحقه ان يقدم لانه قصد بذكر الدلالة على انهم امروا بالمعروف و
نهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل بهذه الاية على ان الاجماع حجة لانها تقتضي كونهم امرين
بكل معروف وناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو جمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك ولو امن اهل الكتاب
ايمانا كاملا ينبغي لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون
المتمردون في الكفر وهذه الجملة التي بعدها واردة على سبيل الاستطراد لان نصرة قوم اذى ضررا يسيرا لا طعن في ايمانهم و
ان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم هم لا ينصرون ثم لا يكون احد يضرهم عليكم او يدفع باسكم
عنهم تقى اضرارهم بكم ما يكون بقول فقط ذلك بانهم لو قاموا للقتال كانت الدبرة عليهم ثم لضربانه يكون عاقبتهم الخبر و
الخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على محل لوا على ان ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم النصر معدا لتقدم وعده لانهم من السيئات التي
الواقع اذكان ذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع وهو خيبر ضربت عليهم الذلة حدد النفس والمال والاهل اوذل
بالباطل والجزية ايما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من اعم عام الاحوال اي ضربت عليهم
الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين او ملتبسين بحبل من الله او كتابه الذي امرهم ودفاع المسلمين وبذمتهم او باسلامهم واتباع
المؤمنين وباؤا رجعوا بغضب من الله استوجبوا به وضربت عليهم المسكنة هي محيطة بهم احاطة البيت المضروب
على اهله والبهوت في غالب الامر فقراء مساكين ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا
يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق بسبب كفرهم بآيات وقتلهم الانبياء عليهم السلام ذلك اي الكفر والقتل
بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله تعالى فان الاصرار على الصغائر يفضي الى الكبائر
والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة في الدنيا واستحقاب الغضب في الاخرة بما هو معلل بكفرهم و
قتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم خاطبون بالفروع ايضا ليسوا سواء في المساوي والنصيحة اهل الكتاب
من اهل الكتاب امة قائمة استيناف لبيان نفي الاستواء والفائدة المستفيضة العادلة من اثبت العوج هناك وهم الذين اسلموا
يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يتلون القرآن في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع الحق حليتهم
ابين وابلغ في المدح وقيل المراد صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها كما روي انه عليه السلام اخرها ثم خرج فاذا
الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم يومنون بالله واليوم
الآخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات نعتا اخر لها منوطا بخبرها كما كانت في اليهود

١٥٠

فانهم يخرجون عن الحق غير معتقدين بالليل مشركون بالله جل وعز في صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته
مداهنون في الامر يتبايعون عن الخيرات واولئك من الصالحين اي الموصوفون بتلك الصفات من صلحت
احوالهم عند الله واستحقوا رضاه واثناءه وما يفعلوا من خير فلن يكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثواب البتة
سمي ذلك كفرانا كما سمي توفية الثواب شكرا او تعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرأ حمزة والكسائي و
حفص وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء والله عليم بالمتقين بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدأ الخير
وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله
شيئا من العذاب او من الغناء فيكون مصدرا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما
ينفقون مايعتد الكفرة قربة او مفاخر وسمعة او للمنافقون رياء وخوفا على هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر بارد شديد
والشائع اطلاقه في الريح الباردة كالصرصر وهو في الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به الريح للمبالغة كقولك ريح باردة
اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي فاهلكته عقوبة لهم فلم ينتفعوا بما انفقوا في عمارة ضياعه فحرمت كما حرم
الظالم ما سنح له من الخير فلم ينتفع به في الدنيا ولا في الآخرة وهو التشبيه المركب
ولذلك لم يقل بايدي كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل هلاك ريح وهو الحرث وما ظلمهم
الله ولكن انفسهم يظلمون اي ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها حيث تعتد
بها او ما ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم باكتساب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن بالنشديد
الى ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر ضمير الشان لانه لا يحذف الا في الشعر كقوله ع ولكن من يبصر جفونك يعشق يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة ولية وهو الذي يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب
كما شبه بالشعار قال عليه الصلوة والسلام الانصار شعار والناس دثار من دونكم مرجوا من المسلمين وهو متعلق
بالنهي او بمحذوف وهو صفة بطانة اي بطانة كائنة من دونكم يا لونكم خبالا لا يقصرون لكم في الفساد و
الالو التقصير واصله ان يعدى بالحرف ثم عدي الى مفعولين كقولهم لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع او
النقص ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية قد بدت البغضاء من افواههم اي في كلامهم
لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم ومما تخفي صدورهم اكبر مما بدا لان بدو ما يسر عن روية واختيار قد
بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المومنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون ما بين لكم
والجمل الاربع جاءت مستانفات على التعليل ويجوز ان يكون الثلث الاول صفات لبطانة ها انتم اولاء تحبونهم ولا
يحبونكم اي انتم اولاء الحاطئون في موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم في موالاتهم او هو خبر ثان او
خبر اولاء والجملة خبر انتم كقولك انت زيد تحبه او صلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب ولكم
بفعل مضمر ما بعده ويكون الجملة خبرا وتومنون بالكتاب كله حال من لا يحبونكم
والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تومنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يومنون بكتابكم وفيه توبيخ لهم وقوله

اصلب منكم في حكمه واذا انهزموكم قالوا امنا بها وقد اخذوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ من اجله تاسفا و
تحسرا حيث لم يجدوا الى الشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام
واهله حتى يهلكوا به ان الله عليم بذات الصدور يعلم ما في صدوركم من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من
المقول اي قل لهم ان الله عليم بما هو اخفى وما تخفونه من عضّ الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك
ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بالاخفى من ضمائرهم ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة
يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم الراسخة حسدا وما لهم من خير ومنفعة وشيء اعاصابهم من ضر وشدة والمس
مستعارا للاصابة وان تصبروا على عداوتهم او على مساءة الشرائع وتتقوا اسوالاتهم او ما حرم الله عليكم لا يضركم
كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان الحيلة في الاعم المتدرب بالقاء والصابر يكون قليل
الحيلة الافعال جزما على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة قد وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره
يضيره ان الله بما يعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط اي محيط علمه فيجازيكم عليه وقرئ بالياء بما يعملون في
الكلمتين على الالتفات وتكرير علم فيما فيهم عليه واذ غدوت اي واذكر اذ غدوت من اهلك من حجرة عائشة رضي الله عنها تبوئ المؤمنين
تنزلهم او تسوي تعليمهم ويؤيده قراءة بالام مقاعد للقتال مواقف واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى
المكان على الاتساع كقوله تعالى في مقعد صدق وقوله تعالى قبل ان تقوم من مقامك والله سميع لاقوالكم عليم
بنياتكم روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثاني عشر من شوال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار رسول
الله صلى الله عليه وسلم اصحابه رض وقد دعا عبد الله بن ابي ولم يدعه قبل فقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول
الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف
وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة
وان رجعوا رجعوا خائبين واشار بعضهم الى الخروج فقال صلعم رايت في منامي بقرا من بوحة حولي فاولتها خيرا
ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان
رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فنتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد فخرج صلعم الى
اعدائه وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما رأوه ذلك ندموا على ما اشتهوا وقالوا اصنع يا رسول الله ما
رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة واصيب يشعب احد يوم السبت
ونزل في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفوفهم واقر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا
بالنبل لا يأتونا من ورائنا اذ همت متعلق بقوله سميع عليم او بمحذوف تقديره واذكر اذ همت طائفتان منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة
من الاوس وكان حليفي العسكر ان تفشلا ان تجبنا وتضعفا روي انه صلى الله عليه وسلم خرج في الف رجل و
رجع عنه المنافقون عبد الله بن ابي واصحابه وقالوا علام نقتل انفسنا واولادنا ايها الناس فتبعهم
عمرو بن حرام الانصاري وقال ناشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال ابن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الخيالة بان

باتباعه فعصيا امر الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر انه ما كانت عزيمة لقوله والله وليهما
اى حافظهما عن اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله ناصرهما فما لهما تفشلان على الله فليتوكل المؤمنون
اى فليتوكلوا على الله ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر ولقد نصركم الله ببدر تذكير بعض ما افادهم
التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا غسقى به وانكر ادلة حال من الضمير وانما قال اذلة ولم يقل
ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح فاتقوا الله في الثبات لعلكم تشكرون ما انعم
عليكم بتقوى بكم من نصره او لعلكم يمنعكم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه اذ تقول
للمؤمنين ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت على ان قوله لهم يوم حد كان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة
فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا امر الرسول لم ينزل الملائكة الآن تكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة
منزلين انكارا ان يكفيهم ذلك فانما جيء بلن اشعارا بانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو
وكثرتهم وقيل امدهم الله يوم بدر اولا بالف من الملائكة ثم صاروا ثلثة آلاف ثم صاروا خمسة وقرأ ابن عامر
منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج بل ايجاب لما بعد ان اى بلى يكفيكم ثم وعدهم الزيادة على الصبر والتقوى
حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم اى المشركون من فورهم هذا من ساعتهم هذه
وهو في الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق للحال التي لا ريث فيها وقرئ واحتج
ان يأتوكم في الحال يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة في حال اتيانهم بلا تراخ فاخير مسومين
معلمين من التسويم الذي هو اظهار سيما الشيء لقوله صلى الله عليه وسلم لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت وعن ابن
عباس التسويم بمعنى الارسال وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو وما جعله الله وما جعل امداد كم
بالملائكة الا بشرى لكم الا ابشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به ولتسكن اليه من الخوف وما النصر الا من عند الله
لا من العدة والعدد وهو تنبيه على انه لا حاجة في نصرهم الى المدد وانما امدهم به بشارة لهم ربطا
على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر وحث على الاعتبار بما خرهم الى الذي يغالب في قضيته
الذي ينصر ويخذل على وسط وغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق
بنصركم او وما النصر كل ان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض واسر آخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين
واسر سبعين من صناديدهم او يكبتهم او يخزيهم والكبت شدة غيظ او رهق يقع في القلب او للتنويع دون
الترديد فينقلبوا خائبين فيتحسروا متعلق بالامال ليس لك من امره شيء اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم
عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان سلموا او
يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء واما انت عبد مأمور لا تدارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون
معطوفا على الامر او شيء باضمار ان اى ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او ليس لك
من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وان يكون او بمعنى الا ان اى ليس لك من امرهم شيء الا

ان يتوب الله عليهم فتستريح اوليائهم فتشفى منهم وروى ان عتبة بن ابى وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته
فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه الله
لعلمه بان فيهم من يؤمن او من فيهم ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم ولله ما فى السموات وما فى الارض خلقا وملكا فلا الا
كله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء صريح فى نفى وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافى والله
غفور رحيم لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة نزيد وا
زيادات مكررة وفائدة التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يربى الى اجل ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى
يستغرق بالشئ الطفيف مال المديون وقرا ابن كثير وابن عامر وبعقوب مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم
تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار التى اعدت للكافرين بالكف عن منابعتهم ومعاطاة اضاليلهم وفيه تنبيه على
ان النار بالذات معدة للكافرين وبالعرض للعصاة واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون اتبع الوعيد
بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا فى الطاعة ولعل وعسى فى امثال ذلك ليدل على عزة التوصل الى ما جعل خبرا
له وسارعوا ابادروا وافعلوا المغفرة مر ربكم الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرا نافع وابن
عامر سارعوا بلا واو وجنة عرضها السموات والارض اى عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة فى وصفها بالسعة
على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس رضى الله عنهما كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها
ببعض اعدت للمتقين هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم الذين
ينفقون صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب او مرفوع فى السراء والضراء فى حال الرخاء والشدة او الاحوال
كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة ومضرة اى لا يخلون فى حال ما ينفقون فى ما امكن واليه من قليل وكثير
والكاظمين الغيظ الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة من كظم السقاء اذا ملاه وشد رأسها وعن النبى
صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملاء الله قلبه امنا وايمانا
والعافين عن الناس التاركين عقوبة من استحقوا مواخذته وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء فى امتى
قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا فى الامم التى مضت والله يحب المحسنين يحتمل الجنس وقد دخل
تحته هؤلاء والعهد فيكون الاشارة اليهم والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة فى القبح كالزنا او ظلموا
انفسهم بان ارتكبوا اى ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى
وظلم النفس ما ليس كذلك ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه او عظمته فاستغفروا لذنوبهم بالندم
والتوبة ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفى معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى
بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة ولم يصروا عطف على فاستغفروا
داخل معه فى حيز الشرط اى ولم يقيموا على ما فعلوا غير مستغفرين لعظم ما اصروا عليه ان ادى الى الاصرار سبعين مرة وهم يعلمون حال من اصروا اى ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين
اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها خبر الذين اتقوا اسم واجملة مستأنفة مبينة لما قبلها ان عطفت

المتقين في حكم الذين يتقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين جزاء ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان بالهم ادون حالا من المتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية المتقدمة وكذلك قارن بين القبيلتين انه فصل آيتهم بان بين انهم محسنون مسنوجبون لمحبة الله تعالى وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع ولحظوا الى التخصص بمكارمه وفصل آية هذا بقوله ونعم اجر العاملين لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن وقائع سنها الله في الامم الماضية كقوله تعالى وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل ايام قال ما عاين الناس من فضل كفضلكم ولا ارى مثله في سالف السنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لتعتبروا بما تزون من اثار هلاكهم هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين اشارة الى قوله فد خلت او منهم قوله فانظروا اى انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين او الى ما لخص من امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القرآن ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون وعدكم الله ان اعلى منهم شانا فانكم على الحق وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتلاهم للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او انتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي لا بقوله وانتم فانه يقتضي ان قوة القلب بالوثوق على الله او بالاعلون ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله فرحمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا الفريقين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم وتلك الايام نداولها بين الناس نصرفها بينهم تارة هكذا وتارة هكذا اخرى كقوله فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاورة يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه والايام يحتمل الوصف والخبر وتداولها يحتمل الحدث والحال والمراد بها او قات النصر والغلبة وليعلم الله الذين امنوا عطف على علة محذوفة تقديرها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف هذا ذلك والقصد في امثاله وقائعه ليس الى اثبات علم الله تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم وتبيينه على طريقة البرهان وقيل معناه وليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجودا ويتخذ منكم شهداء

ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احدا ويتخذ منكم شهداء معدلين بما صوف منهم من الثبات والصبر على
الشدائد والله لا يحب الظالمين الذين يخرمون خلاف ما يظهرون والكافرين وهو اعتراض وفيه تنبيه على ان الله تعالى
لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين وليمحص الله الذين آمنوا ويطهرهم
ويصفيهم من الذنوب ان كانت لهم والمحق نقص الشيء قليلا
قليلا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم ومعناه الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين
بعضكم وفيه دليل على انه فرض على الكفاية والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم
بغير الياء على اصله يعلم فحذف النون وقرئ ويعلم الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال
كانه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اى الحرب فانها من اسباب الموت والموت بالشهادة
والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال
شهداء بدر من الكرامة فاخوا يوم احد على الخروج من قبل ان نلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته
فقد رأيتموه وانتم تنظرون اى فقد رأيتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وصوتوبيخ لهم على
انهم تمنوا الحرب تسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على تمنى الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة الكفار وما محمد
الا رسول قد خلت من قبله الرسل فيخلو كما خلوا بالموت او القتل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم
انكارا لارتدادهم انقلابهم على اعقابهم عن الدين خلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا
به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روى انه لما رمى
عبد الله بن قمية الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم فكسر رباعيته وشج وجهه فدنت منه مصعب
بن عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمية وهو يرى انه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا وصاح الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول يدعو الى عباد الله فاخذ اليه ثلثون من اصحابه
وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون فقال بعضهم ليت ابن ابي يأخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال
ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عمه انس بن مالك يا قوم ان كان قتل
محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول
هؤلاء وابرأ منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت فمن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بارتداده بل يضر نفسه
ويحبط اجر نعمة الله وسيجزي الله الشاكرين على نعمة الاسلام بالثبات عليه كأنس واضرابه وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله
الا بمشيته الله تعالى واذنه لملك الموت في قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى في علمه تعالى وقضائه
لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال وعد
للرسول بالحفظ وتأخير الاجل كتابا مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا ام حالا صفة له اى ذا كتاب يتقدمه
ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين هزموهم

واخذن وابتهبون فلما رأى الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فاتهم المشركون وحملوا عليهم من وراءهم وهزموهم
ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها اى من ثوابها وسنجزى الشاكرين الذين شكروا نعمة الله تعالى فلم يشغلهم شئ عن
الجهاد وكاين اصله اى خلت الكاف وعليها وصارت بمعنى كم فالنون تنوين ثابت في الخط على غير القياس وقرأ
ابن كثير وكاين كالاعن ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملى في لعمرى فصار كيان ثم حذفت الياء
الثانية للتخفيف ثم ابدل الياء الاخرى الفا كما ابدلت من طائى في قول من بنى بيان له قال معه ربيون كثير ربانيون
علماء اتقياء او عابدون ومن جمع من جماعات قالوا الربى منسوب الى الربة وهى الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب
قتل اسناده الى الربيون وضمير النبى في معه ربيون حال عنه ويؤيده الاول انه قرئ قاتل بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الاصل
وبالضم هو من تغيرات النسب كالكسر فيها وهنوا لما اصابهم في سبيل الله فما فتروا ولم ينكسروا جبنا لما اصابهم من قتل
النبى او بعضهم وما ضعفوا عن العدو وفى الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو واصله استنكن من السكون
لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريد ولا لف من اشباع الفتحة او استكنوا من الكون لانه بطلب من
نفسه ان يكون لمن يخضع له وهذا التعريض عما اصابهم عند الارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم والله يحب
الصابرين فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا
وانصرنا على القوم الكافرين اى وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو
اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم هضما لها واضافة ما اصابهم الى سوء اعمالهم والاستغفار منها وطلب
التثبيت في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا
لان ان قالوا اعرف للدلالة على جهة النسبة وزمان الحدث فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة
والله يحب المحسنين فاتاهم الله بسبب الاستغفار واللجأ الى الله النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا
والجنة والنعيم في الآخرة وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عنده يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا
الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت في قول المنافقين للمومنين عند الهزيمة ارجعوا الى
دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا ما قتل وقيل ان تستكينوا لابى سفيان واشياعه وتستامنوهم يردوكم الى دينهم
وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يخرج الى موافقتهم بل الله مولاكم ناصركم وقوى
بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصرة سنلقى في
قلوب الذين كفروا الرعب بما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب وبلغ ابا
سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله تعالى وقيل الحارجعوا وكانوا
ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستاصلوهم فالقى الله الرعب في قلوبهم فرقوا ابن عامر والكسائى
ويعقوب بالضم على الاصل في كل القرآن بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا اى آلهة
ليس لاشراكها حجة ولو ينزل به عليهم سلطانا وهو كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر واصل السلطنة القوة

١٥٧

وسنة الله تسليطه على اعدائه واستيلاءه لبدء اللسان وبئس مثوى الظالمين اى مثواهم فوضع
الظاهر موضع الضمير للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده اى وعد ايابهم بالنصر بشرط التقوى والصبر
وكان كذلك حتى ساعدت الرماة فان المشركين لما انهزموا اخذ الرماة يقتلونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى
انهزموا والمسلمون على آثارهم اذ تحسونهم باذنه تقتلونهم حسا شديدا حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف
رايكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل وتنازعتم في الامر يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون
فقال بعضهم قد هزمهم الله فما موقفنا هنا وقال اكثرهم لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه امير هم في نفر دون العشرة وبقي
الباقون للنهب وهو المعنى بقوله وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذا
محذوف دل عليه ما بعده منكم من يريد الدنيا وهم الذاهبون للغنيمة ومنكم من يريد الاخرة وهم الثابتون حافظا على
امر الرسول ثم صرفكم عنهم اى كفكم عنهم حتى حالت حال وقلبكم ليبتليكم على المصائب ويمحن ثباتكم على الايمان
عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو
وفي الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء رحمة ايضا اذ تصعدون متعلق بصرفكم او بيبتليكم او
بعفا ذكر وا الاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال صعدنا من مكة الى المدينة ولا تلوون على احد لا
يقف احد لاحد ولا ينتظره والرسول يدعوكم كان يقول الى عباد الله الى عباد الله انا رسول الله من يكر فله
الجنة في اخراكم في ساقتكم ويحامي عنكم الاخرى فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم عطف
على صرفكم والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بعضه من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين و
الارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم او فجازاكم غما بسبب غم اذاقهموه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر في الشدايد فلا تجزعوا فيما بعد على نفع فائت وضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتاسفوا
على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول
اى فاساكم في الاغتمام فاغتممتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يترككم على عصيانكم تسلية لكم لئلا تحزنوا على
ما فاتكم من النصر وعلى ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون عالم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد
الغم امنة نعاسا انزل الله عليكم الامن حتى اخذكم النعاس وعن ابي طلحة غشينا النعاس في الصاف حتى كان
السيف يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه والامنة الامن نصب على المفعول به ونعاسا بدل منها
او هو المفعول وامنة حال متقدمة عليه او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انها
جمع امن كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن يغشى طائفة منكم اى النعاس وقرا
حمزة والكسائي بالتاء ردا على الامنة والطائفة المؤمنون حقا وطائفتهم المنافقون قد اهمتهم انفسهم
اوقعتهم في الهموم وما يهمهم الا انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية
صفة اخرى لطائفة او حال او استيناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر اى الظن

بالله غير الحق الذي يجب ان يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص بالملة الجاهلية واهلها يقولون
اي لرسول الله وهو بدل من يقولون هل لنا من الامر من شيء اي هل لنا اما امر الله ووعده من النصر والظفر بصيب
قط وقيل اخبار انبي بقتل بني الخزرج فقال ذلك والنبي انا صنعنا ان ندبر انفسنا ونصرها باختيارنا فلم يكن لنا امر ولا
شيء او هل يرد علينا هذا القهر فيكون لنا امر ما مرشيء قل ان الامر كله لله اي الغلبة الحقيقة لله واوليائه فان
حزب الله هم الغالبون او القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض وقرأ ابو عمرو ويعقوب كله
بالرفع على الابتداء يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون اي يقولون مظهرين انهم مسترشدون
طالبون للنصر مطمئنين الانكار والتكذيب يقولون اي في انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل
من يخفون او استيناف على وجه البيان له لو كان لنا من الامر شيء كما وعد محمد ودعم ان الامر كله
لله ولاوليائه او لو كان لنا اختيار ورد ندبر ولم نخرج كما كان رأي ابن ابي وغيره ما قتلنا ههنا لما علمنا واما قتل من
قتل منا في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اي لخرج الذين قدر الله
عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم ينفع الاقامة بالمدينة وليقع منه احد فانه قد لا مرد لما قضاه
في سابق قضائه لا معقب لحكمه وليبتلي الله ما في صدوركم يعني ما في صدوركم وظهر سرائرهم لا خلاص
والنفاق وهو علة فعل محذوف اي وفعل ذلك ليبتلي او عطف على محذوف اي ليبرز لنفاد القضاء
او لصالح جزء ولا ابتلاء او على قوله لكيلا تحزنوا وليمحص ما في قلوبكم وليكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس والله
عليم بذات الصدور بخبايا ما قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غني عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتتميز
المؤمنين واظهار حال المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا
يعني ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب في انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطلعوه وافترقوا نوبا
لمخالفتهم النبي صلى الله عليه وسلم بترك المركز والحرص على الغنيمة او الحيوم فشيء النائبة في القلب وقيل استزلال الشيطان
توليهم وذلك بسبب ذنوب قد مضت لهم بعضها بعض كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم وكرهوا
القتل قبل اخلاص التوبة والخروج عن المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم
لا يعاجل بعقوبة المذنب يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم وهم اخلائهم
ومعنى اخوتهم انفاقهم في النسب او المذهب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها او غزوا فماتوا او غيرها وكان حقه
اذ نقوله فلو لم يكنه جاء على حكاية الحال الماضية اذ كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا فاقاموا وما قتلوا
مقول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام
لام العاقبة مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا اي لا تكونوا امثالهم والقصد بذلك القول الاعتقاد ليجعله حسرة
في قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم من لازم اعتقادهم وقيل الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا امثالهم ليجعل
الله انتفاءكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم ما يغيظهم والله يحيي ويميت رد لقولهم اي هو

الموت في الحيوة وللموت لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد والله بما
تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان بما تلوهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على انه وعيد للذين كفروا
ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم اي مُتُّم في سبيله وقرأ نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات لمغفرة من
الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم وهو سادّ مسدّ الجزاء والمعنى ان السفر والغزاء ليس مما يجلب الموت و
يقدم الاجل وان وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما يجمعون من الدنيا
ومنافعها ولو لم تموتوا وقرأ حفص بالياء ولئن متم او قتلتم على اي وجه اتفق هلاككم لا الى الله تحشرون لا الى
معبودكم الذي توجهون اليه بذلك تحكمون توجهه الى غيره لا محالة تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرأ نافع
حمزة والكسائي متم بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة وما مزيدة للتاكيد والدلالة على ان لينه لهم
ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه ولو كنت فظا
سيئ الخلق جافيا غليظ القلب لانفضوا من حولك لنفروا عنك ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما يختص بك
واستغفر لهم فيما يفرط منهم وشاورهم في الامر اي في امر الحرب او ذا الكلام فيه او فيما يحتمل ان يشاور فيه استظهارا
برأيهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شيء بعد المشورة
فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اي
فاذا عزمت لك على شيء وعينته لك فتوكل علي ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم
ويهديهم الى الصلاح ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم
يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوز قوة فلا ناصر لكم
وهذا تنبيه على المقتضى للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله
فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وامتنابه وما كان لنبي ان يغل ما صح
لنبي ان يخون في الغنائم فان النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذ
في خفية والمراد منه اما براءة الرسول صلى الله عليه وسلم عما اتهم به اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم
بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها وظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة فقالوا نخشى
ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم واما المبالغة في النهي للرسول
صلى الله عليه وسلم على ما روي انه بعث طلائع فغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم على من معه ولم يقسم
للطلائع فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرأ نافع وابن عامر وحمزة
والكسائي ويعقوب ان يُغَلَّ على البناء للمفعول والمعنى ما صح له ان يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول ومن يغلل
يأت بما غل يوم القيامة يأت بالذي غله يحمله على عنقه كما جاء في الحديث او بما احتمل من وباله واثمه ثم
توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم يوفى ما كسب لكنه عم

الحكم ليكون كالبرهان على الفحص والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالناس مع عظم حرمة بعضهم اول وبعض لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب عاصيهم أفمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء بسخط من الله بسبب المعاصي ومأواه جهنم وبئس المصير والفرق بينهما وبين المرجعان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع هم درجات عند الله شتى اما بالدرجات لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب او هم ذوو درجات والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها صادر عنهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين انعم على من امن مع الرسول صلى الله عليه وسلم من قومه وخصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة امتنانهم بما وقرره لمن من الله على انه جار مجرى المحنة مثل منا وبعثه اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة ففخر بن به وقرئ من انفسهم اي من اشرفهم لانه صلى الله عليه وسلم كان من اشرف قبائل العرب وبطونهم يتلو عليهم آياته اي القرآن بعد ما كانوا اجلافا لا يسمعون الوحي ويزكيهم يطهرهم من دنس الطبائع وسوء العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ان المخففة واللام هي لام الفرق والمعنى وان الشان كانوا من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم في ضلال ظاهر اولما اصابتكم مصيبة يوم احد وهي قتل سبعين منكم يوم بدر قد اصبتم مثليها قتلتم سبعين منهم يوم بدر وفديتم سبعين اسارى قلتم استفهام للتقرير والتقريع والواو واو عاطفة الجملة على ما سبق من قصة احد او على محذوف مثل فعلتم كذا وقلتم كذا وتناظر قلتم الصدر في اصابتكم اي حين اصابتكم مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم احد والحال انكم قد اصبتم منهم يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين قلتم انى هذا من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند انفسكم اي مما اقترفتموه انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة وايثاركم الحرص على الدنيا وعن علي رضي الله عنه باختياركم الفداء وقد صدق ان الله على كل شئ قدير فيقدر على النصر وسلطه على اربعة بكم او يصيب منكم وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد فباذن الله بقضائه وخلقه الكائن بسببه اذ لا مانع له منه ولا مدافع وليعلم المؤمنين وليتميز المخلصون منهم والمنافقون منيطهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل لهم عطف على ما تقدم او اعتراض والتفات وقيل ادفعوا العدو عن انفسكم او عن حريمكم او عن دينكم بسبب قتال في سبيل الله او ادفعوا بالتكثير سواد المجاهدين بكثرة السواد وهما وجوه حسنة وكثيرة منها قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما حسن ان يسمى قتالا لاتبعناكم ولكن ما انتم عليه ليس بقتال لقلة العدد بالنسبة الى المشركين ولو نخشى قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانهم لا يخطر الايمان ببالهم وكلامهم هذا فيه مضار اولها ما اظهروه من الكفر بقولهم لو نعلم قتالا ونحوه وقيل بهم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان لخذلانهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون ويوالون قلوبهم المستبطنة بالايمان واضافة القول الى الافواه تأكيد وتصوير والله اعلم بما يكتمون من النفاق ويخفونه

لبعضهم الى بعض فانه ليعلم مفصلا ما يعلم واجب وانتم تعلمون مجملا ما اراد الذين قالوا ارفع بدلا من واو اكتموا او تصير
على الذم او الرفع على الذين نافقوا او جر بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله على حبوة لضن بالماء حاتم ليزيدوا ايمانا
اى لاجلهم يريدون من قتل يوم احد من اقربهم او من جنسهم وقعدوا حال مقدرة بقد اى قالوا قاعدين عن القتال لو
اطاعونا في القعود ما قتلوا كما لم يقتل قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين اى ان كنتم صادقين انكم
تقدرون دفع القتل ممن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه فانه اجرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن عن
اسباب الموت كثيرة وكما ان القتال يكون سببا للهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس ولا تحسبن الآية
قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت في شهداء احد وقيل في شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
او لكل احد وقرأ هشام بالتاء كالباقين وبالياء ايضا على اسناده الى ضمير الرسول او من يحسب او الى الذين قتلوا وقرئ
الاول مجزوم لانه في الاصل منبذا جاز الحذف عند الطرفية وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بل هم
احياء اى بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء عند ربهم يرزقون فرحين مسرورين بما آتاهم الله من فضله
لكونهم احياء فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحسنى الابدية والقرب من الله تعالى والتنعم
بنعيم الجنة ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اى باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم
من خلفهم اى الذين من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين وفي معنى
يستبشرون بانهم لهم من الامر الآخر وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا وقتلوا كانوا احياء
لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والآية تدل على ان الانسان غير الهيكل المخصوص بل هو جوهر
مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى في آل فرعون
النار يعرضون عليها الآية وما روى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال ارواح الشهداء
في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من اثمارها وتأوي الى قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر ذلك
ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء عند ربهم القيامة وانما وصفوا بذلك في الحال لتحققه وتنزيله منزلة الواقع
وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحسادهم من يتمنى لاخوانه مثل ما انعم
عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح ليستبشروا وتكريره للتوكيد وليعلق به ما هو بيان لقوله لا خوف عليهم وان يكون
الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بنعمة من الله وفضل زيادة عليه كقوله للذين احسنوا
الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم وان الله لا يضيع اجر المؤمنين من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ
الكسائي بالكسر على انه استيناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة
واجورهم مضيعة الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب على المدح او رفع
خبر لذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتفضيل
التفعيل للمتجسس كلهم محسنون متقون روى ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وقالوا

بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب اصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه القرح فيما ملوا على انفسهم لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وما له الا فرس واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كاذبا ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يعني ابا سفيان واصحابه روي انه نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله فلما كان القابل خرج في اهل حتى نزل مر الظهران فقال الله الرعب في قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له اشرف من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم انوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا فاذا ركبتم و ارتحلوا قد جمعوا لكم فقدروا فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا هم يقولون حسبنا الله فزادهم ايمانا التصديق المستكن للفضول او لصدق قول الواقف لان اريد به نعيم وحده واليا ئه للفضول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل تلبثت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم وظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر رضي الله عنهما قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان حمل الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم يجعل فان اليقين يزداد بالالف كثرة الدلائل وشواهد الحق وقالوا حسبنا الله حسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على ان بمعنى الحسبان لا يستقيم الا باضافة نعم فيما في قولك هذا رجل حسبك وحسبك ونعم الوكيل ونعم المولى والمخصوص بالمدح محذوف اي هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه وفضل ربح في التجارة ونعم لما انوا بدرا وافوا بها سوقا فربحوا اربحوا لم تمسسهم سوء من جراح وكيد عدو واتبعوا رضوان الله الذي هو مناط الفوز لخير الدارين بجزائهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالثبات وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الكراهة على العدو والتحفظ عن كل ما يسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة من الله وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رائه حيث حرم نفسه ما فاز به انما ذلكم الشيطان يريد به المثبط نعيما او ابا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته او صفته وما بعده خبره ويجوز ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان يعني ابليس يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه فلا تخافوهم الضمير للناس الثاني على الاول والى الاولياء على الثاني وحاقوا في عما انتم مرتي فجاهدوا مع رسوله ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله تعالى على خوف الناس فلا يكبرن عليكم ان الذين يسارعون في الكفر

يشون عليه بيرا حريصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿لن يضروا الله شيئا﴾ اى لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم فى الكفر وانما يضرون انفسهم وعينوا عليك لقولهم انكم ان تصروا ﴿شيئا﴾ اى لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم فى الكفر وانما يضرون انفسهم شيئا يشمل المفعول والمصدر ﴿يريد الله ألا يجعل لهم حظا فى الآخرة﴾ فتح الياء وضم الزاء فيه والباقون كذلك فى الكل ﴿يريد الله ألا يجعل لهم حظا فى الآخرة﴾ نصيبا من الثواب فى الآخرة وهو يدل على تمادى طغيانهم وموتهم على الكفر وفى ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ فى رحمته وان مسارعتهم الى الكفر لا يريد الله تعالى لم يريد لهم ان يكون لهم حظ فى الآخرة ولهم ﴿عذاب عظيم﴾ مع الكفران عن الثواب ﴿إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم﴾ تكرير للتاكيد او تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتد من الاعراب ﴿ولا يحسبن الذين كفروا﴾ ﴿انما نملى لهم خير لانفسهم﴾ خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل من يحسب ﴿الذين﴾ مفعول ﴿انما نملى لهم﴾ بدل اشتمال ﴿انما نملى لهم خير لانفسهم﴾ وانما اقتصر على مفعول واحد لان التفويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقولك تعالم يحسب ان اكثرهم يسمعون او المفعول الثانى على تقدير مضاف مثل ولا يحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم ﴿ولا يحسبن﴾ حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية وكان حقها ان تفصل فى الخط ولكنها وصلت لشبهها بان فى اللفظ فتح سينه ابن عامر وحمزة وعاصم والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشانهم من املى له اذا رخى له الطول ليرتحى كيف شاء ﴿انما نملى لهم ليزدادوا إثما﴾ استيناف بما هو العلة للحكم قبلها وهو كالعلة للعلة والام لام ارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح وبكسر الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول فى الايمان وانما نملى لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا لهم خيران انتهوا او ازدادوا كوافيه ما فرطهم فيه ﴿ولهم عذاب مهين﴾ على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو اى ليزدادوا واثما معدا لهم عذاب مهين ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب﴾ الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين فى عصره والمعنى لا يتركهم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحى الى نبيه صلى الله عليه وسلم باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التى لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا المخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس فى سبيل الله ليختبر بواطنكم ويستدل على عقائدكم وقرأ حمزة والكسائى حتى يميز عنه بالتخفيف وفى الانفال بضم الياء وفتح الميم وكسر الياء وتشديدها والباقون بفتح الياء وكسر الميم وسكون الياء ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب﴾ فتعلموا من يؤمن ممن يرتد ﴿ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء﴾ فيوحى اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل عليها ﴿فآمنوا بالله ورسله﴾ بصفة الاخلاص او بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ﴿ولا يحسبن﴾ ولا يقولون الا ما اوحى اليهم روى ان الكفرة قالوا ان كان محمد صلى الله عليه وسلم صادقا فليخبرنا من يؤمن منا

من يكفر فنزلت وعن السدي انه صلى الله عليه وسلم قال عرضت على امتي واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال
المنافقون انه يزعم انه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا وتتقوا
النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا تحسبن الذين يبخلون تريا انهم الله من فضله هو خيرا لهم الهوا
فيما سيق ومن قرأ بالتاء قدر مضافا اليه الباء ولا تحسبن مفعولا اول اي لا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ
بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم او من يحسب وان جعله الموصول كان المفعول الاول محذوفا
اي لا يحسبن الذين يبخلون انفسهم هو خيرا لهم بل هو اي البخل شرا لهم لا يستجلبون العقاب
عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وعنه
عليه الكلام ما من رجل يموت فيدع كنزا الا احمى الله له شجاعا في عنقه يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض
وله ما فيهما ما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله ولا ينفقونه في سبيله او انه يرث منهم ما يملكونه ولا ينفقونه
في سبيله فلا بد لكم وبقي عليهم الحسرة والعقوبة والله بما تعملون من المنع والاعطاء خبير فيجازيهم وقرأ نافع وابن
عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير
ونحن اغنياء قاله اليهود لما سمعوا من الذي يقرض الله قرضا حسنا وروي انه عليه السلام كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى
يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص
بن عازورا ان الله فقير حين يسأل القرض فلطمه ابو بكر وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب
عليه سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق اي سنكتبه في صحائف الكتبة او نحفظه في علمنا لا نهمله
لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله تعالى واستهزاء بالقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم ولذلك نظم مع قتل الانبياء
وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة ارتكبوه وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امتثال هذا القول وقرئ
سيكتب بالياء وضمها وفتح التاء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء ونقول ذوقوا عذاب الحريق اي ونلقنهم بان نقول
لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات في الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل في ادراك
سائر المحسوسات والمجاورات وذكره ههنا لان العذاب يترتب على قولهم الناشئ عن البخل والتهالك على المال
وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف فقد اتى ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال ذلك
اشارة الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء وقولهم هذا وسائر معاصيهم عبر بالايدي عن الانفس
لان اكثر افعالها بهن وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان
نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي لاثابة المحسن ومعاقبة المسيء الذين قالوا هم كعب بن الاشرف وفنحاص
وفنحاص ووهب بن يهوذا ان الله عهد الينا امر نا في التوراة واوصانا الا نؤمن لرسول حتى
يأتينا بقربان تأكله النار بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لانبياء بني اسرائيل وهو ان يتقرب بقربان

فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار سماوية فتأكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل
النار القربان لم يوجب لاحد الايمان الا لكونه معجزة فهو ستأتي المعجزات ستشرح في ذلك قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات
وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين. تكذيب والزام بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى عليهما السلام
بمعجزات اخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم و
امتناعهم عن الايمان لاجله فما لهم لم يؤمنوا من جاء به في معجزات اخر واسرع على اقتراحه فان كذبوك فقد كذب
رسل من قبلك جاؤ بالبينات والزبر والكتاب المنير. تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه واليهود
والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشيء اذا حسنته والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرائع
والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القرآن وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته
وقرأ ابن عامر وبالزبر وهشام وبالكتاب بإعادة الجار للدلالة على انهما مغايرة للبينات بالذات كل نفس ذائقة الموت
وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا
وانما توفون اجوركم تعطون جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا تاما او فيا يوم القيمة يوم قيامكم عن القبور ولفظ التوفية
يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن
زحزح عن النار بعد عنها والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل
الفوز الظفر بالبغية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فليدركه منيته وهو يؤمن بالله
واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما الحياة الدنيا اي لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها
بالمتاع الذي يغر من يناله لدناءته وقلة جدواه او يغر حتى يشتريه وهذا لمن اثرها على الآخرة فاما طالبها للآخرة فهي له متاع بلاغ
والغرور مصدر او جمع غار لتبلون اي والله لتختبرن في اموالكم بتكليف الانفاق وبما يصيبه من الآفات
وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول والطعن في الدين واغراء الكفرة على
المسلمين وان تصبروا على ذلك وتتقوا المخالفة امر الله فان ذلك يعني الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور التي يجب
العزم عليها او مما عزم الله عليه اي امر به وبالغ فيه والعزم في الاصل ثبات الرأي على الشيء مخوامضائه واذ اخذ الله
اي اذكر وقت اخذه ميثاق الذين اوتوا الكتاب بربل العلماء به لتبيننه للناس ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب والام جواب القسم
اللذان نابت عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اي الميثاق وراء ظهورهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا
اليه والمعنى وراء الظهر مثل في ترك الشيء عند ادبر وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه والقاؤه بين عينيه
واشتروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واعراضها فبئس ما يشترون يختارون لانفسهم

وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما من اهله الجم بلجام من نار وعن علي كرم الله وجهه ما اخذ الله على اهل الجهل
ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا
فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ضم الياء جعل الخطاب له وللمومنين
والمفعول الاول للذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا
من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة
من العذاب اي فائزين بالنجاة منه وقرا ابن كثير وابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الذين
فاعل ومفعولا يحسبن محذوف فان يدل عليهما مفعولا سوكده وهو يحسبنهم الثاني وكانه قيل لا يحسبن الذين
يفرحون بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة او المفعول الاول محذوف وقوله فلا تحسبنهم تاكيد للفعل فاعله ومفعوله
الاول لهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روي انه صلى الله عليه وسلم سال اليهود عن شيء مما في التوراة فاخبروه
بخلافه مما كان فيه واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن
الغزو ثم اعتذروا اليهم واحبوا ان يحمدوا على الخلف واستشهدوا به وقيل نزلت في المنافقين فانهم يفرحون بما فقتهم
ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة ولله ملك السموات والارض فهو مالك امرهم
على كل شيء قدير فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار لايات لاولي الالباب لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لكل ذي
العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق في سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة في هذه
الاية لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه الثلاثة معرضة بجملة انواعه فانه اما ان يكون في ذات الشيء
كتغاير الليل والنهار واجزائه كتغاير العناصر وتبدل صورها او الخارج عنه كتغاير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبي
صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي يذكرونه
دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه السلام من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر
ذكر الله تعالى وقيل معناه يصلون على الهيئات الثلث حسبما قدرتهم لقوله صلى الله عليه وسلم لعمران بن الحصين
صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنبك رواه البخاري وفي رواية للشافعي رحمه الله تعالى في
ان المريض يصلي مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه ويتفكرون في خلق السموات والارض
استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال صلى الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب
والمقصود من الخلق وعنه عليه الصلوة والسلام بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى السماء و
النجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول
وفضل اهله ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اي يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه
او الخلق على انه اريد به المخلوق من السموات والارض والبهما لانهما في معنى المخلوق والمعنى

ما خلقته عبثا ضائعا من غير حكمة بل خلقته لحكمة عظيمة من جملتها ان يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا
لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على العمل لنيل الحياة الابدية والسعادة البرهمية في جوارك سبحانك
تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض فبقينا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء
هي الدلالة على ان علمهم بما احاله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة ربنا انك من تدخل النار فقد
اخزيته فقد الخزية غاية الاخزاء ونظيره قولهم اجرك مرعى الضمان فقال ادركه والمراد به ثبوت الاستعاذة منه تنبيها على شناعة فعلهم
وظلمهم الموقع فيه وفيه اشعار بان العذاب الروحاني اعظم وما للظالمين من انصار ادرجهم الى خلدين ووضع المظهر موضع
المضمر للدلالة على ان ظلمهم سبب لا دخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة
نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر ربنا انا سمعنا منادياً ينادي للايمان او قع الفعل على المسموع وحذف السموع
للدلالة عليه وصفه عليه وفيه مبالغة لدلالته على نفس السموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم توصيفه تعظيم لشانه والمراد به
الرسول عليه السلام وقيل القرآن والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص
ان امنوا بربكم فامنا اي امنوا او بان آمنوا فاستجابوا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا فانها ذات
تبعة وكفر عنا سيئاتنا صغائرنا فانها مستتبعة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم
معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه على انهم يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بر او بار كصاحب وارباب ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك اي ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما اظهر امتثاله لما
امر به سال ما وعد عليه لئلا يخاف من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعودين لسوء عاقبة او قصور في الامتثال
او تعلل واستكانة ويجوز ان يحمل على ظاهره وتقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك ومحمولا عليهم وقيل معناه على السنة رسلك
ولا تخزنا يوم القيمة بان تفضحنا بما يقتضيه انك لا تخلف الميعاد باثابة المومن واجابة الداعي
وعن ابن عباس رضي الله عنهما الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة على استقلال
المطالب وعلو شانها وفي الآثار من حزنه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله تعالى مما يخاف فاستجاب لهم ربهم الى
طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه وبالام اني لا اضيع عمل عامل منكم اي باني لا اضيع وقرئ بالكسر
على ارادة القول من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لانهما من اصل
واحد او لفرط الاتصال والاتحاد او للاجتماع والاتفاق في الدين وهي جملة معترضة يبين بها شركة النساء مع الرجال
فيما وعد للعمال روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله الى اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت
فالذين هاجروا الى آخره تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا
الشرك والاوطان والعشائر للدين واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا
الكفار وقتلوا في الجهاد وقرأ حمزة والكسائي بالعكس لان الواو لا توجب ترتيبا والثاني افضل ولان المراد لما قتل
منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير لاكفرن عنهم سيئاتهم لامحون عقابها واذا

جنت تجري من تحتها الانهر وقوبا من عند الله اي اثيبهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد
والله عنده حسن الثواب على الطاعات قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم والمراد امته او تثبيتة على ما كانوا عليه كقولك لا تطع المكذبين او لكل احد والتهي في المعنى للمخاطب والفعل
يترتب للمذكر والمؤنث لانه اسند للضمير بالصيغة والمعنى لا تنظر الى الكفرة عليه من السعة والخط ولا تغترر بظاهر ما ترى من
تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم وبزراعهم لفتى ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في خاء ولين عيش فيقولون
ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي ذلك التقلب
متاع قليل لقصر مدته وفي جنب ما اعد الله للمؤمنين قال صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا مثل احدكم
اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد اي ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنت
تجري من تحتها الانهر خالدين فيها نزلا من عند الله النزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال
ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا * جعلنا القنا والمرهفات له نزلا * وانتصابه على الحال من جنات
والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر لمحذوف والتقدير انزلوها نزلا وما عند الله للكثرة وهو دائمة خير للابرار مما
يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت في ابن سلام واصحابه وقيل
في اربعين من نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا النصارى فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي
لما نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج وصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج
لم يره قط وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين
خاشعين لله حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون من احبارهم
اولئك لهم اجرهم عند ربهم ما خصهم من الاجر ووعدهم في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ان الله
سريع الحساب لعلمه بالاعمال فما يستوجبه كل عامل من الجزاء او استغناءه عن التأمل والاحتياط والمراد ان الآتي
الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء يا ايها الذين امنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم
من الشدائد وصابروا وغالبوا اعداء الله في الصبر على شدائد الحرب وقاوموهم فلا يغلبوكم في الصبر على مخالفة الهوى
وتخصيص هذه الاربعة بالامر بالصبر مطلقا لشدتها ورابطوا ايلوا انفسكم وخيولكم في الثغور متضمرين للغزو وانتظار
على الطاعة كما قال عليه الصلوة والسلام من الرباط انتظار الصلوة بعد الصلوة وعنه صلى الله عليه وسلم من رابط
يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينتقل عن صلوة لا لحاجة واتقوا
الله لعلكم تفلحون واتقوه بالتبرء عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح او اتقوه فيما امرتم به لعلكم تفلحون بنيل المقام الثالث
المترتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لتصفو
الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران اعطي كل آية منها امانا على
جسر جهنم وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس خطاب بعموم بني آدم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة هي آدم عليه السلام وخلق منها زوجها
عطف على خلقكم أي خلقكم من شخص واحد وخلق منها امكم حواء من ضلع من اضلاعه أو نحو ذلك فقدره من نفس
واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة وبث منهما رجالا كثيرا وثناء بيان لكيفية توليدهم
منهما والمعنى نشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء
لان الحكم يقتضي ان تكون النساء اكثر وذكر كثيرا ردا على من يحرم الزواج بالمتوقع على هذه القضية وما فيها من الدلالة على
القدرة القاهرة التي من جملتها ان تحيي وتنعم النعمة الباهرة التي توجب طاعته مولاها وكان امره به تمهيدا للامر بالمتوقع
فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات التي بعدها وقرئ وخالق وبث على حذف مبتدأ
تقديره وهو خالق وبث واتقوا الله الذي تساءلون به اي يسأل بعضكم بعضا فيقول اسالك بالله وأصله
تتساءلون فادغمت التاء الثانية في السين وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بطرحها وكذلك وحام بالنصب عطف على محل الجار والمجرور
كقولك مررت بزيد وعمرا او على الله اي اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقرأ حمزة بالجر عطفا على
الضمير المجرور وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك
حقها يتقى او يتساءل به وقد ورد تساءلون بهما اذا قرن الارحام باسم الله تعالى ان صلتها بمكان منه وعنه صلى الله عليه وسلم الرحم
معلقة بالعرش تقول اللهم من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله تعالى ان الله كان عليكم رقيبا حافظا
مطلعا واتوا اليتامى اموالهم اي اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه
الدرة اليتيمة أما على انه لما جرى مجرى الاسماء كالاباطح والاجارع جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او على انه جمع
يتيم كنديم ونديمى لانه من باب آفات ثم جمع يتيم على يتامى كنديم وندامى وانما اشتقاق يقتضي وقوعه على الصغار
والكبار ولكن العرف خصصه بمن لم يبلغ ودوده في الآية اما للتنبيه على ان الاصل في الاتساء لقرب عهدهم بالصغر
حثا على ان يكف اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزل عنهم هذا الاسم ان اونس منهم الرشد ولذلك امر بابتلائهم
صغارا او لتغاير البلغ والحكم مفيد وكانه قال واتوهم اذا بلغوا ويؤيد الاول ما روي ان رجلا من غطفان كان معه
مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله نعوذ
بالله من الحوب الكبير ولا تتبدلوا تأخذوا الخبيث الحرام بالطيب الحلال ولا تستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم او الامر الخبيث
وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب الذي هو حفظها وقيل ولا تأخذوا الرديء من اموالهم وتعطوا الجيد مكانه
وهذا تأويل بارد ليس بتبديل ولا اكل في اموالهم الى اموالكم ولا تأكلوها مضمومة الى اموالكم اي لا تنفقوها
معها ولا تستوفوا بايديهما وهذا حلال وذاك حرام وهو قياس اريد به الزجر عن الشيء بالزجر عن مقدماته كقوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام
للاكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا وان خفتم ألا تقسطوا
في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء اي ان خفتم ان لا تعدلوا في اليتامى فخافوا في النساء اذا تزوجتم بهن فانكحوا ما طاب لكم

من غيرهن اذ كان الرجل يجد بتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها رغبة في مالها ويعضلها ويسيء عشرتها
على القيام بحقوقهن اوان خفتم ان لا تعدلوا في حقوق اليتمى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ان لا تعدلوا بين النساء فانكحوا
مقدارا يمكنكم الوفاء عنه لان المتحرج من الذنب ينبغي ان يتحرج من الذنوب كلها على ما روي انه تعالى لما عظم
امر اليتمى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من
ولاية اليتمى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا في امر اليتمى فخافوا الزنا فانكحوا احل لكم
وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة او اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن في نظيره او ما ملكت
ايمانكم وقرئ بقطع الطاء وفتح التاء على ان لا مزيدة اي ان خفتم ان تجوروا مثنى وثلاث وربع معدولة
عن عدد مكررة مثنى مثنى وثلث ثلث واربع اربع وهي غير منصرفة للعدل الى الصفة فانها بنيت
وان كانت اصولها لم تبن كذلك وقيل التكرير للعدل فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من
فاعل طاب في معناها الا ذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقوله
اقتسموا هذه البلدة درهمين درهمين وثلثة ثلثة ولو افردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو كررت
بالواو لذهب تجويز الجمع بالكلية وفي العدل فان خفتم الا تعدلوا بين هذه الاعداد ايضا فواحدة اي فاختاروا او فانكحوا واحدة وقد ذكروا
وقرئ بالرفع على انه فاعل يجز وفي اخبره تقديره فيكفيكم واحدة او فالمقنع واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى بين الولد من الاماء
والعدد من الحرائر خفية مروية عن الشافعي رضي الله عنه وعدم وجوب القسم بينهن ذلك اي التقليل منهن او اختيار الواحدة او التسري ادنى
ان لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل على حد السهام
المسماة وقيل بان لا يكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بالكثرة
على الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد فلان
النسري مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى التزوج الاربع والوا التسوية
صدقاتهن مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كسرقة وبضمتين على
وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة نحلة كالنحلة وهي العطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب نفس به وتوقع عوض
بالفريضة ونحوها نظرا الى مفهوم الاية لا الى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء والحال من الواو والصدقات
اي ذوات صدقاتهن نحلا حالين او منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فيكون حالا من الصدقات اي شرعها الله
من قولهم انتحل فلان كذا اذا ادعاه به على انه مفعول له او حال من الصدقات اي دينا من الله شرعه والخطاب للازواج وقيل
للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور مولياتهم فان طبن لكم عن شيء منه نفسا الضمير للصداق او للمعنى او للجزء
بجزء لان الاشارة كقول رؤبة في قوله كأنه في الجلد توليع البهق + اراد كأن ذاك ذاك وقيل للابتداء ونفسا تمييز لبيان الجنس وللذلك وحده
للمعنى فان وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس كن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمين معنى التجافي والتجاوز
فكلوه تناولوه تناولا هنيئا مريئا فكلوه هنيئا مريئا فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة والهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام

ومرفأ اذا ساء من غير تعنيف فيما يقام مقام المصدر او وصف بهما او جعلت حالا من الضمير وقيل الضمير ما يدل عليه الاسناف
والمرئ ما يحمد عاقبته روى ان ناسا كانوا يتامى فتحرجوا ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت ولا تؤتوا
السفهاء اموالكم نهى الاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم امر الجمع فيضيعوها وانما اضاف المال الى الاولياء لانها في
تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للقرينات المتقدمة والمتأخرة وقيل نهى كل احد ان يعمد الى ماله فجعله الله سبحانه وتعالى
امرأته وولده ثم ينظر الى ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قوتا لانفسهم وهو اوفق لقوله
التي جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول وقيل بانها التي من جنس ما جعل الله لكم قياما سمي بها القيام
قياما للمبالغة وقرأ نافع وابن عامر قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقرئ قواما وهو ما يقام به وازرقوهم فيها واكسوهم
واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون اليه وقولوا لهم قولا معروفا وعدة جميلة
تطيب بها نفوسهم كالوعد بالمعروف وما عرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ما انكره احدهما وابتلوا اليتامى اختبروهم قبل
البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والتهدي الى ضبط المال وحسن التصرف وبان يكل اليه مقدمات العقود وعند
ابي حنيفة رحمه الله تعالى بان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى اذا بلغوا النكاح حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلموا او يستكمل
خمس عشرة سنة عندنا لقوله صلى الله عليه وسلم اذا استكمل المولود خمسة عشر سنة كتب ماله وما عليه واقيمت عليه
الحدود وثمانية عشر عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده فان آنستم
منهم رشدا فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احسستم بمعنى احسستم فادفعوا اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ
ونظم الآية ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم
فان استحقاقهم دفع اموالهم بشرطين ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لا يدفع اليهم ما لم يؤنس منهم الرشد وقال
ابو حنيفة رحمه الله تعالى اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الاحوال فالطفل يميز بعدها وهو
بالعبادة ويفرح اليه المال وان لم يونس منه الرشد ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ومبادرين كبرهم اولياء
ومبادرتكم كبرهم ومن كان غنيا فليستعفف عن اكلها ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الآية
ولا اكل بالمعروف مشعر بان الولي له حق في مال الصبي وعنده صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما فآكل من ماله قال
بالمعروف غير متأثل مالا منه ولا واق مالك بماله واريد هذا التقسيم بعد قوله ولا تاكلوها ليدل على انه نهي للاولياء ان يأخذوا
ويستفوا على انفسهم اموال اليتامى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم قبضوها فانه انفى للتهمة وابعد من الخصومة
ووجوب الضمان وظاهره يدل على ان القيم لا يصدق في دعواه الا بالبينة وهو المختار عندنا ومذهب مالك
خلافا لابي حنيفة رحمه الله تعالى وكفى بالله حسيبا محاسبا فلا تخالفوا امره ولا تتجاوزوا ما امر به ولما حلل الكسب للرجال ونصيب
مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون يريد بهما المتوارثين بالقرابة مما قل منه او كثر
بدل مما ترك باعادة العامل نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر مؤكد لان قوله نصيب فريضة من الله او حال اذا المعنى قدر لهم
مفروضا نصيب او على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن

نصيبه لو نيقط رقطمير وبرثن صامت لانصراف خلف زوجته ام كحة وثلث بنات فرضي ابناء سويدا
او قتادة وترك زوجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يورث من يحارب ويكتسب
عن لحوزة فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال لها ارجعي حتى انظر ما يحدث
الله فنزلت بعد اليها لا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده فنزل يوصيكم
الله في اولادكم فاعطى صلعم ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم وهو دليل على جواز تاخير البيان عن الخطاب واذا
حضر القسمة اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم منه فاعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم
وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبالغ من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك او ما دل عليه القسمة
وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية
ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذرياتهم الضعاف
بعده فانهم اولى الحاضرين المريض عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم
فلا يتركوه ان يضر ورثته بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين
متصفين بانهم لو كانوا اولادهم يقولوا لحظهم ضعافا مثالهم هل يجوز ان حرمانهم او للموصين بان ينظروا للورثة كما يحبون
في الوصية ولو بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية
ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب لام عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب
لاولاده غيره ما يحب لاولاده تهديد للحالف لاولاده فليتقوا الله ويقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى الذي هو غاية
الخشية بعد ما امرهم بها مراعاة للمبدا والمنتهى اذ لا تنفع الاولى دون الثانية ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون
لاولادهم بالشفقة وحسن الادب في التعريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة
الشهادة او الحاضرين القسمة عند اجمالا ووعدا جميلا وان يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة
ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اي ظالمين او على وجه الظلم انما ياكلون في بطونهم نارا اي ما يؤديهم
الى النار ويؤول اليها وعن ابي برزة انه صلى الله عليه وسلم قال يبعث الله قوما من قبورهم يتاججوا فوههم نارا فقيل من هم
فقال الم تر ان الله يقول ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا
سيدخلون نارا وای نار وقرا ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ به مشددا وقيل صلى النار
قاسى حرها وصليت شويته واصليته وصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا
اهبتها يوصيكم الله يامركم ويعهد اليكم في اولادكم وشارع بيراثهم وهو اجمال للتفصيل للذكر مثل حظ الانثيين
اي يعدل كل ذكر باثنين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان الفضل الى بيان
فضله والتنبيه على ان التصريح كاف في التفضيل فلا يحرم من بالكلية وقد اشتركا في الجهة والمعنى للذكر
منهم فحذف العلم به فان كن نساء اي اكن الا مولودات خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر

اوعلى اويل المولودات فرق اثنتين خبرتان اوصفة للنساء اى نساء ازائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك الميت
منكم ويدل عليه للغنى وان كانت واحدة فلها النصف اى وان كانت المولودة واحدة وقرأ نافع بالرفع على كان التامة
واختلف في البنتين فقال ابن عباس رضى الله عنهما حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال
الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى بين ان حظ الانثيين اذا كان معه ابنى وهو الثلثان
اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثبتا او يزيد ذلك ان زاد التصيب زيادة العدد ورد ذلك بقوله فان كن نساء فوق
اثنتين ويدل له ان البنت لو احاطت الثلث مع اخيها فالحري ان تستحق معه اختها فالثلثان للبنتين لم فوقهما من الاخوات
وقد فرض لهما الثلثين بقوله ولهما الثلثان مما ترك وكما يرى ولا يرى الميت كل واحدة منهما الثلث بل له منه ثلثا
العامل وقد مر تمام التفصيل على استحقاق كل منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تاكيدا وما ترك ان كان له ميت
ذكر او انثى غير ان الاب يأخذ السدس مع الانثى بالفرضية وما بقى من ذوى الفروض ايضا بالعصوبة فان كن ذكرا
له وان ورثه ابواه فلامه الثلث فلامه الثلث مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط
معين نصيبه لام علم ان الباقى للاب كذلك قال فلهما اى ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغى ان يكون لها مع الجد
ثلث ما بقى دون فرضه كما ذكرنا له الجمهور كالثلث كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما فانه يفيد فى تفضيل الانثى على الذكر المساوى لها
فى جهته والاب بضعف حظها وهو مخالف لنص قوله للذكر مثل حظ الانثيين فان كان له اخوة يرد ونها من
الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انهم يأخذون السادس الذى
حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد باخوة عين ذكر من الاخوة المذكورة من غير اعتبار التثليث سواء كان من الاخوة او
الاخوات وقال ابن عباس رضى الله عنهما لا يحجب الام من الثلث ما دون الثلثة وهو الاخوان لظاهر لفظ اخوة
وقرأ حمزة والكسائى فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التى قبلها من اجل وصية يوصى بها او دين ستعلق بما قبله
من قسمة المواريث كانه اى وصية او دين للورثة من بعد ما كان من وصية او دين وانما قال بها والتى للاباء دون الوالد
للدلالة على ان الوصية متساويان فى الوجوب متقدمان على القسمة مجهولين ومقدرين وقدم الوصية على الدين وهى متأخرة
فى الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة ضائقة عليهم والدين انما يكون على الندور وقرأ ابن كثير
ابو بكر وابن عامر بتنوين الصاد اباؤكم وابناؤكم هؤلاء مبتدأ وخبر لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اى لا تعلمون من النفع لكم
ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم فى عاجلكم واجلكم فتتركون فيهم ما امركم الله به ولا تتعدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روى
ان احد المتوالدين اذا كان ادنى درجة من الآخر فى الجنة سأل ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته او من هو شيكم منهم امن ادنى
منهم فرضكم للثواب بما مضى وصيتام من لم يوص فرض عليكم ما الله فهو اعتراض موكد لامر القسمة او تنقيد الوصية
فريضة من الله مصدر مؤكد لما دل عليه يوصيكم الله لانه فى معنى يأمركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما بالمصالح
والرتب حكيما فيما قضى وقدر ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد ولكن ان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن
اى ولد وارث منى بطنها او من صلب بنيها او بنى بنيها وان سفل ذكر كان او انثى منكم او من غيركم حر من

بعد وصية توصون بها أو دين قطن الرسم مما ترك كثر إن لم يكن لكم ولد وإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما
تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين فرض للرجل حق الزوج ضعف ما للمرأة كما في النشء هكذا قياس كل ما يجعل لأحد الزوجين
اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى عنه الأولاد الأم والمعتق والمعتقة وليستوي الواحد والعدد منهن في الربع والثمن وإن كان
رجل أو امرأة يورث أي يورث منه من ورث صفة رجل أو امرأة خبر كان أو يورث خبره وكلالة حال من الضمير
فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا أو مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الولد والوالد بتقدير أن يكون
الرجل الوارث ويورث من ورث وكلاله اسم من لا يرث الولد والوالد وقرئ يورث على البناء للفاعل أي أولياء الميت وكلالة
يحتمل المعاني الثلاثة وعلى الأول خبر ثان وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهي في الأصل مصدر بمعنى
الكلال أي ذاك الذي لا حي فيه ولا ميت لها من كلاله ولا من حي حي بها في محل الرفع فاستكملت الفاعلية لقرابة ليست
بالبعضية لأنها كالة بالإضافة إلى البهائم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي
وقرأ أه عطف على رجل وله أي وللرجل أو المرئ بحيث عن حكم المرأة لدلالة المعطوف عليه في أحد وجهيه أخ أو أخت أي
من الأم ويدل عليه قراءة أبي وسعد بن مالك وله أخ أو أخت من الأم وإنما ذكر آخر السورة أن من قوله يستفتونك إلى
والآخرة الكل وهو لا يليق بأولاد الأم وأن ما قبله هنا وفي آخر الأم فيتناسب ويتناسق والأول هو الصحيح لأن كل
واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث سوى بين الذكر والأنثى في القسمة لأن
الأولاد بمحض الأنوثة ومفهوم الآية أنهم لا يرثون ذلك مع الأم والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن
فخص بالإجماع من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار أي غير ضار الورثة بالزيادة على الثلث أو قصده
للمضارة بالوصية دون القرابة فإن الأقربين لا يبالون به وهو حال من فاعل يوصى المذكور في هذه القراءة فالمدلول
عليه يعقبه المبني على البناء للمفعول في قراءة ابن عامر وابن كثير وابن عياش عن عاصم وصية من الله مصدر مؤكد
لوصيكم بغير مضار على المفعول به ويجوز أن ترى غير مضار صفة وصية بالإضافة أي كائنة غير مضار وصية من
الله وقرئ الثلث فما دونه بالرفع أو وصية منه بالإضافة والإسناد إلى الوصية والإقرار النكاد والله عليم بالمضار
وغيره حليم لا يعاجل بعقوبته تلك إشارة إلى الأحكام التي قدمت في أمر المواريث والوصايا والمواريث حدود الله
التي هي كالحد والمحدودة التي لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنت تجري من تحتها الأنهار خالدين
فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله
عذاب مهين توحيد الضمير في يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال
مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليسا صفتين لجنات ونارا ولا لوجب
إبراز الضمير لأنها جرت على غير من هي له واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم أي يفعلنها يقال أتى الفاحشة
وجاء بها وغشيها ودرهقها إذا فعلها والفاحشة الزنا لقبحها وشناعتها فاستشهد عليهن أربعة
منكم فاطلبوا من قد فيهن أربعة من الرجال المؤمنين نستشهد عليهن فإن شهدوا أنا مسكوهن في البيوت فلحبسوهن

١٧٥

في البيوت واجعلوها سجنا عليهن حتى يمتن فيهن الموت ليستوفي الزوج الموت او يتوفهن ملائكة الموت وقيل
كان ذلك حقهن في اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية بامساكهن بعد ان يحددن
كيلا يجري عليهن ما جرى لبعض الخارجات والتعرض للرجال ولم يبين كل الحد استغناء بقوله الزانية والزاني او يجعل الله
لهن سبيلا وكعقيبين الحد المخلص عن الحبس والنكال المغني عن التشهير والاذن ان يأتيا بها منكم يعني الزانية والزاني وقرأ ابن
كثير والبزي بتشديد النون وعاصم هنا الالف والباقون بالتخفيف من غير تمكين فاذوهما بالتوبيخ والتقريع
وقيل بالتعنيف والجفاء فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما فاقطعوا عنهما الايذاء واعرضوا عنهما بالاغماض
والستر وترك المذمة قيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة الزناة الاذى ثم الحبس ثم
الجلد وقيل الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين والزانية والزاني في الزنا ان الله كان توابا رحيما
علة الامر بالاعراض وترك المذمة اي انه تواب على الله اي ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب منهم
اذا قبل توبته للذين يعملون السوء بجهالة ملتبسين بها سفها فان ارتكاب القبيح سفه وجاهل ولذلك قيل
من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته ثم يتوبون من قريب من زمان قريب قبل حضور الموت لقوله تعالى
حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امل الحياة قريب لقوله
قل متاع الدنيا قليل او قبل ان يشرف على ما هو فيه فيطبع على قلوبهم جبلة فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اي يتوبون
في اي جزء من الزمان القريب الذي هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت او يتبرين السوء فاولئك يتوب الله
عليهم وعدا بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله اما التوبة على الله وكان الله عليما فهو يعلم باخلاصهم
في التوبة حكيما فلا يعاقب التائب وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت
قال اني تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة
والكفار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة وكانه قال توبة هؤلاء
وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون
لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون الكفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما تاكيد لعدم قبول توبتهم
وبيان ان العذاب اعدّ لهم لا يجزه عذابهم متى شاء ولاعتداد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعدد
فابدلت الدال الاولى تاء يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات
وله عصبة القى ثوبه على امراته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ
صداقها وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم ان
تاخذوهن على سبيل الارث فترثوا وجوههن كارها ومكرهات ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن عطف على ان ترثوا
ولا للتاكيد النفي اي ولا تمنعوهن من التزوج واصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة بيضها وقيل الخطاب

مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام
بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل الا ان يأتين بفاحشة مبينة كالنشوز وسوء العشرة وعلم التعقيب
والاستثناء من اعم عام الظرف والمفعول له تقديره ولا تضلوهن للافتداء الا وقت ان يأتين بفاحشة او
لعلة الا لان يأتين بفاحشة وقرأ ابن كثير وابو بكر بفاحشة مبينة هنا وفي الاحزاب بالطلاق بفتح الياء
والباقون بكسرها وعاشروهن بالمعروف بالانصاف في الفعل والاحتمال في القول فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا
شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا اي فلا تفارقوهن لكراهة النفس فلعلها تكره ما يهواصلح دينا واكثر خيرا فترجع
ما سوء بجاده فوليكن نظركم الى ما سواصلح للدين وادنى الخير وعسى في الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن
فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وان ارتدتم واستبدلتم مكان زوج زوجا تطليقا لها وتزوج اخرى وآتيتم احداهن
اي احداكن الزوجات جمع الضمير لان المراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا فلا تأخذوا منه شيئا اي من القنطار
أتأخذونه بهتانا وآثما مبينا استفهام انكار وتوبيخ اي اتأخذون وتباهتون وآثمين ويحتمل النصب على العلة
كما في قوله فعن لنا عن الحرب حتى لان الاخذ لسبب يكون بهتانهم وافترائهم الباطل قيل كان الرجل منهم اذا اراد جديدة
رغبت التحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء بمهرها فما اعطاها اليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان
الكذب الذي يتحير لكذبه وقد يستعمل في الفعل الباطل وان لم يكن فيه كذب فسر هنا بالظلم وكيف تأخذونه وقد افضى
بعضكم الى بعض اتكاد تستردادها مع الحال الله وصل اليها بالملك مستوفيا بها وتقرر الامر واخذن منكم ميثاقا
غليظا عهدا وثيقا وهو عقد النكاح او ما اوثق الله تعالى عليهم في شأنهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان
او ما اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اخذتموهن بامانة الله تعالى واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم
ولا تنكحوا التي نكحها آباؤكم وآباؤكم من الاسماء التي يستوي فيها المذكر والمؤنث ومن للابتداء او للتبعيض
من النساء بيان ما نكح على التوجيهين الا ما قد سلف استثناء من المعنى اللازم للنهي وكأنه قيل تستحقون العقاب بكل نكاح نكحه آباؤكم
الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله ولا تعبد فيهجر غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
والمعنى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف ان اسكنوا ان تنكحوهن وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف فانه
لا مؤاخذة عليكم انه كان فاحشة زنى ومقتا علة للنهي او ان النكاح كان فاحشة عند الله ما رخص فيه لامة
من الامم ممقوتا عند ذوي المروآت ذلك سمي ولد الرجل من زوجة ابيه المقتي وساء سبيلا حيث سبيل من يراه ويفعله
حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد تحريم ذواتهن
بل تحريم نكاحهن بقرينة ما يعطف عليه من المحرمات التي لا يتصور في حقها الحل من قوله وامهات نسائكم الى قوله وان تجمعوا بين الاختين
في النكاح وامهاتكم تعم من ولدنك او ولدت من ولدك وان علت وبناتكم تعم من ولدتها او ولدت من ولدك وان سفلت واخواتكم الاخوات من الابوين او احدهما وعماتكم كل انثى ولدها من ولد ذكر
وخالاتكم كل انثى ولدها من ولد انثى وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القريبة

البعدى وامهاتكم اللاتى ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة تحرم الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة
اما والمراضعة اختا وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة والاصل الكتاب ودل عليه السنة قال صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما
يحرم من النسب واستثناء اخت ابن الرجل وام اخيه من الرضاع من هذا الاصل الذى يصحيح فان حرمتهما فى النسب بالمصاهرة
دون النسب وامهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن ذكر اولا حرمات النسب الرضاع
لان لها حكم النسب حرمات المصاهرة فان تحرمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب للمراة من
خوطبى به لانه يربيه كما يربب ولده فعالة بمعنى مفعول وانما لحقته التاء لانه صار اسما والالحق بصلتها صفة
لها مقيدة للفظ والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات ايضا لان اذا علقتها بالربائب كانت
وان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب ان يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الاصوليين
اللهم الا اذا جعلتها للاتصال كقوله فالى لست منك ولست منى على معنى ان امهات النساء وبناتهن متصلات
بهن لكن الرسول صلى الله عليه وسلم فرق بينهما فقال فى رجل تزوج امرأة وطلقها قبل ان يدخل بها انه لا باس ان يتزوج
ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها واليه ذهب جماعة العلماء غير انه روى عن على رضى الله تعالى عنه تقبيل الام فيهما
ولا يجوز ان يكون الموصول الثانى صفة للنسائين لان عاملها مختلف وفائدة قوله فى حجوركم تقوية العلة وتكميلها
والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن فى احقيتهن انكم اولى بهن من اولادهن قوى الشبه بينهما وبين اولادهن حقا بان تحرمهن
كتحريم الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روى عن على كرم الله تعالى وجهه جعله شرطا والامهات والربائب تتناولهن
القرينة والبعيل وقوله دخلتم بهن اى خلوتم منهن لان الدخول كناية عن الجماع ويؤيد الذين يذكرون الوطى بشبهة اى ملك
عند ابى حنيفة رحمه الله تعالى لمس المنكوحة ونحوه كالدخول فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم تحريم بعد اشعار
بدفع القيل وهلا قيل آبائكم وابنائكم فعرفهم وجاء بهم حيث الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج الذين من اصلابكم احتراز
عن المتبنى لا عن ابناء الولد وان سفلوا بين الاختين فى موضع الرفع عطفا على المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة
على النكاح فان الحرمة المعدودة كما هى محرمة فى النكاح فهى محرمة فى ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلى رضى الله تعالى
عنهما حرمتهما آية واحلتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله تعالى او ما ملكت ايمانكم فرجح على الله التحريم بهما وعثمان التحليل رضى
الله تعالى عنهما وقول على رضى الله تعالى عنه اظهر لان آية التحليل مخصوصة فى غير ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم ما احل
الحلال والحرام الا عليم بالحرام الا ما قد سلف استثناء عن لازم المعنى او منقطع لكن ما قد سلف معفو لقوله ان الله
كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء ذوات الازواج احصنهن التزويج او الاسلام او الحرية
وقرأ الكسائى بكسر الصاد فى جميع القرآن غير هذا الحرف لان المحصن فرجهن الا ما ملكت ايمانكم بان سبين
من الاوثان وسبين وهن ازواجهن كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبى لقول ابى سعيد رضى الله تعالى عنه
اصبنا سبايا يوم اوطاس وهن ازواجهن فسالنا النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فاستحللنا هن
وايا ما كان فالمراد فى قوله وذات حليل انكحتها ملك اليمين سمى بها تغليبا وقال ابو حنيفة رحمه الله

تتناولهن بعقد الزوجية ان لم يرتفع النكاح ولم تحل للثاني واطلاق الآية والحديث حجة عليه كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذا فرائض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل وأحل لكم عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت ما وراء ذلكم ما سوى المحرمات المذكورة وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها ان تبتغوا اباموالكم محصنين غير مسافحين مفعول له والمعنى احل لكم ما وراء ذلكم ارادة ان تبتغوا النساء باموالكم بالصرف في مهورهن اوانما بهن في حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز ان لا يقدر مفعول لتبتغوا وكانه قيل ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين او بدل من ما وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على ان المهر لا يكون مالا ولا حجة فيه فان الاحصان العفة فانها تحصن النفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا من السفح وهو صب الماء فانه الغرض منه فما استمتعتم به منهن فمن تمتعون به من المنكوحات او فما استمتعتم به منهن من جماع او عقد عليهن فآتوهن اجورهن مهورهن فان المهر في مقابلة الاستمتاع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد لان ايتاء المهر في معنى الفرض فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما يزاد على المسمى او يحط عنه بالتراضي او فيما تراضيا به من نفقة او مقام او فراق وقيل نزلت الآية في المتعة التي كانت ثلثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت كما روي انه صلى الله عليه وسلم ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله تعالى حرم ذلك الى يوم القيمة وفي النكاح الموقت بوقت معلوم سمي بها اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمرأة وتسميته بما يقتضي جوازها ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ثم رجع عنه ان الله كان عليما بالمصالح حكيما فيما شرع من الاحكام ومن لم يستطع منكم طولا غنى واعتلاء واصله الفضل والزيادة ان ينكح المحصنات المؤمنات في موضع النصب بطولا او بفعل مقدر صفة له اي ومن لم يستطع منكم ان يعتلي نكاح المحصنات او لم يستطع غنا يبلغ به نكاح المحصنات يعني الحرائر فمن ما ملكت ايمانكم الاماء من فتياتكم المؤمنات يعني اماء المؤمنات وظاهر الآية حجة للشافعي رحمه الله تعالى في تحريم نكاح الامة على من تملك ما يجعل صداق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا واول ابو حنيفة رحمه الله تعالى طول المحصنات بان يملك ما يتزوج به الحرائر من المهر والنفقة والله اعلم بايمانكم فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر او بتفاضل ما بينكم في الايمان وربما يمنع نفضل الحرة فيه ومن حق كل ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب والمراد تاليسهم بنكاح الاماء ونعم على الاستئناف منه وبينه لكم من بعض الذي تراونهم متناسبون نسبكم من ادم على نبينا وعليه الصلوة والسلام ودينكم الاسلام فانكحوهن باذن اهلهن بريا بالهن واعتبار اذنهم مطلقا لاشعاره على ان طلاق العبد بيد المولى لا بيد العبد بنفسه حتى يجب عليه الحد بزنا المنكوحة وآتوهن اجورهن اي ادوا اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لدلالة

ذكره اوالى والديهن فجاز لهن الخروج للضافي للعلم بان الهم للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يبدى اليه وقال مالك الهمى للاعتدة
الى الظاهر المعروف في غير محل واضطرار وتقصد المحصنات عفائف غير مسافحات غير مجاهرات بالسفاح ولا متخذات
اخدان اخلاء في السراء واذا احصن بالتزويج وقرا ابو بكر وحمزة والكسائي بفتح الهمزة والصاد والباقون بضم الهمزة
وكسر الصاد فان اتين بفاحشة زنا فعليهن نصف ما على المحصنات يعني الحرائر من العذاب من الحد لقوله و
ليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا يتنصف فذلك اى نكاح الاماء
لمن خشي العنت منكم لمن خاف الوقوع في الزنا وهو في الاصل الانكسار والعظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر وكاضر
اعظم من مواقعة الاثم بالحشف القبيح وقيل المراد به الحد وهذا شرط اخر لنكاح الاماء وان تصبروا خير لكم اى وصبركم
على نكاح الاماء متعففين خير لكم قال صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيت والاماء خلاله والله غفور لمن ندم رحيم بان
يريد الله ليبين لكم ما تعبدكم به من الحلال والحرام وما يخفى عنكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وان يبين مفعول يريد و
اللام مزيدة لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما في قول قيس بن سعد اردت لكيما يعلم الناس انها سراويل قيس
والوفود شهود وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اى يريد الحق لاجله ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج
من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طرائقهم ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم
على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم والله عليم بها حكيم في وضعها والله يريد ان يتوب عليكم كرره للتاكيد والاقناع
ويريد الذين يتبعون الشهوات يعني الفجرة فان اتباع الشهوات امارات الانهماك فيها والمتعاطي لما موقوف عند الشرع منها دون غيره
فهو متبع له في الحقيقة لاهلها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت اذا تميلوا عن
الحق ميلا عظيما بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات عظيما بالاضافة الى ميل من قبلهم وخطيئة على لذة وغير مستحل
يريد الله ان يخفف عنكم فلذلك شرع لكم التوبة والكفارة وسهل نكاح الاماء ورخص لكم في المضائق كالمرض والسفر
وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ثمان آيات في
سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثالثة ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر
ان يشرك به وان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا
اموالكم بينكم بالباطل الا بالوجه الذي اباحه الشرع كالغصب والربوا والقمار الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع اى لكن
كون تجارة عن تراض غير منهي عنه او مقصورا على كون تجارة وعن تراض صفة للتجارة اى تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين
وتخصيص التجارة من الوجوه التي بها يحل تناول مال الغير لانها اغلب وافق للذوي المروات ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل
المقصود بالنهي النهي عن صرف المال فيما لا يرضاه الله تعالى وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرأ الكوفيون تجارة بالنصب على كان التامة
واضمار الاسم اى الا ان تكون التجارة او الجهة تجارة ولا تقتلوا انفسكم بالتحريم كما يفعله جهلة الهند او بالقاء النفس الى
التهلكة ويؤيده ما روي ان عمرو بن العاص تاول له في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم او بارتكاب ما يؤدي الى
قتلها او بافتراف ما يزيد كثيرها او يردنيها فانه القتل الحقيقي للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان

المؤمنين كنفس واحدة جمعهم في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استتباعا لحرمة ما يستكمل النفوس وتستوفي فضائلها رأفة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله ان الله كان بكم رحيما اي امرا مرغوبا عنه فلم يرخص لكم في شيء منه ورحمة عليكم معناه انه كان بكم يا امة محمد صلى الله عليه وسلم رحيما اذ لم ير بني اسرائيل بقتل الانفس وقد تاب عنهم ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل وما سبق من الجرائم عدوانا وظلما او الطاني والجاوز عن الحق وايثارا عاجلا لا يستحقه وقيل الراد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس فسوف نصليه نارا اندخله اياها وقرئ بالتشديد ايامن صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله او لذلك من حيث انه سبب للصلي وكان ذلك على الله يسيرا الاحسن فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم سيئاتكم نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبير قد كان ذنب يتاب الشارع عليه جدا او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله تعالى وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى السبع وقيل اراد به ههنا انواع الشرك لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وبينهما وسائط يصدق عليها الامران فمن عن له امران ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الا ترى انه تعالى وتقدس عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم في كثير من خطراته التي لم تعد على غيره خطيئة فضلا ان يواخذ بها وندخلكم مدخلا كريما الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا مع كرامة وقرأ نافع هنا وفي الحج بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عبدا يعلم خيرا والمقتضي للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتقاتل مع تعذر حصوله غالبا بسبب عدم الرضا بقسم الله تعالى وانه نشيء لحصول الشيء له من غير طلب وهو من وم لان تمني ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر وتمني ما قدر له تكسب بطالة وتضييع حظ وتمنى ما قدر له بغير كسب ضائع ومحال للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اي لكل من الرجال والنساء فضل وتصيب بسبب ما اكتسبت ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال صلى الله عليه وسلم ليس الايمان بالتمني وقيل المراد تصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له واسألوا الله من فضله اي لا تتمنوا اما الناس اسالوا الله مسئلة من خزائنه التي لا تنفد وهو دليل على ان المنهي هو الحسد ولا تتمنوا واسئلوا الله من فضله بما يقربه اليكم وقرأ ابن كثير والكسائي واسئلوا الله من فضله وسلهم فضل الذين وشبهه اذا كان امرا مواجها به وقيل السين واو او فاء بغير همز وحمزة في الوقف على اصله والباقون بالهمز ان الله كان بكل شيء عليما فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله

يقرؤ والرجال ولا تقرؤ وانما للنصف من ذلك الذكور دون الاناث فنزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون
ولكل تركة جعلنا ورثة يلونه ويرثون مما ترك وقيل أن لكل منهم نصيبا من التركة وقيل ولكل جعلنا موالي ورثة مما ترك على ان من
صلة موالي لانه في معنى الوراثة في ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استيناف مفسر للموالي وقيل خبر الا ولاد فان الاولاد
لا يرثون بالموالاة ولا يصح كما لا يخفى اول الوالدين او لكل قوم جعلنا هم موالي لحظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا بمعنى
صفة كل والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدأ وخبر والذين عاقدت ايمانكم سوالي الموالاة كان الحليف
يرث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعن ابي حنيفة رحمه الله تعالى لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا عمر وورث او الا فلا وابرم على ان العقد عند الكلام وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره
فآتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف على الوالدان وقوله فانهم جملة
مسببة عن الجملة المتقدمة موكدة لها والضمير للموالي وقرأ الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف المفعول
واقيم الضمير المضاف اليه مقامه فحذف كما حذف في القراءة الاخرى ان الله كان على كل شيء شهيدا تهديد على منع نصيبهم
الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين موهبي وكسبي فقال بما فضل الله
بعضهم على بعض بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الاعمال والطاعات ولذلك
خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها
وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق وبما انفقوا من اموالهم في النكاح من المهر والنفقة روي ان سعد
الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يشكي فقال صلى الله عليه وسلم لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله تعالى امرا والذي اراد الله خير فالصالحات
قانتات مطيعات لله تعالى قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب لواجب ما يجب حفظه في غيبة الازواج مما يجب حفظه في الشهود
والحال عنه صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها
ونفسها وتلا الآية وقيل لاسرارهم بما حفظ الله يحفظ الله تعالى ايا هن يلهم حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد
والتوفيق له وبالذي حفظ الله تعالى لهن من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب
على ان ما موصولة فانها اذا كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذي حفظ حق الله تعالى او طاعته وهو التخفيف
والشفقة على الرجال اللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز فعظوهن ذكرهن ما يجب عليهن
في الشرع من الطاعة وتخويفهن العقاب عليه واهجروهن في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف ولا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل اهجروهن
ولا تباتوهن واضربوهن ضربا غير مبرح ولا شائن ولا تؤثر الا اثرا متوقعا ينفع ان نجع فيها فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن
سبيلا بالتوبيخ واللايذاء والمعنى فان رجعن عما كان منهن التعرض لكم فلا تجعلوا ذلك سببا لتعرضكم لهن ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم وان خفتم شقاق بينهما خطاب للورى
فابعثوا حكما بالضم على اضافته الى المفعول وبكسر الراء وبكسرها ويكبران يقيم احدا او ينقص حقه وان خفتم شقاق بينهما خطاب للورى فابعثوا

زوجه اقسم بهما وان لم يجر ذكرهما بما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف واما الاجراء مجرى المفعول به كقولهم يا سارق الليلة او القائل لهم نهاره صائم فانبعثوا حكما من اهلي وحكما من اهلها فابعثوا الحكام متى لشقة عليكم حلها بينهم لاظهار اصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله واخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال والطف للاصلاح وصف اعلى وجه الاستئناف او نصب على الاجابة بتقدير اللام او الزوج والزوجة واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين او لتبيين الآخر ولا بد لبيان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك رحمه الله تعالى ان يتيقنا العجز عن الاصلاح فيه ان يريدا اصلاحا وحاكم وفق الله بينهما الضمير الاول للحكمين والثاني للزوجين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله تعالى بينهم او قصد الحكمين اي ان قصدا اصلاح يوفق الله تعالى بينهما او قصد الحكمين والزوجين جميعا الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله تعالى بينهما ليتفقا كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان اردا الاصلاح وزوال الشقاق وقد الله تعالى بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يجريه اصلح الله تعالى مبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا صنما او غيره او شيئا من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى وبصاحب القرابة والقربى وللمساكين وللجار ذي القربى الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب بالنسب او بالدين وقرئ بالنصب على الاختصاص او الجار ذا القربى تعظيما لحقه والجار الجنب اي البعيد والذي لا قرابة له وعنه صلى الله عليه وسلم الجيران ثلثة فجار له ثلثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب والصاحب بالجنب الرفيق في امر حسن كتعلم ونصر او صنعة وسفر او جار صحبك وحصل بجنبك وقيل المرأة وابن السبيل المسافر او الضيف وما ملكت ايمانكم العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا متكبرا بان يأنف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بما قوله من كان او نصب على الذم او رفع على اي هم الذين او مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا ويأمرون الناس بالبخل باخفاء بخل سلامة وقرأ حمزة والكسائي بالبخل بفتح الحرفين ههنا وفي الحديد وهي لغة كالعجل والعجل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الغنى والعلم واعتدنا للكافرين عطف على بخلوا اي الذين بخلوا وكتموا واعتدنا للكافرين بنعمتنا عذابا مهينا ووضع الظاهر فيه موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر لنعمة الله تعالى ومن كان كافرا لنعمة الله فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والآية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف الذي هو الانفاق لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا الافراط والتفريط سواء في القبح واستجلاب الذم او مبتدأ خبره محذوف دل عليه بقوله ومن يكن الشيطان وكل بالانفاق مراءاة ثوابه وهم صنف كما مكة وقيل المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا على ان الشيطان قرنهم فحملهم على ذلك وزينه لهم لقوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد بابليس واعوانه الداخلة والخارجة ويجوز ان

يكون وعيد الله بان يقرن بهم الشيطان في النار وما ذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله اى وما
الذى عليهم او اى تبعة تحيق بهم بالايمان والانفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد
في الشيء على خلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الحق ليحمله على ما يورثهم العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة
وتنبيه على ان المدعو الى امر حري فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن النافع وانما قدم الايمان لفضله
واخره في الآية الاخرى لان القصد ثمة الى التحضيض هم هنا والتعليل ثم وكان الله بهم عليما وعيد لهم ان الله لا يظلم
مثقال ذرة لا ينقص من الاجر ولا يزيد في العقاب اصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من اجزاء
الهباء ولمثقال مفعال من الثقل وفي ذكره ايماء الى انه وان صغر قدره عظم اجره وان تك حسنة وان يكن
مثقال الذرة حسنة وانث الضمير لتانيث الخبر او لاضافة المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس شبيها بحروف
العلة وقرأ ابن كثير ونافع حسنة بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها
وكلاهما بمعنى ويؤتي من لدنه ويؤت صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ما وعد في مقابلة العمل اجرا عظيما
عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فكيف حال هؤلاء الكفرة
من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يعني نبيهم يشهد على مساوئ اعمالهم وقبائح افعالهم والعامل في اذا
مضمون المبتدأ والخبر من هول الامر وتعظيم الشان وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيدا تشهد على صدق هؤلاء الشهداء
لعلمك بعقائدهم واستجماعك شرائع مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل
الى المؤمنين لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس يكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا
الرسول لو تسوى بهم الارض بيان لما يجابه حينئذ اى يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان امر الرسول والكفرة والعصاة
في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا او كانوا هم والارض سواء ولا يكتمون الله
حديثا ولا يقدرون كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل لو الى الحال التي يودون ان تسوى بهم الارض وحالهم انهم
لا يكتمون من الله خلقا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روى انهم اذا قالوا ذلك ختم الله تعالى على افواههم
فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرأ نافع وابن عامر تسوى على ان اصله
تتسوى فادغم التاء في السين وحمزة والكسائي تسوى على حذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى يا ايها الذين آمنوا
لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون اى لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تتنبهوا
وتعلموا ما تقولون في صلوتكم روى ان عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه صنع مأدبة ودعى نفرا من الصحابة حين
كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب فقدم احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فانزلت
وقيل اراد بالصلوة مواضعها وهي المساجد وليس المراد منه نهي السكران عن قربان الصلوة وانما المراد منه النهي عن الافعال
في الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى و
سكرى كحبلى على انها صفة الجماعة ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة في موضع النصب على الحال

والجنب الذي اصابه الجنابة يستوي فيه الذكر والمونث والواحد والجمع لانه يجري مجرى المصدر لانه عابري سبيل متعلق
بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اي لا تقربوا الصلوة جنبا في عامة الاحوال الا في السفر وذلك اذا لم يجد الماء
وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم أو صفة لقوله جنبا اي جنبا غير عابري سبيل وفيه دليل على ان التيمم
لا يرفع الحدث ومن فسر الصلوة بمواضعها فسر عابري سبيل بالمجتازين فيها وجوز الجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي
تعالى وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى لا يجوز له المرور في المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق حتى تغتسلوا عاية النهي
عن القربان حال الجنابة وفي الاية تنبيه على ان المصلي ينبغي ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزري نفسه عما يجب تطهيرها
عنه وان كنتم مرضى مرضا يخاف معه عن استعمال الماء فان الواجد الذي كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول اليه او على سفر
لا يجد فيه او جاء احد منكم من الغائط فاجنب بخروج الخارج من احد السبيلين وصار الغائط المطهرين من الارض
او لامستم النساء او مسستم بشرتهن بايديكم وبه استدل الشافعي رحمه الله تعالى على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل
او جامعتموهن وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي المائدة لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة فلم تجدوا
ماء فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المخصص بالتيمم اما المحدث او جنب والحال المقتضية
له في كل منهما مرض او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر له ذكر كرر اية ما يحدث بالاتي وما
يحدث بالغرض استغنى عن تفصيل احواله بتفصيل حال الجنب ببيان العدل مجملا وكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر
او محدثين جئتم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي شيء
شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية يجوز التيمم بكل ما صعد على وجه الارض واجزاه وقال اصحابنا لا بد من ان
يعلق بالايدي شيء من التراب لقوله تعالى في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه وجعل من لابتداء الغاية
تعسفا اذ لا يفهم منها ذلك الا التبعيض والايدي اسم العضو الى المنكب وما روي انه صلى الله عليه وسلم تيمم ومسح يديه الى المرفقين
والقياس على الوضوء دليل على ان المراد ههنا وايديكم الى المرافق ان الله كان عفوا غفورا فلذلك يسير لا مزيد عليكم
ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا من رؤية البصر اي الم تنظر اليهم أو القلب وعدي بالى لتضمين معنى الانتهاء نصيبا
من الكتب حظا يسيرا من علم التوراة لان المراد احبار اليهود يشترون الضلالة يختارونها على الهدى
او يستبدلون بها بعد تمكنهم منه أو حصول العلم بانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ياخذون الرشى ويحرفون
التوراة ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل سبيل الحق والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوتهم
هو لا غيره ما يريدون بكم فاحذروهم وكفى بالله وليا يلي امركم وكفى بالله نصيرا يعينكم فتقوموا عليه والكفوا به عن غيره والباء
يزادان في فاعل كفى لتوكيد الاسناد في الاتصال الاضافي من الذين هادوا بيان للذين اوتوا او نصيبا
فانه يحتمالهم وغيرهم وما بينهما اعتراض وبيان لحالهم أو صلة لنصيرا اي نصركم من الذين هادوا او يحفظكم منهم
او خبر مبتدا محذوف صفته يحرفون الكلم عن مواضعه اي من الذين هادوا وانما يحرفون الكلم اي يميلونه عن
مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها او يؤولونه على ما يشتهون فيميلونه عما انزل

١٨٥

الله فيه وقرئ راعنا بكسر الكاف وسكون اللام جعلوا كلمة تحقيق كلية ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك وقولهم
غير مسمع اى دعوا عليك بلا سمعت بصمم او موت او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع
كلاما غير مسمع اياك لان اذناك تنبوعنه فيكون مفعولا به او اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه
وانما قالوه نفاقا وراعنا انظرنا بحكمك او فهمنا كلامك ليا بالسنتهم فتلا بها وصرفا الكلام الى ما يشينه والسبحيث وضعوا
راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او فتلا بها وضما ما يظهرون من التوقير
والتوقير الى ما يضمرون من السب والتحقير فقالوا سمعنا وعصينا في الدين استهزاء به وسخرية ولو انهم قالوا سمعنا و
اطعنا واسمع وانظرنا ولم يتبعوا قولهم هذا سكان ما قالوه لكان خيرا لهم واقوم لكان قولهم ذلك خيارا لهم
واعدل وانما يجيء حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك للدلالة ان عليه ووقوعه موقعه ولكن لعنهم الله بكفرهم
ولكن خذلهم وابعدهم عن الحق بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا من الايمان قليلا لا يعبأ به وهو الايمان
ببعض الكتب والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله * قليل التشكي للمهم يصيبه * او الا قليلا منهم امنوا وسيو
يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها من
ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة ادبارها يعني الاقفاء او ننكسها الى ورائها في الدنيا او في الاخرة واصل
الطمس ازالة الاعلام الماثلة وقد يطلق بمعنى الطمس في ازالة الصورة ومطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معنا
من قبل ان نغير وجوها فنسلبها حاستها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار ونردها الى حيث جاءت منه
ونحى لزرعات الشام يعني اجلاء بني النضير ويقرب منه قول من قال ان المراد بالوجوه الرؤساء او من قبل ان نطمس وجوها
نعمي الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة او نلعنهم كما لعنا
اصحاب السبت او نخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت او نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود عليه السلام
والضمير لاصحاب الوجوه او للذين على طريق الالتفات او للوجوه ان اريد بها الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول
يدل على ان المراد به ليس مسخ الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال لم يعلم ان وقوعه مشروط بعدم ايمانهم وقد آمن منهم طائفة وكان امر الله بايقاع شيء وعيله وما حكم به وقضاه
نافذا وكائنا فيقع لا محالة ما اوعد به ان لم تؤمنوا ان الله لا يغفر ان يشرك به لانه ثبت الحكم على خلوده
ولان ذنبه لا يمحى عنه اثره فلا يستعد العفو بخلاف غيره ويغفر ما دون ذلك اى ما دون الشرك صغيرا كان
او كبيرا لمن يشاء تفضلا عليه واحسانا وكل المعتزلة الفعلين على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء
وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تثقيل بلا دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة
اولى منه ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشية ينافي وجوب التعذيب بترك التوبة والصغيرة بعدها فالاية كما هي حجة عليهم
هي حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد في النار ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما
اى ارتكب ما يستحق به العقاب الاتم وهو اشارة الى المعنى المفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول يقال على الفعل

وكذلك الاختلاف ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم يعني أهل الكتاب قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل ناس من اليهود جاءوا بأطفالهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أهؤلاء ذنب قال صلى الله عليه وسلم لا قالوا والله ما نحن إلا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه وأثنى عليها بل الله يزكي من يشاء تنبيه على أن تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فإنه العالم بما ينطوي عليه الإنسان من حسن وقبح وقد زكى بهم وفيهم المرتضين من عباده المؤمنين وأصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا أو قولا ولا يظلمون بالذم والعقاب على تزكيتهم أنفسهم بغير حق فتيلا أدنى ظلم وأصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في الحقارة انظر كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم أنهم أبناء الله تعالى وأحباؤه وكفى به إثما مبينا هذا أو بالافتراء إثما مبينا لا يخفى كونه إثما مبينا بين آثامهم ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت نزلت في يهود كانوا يقولون إن عبادة الأصنام أرضى عند الله مما يدعو إليه محمد صلى الله عليه وسلم قيل في حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف في جمع من اليهود خرجوا إلى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أنتم أهل الكتاب وأنتم أقرب إلى محمد منكم إلينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم ففعلوا وأجبت في الأصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل أصله الجنس وهو للذلة خير فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود وغيره ويقولون للذين كفروا لأجلهم وفيهم هؤلاء إشارة إليهم أهدى من الذين آمنوا سبيلا أقوم دينا وأرشد طريقا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنه بشفاعة أو غيرها أم لهم نصيب من الملك بل لهم نصيب من الملك أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار أن يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعم اليهود من أن الملك سيصير إليهم فإذا لا يؤتون الناس نقيرا أي لو كان لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون أحدا مما يؤتى نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة وهذا هو الأعراق في بيان شحهم فإنهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم إذا كانوا أذلاء متفاقرين ويجوز أن يكون المعنى أنكارا نهم أوتوا نصيبا من الملك على الكناية وأنهم لا يؤتون الناس شيئا وإذن إذا وقع بعد الواو والفاء للتشريك مفرد جاز فيه الإلغاء والإعمال ولذلك قرئ فإذا لا يؤتوا على النصب أم يحسدون الناس بل يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أو العرب أو الناس جميعا لأن من حسد على النبوة فكأنما حسد الناس كلهم لما لهم ورشحهم أنكر عليهم الحسد لما ذمهم على البخل وهو أشر الرذائل وكان بينهما تلازما وتجاذبا على ما أتاهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبي الموعود منهم فقد آتينا آل إبراهيم الذين هم أسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وأبناء عمه الكتاب والحكمة النبوة وآتيناهم ملكا عظيما فلم يبعد أن يؤتيه الله تعالى مثل ما آتاهم فمنهم من اليهود من آمن به كعبد الله بن سلام رضي الله عنه وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين ومنهم من صد عنه وأعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن آل إبراهيم من آمن به ومنهم من كفر به ولم يكن في ذلك توهين أمره فكذلك لا يوهن كفر هؤلاء أمرك وكفى بجهنم سعيرا نارا مستعرة يعذبون بها أي إن لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما أعد لهم من سعير

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَالْبَيَانِ وَالتَّقْرِيرِ لِذَلِكَ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا بِأَنْ
يُعَادَ ذَلِكَ الْجِلْدُ بِعَيْنِهِ عَلَى صُورَةِ أُخْرَى كَقَوْلِكَ بَدَّلْتُ الْخَاتَمَ قُرْطًا أَوْ بِأَنْ يَزُولَ عَنْهُ أَثَرُ الِاحْتِرَاقِ لِيَعُودَ إِحْسَاسُهُ لِلْعَذَابِ كَمَا قَالَ
لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ أَيْ لِيَدُومَ لَهُمْ ذَوْقُهُ وَقِيلَ يُخْلَقُ مَكَانَهُ جِلْدٌ آخَرُ وَالْعَذَابُ فِي الْحَقِيقَةِ لِلنَّفْسِ الْعَاصِيَةِ الْمُدْرِكَةِ
لَا لِآلَةِ إِدْرَاكِهَا فَإِنَّهُ مَحَلُّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ مَا يُرِيدُهُ حَكِيمًا يُعَاقِبُ عَلَى وَفْقِ حِكْمَتِهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدَّمَ ذِكْرَ الْكُفَّارِ وَوَعِيدَهُمْ عَلَى ذِكْرِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَعْدِهِمْ
لِأَنَّ الْكَلَامَ فِيهِمْ وَذِكْرُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْعَرَضِ لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا قِيلَ لَا حَرَّ فِيهِ وَدَائِمًا لَا نَسْخَ
الشَّمْسِ وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى النِّعْمَةِ التَّامَّةِ الدَّائِمَةِ وَالظَّلِيلُ صِفَةٌ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الظِّلِّ لِتَأْكِيدِهِ كَقَوْلِهِمْ شَمْسٌ شَامِسٌ وَلَيْلٌ لَيْلٌ وَيَوْمٌ أَيُّومٌ
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا خِطَابٌ يَعُمُّ الْمُكَلَّفِينَ وَالْأَمَانَاتُ وَإِنْ تَرَكَتْ يَوْمَ الْفَتْحِ فِي عُثْمَانَ بْنِ
طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ لَمَّا أَغْلَقَ بَابَ الْكَعْبَةِ وَأَبَى أَنْ يَدْفَعَ الْمِفْتَاحَ لِيَدْخُلَ فِيهَا وَقَالَ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ لَمْ أَمْنَعْهُ فَلَوَى عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى
عَنْهُ يَدَهُ وَأَخَذَ مِنْهُ وَفَتَحَ فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ فَلَمَّا خَرَجَ سَأَلَهُ الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى
عَنْهُ أَنْ يُعْطِيَهُ الْمِفْتَاحَ وَيَجْمَعَ لَهُ السِّقَايَةَ وَالسَّدَانَةَ فَأَمَرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِ فَأَمَرَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى
عَنْهُ بِأَنْ يَرُدَّ وَيَعْتَذِرَ إِلَيْهِ وَصَارَ ذَلِكَ سَبَبًا لِإِسْلَامِهِ فَنَزَلَ الْوَحْيُ بِأَنَّ السَّدَانَةَ فِي أَوْلَادِهِ أَبَدًا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ
النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ أَيْ وَأَنْ تَحْكُمُوا بِالْإِنْصَافِ وَالسَّوِيَّةِ إِذَا قَضَيْتُمْ بَيْنَ مَنْ يَقِفُ عَلَيْكُمْ وَيَرْضَى بِحُكْمِكُمْ وَكَانَ
الْحُكْمُ وَظِيفَةَ الْوُلَاةِ قِيلَ الْخِطَابُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنْ نِعْمَ شَيْئًا يَعِظُكُمْ بِهِ أَوْ نِعْمَ الشَّيْءُ الَّذِي يَعِظُكُمْ بِهِ فَمَا مَنْصُوبٌ
مَوْصُوفٌ بِيَعِظُكُمْ بِهِ أَوْ مَرْفُوعٌ مَوْصُولٌ بِهِ وَالْمَخْصُوصُ بِالْمَدْحِ مَحْذُوفٌ وَهُوَ الْمَأْمُورُ بِهِ مِنْ أَدَاءِ الْأَمَانَاتِ وَالْعَدْلِ فِي الْحُكُومَاتِ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا بِأَقْوَالِكُمْ وَأَحْكَامِكُمْ وَمَا تَفْعَلُونَ بِالْأَمَانَاتِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
الْأَمْرِ مِنْكُمْ يَرِيدُ بِهِمْ أُمَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ فِي عَهْدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعْدَهُ وَيَنْدَرِجُ فِيهِمْ الْخُلَفَاءُ وَالْقُضَاةُ وَأُمَرَاءُ السَّرِيَّةِ
أَمَرَ النَّاسَ بِطَاعَتِهِمْ بَعْدَ مَا أَمَرَهُمْ بِالْعَدْلِ تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ وُجُوبَ طَاعَتِهِمْ لَازِمٌ مَا دَامُوا عَلَى الْحَقِّ وَقِيلَ عُلَمَاءُ الشَّرْعِ لِقَوْلِهِ
وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ اخْتَلَفْتُمْ وَلَوْ لِأَمْرٍ مُنْكَرٍ فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ
وَهُوَ يُؤَيِّدُ الْوَجْهَ الْأَوَّلَ إِذْ لَيْسَ لِلْعَوَامِّ أَنْ يُنَازِعَ الْمُجْتَهِدَ فِي حُكْمٍ خِلَافًا لِلْمُعْتَزِلَةِ وَالْمُرَادُ مِنْ الْأَوَّلِ أَنْ يُقَالَ الْخِطَابُ لِوُلَاةِ الْأَمْرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْأَلْيَقِ
رُدُّوهُ فَارْجِعُوا فِيهِ إِلَى اللَّهِ إِلَى كِتَابِهِ وَالرَّسُولِ بِالسُّؤَالِ عَنْهُ فِي زَمَانِهِ وَالْمُرَاجَعَةِ إِلَى سُنَّتِهِ بَعْدَهُ وَاسْتَدَلَّ بِهِ مُنْكِرُو
الْقِيَاسِ قَالُوا إِنَّهُ تَعَالَى أَوْجَبَ رَدَّ الْمُخْتَلَفِ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ دُونَ الْقِيَاسِ وَأُجِيبَ بِأَنَّ رَدَّ الْمُخْتَلَفِ إِلَى الْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ إِنَّمَا
يَكُونُ بِالتَّمْثِيلِ وَالْبِنَاءِ عَلَيْهِ وَهُوَ الْقِيَاسُ وَبِهَذَا يَبْطُلُ ذَلِكَ الِاسْتِدْلَالُ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَإِنَّ الْإِيمَانَ يُوجِبُ ذَلِكَ ذَلِكَ أَيْ الرَّدُّ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا عَاقِبَةً أَوْ أَحْسَنُ مِنْ تَأْوِيلِكُمْ بِلَا رَدٍّ أَلَمْ تَرَ أَلَمْ تَنْظُرْ يَا مُحَمَّدُ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا كَانَ بَيْنَ مُنَافِقٍ وَخَصْمِهِ يَهُودِيٍّ فَدَعَاهُ الْيَهُودِيُّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَعَاهُ الْمُنَافِقُ

الى كعب بن الاشرف ونحوه انهما اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر رضي
الله عنه فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه فخاصم اليك فقال عمر للمنافق اكذلك قال
نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء
الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فانزلت وقال جبريل عليه السلام ان عمر رضي الله تعالى عنه فرق بين الحق والباطل فسمي
الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف وفي معناه من يحكم بالباطل ويوثر لاجله ويسمى بذلك لفرط طغيانه
او لتشبيهه بالشيطان اولان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث ان الحامل عليه كما قال وقد امروا ان يكفروا
به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كقولهم اولياؤهم الطاغوت
يخرجونهم وقد امروا ان يكفروا به وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف فاء الفعل اعتباطا
ثم ضم اللام بوا والضمير رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا هو مصدر لا واسم للمصدر الذي هو السدر والجناح الفرق
بينه وبين الشد انه غير محسوس والشد محسوس وقرئ يصدون في موضع الحال فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة تقتر
عمر الفاروق المنافق والتقدير من اليه بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك ثم جاؤك حين يصابون
للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا
ما اردنا بذلك الا الفضل والوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه
وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر رضي الله عنه الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه اولئك الذين يعلم الله ما في
قلوبهم من النفاق فلا يغتر بهم الكهان والحلف الكاذب عن العقاب فاعرض عنهم اي عن عقابهم لمصلحة في
استبقائهم او عن قبول معذرتهم وعظهم بلسانك وكنهم عما هم عليه وقل لهم في انفسهم اي في معنى انفسهم او
خاليا بهم فان النصح في السر انجع قولا بليغا يبلغ المراد منهم ويوثر فيهم اثره بالتجافي عن ذنوبهم والنصح كهم والمبالغة
فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا في انفسهم موثرا فيها
ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم على الموصوف والقول البليغ قال ابو القاسم الزمخشري هو الذي يطابق مدلوله المقصود به تماما
وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله بسبب اذنه في طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه كانه احتج
بذلك على ان الذي لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول لما لم يكن
الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل ولو انهم
اذ ظلموا انفسهم بالنفاق او التحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به فاستغفروا
الله بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم شفيعا واما عدل عن الخطاب تفخيما
لشانه وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار التائب فان عظم جرمه وليشفع له ومن منصبه ان يشفع
في كبائر الامة لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه قابلا لتوبتهم مفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجدوا بصادف
كان توابا حالا ورحيما بدلا او خبرا ثانيا او حالا من الضمير في فيه فلا وربك اي فورب لك والمزيدة لتاكيد القسم لتظاهر

قوله لا يؤمنون لانها ترادا يضا في الاثبات كقوله تعالى اقسم بهذا البلد حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلط
واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به او من اجله فان الشاك في ضيق من امره وسلموا التسليما وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ولو انا كتبنا عليهم ان
اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم واستثنيوا من عبادة العجل وقرا ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون على
اصل التحريك واخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع نحو ولا تنسوا الفضل بينكم وقرا عاصم وحمزة بكسرهما
على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل ما فعلوه الا قليل منهم الا اناس قليل وهم المخلصون
لما تبين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا لحكم الله تسليما نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير المكتوب ودل عليه
كتبنا او حمل صدر الكلام على المعنى وقرا ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على الافعال قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون
من متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومطاوعته طوعا ورغبة لكان خيرا لهم في عاجلهم واجلهم واشد تثبيتا في دينهم
لانه اشد لتحصيل العلم ونفي الشك او تثبيتا للثواب اعدادهم ونصبه على التمييز والآية ايضا ما نزلت
في شان المنافق واليهودي وقيل انها والتي قبلها نزلتا في حاطب بن ابي بلتعة خاصم زبيرا في شراج من الحرة كانا
يسقيان بها النخل فقال احبس الماء يا زبير فوالله لا يسرح الماء الى جارك فقال الحاطب لان كان ابن عمتك فقال عليه السلام
اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك واذا لا تينا هم من لدنا اجرا عظيما جواب
لسوال مقدر كانه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لو ثبتوا لا تيناهم لان اذا جواب وجزاء ولهذا نا هم
صراطا مستقيما يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم ابواب الغيب قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم
ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب للطاعة بالوعد
عليها بافقر اكرم الخلائق واعظمهم قدرا من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان للذين حال منه
او من ضميره قسمهم الله تعالى اربعة اقسام بحسب ما لهم في العلم والعمل وحث كافة الناس على ان لا يتاخروا عنهم
وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت
نفوسهم تارة بما في النظر في الحجج والآيات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء
واخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم
في اعلاء كلمة الله تعالى ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم في طاعة الله وامتلاصهم في مرضاته ولذلك تقول المنعم عليهم
هم العارفون بالله تعالى وهو كذلك اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين في مقام الاستدلال بالبراهين
والاولون اما ان يتاتى لهم العيان القريب بحيث يكون لمن يرى الشيء قريبا وهم الانبياء او لا فيكون لمن يرى الشيء
من بعيد وهم الصديقون والاخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين
شهداء الله تعالى في ارضه واما ان يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون وحسن اولئك رفيقا

في معنى التعجب رفيقا نصب على التمييز او الحال لم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق او لانه اريد به حسن كل واحد منهم
رفيقا وروي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال ما بي
من وجع غير اني اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الاخرة فخفت ان لا اراك
هناك لانك عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذلك احين لا اراك
ابدا فانزلت في ذلك اشارة الى ما للمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم الى افضل هؤلاء المنعم عليهم وفيه
الفضل صفة من الله خبره او الفضل خبر ومن الله حال العامل فيه معنى الاشارة وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه
او عقاد بر الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا والاعداء والحذر
كالاكل والاتزود وقيل ما يحذر به كالسلاح والسلام فانفروا فاخرجوا الى الجهاد ثبات جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبيت
على فلان تثنية اذا ذكرت متفرق سرية ويجمع ايضا على ثبين حيز الملحد من عجز او انفروا جميعا مجتمعين
كوكبة واحدة والاية وان نزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيف ما امكن قبل الفوات وان لم
لمن ليبطئن الخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون من منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد
من بطأ بمعنى ابطأ وهو لازم او بطأ غيره كما بطأ بن ابي ناسا يوم احد من بطاء منقول من بطؤ كضخم من ثقل واللام
الاولى للابتداء دخلت اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والجمع اليه استكن
في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن أقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال اي المبطئ قد انعم الله
علي اذ لم اكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبني ما اصابهم ولئن اصابكم فضل من الله كفتح وغنيمة ليقولن الكلام تنبيها على فرط
تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى من كان منكم ومن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو كأن لم
كنت معهم فأفوز فوزا عظيما للتنبيه على ضعف عقولهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد
ان يكون معكم فيجد ما نال او حال عن الضمير في ليقولن او دخل في المقول اي يقول المبطئ لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين تضليلا
وحسدا كان لم تكن بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز به التي كنت معهم وقيل الاة متصل بالجملة
الاولى وهو ضعيف اذ لا فصل ايعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وهو
محذوف وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب بكسر التاء ولتا نيث لفظ المودة والمنادى في الثانية محذوف اي
يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاختصاص فأفوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز في ذلك الوقت
او العطف على كنت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة اي الذين يبيعونها والمعنى ان بطأ
هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الاخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الاخرة
وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكي عنهم ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وعدة الاجر
العظيم بحمل تبعيضا في القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها
على ان المجاهد ينبغي ان يثبت في المعركة حتى يوطن نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات

الى القتال بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين وما لكم مبتدأ وخبرا لا تقاتلون في سبيل الله حال العامل فيها ما في اللام
من معنى الفعل والمستضعفين عطف على اسم الله اى وفي سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن ايدي الكفار
عن العدو او على السبيل بحذف المضاف اى وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله
يعم انواع الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدي الكفار اعظمها واخصرها من الرجال والنساء والولدان
بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لعجزهم عن الهجرة مستذلين مستضعفين وانما
الولدان مبالغة في الحث وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء
حتى يشاركوا في استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد الذين يقولون ربنا اخرجنا
من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فاستجاب الله تعالى دعاءهم
بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لهن بقي منهم خيرا وليا وناصرا ففتح مكة على نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم
ونصرهم حتى استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحاماهم ونصرهم حتى صاروا اعزة اهلها والقرية مكة والظالم صفتها
وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل والمفعول اذا جرى على غير من هو له كان كالفعل لذلك ويونث على حسب
ما عمل فيه الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلحون به الى الله تعالى والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت
فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان
وشجعهم بقوله ان كيد الشيطان كان ضعيفا اى ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله تعالى للكافرين ضعيف
لا يوبه فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على ضعيف ثم وجه آخر فقال الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم عن القتال
واقيموا الصلاة واتوا الزكاة اى استغلوا بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس
كخشية الله يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله تعالى ان ينزل عليهم باسه واذا الفاجاة جواب لما وفريق مبتدأ
منهم صفته يخشون خبره كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقوله المصدر او الحال من فاعل يخشون
على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية الله تعالى او مثل خشية عطف على الناس ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فالواو
بمعنى او لتفصيل اذا نصبا بعلم لم يكن من جملته بل هو معطوف على اسم الله اى يخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الدهر اللهم
الا ان يجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله تعالى او خشية
اشد خشية من خشية الله تعالى وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في معنى الكف عن
القتال حذرا عن الموت ويحتمل انهم ما نفوه هوابه ولكن قاله في انفسهم تحكى انه تناعى نفسه قل متاع الدنيا قليل سريعة
النقضي والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا اى ولا تنقصون اجر شيء من اعمالكم ولو اخرتم الى الآجل قريب
للمقدرة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي ولا يظلمون لتقدم الغيبة ايناما تكونوا يدرككم الموت وقرئ بالرفع على حذف
الفاء كما في قوله ومن يفعل الحسنات الله يشكرها + او على الحال كلاهما مبتدأ وايناما متصل بلا يظلمون ولو كنتم في بروج
مشيدة قرئ في قصور محصنة مرتفعة والبروج في الاصل بيوت على اطراف القصور من برج الحرة اذا ظهرت وقرئ

مشيئة وصفاتها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيئة من شاد القصر اذا رفعه وان تصبهم حسنة
يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك كما يقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية
يقعان على النعمة والبلية وهما المراد في الاية وان تصبهم نعمة نسبوها الى الله تعالى وان تصبهم بلية نسبوها
اليك وقالوا ان هي الا بشومك كما قالت اليهود مذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها قل كل من عند
الله يبسط ويقبض حسب ارادته فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يوعظون به وهو القرآن فانهم
لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من الله تعالى وحديثا ما كبهائم لا افهام لهم واحاديثا من صروف الزمان فيتفكروا
فيها فيعلمون ان الباسط والقابض هو الله تعالى ما اصابك يا انسان من حسنة من نعمة فمن الله تفضلا منه فان
كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافئ في نعمة الوجود فكيف يقتضي غيره ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ما يدخل احد
الجنة الا برحمة الله تعالى قيل ولا انت قال ولا انا وما اصابك من سيئة من بلية فمن نفسك لانها السبب فيها لاستحقاقها
بالمعاصي وهو لا ينافي قوله كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة احسان وامتنان و
السيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها
وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب ما يعفو الله اكثر ولا يثنان كما ترى حجة فيما لنا وللمعتزلة وارسلناك للناس رسولا
حال قصد بها التاكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اي رسولا للناس جميعا كقوله وما ارسلناك الا كافة
للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله لا اجاورك من زور كلام وكفى بالله شهيدا على ارسالناك بنصب المعجزات من يطع
الرسول فقد اطاع الله لانه في الحقيقة مبلغ والامر هو الله تعالى روي انه صلى الله عليه وسلم قال من اجابني فقد اجاب الله تعالى
ومن اطاعني فقد اطاع الله تعالى فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا
كما اتخذت النصارى عيسى عليه السلام فنزلت ومن تولى عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم
ونحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف ويقولون اذا امرتهم بامر طاعة اي امرنا طاعة او امنا
واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات فاذا برزوا من عندك مرجع بيت طائفة منهم غير الذي
تقول اي زورت خلاف ما قلت لها وما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت تدبير الامور بالليل ومن بيت الشعر والبيت المبيت لانه يسوى ويدبر وقرأ حمزة والكسائي بدر وقرأ ابو عمرو بدت طائفة بالادغام
لقربها في المخرج والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائفهم للمجازاة او في جملة ما يوحى اليك لتظلم على اسرارهم
فاعرض عنهم قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم وتوكل على الله في الامور كلها سيما في شانهم وكفى بالله وكيلا يكفيك ويحرسك
وينتقم لك منهم افلا يتدبرون القرآن ان يتاملون في معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر في ادبار الشيء
ولو كان من عند غير الله ولو كان كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان
بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصلح معارضته وبعضه تسهل مطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة
العقل لبعض احكامه دون بعض مما دل عليه استقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف

ما سوى الاحكام ليس لتناقض في الحكم لاختلاف الاحوال في الخير والمصالح وإذا جاءهم أمر من الخوف أو الخوف أذاعوا به
يوجب الامن والخوف أذاعوا به أفشوه كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله
عليه وسلم أو أخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما أوحي اليه من وعد بالظفر أو تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم وكانت
اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة أو المتضمن الاذاعة معنى التحدث ولو ردوه والى الرسول صلى الله عليه وسلم أو الى أولي الامر منهم
الى الرأي والرأي كبار اصحابه البصراء بها وبالامور والاحكام لعلمه على أي وجه يذكره الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيرهم
بتجاربهم فاطنابهم وقيل كانوا يتسمعون أراجيف المنافقين فيذيعونها فيعود وبالا على المسلمين ولو ردوه
الى الرسول صلى الله عليه وسلم والى أولي الامر منهم حتى سمعوه منهم وتعرفوا الدخل يزاع لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطون من الرسول
صلى الله عليه وسلم وأولي الامر أي يستخرجون علمه من جهتهم وأصل الاستنباط اخراج الماء البئر وهو الماء الذي يخرج من أول ما يحفر
ما يحفر ولولا فضل الله عليكم ورحمته بارسال الرسول صلى الله عليه وسلم وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال
الا قليلا الا قليلا منكم بفضل الله تعالى عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن
نفيل وورقة بن نوفل أو الا اتباعا قليلا على الندور فقاتل في سبيل الله ان تنشطوا وتركوك وحدك لا تكلف الا فعل نفسك لا يضر
الا فعل نفسك لا يضر لفحص الفهم وتفاعدهم فقفل الى المدينة وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك كالمجهود روي
انه صلى الله عليه وسلم دعى الناس في يوم الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه الا سبعون فلم يلبثوا
احد وقرئ لا تكلف بالجزم ولا تكلف بالنون على ابتداء الفاعل أي لا تكلف الا فعل نفسك لا أباك فتكلف أحدا بالقتال
لقوله وحرض المؤمنين على القتال الزمه عليك في شأنهم الا التحريض عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا بالغين قريشا وقد فعل
بان القى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله أشد بأسا من قريش وأشد تنكيلا تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه
من يشفع شفاعة حسنة راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضرا أو جلب له نفعا ابتغاء وجه الله تعالى ومنها الدعاء لمسلم قال صلى الله
عليه وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب يستجيب له وقال لك بمثل ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة و
التسبب للخير الواقع بها ومن يشفع شفاعة سيئة يريد بها مضرة يكن له كفل منها ونصيب من وزرها ومضارها في القدر
وكان الله على كل شيء مقتدرا من أقات على الشيء اذا قدر قال ذو الرمة وذي ضغن يقفت الضغن عنه وكنت على
مساءته مقيتا أو شهيدا حافظا واستقاقه من القوت لانه يقوي البدن ويحفظه وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها
أو ردوها الجمهور على ان السلام فيدل على وجوب الجواب بأحسن منه وهو ان يزيد على ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهي الغاية
وأبرد مثله لما روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر
السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته
فقال وعليك فقال الرجل قصرتني فأين ما قال الله تعالى وتلا الآية فقال عليه الصلوة والسلام انك لم تترك لي
فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستيعاب أقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع بمثلها وقيل لو قال وعليك
يجيء المسلم ببعض التحية وبين أن يجيء بتمامها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة

القرآن وفي الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحية في الاصل مصدر حياك الله تعالى الاخبار من الحياة ثم استعمل للحكم و
الدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب السلام وقيل المراد بالتحية العطية فاوجب الثواب الزائد على المثل هو قول
الشافعي رحمه الله تعالى ان الله كان على كل شيء حسيبا حاسبكم على التحية وغيرها الله لا اله الا هو مبتدأ واخبر والله
والخبر ليجمعنكم الى يوم القيمة اي الله تعالى والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيمة او مضيفين اليه في يوم القيمة
ولا الله الا هو اعتراض والقيامة القيمة كالطلابة والطلابة وهي قيام الناس من القبور او المحشر لا ريب فيه في اليوم
او في الجمع فهو حال عن اليوم او صفة للمصدر ومن اصدق من الله حديثا انكار ان يكون احد اكثر صدقا منه فانه
لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله تعالى محال فما لكم في المنافقين فئتين فما لكم تفرقتم في امر المنافقين
فئتين اي فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا منهم استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو
لاجتواء المدينة فلما خرجوا الى ذات الجيش رجعوا مرتدين فاختلف المسلمون في اسلامهم وقيل نزلت في
المتخلفين يوم احد ففي قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن او في قوم اظهروا
الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم او عاملها ما لكم كقولك مالك قائما وفي المنافقين حال من فئتين
اي صرتم فيهم او من الضمير اي فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين وقرأ حمزة والكسائي بما
الصاد الزاي والله اركسهم بما كسبوا ردهم الى حكم الكفرة او نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشيء مقلوبا
اتريدون ان تهدوا من اضل الله ان تجعلوه من المهتدين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الهدى ودوا لو
تكفرون كما كفروا تمنوا ان تكفروا كفرهم فتكونون سواء فتكونون معهم سواء في ضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب على
جواب التمني لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا تتولوهم حتى يؤمنوا ويحققوا ايمانهم بالهجرة
هي لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا عن الايمان المظهر
بالهجرة او عن اظهار الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا
اي جانبوهم رأسا ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من
فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين ينتصلون وينتهون الى قوم عاهدتموهم ويتارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة و
قيل الاسلميون فانه عليه السلام واد عوقت خروجه الى مكة هلال بن عويم الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه
ومن يجيء اليه ممن وراءه والجار ومثل ماله وقيل سراقة بن جعشم الكناني او جاءوكم عطف على الصلة اي الذين جاؤكم كافين
من قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المامور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او الى الرسول صلى الله عليه وسلم وكف
عن قتال الفريقين او على صفة قوم وكانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافين عن قتالكم وعليكم وكلاهما
اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون واستثنى حصرهم صدورهم حال باضمار قد او بدل
على ان قرئ حصرة صدورهم وحصرات او بيان لمجاءوكم وقيل صفة محذوف اي جاءوكم قوما حصرت صدورهم وهم نعت
لمجاءوكم جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين ولضيق والانقباض ان يقاتلوا قومهم اي عن ان او

كان أو كرها ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم بان قوى قلوبهم وبسط صدورهم وانار لهم عيونهم فقاتلوكم
ولم يكفوا عنكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد فما جعل
الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم اسيد
وغطفان وقيل بنو عبد الدار أتوا المدينة واظهروا الاسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا وكلما ردوا الى
دعوا الى الكفر اوالى قتال المسلمين ارتكسوا فيها عادوا اليها وقلبوا فيها أقبح قلب فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم
ويكفوا اليكم العهد ليكفوا أيديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم فان هم
الكف ليوجب التعرض واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم
ووضوح كفرهم وغدرهم أو تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له ولا لين من شأنه ان يقتل
مؤمنا بغير حق الا خطأ فانه على حكم شتم ونصبه على الحال او المفعول له اى لا يقتله في شيء من الاحوال الا حال الخطأ او
يقتله لعلة الا لعلة الخطأ أو على انه صفة مصدر محذوف اى الا قتلا خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي ولا استثناء منقطع اى
لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر ولا خطأ مما لا يضاف القصد الى الفعل او الشخص او لا يقصد زهوق الروح غالبا او لا يقصد محظور
كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف وقرئ خطأ بالمد وخطأ كحصاً بتخفيف الهمزة والآية
نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل بن هشام لأمه قتل حارث بن زيد في طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن
قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اى فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والرقبة العتيق الكريم من الشيء ومنه
حر الوجه لكرم موضع منه ويسمى به لان الكرم في الاحرار والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالرأس ومؤمنة محكوم باسلامه
وان كانت صغيرة ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر الموروث لقول الضحاك بن سفيان الكلابي
كتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني ان اورث امرأة اشيم الضبابي من عقل زوجها وهي على العاقلة فان لم تكن
فعلى بيت المال فان لم تكن في ماله الا ان يتصدقوا او يعفوا عنها فتسقط حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي
صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة اى يجب الدية عليه وتسليمها الى اهله الا حال تصدقهم عليه او ان يعفو
فهو في محل النصب على الحال من القاتل او الاهل أو على الظرف فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة
اى ان كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين أو في تضاعيفهم ولو يعلم ايمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله لانهم
بلغه وبينهم في حكم محاربون وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة
وان كان من قوم كفرة معاهدين او اهل الذمة فحكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان المقتول
معاهدا او كان له وارث مسلم فمن لم يجد رقبة ان ابدلها او ما يتوصل به اليها فصيام شهرين متتابعين فعليه او فالواجب
فعليه صيام شهرين توبة نصب على المفعول له اى شرع ذلك توبة من تاب الله تعالى عليه اذا قبل توبته او على المصدر لان معنى
اوجب عليكم تاب عليكم توبة من الله صفتها وكان الله عليما بحاله حكيما فيما شرع في شأنه
ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما لما فيه من

التهديد العظيم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد به التشديد
اذ روي عنه خلافه والجم هو على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالى لمن تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصص
بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل في مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم
يظفر قاتله فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدفعوا اليه ديته فدفعوها اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا واورد
بالخلود لمكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم
في سبيل الله سافرتم وذهبتم للغزو وتبينوا افاطلبوا بيان الامر وتأنوا ولا تعجلوا فيه وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا
من التثبت في الموضعين هنا وفي الحجرات ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لمن حياكم بتحية الاسلام وقرأ نافع وابن
عامر وحمزة السلم بغير الف اي الاستسلام والانقياد وقيل به السلام ايضا لست مؤمنا وانما فعلت ذلك متعوذا او
مومنا بالفتح اي مثلي وكان اسمه مرداس تبتغون عرض الحياة الدنيا تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاد وهو حال
من الضمير في تقولوا مشعرا بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل امثاله
كذلك كنتم من قبل اي اول ما دخلتم في الاسلام تقولتم بكلمتي الشهادة فحقنت بها دماؤكم واموالكم من غير
ان يعلم مواطاة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستشهاد بالايمان والاستقامة في الدين فتبينوا فافعلوا بالداخل
في الاسلام كما فعل الله تعالى بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الكافر اهون
عند الله تعالى من قتل امرئ مسلم وتكرره تاكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من علل هو ان الله كان بما تعملون
خبيرا عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه روي ان سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت
اهل فدك فهربوا وبقي مرداس فلما رأى الخيل ألجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا كبر وا
كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتلوه وساقوا غنمه فنزلت وقيل نزلت في المقداد
مر برجل في غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله وقال وقد قرأ باطله ودمائهم وفيه دليل على صحة ايمان
المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطأه معتبر لا يستوي القاعدون عن الحرب من المؤمنين في موضع الحال من
القاعدين او من الضمير في الظرف فيه غير اولي الضرر بالرفع صفة للقاعدين لانه لم يقصد بهم قوم باعيانهم او بدل
منه وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه
وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فغشي رسول الله صلى الله
عليه وسلم الوحي وفخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي
القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وانفسهم اي لا مساواة
بينهم وبين من تعذر عن الجهاد من غير علة وفائدة تفضيل كثير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد
ويقاربه وابقة عن الخلط منزلة فضل الله المجاهدين بأموالهم وانفسهم على القاعدين درجة جملة
موضحة لما نفى الاستواء فيه والقاعدون على التفضيل السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اي بدرجة او

على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ودرجة منصوب اما على الحال بمعنى ذوي درجة او التمييز وكلا من القاعدين والمجاهدين
وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما اللفاوت في زيادة العمل المقتضي
لمزيد الثواب وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما نصب على المصدر لان فضل بمعنى اجر او المفعول الثاني
للمتضمن معنى الاعطاء كانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة
كل واحدة منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرا على الحال عنها
تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلهما كرر تفضيل المجاهدين وتالم فيه اجمالا وتفصيلا
تعظيما لمجاهدتهم وترغيبا فيه وقيل الاول راجع الى الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثاني ما جعل لهم
في الآخرة وقيل المراد بالدرجة الاولى ارتفاع منزلتهم عند الله تعالى وبالدرجات منازلهم في الجنة وقيل
القاعدون الاولون هم الاضراء والقاعدون الثاني هم الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل
المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله صلى الله عليه وسلم رجعنا من الجهاد الاصغر
الجهاد الاكبر وكان الله غفورا لما عسى يفرط منهم رحيما بما وعد لهم ان الذين توفاهم الملائكة يحتمل الماضي والمضارع
وقرئ توفيهم وتوفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله تعالى يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها كما يكلهم من
استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت في ناس من مكة
اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا اي الملائكة توبيخا فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم قالوا كنا مستضعفين
في الارض اعتذروا عما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة او عن اظهار الدين واعلاء كلمة قالوا اي الملائكة تكذيبا لهم وتبكيتا
الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة فاولئك مأواهم جهنم لترهيب
الواجب عليهم الكفار وهو خبر ان والفاء فيه تضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حالا من الملائكة باضمار قد او الخبر
قالوا والعائد محذوف اي قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستثنى منه وساءت مصيرا مصيرهم او جهنم
وفي الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من
ارض الا ارضوان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عليهما السلام الا المستضعفين
من الرجال والنساء والولدان استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان
ان اريد به اصناف المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة في كمال الاشعار بانهم على صدد وجوب
الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوتا هو يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت لا يستطيعون
حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين اذ لو قيت فيه او حال عنه او عن المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان
اسباب الهجرة ما يتوقف عليه اهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو
ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يامن ويتوخى الفرصة ويعلق بها قلبه وكان الله عفوا غفورا ومن
يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا ومتحولا من المرغم وهو المراوب وقيل طريقا لاخروجه مراغما يسلوكه اي يفارقهم على رغم انوفهم

وهو ايضا من الرغام وسعة في الرزق والمهاجر الذين يتركون اوطانهم هجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اى ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله * والحق بالحجاز فاستريحا * فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما الترخيم والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله تعالى ثبوت الامر الواجب والآية نزلت في جندب بن ضمرة حمل بنوه على سرير متوجها الى المدينة فمات بالتنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع عليه رسولك فصات حميدا وراء اضربتم في الارض سافرتم فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة تنصيف ركعاتها وتقيد الجار فيدل على جوازه دون وجوبه وليس انه صلى الله عليه وسلم اتم في السفر وان عائشة رضي الله تعالى عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله قصرت وافطرت واتممت وصمت فقال احسنت يا عائشة واوجبه ابو حنيفة رحمه الله تعالى لقول عمر رضي الله تعالى عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم ولقول عائشة رضي الله تعالى عنها اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين فاقرت في السفر وزيد في الحضر وظاهرهما يخالف الآية فان صحا فالاول ما قل بانه كان اتم في الصحة والاخراء والثاني لا ينفي جواز الزيادة فلا حاجة الى تاويل الآية بانهم الفوا الاربع فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتي السفر قصر ونقصان فنفى الايهام عنهما على انه نفى الجناح فيه لطيب انفسهم واقل سفر يقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلوة صفة محذوف وفي شيء من الصلوة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا شرطية باعتبار الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر في قوله تعالى فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد ظاهرت السنن على جوازه ايضا في حال الامن وقرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة تعليق بمفهومه من حضر صلوة الخوف بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم رسول الله صلى الله عليه وسلم كيفية صلوة الخوف ليأتم به الائمة بعده فانهم نوائب عنه فيكون حضورهم كحضوره فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم اثنتين فلتقم احداهما معك يصلون ويقوم الطائفة الاخرى تحاه العدو وليأخذوا اسلحتهم اى الصالون حزما وقيل الضمير للطائفة الاخرى وذكر الطائفة كالاولى بدل عليهم فاذا سجدوا اى فرغوا من السجود والمعنى للصلين من وراكم يكونوا اى غير المصلين من ورائكم يحرسونكم يعني النبي صلى الله عليه وسلم ومن يصلي معه فعلى الحالين على الغائب وفي الثانية التفات ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك ظاهره يدل على ان الامام يصلي مرتين بكل طائفة مرة كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ببطن النخل وان الرباعية يصلي بكل ركعة ان كانت الصلوة ركعتين فكيفيته ان يصلي بالاولى ركعة وينتظرقائما حتى يتموا صلاتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وتاتي الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينظرهم قاعدا حتى يتموا صلوتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى يصلي بالاولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف بازاء العدو وتاتي الاخرى فيصلي معه ركعة ويتم صلوته ثم تعود الى وجه العدو وتاتي الاولى فتودي الركعة الثانية بغير قراءة ويتم صلوتها ثم تعود وتاتي الاخرى فتودي الركعة بقراءة ويتم صلوتها وليأخذوا حذرهم اسلحتهم جعل الحذر آلة يتحصن بها العادي فجعلهم بتأنيثه وبين الاسلحة في وجوب الاخذ ونظيره قوله تعالى والذين

يسوءكم الدار والايمان وذا الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة
تمنوا ان يأتوا منكم غرة في صلوتكم فيتذرون عليكم شلة واحدة ومنوبيا ما لا يحل لهم وانا خذ السلاح ولا يتناول
عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم رخصة لهم في وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض
وفيه اما يومئ ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستيعاب وقيل واجذركم امرهم مع ذلك بالحذر كيلا يهجم عليهم العدو
ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا وعد المؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم ليقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر
بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا في امور هذا العالم اسم التيقظ والتحرز ويتوكلوا على الله تعالى
فاذا قضيتم الصلوة اديتم وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فداوموا على الذكر في جميع الاحوال او
اذا اديتم اداء الصلوة واشتد الخوف فصلوها كيف ما امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم
مشخنين فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف فاقيموا الصلوة فعدلوا واحفظوا اركانها وشرائطها واتوا بها تامة
ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا فرضا محدودا لا وقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها شبه من احوالها هذا دليل على
ان المراد بالذكر الصلوة وانها واجبة الاداء حال المسايفة والاضطراب في المعركة وتعليل الامر بالاتيان بها كيف ما امكن
وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى لا يصلي الخائف حتى يطمئن ولا يخدعا ولا يتضعفوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال
ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون الوانهم وتقريع على التواني فيه بان
ضرر القتال دائرين نوعين غير مختص بهم وهو يرجون من الله تعالى يسببه من اظهار الدين واستحقاق الثواب ما
يرجح عدوهم فينبغي ان يكونوا ارغب منهم في الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان كونوا تالمون
ويكون قوله فانهم يالمون صلة النهي من الوهن لاجله والاية نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليما بامور الكون
حكيما فيما يامر وينهى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس نزلت في طعمة بن ابيرق سرق درعا
من جار قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع
عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها
فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقال بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالوه
ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل
بما اراك الله عما عرفك واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم ولا لاستدعاء ثلثة مفاعيل ولا تكن للخائنين
اي لاجلهم والذب عنهم خصيما للبراء واستغفر الله مما هممت به من عتاب اليهودي ان الله كان غفورا رحيما
لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يخونونها فان وبال خيانتهم يعود عليها او جعلت الخيانة
خيانتها كما جعلت ظلما والضمير لطعمة وامثاله اولاده او لقومه فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا واعلى براءته
خاصموا عنه ان الله لا يحب من كان خوانا مبالغا في الخيانة مصرا عليها اثيما منهما فيه روي ان طعمة هرب الى
مكة وارتد ونقب جدارا بها ليسرق اهلها فسقط الحائط عليه فقتله لا يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا ولا يستخفون

من الله ولا يستغشون منه وهو لحق بان يستحى ويخاف منه وهو معلم لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه الا ترك
ما يستقبحه ويوخذ عليه اذ يبيتون بالليل ويزورون ويكذبون ما لا يرضى من القول من زخرف القول والحلف الكاذب وشهادة
الزور وكان الله بما يعملون محيطا لا يفوت علمه شيء هاانتم هؤلاء مبتدا وخبر جادلتم عنهم في الحياة الدنيا
جملة مبينة لوقوع اولاء اخبارا وصلة عند من جعله موصولا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة امن يكون عليهم وكيلا محاميا
يحميهم من عذاب الله تعالى من يعمل سوءا اقبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه وقيل الاول السوء ما دون الشرك والثاني الشرك
وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله غفورا للذنوب رحيما متفضلا عليه وفيه حث لطمعة وقومه على التوبة
الاستغفار ومن يكسب اثما ما يكتسبه على نفسه فلا يتعداه وبال له لقوله تعالى وان اساتم فلها وكان الله عليما حكيما فهو عالم بفعله حكيم
في مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به بريئا كما دمى طعمة زيدا او وخلا لبعض
المكان او فقرا احتمل بهتانا واثما مبينا بسبب رميه البريء وتبرية النفس الخاطئة وذلك لان سوء يلتبهما وان كان مقترفه
احدهما دون مقترف له حرف لولا فضل الله عليك ورحمته بالاعلام ما هممت عليه بالوحي همت طائفة منهم من بني ظفر ان
يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس الفضل فيه الى نفي همهم بل الى نفي تاثيره فيه وما يضلون
الا انفسهم لانه ما ارتد ذلك عن الحق وعاد وباله عليهم وما يضرونك من شيء فان الله تعالى عصمك وما خطر ببالك ان
اعتمادك على ظاهر الامر هو الميزان في الحكم ومن تتبع في موضع النصب على المصدر اي شيئا من الضرر وانزل الله عليك الكتاب والحكمة
وعلمك ما لم تكن تعلم من خبيات الامور وامور الدين والاحكام وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة
لا خير في كثير من نجواهم من محادثاتهم لقوله تعالى واذ هم نجوى او من تناجيهم فقوله الا من امر بصدقة في محل جر او نصب
على حذف من مضاف اي الا نجوى من امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه
الشرع ولا ينكره العقل ويندرج فيه القرض اعانة الملهوف وصدقة التطوع وسائر ما فيهما او اصلاح بين الناس او اصلاح
ذات بين ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما بنى الكلام على الامر ورتب الجزاء على الفعل
ليدل على انه لما دخل الامر في نصرة الخيرين كان الفاعل داخلا فيهم وان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة
اليه وقيل الفعل بان يكون لطلب مرضاة الله تعالى لان الاعمال بالنيات ومن فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق بها
من الله تعالى اجرا او وصف الاجر بالعظم تنبيها على حقارة ما فاتت في جنبه من اعراض الدنيا وقرا حمزة والبوعم ويعقوب بالياء
ومن يشاقق الرسول يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين في شق غير شق الاخر من يتبين له الهدى ظهر له
الحق بالوقوف على المعجزات وتبليغ غير سبيل المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل او له ما تولى نجعله والياما تولى
من الضلال ونخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها وقرى بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا جهنم
ولا يدل على قبح مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة والاتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لان كلا واحد منهما
او احدهما او الجمع بينهما وانه باطل او يقبح ان يقال من شرب الخمر وكل الخبز استوجب الحد وكل الثلاث لان المشاقة محرمة مطلقا
اليها غيرها او لم يتصح واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لان ترك اتباع سبيلهم يستلزم

عز وسبيلهم اتباع غير سبيلهم وقال سنقصيت اعلاه فيه وفي مرصاد لا كفهام الى مبادي لاحكام ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتاكيد او لنقصة طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اني
منهمك في الذنوب جلة اني لم اشرك بالله تعالى شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم ارقم المعاصي جرأة وما توهمت
طرفة عين اني اعجز الله تعالى هاربا فاني لنادم تائب فما ترى حالي عند الله تعالى فانزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا
عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب فلا استقامة وانما ذكر في الآية الاولى فقد افترى
لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشأ شركهم نوع افتراء هو دعوى التبني على الله تعالى وقد سبق ان يدعون من دونه
الا اناثا يعني اللات والعزى ومناة ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان وذلك اما لتانيث اسمائها
كما قالوا لصنم ومما ذكر فان يسمن فانثى او شذ الاكثر ليس له مذكر وثن فانه على الفراد وهو مكان صغير او سمي مؤنثا
حكمة او لانها كانت جمادات والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تعالى ذكر بهذا الاسم تنبيها
على انهم يعبدون ما يكثمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على نقص
جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربة وقرئ انثى على التوهم
وانث اريت كحبيت وخبيث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسد واسد انثا بهما على قلب الواو والضمة
همزة وان يدعون وان يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا لانه الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكان طاعتهم
في ذلك عبادة له والمارد والمريد الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد وشجرة
مرداء للتي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا عطف عليه اي
شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله تعالى وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه اولا على ان الشرك
ضلال في الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون به ينتفي ان لا يفعل فعلا اختيارا وذلك بين في الالوهية غاية المنافاة فان
الاله ينبغي ان يكون فاعلا مختارا منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهي اعظم الضلال لثلثة اوجه
الاول انه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثاني
انه ملعون لضلاله فلا يستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث انه في غاية العداوة والسعي في اهلاك
وموالاته مع هذا شانه غاية الضلالة فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر لهم وفرض من قولهم فرض له في
العطاء ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم الاماني الباطلة كطول الحيوة وان لا بعث ولا عقاب ولآمرنهم فليبتكن
اذن الانعام يقطعونها لتحريم ما احل الله تعالى وهي عبادة ما كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب واشارة الى تحريم كل ما اخل
بنقص كل ما خلق كاملا بالفعل او القوة ولآمرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين
الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التي هي الاسلام
باستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوصلها من الله تعالى زلفى وعموم اللفظ يمنع الخطأ مطلقا لكن الفقهاء
خصوا في قضاء الليل والحج والجهاد بالاخير كما ذكره الشيطان نقضا او اباء فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله يشاركه

ما يدعوه اليه على ما امرهم الله تعالى به وجاوزته عن طاعة الله تعالى الطاعة فقد خسر خسرانا مبينا اذ قد ضيع راس
ماله وبدل له كما نه من الجنة بكما نه من النار يعدهم ما لا ينجزهم ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم الشيطان الا غرورا
وسولت له النفع فيما فيه الضر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه اولئك ماواهم جهنم ولا يجدون عنها
محيصا معكوسا او ممرا من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال منه والضمير للجنة لانها اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل الا ضافيا قبله
والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنت تجرى من تحتها الانهر خلدين فيها ابدا وعد الله حقا اى
وعدهم وعدا وحق ذلك حقا الاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التى قبلها وعد والثانى مؤكد
لغيره ويجوز ان ينصب المصدر بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه
حال من المصدر او من ضمير الله وقيل جملة موكدة بليغة والمقصود من الاية معارضة امانى الكاذبة
لقرنائه بوعد الله تعالى الصادق لاوليائه والمبالغة فى توكيده ترغيبا للعباد فى تحصيله ليس بامانيكم ولا امانى
اهل الكتب اى ليس ما وعد الله تعالى من الثواب بامانيكم ايها المسلمون ولا بامانى اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل
الصالح وقيل ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل روى ان المسلمين واهل الكتاب افتخر وافقال
اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله تعالى منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا
خاتم النبيين وكتابنا يقضى على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم اى ليس الامر بامانى
المشركين وقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ولا امانى اهل الكتاب وهو
قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك وقال من يعمل سوءا
يجز به عاجلا او آجلا لما روى انه لما نزل قال ابو بكر رضى الله تعالى عنه فمن يسلم منا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم اما تحزن
انت يا ابا بكر وامثالك فانكم تصيبكم البلاء فى الدنيا فيكفر عنكم وقيل المراد عموم الجزاء فى الدارين ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ولا
يجد لنفسه اذا جاوز ولاية الله تعالى ونصرته من يواليه وينصره فى دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات
بعضها وشيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى فى موضع الحال من المستكن
فى يعمل ومن للبيان او من الصالحات اى كائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل
بها فى استدعاء الثواب المذكور وتنبيها على انه لا اعتداد به دونه فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا بنقص شىء
من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحرى الا يزاد عقاب العاصى لان المجازى ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب
الثواب وقرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر يدخلون الجنة هنا وفى مريم وغافر بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم
الخاء ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله تعالى لا يعرف ظاهرا لغيره وقيل يذل وجهه لله فى السجود
وفى هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ما يبلغه القوة البشرية وهو محسن فى اتى بالحسنات تارك للسيئات
واتبع ملة ابراهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها حنيفا مائلا عن سائر الاديان وهو حال
من المتبع او الملة او ابراهيم واتخذ الله ابراهيم خليلا اصطفاه وخصه بكرامة تشبه

كرامة الخليل عند خليله وانما عاد ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه يتخلل النفس ويخالطها وقيل من الخلل فان كلا واحد من الخليلين يسد خلل الآخر ومن الخل هو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريق او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استينافية جيء بها للترغيب في ملته عليه السلام والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية في كمال البشرى وان ابراهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر في ازمنة اضاقت الناس بحيث ارسل يمتارمنه فقال خليله لو كان ابراهيم يريد نفسه لفعلت ولكن يريده للاضياف وقد اصابتنا ما اصاب الناس فاجتاز على انه ببطحاء لينة فملأ منها العدائر حياء من الناس فلما اخبره ابراهيم ساره الخبر فغلبتها عيناه فنام وقامت سارة الى عدائرها فاخرجت منها حوارى واختبزت به فاستيقظ ابراهيم على نبينا وعليه الصلوة والسلام فاشتم رائحة الخبز فقال من اين هذا الكرم فقالت من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله تعالى خليله ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا يختار منها ما يشاء ومن يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال المقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال وكان الله بكل شيء محيطا احاطة وقدرة فكان عالما باعمالهم فيجازيهم على خيرها وشرها ويستفتونك في النساء في ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصين اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنا انك تعطي ابنة الصعق واخت الصعق النصف واما كنا نورث من لا يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال صلى الله عليه وسلم كذلك امرت قل الله يفتيكم فيهن يبين لكم فيهن ولا افتاء تبيين المبهم وما يتلى عليكم في الكتاب عطف على اسم الله تعالى او ضميره المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله تعالى والى ما في القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه والفعل الواحد ينسب الى فاعلين باعتبارين مختلفين ونظيره اعطاني زيد وعطاؤه واستيناف معترض لتعظيم المتلو وعلى الاول ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره والمراد اللوح المحفوظ ويجوز ان ينتصب على معنى يبين لكم ما يتلى عليكم في الكتاب او يخفض على القسم كانه قيل القسم بما يتلى عليكم لا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلال لفظا ومعنى في يتامى النساء صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله لو بني عليكم في شانهن ولا قيل لان فيهن اصلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم في زيد وهذه الاضافة بمعنى من كما في اضافة الشيء الى جنسه وقرئ بيتامى على انها ايامى فقلبت همزته ياء واللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي فرض لهن من الميراث وترغبون ان تنكحوهن في ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن فان اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلة ويأكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن طمعا في ميراثهن والواو يحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جواز ان العقد في صغرها وللمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثون الصغار كما لا يورثون النساء وان تقوموا لليتامى بالقسط ايضا عطف عليه اي ويفتيكم وما يتلى عليكم في ان تقوموا لهذا اذا جعلت في يتامى صلة لاحدهما فان جعلته للابكار فالواو يضمهما عطفا على موضع فيهن ويجوز ان ينتصب وان تقوموا باضمار وفعل اي ويامركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة في شانهم وما تفعلوا من خير فان

الله كان به عليما وعدلن تستطيعوا بين النساء في ذلك وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او تعرضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير
النخائل وامرأة فاعل لفعل يفسره الظاهر نشوزا ترفعا عليه وتجافيا عنه او بغضا او سوء عشرة او كبرا او طمعا في غيره او نحو ذلك او اعراضا بان يقل
مجالستها ومحادثتها او يمنع نفقتها او كسوتها او حقا من حقوقها او اعراضا بان يقل
تستميله به وقرأ الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين الشريكين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما
ظرف او حال منه او على الاصل كما في القراءة الاولى والمفعول اليه اما هو محذوف وقرئ يصالحا من اصلح جمعنى اصطلح
والصلح خير من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة ويجوز ان لا يراد به التفضيل بل بيان ان الله من الخير بالصلح ان
ان الخصومة من الشر وهو اعتراض ولكن اقوله واحضرت الانفس الشح كالدليل اعترض بها بين الجانبين او الاول
للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه
فلا تكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها ولا الرجل ليسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي او تحب غيرها وان تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض فان الله كان بما تعملون من الاحسان
والخصومة خبيرا عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما بأعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب
الشرط اقامة المسبب مقام السبب ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر
ولن لك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تلمني فيما تملك
ولا املك ولحرصكم على تحري ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والجور على المرغوب
عنها فان سلوكه كذلك لا يترك كله فتذروها كالمعلقة التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي صلى الله
عليه وسلم من كانت له امرأتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة واحد شقيه ساقط وان تصلحوا ما كنتم تفسدون
من امورهن بترك القسم فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى من ميلكم وان يتفرقا وقرئ وان
يتفكرا اي وان يفارق كل واحد منهما صاحبه يغن الله كلا منهما عن الاخرة بدله وسلوة عن سعته ضيقه وفقد
وكان الله واسعا حكيما مقتدرا مستغنيا فما فعله واحكامه ولله ما في السموات وما في الارض تنبيه على كمال سعته
وتحذير وتهديد الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة
بوصينا او باوتوا ومساق الآية لتأكيد الامر بالاخلاص وايانكم عطف على الذين ان اتقوا الله بان تقوه
بكون ان مفسرة لان التوصية في معنى القول وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض على ارادة القول
اي وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله الملك كله لا يضره كفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم
وتسكم لرحمته لا لحاجة له فقرر ذلك بقوله وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا في ذاته حمد او لم يحمد ولله
ما في السموات وما في الارض كرره تأكيدا للدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على
غناه وتحمله عليها من الوجود وانواع الخصائص والكمالات على كونه حميدا وكفى بالله وكيلا راجع الى قوله يغن الله
كلا من سعته فانه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير ان الملك ان يشأ يذهبكم ايها الناس فيكم مفعول يشأ محذوف

في المنافقين وهم قال آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين
ومنع بشرهم ان اذيقهم الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين في محل النصب او الرفع على
الذم بمعنى ازيل الذين او هم الذين ايبتغون عندهم العزة ابتغزون بموالاتهم فان العزة لله جميعا
لا تعز ذا الامر عزه وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين لا يكونه بعزة غيرهم بالاضافة
الهم او قد نزل عليكم في الكتاب يعني القران وقرئ غير عاصم نزل والفاعل ضمير الله او ما يدل عليه ان اذا سمعتم ايات الله
وهي المخففة والمعنى انه اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزء بها حالان من الايات حين نهيتم بهما التقييد النهي عن المجالسة
في قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره الذي هو جزاء الشرط بما اذا كان من يجالسه هازئا
معاندا غير مرجو ويعويده الغائبة وهذا بين كلا ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رايت الذين يخوضون في ايتنا
الاية والضمير في معهم للكفرة اما لان عليهم بقوله يكفر بها ويستهزء بها انكتم اذا مثلهم في الاثم لا كرهم قادرون على
الاعراض عنهم والانكار عليهم او الكفر ان رضيتم بذلك وان الذين يقاعدون الخائضين في القران من الاخبار كانوا
منافقين ويدل عليه قوله جامع المنافقين والكفرين في جهنم جميعا يعني القاعدين والمقعود معهم واذا ملخفا
لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ
بالفتح على البناء لاضافته الى مبني كقوله مثل ما انكم تنطقون الذين يتربصون بكم ينتظرون وقع امركم وهو بدل
من الذين يتخذون او صفة المنافقين والكافرين او ذم مرفوع او منصوب او مبتدأ خبره فان كان لكم فتح من الله
قرئ لو الم معكم معكم مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما اصبتم وان كان للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال قالوا الم
نستحوذ عليكم اي قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم ولا نبذل اجتهادنا في الاستيلاء وكان القياس ان
يقال استحاذ بسكتة بين الالفين اسحاذة فجاء تتمة على الاصل وقرئ بالادغام من المؤمنين بان خذل لنا هم بتعويل ما ضعفت به قلوبهم
وتوانينا في نظاهرتهم فاشركونا فيما اصبتم وانما سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخستهم حظهم فانه مقصور
على امر دنيوي سريع الزوال فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حجة او في الدنيا
والمراد السبيل الحجة واحتج به اصحابنا على فساد قياس الكافر المسلم والحنفية على صحة ان كفره لا ينافي ان يكون
اذا عاد الى الاسلام قبل مضي العدة ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم سيق الكلام فيه اول سورة البقرة واذا قاموا الى
الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان يراؤن الناس يحاولهم مرائين
والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري من يراءيه عمله وهو يريه استحسانا له ولا يذكرون
الله الا قليلا اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة من يراءيه وهو اقل احواله او لان ذكرهم باللسان قليل لانه
الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلوة وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم مذبذبين بين
حال من واو يراؤن كقوله ولا يذكرون اي يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين اوو او يذكرون او منصوب على الذم والمعنى
مرددين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهو جعل الشيء مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال

يعني بكل بنان قادرين على ان نسوي بنانه على صغرها فكيف بالكبار ويجوز ان يكون المعنى بلى نجمعها قادرين
تارة في دبته وتارة في دبته وهي الطريقة الاولى هو ذكره ذلك الى الهوى لانه منسوب بن الى المؤمنين والى الكفرين او لاهما
الى الحالتين بالكلية ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له
نورا فما له من نور يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين فانه صنيع المنافقين ودبيرهم
فلا تشتبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فان سوء صنيعهم دليل على النفاق او سلطانا
ليس عليكم عقابه ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار هو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم
اضيفت الكفرة ازدادوا الى الكفر استهزاء بالاسلام ومخادعة المسلمين ولما قوله صلى الله عليه وسلم ثلثة من كن فيه
فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان ونحو من باب
التشبيه والتغليظ وانما سميت طبقاتها السبع دركات كانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرأ الكوفيون
بسكون الراء وهو لغة كالشطر والشطر والنهر والنهر وجملة لا يجمع على ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه الا الذين
تابوا عن النفاق واصلحوا ما افسدوا من امرهم واخلصوا دينهم من شوائب الرياء واعتصموا بالله وبقوله وتمسكوا بدينه و
اخلصوا دينهم لله لا يريدون بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين ومن عداد هم في الدارين وسوف يؤت الله
المؤمنين اجرا عظيما فيسامحهم فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم اي شيء يغيظه او ينفع ضرا او يستجلب
نفعا وهو الغني المتعالي عن النفع والضر وانما يعاقب المضر بكفره كان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدي الى مرض فاذا زال
بالايمان والشكر ونفع عنه نفسه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر شكرا مبهما يعين النظر حتى يدرك
المنعم فيؤمن به وكان الله شاكرا مثيبا يقبل القليل ويعطي الجزيل عليما بحق شكركم وايمانكم لا يحب الله الجهر
بالسوء من القول الا من ظلم الا لمن جهر من ظلم بالدعاء على الظالم او انتصر بعد ظلمه روي ان رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكى
فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا اي ولكن الظالم يفعل ما لا يحب
وكان الله سميعا لكلام المظلوم عليما بالظالم ان تبدوا خيرا طاعة وبرا او تخفوه او تفعلوه سرا او تعفوا
عن سوء لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر ابداء الخير واخفاءه تنبيه له وكذلك رتب عليه قوله
فان الله كان عفوا قديرا اي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فانتم اولى بان تعفوا وهو حث
للمظلوم على العفو بعد ما رخص له في الانتصار وحمل على مكارم الاخلاق ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا
بين الله ورسله بان يؤمنوا بالله تعالى ويكفروا برسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض الانبياء ونكفر
ببعضهم ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق لا يختلف
فان الايمان بالله تعالى انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا او اجمالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر
بالكل في الضلال كما قال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال اولئك هم الكافرون اي هم الكاملون في الكفر لا عبرة بايمانهم
هذا حقا مصدر مؤكد لغيره او صفة لمصدر الكافرين يعني هم الذين كفروا حقا اي يقينا محققا واعتدنا

للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات والأرض وكان الله عليما حكيما يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم

انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله اى بزعمه ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون وان يكون
استينافا من الله تعالى حكاية او وضعا للذكر الحسن كان ذكرهم القبيح وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روى
ان رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله
تعالى بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب يدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى
الله تعالى عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا منافقا فدخل ليدل عليه فالقى الله تعالى عليه شبهه فدل
وصلب وقيل دخل طيطانوس اليهودى بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله تعالى شبهه فلما خرج ظن انه عيسى عليه السلام
فاخذ وصلب فان مثال ذلك من الخوارق التى لا تستبعد فى زمان النبوة وانما ذمهم الله تعالى بما دل عليه الكلام
من جرأتهم على الله تعالى وقصدهم قتل نبيه الموتيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لا لقولهم هذا على حسب
حسبانهم وشبهه مسندا الى الجار والمجرور كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى عليه السلام والمقتول
او الى الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن اريد بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول للدلالة انا قتلنا
على انه مقتول وان الذين اختلفوا فيه فى شان عيسى عليه السلام فانه لما رفعت تلك الوقعة اختلف
الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا قتلناه حقا وترددا آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فان صاحبنا
وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله تعالى يرفعنى الى السماء انه رفع
الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لبقى شك منه لفى تردد والشك كما يطلق على ما لا
يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكد بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن
استثناء منقطع اى لكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذى لم يكن اليه النفس اجزم
كان او غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه يقينا قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه ما علموه
يقينا كقولك كذلك فاخبر عنها العالمات بها وقد قلت بعلمى ذكر يقينا من قولهم قتلت الشئ علما وانكرته على اذا
تبالغ علمك فيه بل رفعه الله اليه رد لدعواهم قتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريد حكيما فيما دبر
لعيسى عليه السلام وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اى ان من اهل الكتاب احدا الا ليومنن به فقوله ليومنن
به جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثانى والاول لعيسى عليه السلام والمعنى ما من اليهود والنصارى
احد الا ليومنن بان عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله قبل ان يموت وحين يزهق روحه ولا ينفعها ايمانه ويؤيد
ذلك ان قرئ الا ليومنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا فى معنى الجمع وهن اكالوعيد لهم والتحريض على مبادرة
الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير ان لعيسى عليه السلام والمعنى انه اذا نزل من السماء
آمن به اهل الملل جميعا روى انه ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب
الا يؤمن به حتى يكون الملة واحدة وهى ملة الاسلام ويقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر
والذياب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث فى الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدل قوله

يوم القيامة يكونون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين هادوا اى
فبأي ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعني ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا ويصدهم عن سبيل
الله كثيرا اناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان الربوا محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل
على دلالة النهي على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما
دون من تاب وآمن لكن الراسخون في العلم منهم كعبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اى منهم او من المهاجرين والانصار
يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدا والمقيمين الصلوة نصب على المدح ان حصل يومنون
الجر ولئك او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اى يؤمنون بالكتب وبالانبياء وقرئ بالرفع عطفا على
الراسخون او الضمير في يومنون او على انه مبتدا والخبر اولئك سنؤتيهم واموتون الزكوة رفعه لاحد الاوجه
المذكورة والمؤمنون بالله واليوم الاخر قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدق به من اتباع الشرائع لانه المقصود بالاية
اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح وقرأ حمزة يا ايها انا اوحينا اليك كما اوحينا
الى نوح والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان امره
في الوحي كسائر الانبياء واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون
وسليمن خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابراهيم اول اولى العزم منهم وعيسى آخرهم والباقون
اشراف الانبياء ومشاهيرهم واتينا داود زبورا وقرأ حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر كرسل ورسول او زبر بمعنى مزبور وارسلنا نصب بمضمر دل عليه
اوحينا اليك كارسلنا اوقدره قد قصصنا هم عليك من قبل اى من قبل هذه السورة واليوم ورسلا لم نقصصهم عليك
وكلم الله موسى تكليما وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم عليهم السلام وقد فضل الله تعالى صلوات الله تعالى عليه بان
اعطاه الله تعالى مثل ما اعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح او باضمار اذكر او على الحال ويكون رسلا موطئا لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع ايتك ونعمل بما فيها ولم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة لقصورهم
لكل عن ادراك جزئيات المصالح والاكتفاء عن ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم
كان وخبره للناس وعلى الله والاخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرفها او صفة وكان الله عزيزا لا يغلب
فيما يريد حكيما فيما دبره من امر النبوة وخص كل نبي بنوع من الوحي والاعجاز لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم
ما قبله وكانه لما لم تنتهوا عليه بسوال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال انهم
لا يشهدون ولكن الله يشهد وانهم انكروه ولكن الله يبينه ويقرره بما انزل اليك من القران المعجز الدال
على نبوتك روى انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت انزله ملتبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بانه
على نظم يعجز عنه كل بليغ او عجال من استعمال للنبوة واستاهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في
معاشهم ومعادهم والجار والمجرور حال من الفاعل او المفعول او على الثالث فصل عن المفعول وتحمله كالتفسير لما قبلها

٢١١

والملائكة يشهدون ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يؤدون ان يعلموا صحة دعوة النبوة على وجه يسعى
على التأمل النظر وهذا النوع من خواص ملكه ولا سبيل للاذعان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى هؤلاء بدليل
الصحيح لعرفوا نبوتك وشهد وابها كما عرفت الملائكة وشهد واعليها بكفى بالله شهيدا اى كفى بما اقام من الحجج على صحة نبوتك
عن الاستشهاد بغيره ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال
والاضلال ولان المضل يكون اعرق في الضلال وابعد من الاهتداء عنه ان الذين كفروا وظلموا محمد صلى الله عليه وسلم
بانكار نبوته او الطاعنين بصدد منعا لصلاتهم وخلوهم او باعم من ذلك وعليه تدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذا لم يرد
الجامع بين الكفر والظلم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا
بحكم السابق ووعده المحتوم على ان من مات على كفره فهو خالد في النار وخالدين حال مقدرة وكان ذلك على الله
يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم
بها وعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد فامنوا خيرا لكم
اى ايمانا خيرا لكم او آتوا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لا يحذف
مع اسمه الا فيما لا بد منه ولانه يؤدي الى حذف الشرط وجوابه وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض يعني ان كفركم
فهو غني عنكم لا تضره ردتكم كما لا ينتفعه بايمانكم وتنبه على غناه بقوله لله ما في السموات والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه
وكان الله عليما بامورهم حكيما فيما دبر لهم يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الخطاب للفريقين غلت اليهود في حط عيسى عليه
السلام حتى رموه بانه ولد بغير رشدة والنصارى في رفعه حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى خاصة فانه اوفق لقوله ولا
تقولوا على الله الا الحق يعني تنزيهه عن الصاحبة والولد انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم
وصلها اليها وحصلها فيها وروح منه وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل والمادة له وقيل سمي روحا
لانه كان يحيي الموات والقلوب فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة اى الاهة ثلثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه
قوله انتهوا استقلت للناس الخل وذلك لطفا لهم بل هو خير لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد ان صح انهم يقولون ان الله ثلثة اقانيم الاب والابن
وروح القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحيوة انتهوا عن التثليث خيرا لكم فوحدوا تصحيحا لما سبق انما الله
اله واحد اى واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه ان يكون له ولد وكذا اسبحه تنزيها من ان يكون له ولد فانه
يكون لمن يتصور له مثل ويتطرق اليه فناء له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه
ولدا وكفى بالله وكيلا تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون وكيلا كما قيل والله سبحانه قائم بحفظ الاشياء
وتدبير في ذلك مستغن عن كل خلقه او عبيده لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولن يأنف من نكفت الرتم اذا تحيته باصبعك كيلا يرى اثره
عليك ان تكون عبدا لله من ان يكون عبد الله فان عبوديته شرف يباهي به وانما المذلة والاستنكاف في عبودية
غيره روى ان وفد نجران لما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال اي
شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله فقال ابى فانزلت ولن الملائكة المقربون عطف على المسيح

اى ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيد الله واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء وقال مساقه لترقى النصارى
فى رفع المسيح عليه السلام عن مقام العبودية وذلك يقتضى ان يكون المعطوف عليه اعلى درجة منه حتى يكون عدم
استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه ان الآية ترد على عبدة المسيح عليه السلام والملائكة فلا يتجه ذلك
اختصاصها بالنصارى فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك لكل صبحه الامير يحيى الفقير ليس لامر ورد
وان اراد به التكبير فغاية تفضيل القريبين من الملائكة وهم الكرّبيون الذين حول العرش ومن اعلى منهم رتبة من الملائكة
على المسيح من الانبياء وذلك لا يستلزم فضل احد الجنسين على الآخر مطلقا والنزاع فيه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر
ويترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون
بالاستحقاق فسيحشرهم اليه جميعا فيجازيهم فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما
الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا تفصيل للمجازاة المعلومة
المدلول عليها من مجرى الكلام وكذا قال فسيحشرهم اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة او لمجازاتهم فان اثابة مقابليهم والاحسان
اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا على البرهان المعجز
والنور القرآن اى جاءكم ما كمل العقول وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين او رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن
فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما هو الاسلام والطاعة فى الدنيا وطريق
الجنة فى الآخرة يستفتونك اى فى الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه روى ان جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه كان
مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى كالة فكيف اصنع فى مالى فنزلت وهى آخر ما نزل فى الاحكام
قل الله يفتيكم فى الكلالة سبق تفسيرها فى اوائل السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك
الرفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له او حال عن المستكن فى هلك والواو فى وله يحتمل الحال والعطف وذكر الاخت لا
من الابوين او لاب لانه يجعل اخوها عصبة وابن الام لا يكون عصبة وقد دل على ظاهرهم فان الاخت وان ورثت مع البنت
عند عامة العلماء غير ابن عباس لكنها لا ترث النصف وهو يرثها اى والمورث يرث اخته ان كان الاب هو العاصل لان الكلام
كلالة ذكرا كان او انثى ان اريد بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به الذكر اذ البنت لا تحجب الاخ والآية كما لم تدل على سقوط
الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم به وقد دلت السنة على انهم لا يرثون مع الاب فكذا مفهوم قوله تعالى
يفتيكم فى الكلالة ان قدر يرثها بالميت فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالاخوة وتثنيته
محمولة على المعنى وفائدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه على ان الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما وان كانوا اخوة
رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين اصلا وان كانوا اخوة واخوات غلب الذكور يبين الله لكم ان تضلوا اى يبين لكم
الذى من شأنه ان تضلوا لاجله كراهة ان تضلوا او يبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا وقيل لئلا تضلوا فعل
لا هو قول الكوفيين والله بكل شىء عليم فهو عالم بمصالح العباد فى المحيا والممات عن النبى صلى الله عليه وسلم

من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا وأعطي من الأجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلاث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الإيفاء والعقد العهد الموثق قال الحطيئة قوم إذا عقدوا عقدا لجارهم
شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا وأصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التي عقدها الله
على عباده وألزمها إياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الأمانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء
به أو يحسن إن حملنا الأمر على المشترك بين الوجوب والندب أحلت لكم بهيمة الأنعام تفصيل للعقود والبهيمة كل حي لا يميز
وقيل كل ذات أربع وإضافتها إلى الأنعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة من الأنعام وهي الأزواج الثمانية
وألحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الأنعام في الاجترار وعدم الأنياب وإضافتها
إلى الأنعام لملابسة الشبه إلا ما يتلى عليكم إلا محرم ما يتلى عليكم كقوله حرمت عليكم الميتة أو إلا ما يتلى عليكم تحريمه غير محلي
الصيد حال من الضمير في لكم وقيل من واو أوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول وأنتم حرم حال
مما استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم إن الله يحكم ما يريد من تحليل وتحريم يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله يعني مناسك
الحج جمع شعيرة وهي اسم ما أشعر أي جعل شعارا سمي به أعمال الحج ومواقفه لأنها علامات الحاج وأعلام النسك وقيل دين الله لقوله تعالى ومن
يعظم شعائر الله أي دينه وقيل فرائضه التي حدها لعباده ولا الشهر الحرام بالقتال فيه أو بالنسيء ولا الهدي ما أهدي إلى الكعبة
جمع هدية كجدي في جمع جدية السرج ولا القلائد أي ذوات القلائد من الهدي وعطفها على الهدي للاختصاص فإنها أشرف
الهدي أو القلائد أنفسها والنهي عن إحلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي ونظيره قوله ولا يبدين زينتهن والقلائد
جمع قلادة وهو ما قلد به الهدي من نعل أو لحاء شجر أو غيرهما ليعلم أنه هدي فلا يتعرض له ولا آمين البيت الحرام
قاصدين لزيارته يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا أن يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن
في آمين وليست صفة له لأنه عامل والمختار أن اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شأنه والتنبيه
على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله تعالى رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم إذ روي أن الآية نزلت عام القضية في
حجاج اليمامة لما هم المسلمون أن يتعرضوا لهم بسبب أنه كان فيهم الحطم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا
فالآية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين وإذا حللتم فاصطادوا إذن في الاصطياد بعد زوال الإحرام ولا يلزم من
إرادة الإباحة ههنا من الأمر دلالة الأمر الآتي بعد الحظر على الإباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على إلقاء حركة همزة الوصل عليها
وهو ضعيف جدا وقرئ أحللتم يقال حل المحرم وأحل ولا يجرمنكم لا يحملنكم أو لا يكسبنكم شنآن قوم شدة بغضهم وعداوتهم
وهو مصدر أضيف إلى المفعول أو الفاعل وقرأ ابن كثير وإسماعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو أيضا
مصدر كليان أو نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان في النعت أكثر أن صدوكم عن المسجد الحرام لأن صدوكم
عنه عام الحديبية وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الهمزة على أنه شرط معترض أغنى عن جوابه لا يجرمنكم

لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا وإذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب

لا تحلوا شعائر الله جمع شعيرة وهي ما أشعر أي جعل علما لطاعة الله تعالى من مواقف الحج ومناسكه والمراد النهي عن التعدي على المناسك بالتغيير والتبديل أو عن الإخلال بها ولا الشهر الحرام بالقتال فيه ولا الهدي ما يهدى إلى البيت من بعير أو بقر أو غنم ولا القلائد جمع قلادة وهي ما يقلد به الهدي من نعل أو لحاء شجر أو غيرهما علامة له ليعرف فلا يتعرض له ولا آمين البيت الحرام قاصدين له ولا تحلوا الصيد إذا حللتم من الإحرام بالحج أو العمرة ولا يجرمنكم لا يحملنكم شنآن قوم بغضهم أن صدوكم عن المسجد الحرام عام الحديبية أن تعتدوا عليهم بالانتقام منهم وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والإغضاء ومتابعة الأمر ومجانبة المنهي ولا تعاونوا على الإثم والعدوان للتشفي والانتقام واتقوا الله إن الله شديد العقاب فلمن تعداه حرمت عليكم الميتة بيان ما يتلى عليكم وآيته ما فارقه الروح من غير تذكية والدم أي المسفوح لقوله أو دما مسفوحا وكان أهل الجاهلية يحشونه في الأمعاء ويشوونها ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به أي رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي ماتت بالخنق والموقوذة المضروبة بلا محدد أو حجر حتى ماتت من وقذته إذا ضربته والمتردية التي تردت من علو أو في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها أخرى فماتت وما أكل السبع أي ما أكل منه السبع فمات وهو دليل على أن جوارح الصيد إذا أكلت منه حرم لأن إمساكها له يحال على الإمساك لأنفسها إلا ما أدركتم ذكاته وفيه دليل على أن الجرح مستقر من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بأكل السبع والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمرئ بحدد ونحوه وما ذبح على النصب لتنصب واحدها نصاب هي أحجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعظمون ذلك قربة وقيل هي الأصنام وعلى بمعنى اللام أو على أصلها بتقدير وما ذبح على الأصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب وأن تستقسموا بالأزلام كرر لما اختلف الغرض وحرم عليكم الاستقسام بالأقداح وذلك أنهم إذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة أقداح مكتوب على أحدها أمرني ربي وعلى الآخر نهاني ربي والثالث غفل فإن خرج الآمر مضوا على ذلك وإن خرج الناهي جنبوا وإن خرج الغفل أجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون سائر ما يقسم بالأذلام وقيل هو استقسام بالأزلام ونحوه ربا بالقداح على الأنصباء المعلومة وواحد الأزلام زلم بالكسر والضم وزلك بالكاف وزلج بالجيم وزلق بالقاف وهو إشارة إلى الاستقسام وكونه فسقا لأنه دخول في علم الغيب وضلال لاعتقاد أن ذلك طريق إليه افتراء على الله تعالى إن أريد بربي الله وجهالة وشرك إن أريد به الصنم والميسر القمار والآن تناول لما حرم عليهم اليوم لم يرد به يوما بعينه وإنما أراد الحاضر وما يتصل به من الأزمنة الآتية وقيل أراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم أي من إبطاله ورجوعكم عنه لعلمهم بتمهيد أمره وقوة شأنه أو من أن يغلبوكم عليه فلا تخشوهم أن يظهروا عليكم واخشون واخلصوا الخشية لي اليوم أكملت لكم دينكم بالنصر والإظهار على الأديان كلها أو بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على أصول الشرائع وقوانين الاجتهاد وأتممت عليكم نعمتي بالهداية والتوفيق أو بإكمال الدين أو بفتح مكة وهدم منار الجاهلية وركنيت لكم الإسلام اخترته لكم دينا من بين الأديان وهو الدين عند الله تعالى لا غير فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو أن تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والإسلام المرضي والمعنى فمن اضطر إلى تناول شيء من هذه المحرمات في مخمصة وهي مجاعة غير متجانف لإثم غير مائل له ومنحرف إليه بأن يأكلها متلذذا أو متجاوزا حد الرخصة لتوله غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم لا يؤاخذه بأكلها يسألونك ماذا أحل لهم المتضمن السؤال معنى القول أو تم على الجملة وقد سبق الكلام فيها ذا وإنما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية

لان يسألوك بلفظ الغيبة وكلوا الوجهين شائع فامتاله والمسئول ما احل لهم من المطاعم كانهم لما تلى عليهم ما
حرم عليهم سألوا عما احل لهو قل احل لكم الطيبات مما لم يستخبثه الطباع السليمة ولم تستقذره ومن هنا حرم
مستخبثات العرب أو مما لم يرد نصه لا قياس على محرمة وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات ان جعل ما موصولة على
تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا او الجوارح كواسب الصيد على اهلها من سباع
ذوات الاربع والطير مكلبين معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب
لان التاديب يكون اكثر فيه واثرا ولان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه السلام سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه
على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم تعلمونهن حال ثانية او استيناف مما علمكم الله من الحيل
وطرق التاديب فان العلم به الهام من الله تعالى او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او منبها عليه كانه
ان تعلموهن من اتباع الصيد بارسال صاحبه وتزجيره وتيسير وعائه ويمسك عليه الصيد ولا ياكل
منه فكلوا مما امسكن عليكم وهو مما لم ياكل منه لقوله عليه افضل الصلوات واجل التسليمات لعدي بن
حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك
في سباع الطير لان تاديبها الهها الحر متعذر وتعلم اخرون لا يشترط مطلقا واذكروا اسم الله عليه الضمير لما علمتم
المعنى سموا عليه عند ارساله او لما امسكن بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكوته واتقوا الله في محرماته ان الله سريع الحساب
فيواخذكم عاجلا وقد اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم يتناول
الذبائح وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى عليكم الله تعالى وجهه نصارى بني تغلب
وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر ولا يلحق بهم المجوس في ذلك وان الحق بهم في التقرير على
الجزية لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم
ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لورد ذلك والمحصنات من المؤمنات الحرائر العفائف وتخصيصهن يعلم
على اهون الاولى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وان كن حربيات وقال ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما لا يحل الحربيات اذا اتيتموهن اجورهن مهورهن وتقييد الحل بايتائها للتاكيد ووجوبها والحث على الاولى
وقيل المراد بايتائها التزامها المحصنين اعفاء بالنكاح غير مسافحين مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان سرا
والحدن الصديق يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين يريد بالايمان
شرائع الاسلام وبالكفر به انكاره والاستهزاء عنه يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة اذا اردتم القيام كقوله فاذا
قرات القران فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة
ينبغي ان يبادر اليها بحيث لا يتفك الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلوة لان التوجه الى الشيء والقيام اليه فعل
له وظاهر الاية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روي انه صلى الله عليه
وسلم صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته فقيل مطلق

اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة محدثين وقيل لا حرفيه للندب فيقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عليه الصلوة والتسليم الماتدة من آخر القران نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم امر تو الماء عليها ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك رحمه الله تعالى وايديكم الى المرافق الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم او متعلقة بمحذوف تقديره وايديكم مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى التحديد ولا لذكر مزيد فائدة لان مطلق اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم وخروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن في الآية وكان الايدي متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضي خروجها والا لم تكن غاية كقوله تعالى فنظرة الى ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم يتبين الغاية ههنا عن في الغاية وجب ادخالها احتياطا وامسحوا برؤسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل وبالمنديل ووجهان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق كانه قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله واغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في قدر الواجب فاوجب الشافعي رحمه الله تعالى اقل ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة رحمه الله تعالى مسح ربع الرأس لانه صلى الله عليه وسلم مسح على ناصيته وهو ربع تقريبا من الربع ومالك رحمه الله تعالى مسح كله اخذا بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يحل وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير في القرآن والشعر كقوله تعالى عذاب يوم محيط وحور عين بالجر في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك وقائلة التنبيه على انه ينبغي ان يقتصر في صب الماء عليها ويغسل غسلا يقرب من المسح وفي الفصل بينه وبين اخويه ايماء على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا فاغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج اي ما يريد الامر بالطهارة للصلوة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم ولكن يريد ليطهركم لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب ولهذا يكفر بالتراب اذا اعوزكم للتطهير الماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله تعالى ان يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا تقدر بعد المزيدة وليتم نعمته عليكم ليتم شرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه العامة عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته والآية مشتملة على سبعة امور كلها مستثنى طهارتان اصليتان وبدل لا واصليتان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل

محدود وغير محدود اذ ان النهار ما تم وجامد وسيجيء حدث اصغر واكبر وان السير للعدو والى البدل
مرض او سفر وان الموعود عليها تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام الذي ذكركم الجميع
وترغيبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا يعني الميثاق الذي اخذه على المسلمين
حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة
او بيعة الرضوان واتقوا الله في ايفاء نعمته ونقض ميثاقه ان الله عليم بذات الصدور فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم
شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعداؤهم على تضمينه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على
ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد ونحوه
مما فيه تلويح الى ما هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب الى التقوى صرح لهم بالامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى
تعليلا لنهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا العدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع
المؤمنين واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل
ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في صفة تائرة الغيظ وعد
الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم انما حذف تاليا مفعول وعد استغناء بقولهم
مغفرة فانه استئناف يبين به وقيل الجملة في موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول فكانه قال وعدهم هذا
القول والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين
حال الاخر وقاع بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمت الله عليكم
روي ان المشركين راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندموا
الا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله تعالى كيدهم بان انزل صلوة الخوف
والاية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ما روي انه صلى الله عليه وسلم اتى بني قريظة ومعه الخلفاء الاربعة رضي الله
تعالى عنهم يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري رضي الله تعالى عنه يحسبهما مشركين فقالوا
نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيم
يطرحها عليه فامسك الله تعالى يده فنزل جبريل فاخبره فخرج وقيل نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا وعلق
سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاءه اعرابي فسل سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله تعالى فسقط
جبريل من يده واخذه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا
الله وان محمدا رسول الله نزلت اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه
اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه كف ايديهم عنكم منعها ان عدا اليكم ورد مضرتها عنكم واتقوا
الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فانه الكافي لا يصال الخير ودفع الشر ولقد اخذ الله ميثاق بني

إسرائيل بعثنا منهم اثني عشر نقيبا شاهدا لمن كل سبط نقيب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل
عليهم بالوفاء يا امره ابن رومان بني اسرائيل لما فرغوا عن فرعون واستقر وا بمصر امرهم الله تعالى بالمسير
الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا
من فيها فاني ناصركم واقر موسى عليه السلام ان يختار من كل سبط نقيبا يعلمهم بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق
واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنى من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ويتفاهمون ان يحملوا قومهم
قرا وا اجراما عظيمة وباسا شديدا فابوا فرجعوا وحذروا قومهم الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع
ابن نون من سبط افرائيم بن يوسف عليهم السلام وقال الله اني معكم بالنصرة لئن اقمتم الصلوة
واتيتم الزكوة وامنتم برسلي وعززتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم واصل التعزير المنع ومنه التعزير وهو ادب دون الحد
وقرضتم الله قرضا حسنا بالانفاق في سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب القسم المدلول
عليه باللام في لئن ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك
بعد ذلك الشرط الموكد المعلق به الوعد العظيم منكم فقد ضل سواء السبيل ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر
بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فما نقضهم ميثاقهم لعنا هم طردناهم
من رحمتنا او مسخناهم اوضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية لا تنفعل عن الايات والنذر وقرأ حمزة
والكسائي قسية وهي اما مبالغة قاسية او بمعنى ردية من قولهم درهم قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا
من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية بابدال الفاء قافا لسين يحرفون الكلم عن مواضعه بسبب
لبيان فسوق قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله تعالى والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا من فعل لعناهم
لا مزيلها بالكلية لاضمير له فيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا وافيا مما ذكروا به من التوراة او من ابتاع محمد صلى الله عليه وسلم
والمعنى انهم حرفوا التوراة وتركوا حظهم مما انزل اليهم قلما بقي وقيل معناه انهم حرفوها فاذهبت بشومة اشياء
منها لكن حفظهم لما قرؤا وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية
ولا تزال تطلع على خائنة منهم خيانة او فرقة خائنة او خائن والتاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة
والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم لم ينخرطوا ومن الذين اصنوا منهم
وقيل الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية فاعف عنهم واصفح ان تابوا واسلموا وعاهدوا وانتزموا
الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف ان الله يحب المحسنين تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على
ان العفو عن الكافر لحسن احسان فضلا عن العفو عن غيره ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم اي والله
من النصارى اميثاقهم كما اخذنا من قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا واو انما
قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله تعالى فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا
بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة فالزمنا من غرائهم بالشيء اذا الصق به يكون فرقت

النصارى وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية او بينهم وبين اليهود وسوف يبينهم الله بما كانوا يصنعون
بالجزاء والعقاب يا اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى وخاطبهم بالكتاب لانه للجنس قد جاءكم رسولنا يبين
لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتب كنعت محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم في التوراة
وبشارة عيسى عليه السلام باحمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل ويعفوا عن كثير مما تخفونه لانجيء
اذا لم يضطر اليه امر ديني او عن كثير منكم فلا يواخذهم بجريمته قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين
يعني القرآن فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا صلى الله
عليه وسلم يهدي به الله وحد الضمير لان المراد بهما واحد او لانهما في الحكم كواحد من اتبع رضوانه من
اتبع رضاه بالايمان منهم سبل السلام طرق السلامة من العذاب في سبيل الله ويخرجهم من الظلمات
الى النور من انواع الكفر الى الاسلام باذنه باراداته او بتوفيقه ويهديهم الى صراط مستقيم طريق
هو اقرب الطرق الى الله تعالى موصل اليه لا محالة لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم
هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا الاه الا
لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتقضيحا لمعتقدهم قل فمن
يملك من الله شيئا من منعه من قدرته واراداته شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه
ومن في الارض جميعا احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر
الممكنات ومن كان كذلك فهو يعجز عن الالوهية ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما
يشاء والله على كل شيء قدير ازاحة لما عرض لهم من الشبهة في امره والمعنى انه تعالى قادر على الاطلاق يخلق
من غير اصل كما خلق السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كآدم وكثير
من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كحواء او من انثى وحدها كعيسى عليه السلام او منهما كسائر
الناس وقالت اليهود والنصارى نحن ابنؤا الله واحباؤه اشياع ابنيه عزير والمسيح عليهما السلام كما قال
اشياع ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما الخبيبون او مقربون عنده قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنا
مزيد بيان في سورة آل عمران قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي فلو صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فانه مؤبد
بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والمسخ والاسر واعترفتم انه سيعذبكم بالنار
اياما معدودة بل انتم بشر ممن خلق من خلقه الله تعالى يغفر لمن يشاء وهم من آمن به وبرسله ويعذب
من يشاء وهم من كفر والمعنى انه تعالى يعاملكم معاملة سائر الناس لا مزية لكم عليهم ولله ملك السموات والارض
وما بينهما كلها سواء في كونه خلقا وملكا له واليه المصير فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته يا اهل الكتاب
قد جاءكم رسولنا يبين لكم اي الدين وحذف لظهوره او ما كنتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول
على معنى يبين لكم البيان والجملة في موضع الحال اي جاءكم رسولنا مبينا لكم على فترة من الرسل

الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة
الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم

٣٢٠

متعلق بمجذوف اى جاءكم كثير من امور دينكم حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحى وبيان حال من الضمير فيه ان تقولوا اما جاءنا من بشير
ولا نذير كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا بهم فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمجذوف اى لا تعتذروا فقد جاءكم
والله على كل شئ قدير فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما السلام اذ كان بينهما الف وسبعمائة
سنة والفترى على الارسال فترة كما كانت بين عيسى ومحمد عليهما السلام اذ كان بينهما ستمائة او خمسمائة وتسع وسبعون
انبياء ثلثة من بنى اسرائيل واحد من العرب خالد بن سنان العبسى وفى الآية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين
انمحت آثار الوحى وكانوا احوج ما يكونون اليه واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء
فاراكم كرامة فكرمهم ولم يبعث فى امة ما بعث فى بنى اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا اى جعل سيرا او فيكم
وقد كان فيهم الملوك كما تواتر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى عليه السلام وهموا بقتل عيسى عليه سلام وقيل كانوا اعلموا بين
فى بيت القط فاقدرهم الله تعالى وجعلهم ملاكين لانفسهم وامورهم بعد ما كانوا مملوكا وانا كرما لم يؤت احدا من العالمين
من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوها مما آتاهم وقيل المراد بالعالمين عالمى زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة
الى قوله المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق و
فلسطين وبعض الاردن وقيل السفح الذى كتب الله لكم قسمها لكم او كتب فى اللوح المحفوظ انها تكون مسكنا لكم ولكن
ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة قيل
لما سمعوا احوالهم من القباط بكوا وقالوا لينا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرفنا الى مصر او لا ترتدوا فى دينكم بالعصيان
وعلام الوثوق على الله تعالى فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين ويجوز فى فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب قالوا يا موسى انا
قوما جبارين مستغلبين لا يتأتى لنا مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر يعنى اجبره وهو الذى يجبر الناس
على ما يريده وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا بهم قال رجلان من الذين
يوشع من الذين يخافون اى يخافون الله تعالى ويتقونه وقيل كانا رجلين من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى عليه السلام فعلى هذا
الواو لبنى اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف اى من الذين بعثناهم بنو اسرائيل وليشهد انه ان قرئ الذين يخافون
بالضم اى المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة اى من الذين يخوفون من الله تعالى بالتذكير
او يخيفهم الوعيد انعم الله عليهما بالايمان والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلين او اعتراض ادخلوا
عليهم الباب باغتوهم اى باغتوهم وصدمة فى المضيق وامنعوهم من الاصطفاف فاذا دخلتموه فانكم غالبون
لتعسر الكر عليهم فى المضائق مع عظم اجسامهم ولانهم اجسام كقلوبهم ويجوز ان يكون علمهما بذلك من اخبار موسى
عليه السلام وقوله كتب الله لكم او مما عرفهما من عادته تعالى فى نصرة رسله وما علمهما من صنعه تعالى موسى عليه السلام فى قهر
اعدائه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين اى موسنين به ومصدقين لوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها
ابدا ما فوه بكلمة التأبيد والتابيد ما دامت مواتيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا
انا ههنا قاعدون قالوا ذلك استهانة بالله تعالى وبرسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب

نت وربك يعينك قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فاله شكوى بثه وحزنه إلى الله تعالى لما خالفه قومه وأيسر منهم ولم يبق معه موافق يثق به غيرهما من عليهما السلام وآخر الان المذكوران وان كان أبو موافقا له لم يثق عليه لما كان من تلون قومه ويجوز ان يراد بأخي من يواخيني في الدين دون غلان نبه ويحتمل نصبه عطفا على نفسي او على اسم ان ورفعه عطفا على الضمير في لا أملك او على ان واسمها وخبره عند الكوفيين عطفا على الضمير في نفسي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقون أو بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها كانت الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم أربعين سنة يتيهون في الأرض عامل الظرف فيها محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله تعالى التي كتب الله لكم ويؤيد ذلك ان موسى عليه السلام سار بعده بمن بقي من بني اسرائيل ففتح أريحا واقام فيه ما شاء الله تعالى ثم قبض وقيل انه قبض في التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله تعالى امر بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع عليه السلام وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبني اسرائيل فأما يتيهون اي يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد قيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم ورؤساؤهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه وهلاكهم على أن موسى وهرون عليهما السلام كانا معهم في التيه إلا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة في درجتهما وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هرون وموسى عليهما السلام بعد أربعين سنة ثم دخل يوشع عليه السلام أريحا بعد ثلاثة اشهر ومات الفتيان فيه بغتة غير كالب ويوشع فلما تأسر على القوم الفاسقين خاطب به موسى عليه السلام لما لزمهم على الدعاء عليهم وبين انهم لحقارة ذلك لفسقهم واتل عليهم نبأ ابني آدم قابيل وهابيل أوحى الله تعالى لآدم عليه السلام ان يزوج كل واحد منهما توأم الآخر فخطب منه قابيل لان توأمته كانت أجمل فقال لهما آدم عليه السلام قربا قربانا فمن أيكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فانصرف قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما ابني آدم لصلبه وانهما رجلان من بني اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بني اسرائيل بالحق صفة مصدر محذوف وفائدة تلاوة ملتبسة بالحق او حال من الضمير في اتل او من نبأ اي ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين إذ قربا قربانا ظرف النبأ او حال منه او بدل على حذف مضاف اي اتل عليهم نبأهما إذ قربا وانما ذكر ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى الله تعالى من ذبيحة او غيرها كالعلوان اسم ما يحلى اي يعطى وهو في الاصل مصدر لذلك لم يثن وقيل تقبل بالذبح بكل واحد منهما قربانا فقبل كان قابيل صاحب زرع وقرب أردأ ما عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب بكرا سمينا فنزلت من أحدهما ولم تنزل من الآخر لانه سخط حكم الله تعالى ولم يخلص النية في قربانه وقصد الآخر ما عنده فقال لاقتلنك توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك قال إنما يتقبل الله من المتقين

فى جواب اى ما ابيت من قبل نفسك بترك التقوى لامن قبلى فلم تقتلنى وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغى
ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد فى تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا فى ازالة حظه فان ذلك مما يضره
ولا ينفعه وان الطاعة لا تقبل الا من موحد من متق لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك
انى اخاف الله رب العالمين قتيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا
الله تعالا لان الدم لا يمحى بعدا وتحسر بالماء والافضل ما قاله عليه الصلوة والسلام كن عبد الله المقتول ولا تكن
جبلة الله القاتل وانما قال ما انا باسط فى جواب لئن بسطت للتبرى عن هذا الفعل الشنيع راسا والتحرز
من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفى بالباء انى اريد ان تبوء باثمى واثمك فتكون من اصحاب
النار وذلك جزاء الظالمين تعليل لان الامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلم لك
الارادة ان تحمل اثمى لو بسطت الى يدى وانك يبسط يدك الى ونحوه المستبان ما قالا فعلى الباديء
مالم يعتد المظلوم وقيل باثمى يا ثم قتلى وباثمك الذى لم يتقبل من اجله قربانك وكلاهما فى موضع
الحال اى ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله ثم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام
الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا فاريد ان يكون لك لا لى فالمراد بالذات ان لا يكون له لا ان
يكون لاخيه ويجوز ان يكون المراد عقوبته وارادة عقاب العاصى جائزة فطوعت له نفسه قتل اخيه
فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه
كانه دعاه الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله فاصبح من
الخاسرين دينا ودنيا اذ بقى مدة عمره مطرودا ملعونا وقيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء
وقيل بالبصرة فى موضع المسجد لا حظ فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه كيف يوارى سوءة اخيه
روى انه لما قتله تحير فى امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت من بنى آدم فبعث الله تعالا غرابين فاقتتلا
فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه فى الحفرة والضمير فى ليريه لله تعالا او للغراب وكيف حال من الضمير
فى يوارى والجملة ثانى مفعولى يرى والمراد بسوءة اخيه جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى فان يا ويلتى كلمة
جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتى احضرى فهذا اوانك والويل والويلة الهلاكة
اعجزت تلن اكون مثل هذا الغراب فوارى سوءة اخى لما اهتدى اليه وقوله فاوارى
عطف على اكون ولبس جوابا للاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت لواريت وقرئ بالسكون على فانا اوارى او على
تسكين المنصوب تخفيفا فاصبح من النادمين على قتله لما تكاثر فيه من التحير فى امره وحمله على رقبته
سنة او اكثر على ما قيل وتألمه للغراب فاسود لونه وتبرى ابويه منه اذ روى انه لما قتله اسود
جسده فساله آدم عليه السلام عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك
اسود جسدك وتبر أعنه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعله من اجله

مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ كَتَبْنَا عَلٰى بَنِيْٓ إِسْرَآئِيْلَ بِسَبَبِهِ قَضَيْنَا عَلَيْهِمْ وَأَجْعَلُ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرَ أَجَلَّ شَرًّا إِذَا جَنَاهُ اسْتُعْمِلَ فِي كُلِّ تَعْلِيلٍ وَمِنْ تَعْلِيلِ الْجِنَايَةِ هٰكَذَا لَهُمْ مِنْ جَرَّكَ فَعَلْتُهُ أَيْ مِنْ أَجْلِ جَرِّيرَتِهِ أَيْ جِنَايَتِهِ ثُمَّ اتُّسِعَ فِيهِ فَاسْتُعْمِلَ فِي كُلِّ تَعْلِيلٍ وَمِنْ ابْتِدَائِيَّةٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِكَتَبْنَا أَيِ ابْتِدَاءُ الْكَتْبِ وَنَشْأَتُهُ مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ بِغَيْرِ قَتْلٍ يُوجِبُ الْاِقْتِصَاصَ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ غَيْرِ فَسَادٍ فِيهَا كَالشِّرْكِ وَقَطْعِ الطَّرِيقِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ هَتَكَ حُرْمَةَ الدِّمَاءِ وَسَنَّ الْقَتْلَ وَجَرَّأَ النَّاسَ عَلَيْهِ أَوْ مِنْ حَيْثُ أَنَّ قَتْلَ الْوَاحِدِ كَقَتْلِ الْجَمِيعِ سَوَاءٌ فِي اسْتِجْلَابِ غَضَبِ اللّٰهِ تَعَالٰى وَالْعَذَابِ الْعَظِيمِ وَمَنْ أَحْيَاهَا بِأَنْ عَفَا عَنْ قَاتِلِ نَفْسٍ أَوْ لَمْ يُوجِبْ عَلَيْهِ الْقِصَاصَ أَوْ سَعٰى فِي تَخْلِيصِ نَفْسٍ مِمَّا عَرَضَ لَهَا أَوْ بِأَنْ لَمْ يَقْتُلْ أَحَدًا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا أَيْ وَمَنْ سَبَّبَ لِبَقَاءِ حَيَوَاتِهِمْ بِأَنْ عَفَوْا أَوْ مَنَعَ عَنْ قَتْلِ أَوِ اسْتَنْقَذَ مِنْ بَعْضِ أَسْبَابِ الْهَلَكَةِ فَكَأَنَّمَا فَعَلَ ذٰلِكَ بِالنَّاسِ جَمِيعًا وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ تَعْظِيمُ قَتْلِ النَّفْسِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْفَسَادِ فِي الْقُلُوبِ تَرْهِيبًا عَنِ التَّعَرُّضِ لَهَا وَتَرْغِيبًا فِي الْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ أَيْ بَعْدَ مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ هٰذَا التَّشْدِيدَ الْعَظِيمَ مِنْ أَجْلِ امْتِثَالِ الْجِنَايَةِ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ بِالْآيَاتِ الْوَاضِحَةِ تَأْكِيدًا لِلْأَمْرِ وَتَجْدِيدًا لِلْعَهْدِ كَيْ يَتَحَامَوْا عَنْهَا كَثِيرٌ مِنْهُمْ يَسْرِفُونَ فِي الْأَرْضِ بِالْقَتْلِ وَلَا يُبَالُونَ بِهِ وَبِهٰذَا اتَّصَلَتِ الْقِصَّةُ بِمَا قَبْلَهَا وَالْإِسْرَافُ تَبَاعُدٌ عَنْ حَدِّ الِاعْتِدَالِ فَإِذَا كَانَ الْقَتْلُ ظُلْمًا كَانَ أَعْظَمَ إِسْرَافًا إِنَّمَا جَزَآؤُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ أَيْ يُحَارِبُونَ أَوْلِيَاءَهُمَا وَمِمَّا الْمُسْلِمُونَ جُعِلَ مُحَارَبَتُهُمْ مُحَارَبَتَهُمَا تَعْظِيمًا وَأَصْلُ السَّلْبِ الْمُرَادُ بِهِ هٰهُنَا قَطْعُ الطَّرِيقِ وَقِيلَ الْمُكَابَرَةُ بِالسِّلَاحِ وَإِنْ كَانَتْ فِي مِصْرٍ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَيْ مُفْسِدِينَ وَيَجُوزُ نَصْبُهُ عَلَى الْعِلَّةِ أَوِ الْمَصْدَرِ لِأَنَّ سَعْيَهُمْ كَانَ فَسَادًا فَكَأَنَّهُ قِيلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقْطَعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ أَيْ مِنْ غَيْرِ تَقْدِيرِ قَتْلٍ أَوْ صَلْبٍ أَوْ قَطْعٍ أَوْ نَفْيٍ أَوْ قَتْلٍ أَوْ صَلْبٍ أَوْ قَطْعٍ أَوْ نَفْيٍ أَيْ يُصَلَّبُوا مَعَ الْقَتْلِ إِنْ قَتَلُوا وَأَخَذُوا الْمَالَ وَلَمْ يَقْتَصِرُوا عَلَى أَخْذِ الْمَالِ وَلَمْ يَقْتُلُوا فَإِنَّمَا يُقْتَلُونَ إِنْ قَتَلُوا وَلَا يُصْلَبُونَ إِنْ لَمْ يَقْتُلُوا وَلَا يُقْطَعُونَ إِنْ لَمْ يَأْخُذُوا الْمَالَ وَلَا يُنْفَوْنَ إِنْ لَمْ يُخِيفُوا السَّبِيلَ أَوْ يُصْلَبُوا أَحْيَاءً وَيُتْرَكُوا حَتّٰى يَمُوتُوا أَوْ يُقْطَعُونَ حَتّٰى يَمُوتُوا أَوْ يُنْفَوْا حَتّٰى يَمُوتُوا مِنْ خِلَافٍ أَيْ تُقْطَعُ أَيْدِيهِمُ الْيُمْنٰى وَأَرْجُلُهُمُ الْيُسْرٰى إِنْ أَخَذُوا الْمَالَ وَلَمْ يَقْتُلُوا أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ أَيْ يُنْفَوْا مِنْ بَلَدٍ إِلٰى بَلَدٍ بِحَيْثُ لَا يَتَمَكَّنُوا مِنَ الْقَرَارِ فِي مَوْضِعٍ إِنِ اقْتَصَرُوا عَلَى الْإِخَافَةِ وَفَسَّرَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالٰى النَّفْيَ بِالْحَبْسِ وَأَوْ فِي الْآيَةِ عَلَى أَهْلِ التَّفْصِيلِ وَقِيلَ إِنَّهُ لِلتَّخْيِيرِ وَالْإِمَامُ مُخَيَّرٌ بَيْنَ هٰذِهِ الْعُقُوبَاتِ فِي كُلِّ قَاطِعِ طَرِيقٍ ذٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ذُلٌّ وَفَضِيحَةٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ لِعِظَمِ ذُنُوبِهِمْ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ اسْتِثْنَاءٌ مَخْصُوصٌ بِمَا هُوَ حَقُّ اللّٰهِ تَعَالٰى يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَأَمَّا الْقَتْلُ خِصَاصًا فَإِلَى الْأَوْلِيَاءِ وَيَسْقُطُ بِالتَّوْبَةِ وُجُوبُهُ لَا جَوَازُهُ وَتَقْيِيدُ التَّوْبَةِ بِالتَّقَدُّمِ عَلَى الْقُدْرَةِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا بَعْدَ الْقُدْرَةِ لَا تُسْقِطُ الْحَدَّ وَإِنْ أَسْقَطَتِ الْعَذَابَ وَأَنَّ الْآيَةَ فِي قُطَّاعِ الْمُسْلِمِينَ لِأَنَّ تَوْبَةَ الْمُشْرِكِ تَدْرَأُ عَنْهُ الْعُقُوبَةَ قَبْلَ الْقُدْرَةِ وَبَعْدَهَا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَابْتَغُوٓا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ أَيْ مَا تُتَوَسَّلُونَ بِهِ إِلَى نَوَالِهِ وَالزُّلْفٰى مِنْهُ مِنْ فِعْلِ الطَّاعَاتِ وَتَرْكِ الْمَعَاصِي مَنْ وَسَّلَ إِلَى كَذَا إِذَا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ وَفِي الْحَدِيثِ الْوَسِيلَةُ مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ بِأَعْدَائِهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ بِالْوُصُولِ إِلَى اللّٰهِ تَعَالٰى وَالْفَوْزِ بِكَرَامَتِهِ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ مِنْ صُنُوفِ الْأَمْوَالِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ لِيَجْعَلُوهُ فِدْيَةً لِأَنْفُسِهِمْ مِنْ

عذاب يوم القيمة واللام متعلقة بمحذوف يستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض وتوحيد الضمير في به والمذكور شيئان اما لأن اجزاءه يجري مجرى اسم الاشارة في نحو قوله تعالى عوان بين ذلك او لان الواو في ومثله بمعنى مع ما قيل وهم جواب لو ولو با في حيز الرفع لانها في الجملة تمثيل لثبوت العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه

وهم عذاب اليم تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها اي التمثيل كما مر عدم التخلص من العذاب ١٢ وهم عذاب مقيم وقرئ يخرجوا من اخرجوا وانما قال وما هم بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة في عدد السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وجملة عند المبرد والفاء للسببية دخلت الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذي سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار في امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتاويل والسرقة اخذ مال الغير في خفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز وانما خوطر بربع دينار وما يساويه لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم القطع في ربع دينار فصاعدا والعلماء خلعون في ذلك لاحاديث وردت فيه وقد استقصينا الكلام فيه في شرح المصابيح فمن شاء فليطلب منه والمراد باليد الايمان وتوحيد قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ايمانهما ولذلك سائغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله تعالى فقد صغت قلوبكما التفاتا بتثنية المضاف اليه واليد اسم تمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى ان القطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه صلى الله عليه وسلم اتى بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا نكالا من الله منصوبان على المفعول له او المصدر ردا على فعلهما فاقطعوا والله عزيز حكيم فمن تاب من السراق من بعد ظلمه اي سرقته واصلح افوه اي بالتفصي عن التبعات والعزم على ان لا يعود اليها فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم يقبل توبته فلا يعذبه في الاخرة اما القطع فلا يسقطها عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكل احد يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير قدم التعذيب على المغفرة ابتناء على ترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب يقدم على المغفرة او لان المراد به القطع وهو في الدنيا يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر اي يتبعون الذين يقولون بالكفر سريعا اي في اظهاره اذا وجد ولم يتوقفوا من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم اي من المنافقين والباء متعلقة بقالوا لا بامنا والواو يحتمل الحال والعطف ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا سماعون للكذب خبر محذوف اي هم سماعون والضمير للفريقين او للذين يسارعون ويجوز ان يكون مبتدأ ومن الذين خبره اي ومن اليهود قوم سماعون واللام في للكذب لام مزيدة للتاكيد او لتضمن السماع معنى القبول اي قابلون لما يفتريه الاحبار او للعلة والمفعول محذوف اي سماعون كلامك ليضلوا عليك فيها سماعون لقوم اخرين لم ياتوك اي لجم اخر من اليهود لم يحضروا مجلسك ويتجافوا عنك تكبرا او افراطا في البغضاء والمعنى على الوجهين يصغون لهم قابلون كلامهم او سماعون مناك

لاجلهم والانتهاء اليهم ويجوز ان يتعلق اللام بالكذب لان سماع الثاني مكرر للتاكيد اى سماعون ليكذبوا
لقوم آخرين لم يحضروا مجلسك من اجلهم او بدل من الذين قبله بدل البعض من الكل ومن للتبعيض
يحرفون الكلم من بعد مواضعه اى يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها بما لفظا
باهمال الله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه في غير موردة والجملة صفة اخرى لقوم او حال
او حال من الضمير في آتوك او استيناف لا موضع له او في موضع الرفع خبر لمحذوف اى هم يحرفون وكذلك يقولون
ان اوتيتم هذا المحرف اى ان اوتيتموه فاقبلوه واعملوا به وان لم تؤتوه فاحذروا ان يفتيكم محمد بخلافه
فاحذروا اى فاحذروا ان تقبلوا ما افتاكم به روى ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين
فكرهوا رجمهما فارسلوا منهم اربعة الى بني قريظة ليسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وقالوا ان امركم
بالجلد والتحميم فاقبلوه وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقال له
انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى عليه السلام ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون
والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت
ان كذبته ان ينزل علينا العذاب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين فرجما عند باب المسجد
ومن يرد الله فتنته ضلالته او فضيحته فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من الله تعالى
شيئا في دفعها اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الكفر وهو تمثيل نفى على فساد قول
المعتزلة لهم في الدنيا خزي هوان بالجزية والخوف عن المؤمنين ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهو الخلود
في النار والضمير للذين هادوا ان استانفت بقوله ومن الذين هادوا او للفريقين سماعون للكذب اكالون للسحت
اكالون للسحت الحرام كالرشوة من حكم اذا استصلة لاجله مسموع البركة قرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب
في احد اضم الثلثة بضمتين وما لفتان كالحق والحق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر فان جاءوك فاحكم
بينهم او فاعرض عنهم تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض
وهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول الشافعي رحمه الله تعالى والاصح وجوبه اذا كان
المترافعان او احدهما ذميا لان التزامنا الذب عنهم ودفع الظلم منهم والآية ليست في اهل الذمة وعندنا
اليخيرة رحمه الله تعالى يجب مطلقا وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا بان وان تعاد ولا اعراضك عنهم
فان الله تعالى يعصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذي امر الله تعالى به ان الله
يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم شانهم وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم
من لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص عليه في الكتب الذي عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا
بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون عليهم وان لم يكن حكم
الله تعالى في زعمهم وفيها حكم الله حال من التورية ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدا فمن في
المستكن فيه وتاذيتها لكونها نظيرة المونث في كلامهم لفظا ومعناه وما اولئك بالمؤمنين ثم يتولون من بعد ذلك

تترجيحون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم ويطوعن على الحكم الذي داخل في حكم التعجيب ومما أولئك
بالمؤمنين بمجاهم لاعراضهم عنه اولا وعملهم بوافقه ثانيا اوبك وبه انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور
الى الحق ونور تكشف ما اشتبه عليهم من الاحكام يحكم بها النبيون يعني انبياء بني اسرائيل وموسى عليه السلام
ومن بعده ان قلت اشرع من قبلنا شرعنا ما لم يتبين وبهذه الاية تمسك القائل بانه الذين اسلموا صفة اجريت على
النبيين مدحا لهم وتنويها باشان المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هديهم الذي
هادوا متعلق بانزل ويحكم اي يحكمون بها في تحاكمهم وهو بدل على ان النبيين انبياءهم والربانيون
والاحبار زهادهم وعلماؤهم القائمون طريقة انبيائهم ثم عطف على النبيون بما استحفظوا من كتاب الله
بسبب امر الله تعالى اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والاسناد الى ما لم يحدث وكانوا
عليه شهداء رقباء لا يتركون ان يغيروا او شهداء يبتغون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا فلا تخشوا الناس
واخشون نهى للحكام ان يخشوا غير الله تعالى في حكمهم ويل هنوا فيها لخشية ظالم او امر اقامة كبيرة كالرشوة
بآياتي ولا تستبدلوا باحكامي التي انزلتها تمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا
بحكمه فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الظالمون
والفاسقون فكفرهم لانكاره وفسقهم بالخروج عنه وظلمهم بالحكم على خلافه ويجوز ان يكون كل واحد من
الصفات الثلث باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة طبعا او طائفة كما قيل هذه في المسلمين
لانصافها بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وكتبنا عليهم فرضنا على اليهود فيها في التوراة
ان النفس بالنفس اي ان النفس تقتل بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن وان
بالكسر رفعها على الاستئناف بجملة معطوفة على انها ومافي حيزها باعتبار المعنى وكانه قيل وكتبنا عليهم القصاص
بالنفس والعين بالعين فان الكتبة والقراءة تقعان على الجمل لا القول او جملا مستأنفة ومعناها وكذلك العين
بالعين والانف بالانف وما عطف عليه مرفوعة بالابتداء والخبر محذوف اي فيما فرض عليهم فيها والجملة
معطوفة على المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ لانه فاصل او مقصول عنه بالظرف والجار والمجرور وحال مبينة
للمعنى والجروح قصاص اي ذات قصاص وقرأه الكسائي ايضا بالرفع وافقه ابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه
ابتداء للحكم بعد التفصيل فمن تصدق ومن المستحقين به بالقصاص اي فمن عفا عنه فهو فالتصدق
كفارة له للمتصدق فيكفر الله تعالى بذنوبه وقيل الجاني يسقط عنه والتصدق هو كفارته له اي فالمتصدق كفارته التي يستحقها
بالتصدق له لا ينقص منها شيء ومن لم يحكم بما انزل الله من القصاص وغيره فاولئك هم الظالمون وقفينا على
اثارهم اي واتبعناهم على اثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيين بعيسى ابن مريم مفعولا
عرى اليه الفعل بالباء مصدقا حال اما بان يجعل مصدرا او اسم فاعل وانتصابه على الاول بفعل مضمر اي وآتيناه
مصدقا وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور وفي
موضع النصب بالحال من مصدقا لما بين يديه من التوراة عطف عليه وكذا قوله وهدى وموعظة للمتقين

ويجوز نصبه عطفا على المفعول لهما عطفا على محذوف وتعليقا به وعطف وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه
عليه في قراءة حمزة وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف وناى اتيناه وقرئ وآتيناه ان يحكم على ان موصولة بلام
كقولك امرتك بان قرأى وامرنا بان ليحكم ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون عن حكمه او عن الايمان
ان كان مستهينا به والآية تدل على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان اليهودية منسوخة بعيسى عليه
السلام وانه كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التوراة خلاف
الظاهر وانزلنا اليك الكتب بالحق اى القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتب من جنس الكتب المنزلة فاللام
الاولى للعهد الثانية للجنس ومهيمنا عليه ورقيبا على سائر الكتب يحفظه عن التغيير ويشهد لها بالصحة
الثبات وقرئ على بنية المفعول اى هو من عليه ومحفوظ من التحريف والحافظ له هو الله تعالى والخطاب في كل عصر
فاحكم بينهم بما انزل الله اى بما انزل اليك ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق بالانحراف عنه الى ما يشتهونه
فمن صلة لا تتبع لتضمنه معنى لا تنحرف او حال من فاعله اى لا تتبع اهواءهم مائلا عما جاءك لكل جعلنا منكم
ايها الناس شرعة شريعة وهي الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب الحياة الابدية وقرئ
بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به على انا غير متعبدين بالشرائع
المتقدمة ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل
لو شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله تعالى اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما
اتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها معتقدين ان اختلافها
مقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها انتهازا للفرصة
حيازة لفضل السبق والتقدم الى الله مرجعكم جميعا استئناف فيه تعليل للامر بالاستباق ووعد ووعيد
للمبادرين المقصرين فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر وان
احكم بينهم بما انزل الله عطف على الكتاب اى انزلنا اليك الكتاب والحكم او على الحق اى انزلناه بالحق وبان الحكم
ويجوز ان يكون جملة بنفسها وامرنا ان احكم وكما تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله
اى ان يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته بدل من فهم بدل الاشتمال اى احذرهم فتنتهم او مفعول له اى احذرهم
مخافة ان يفتنوك روى ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا ايا محمد قد عرفت
انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعتنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فاقض
ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه فنزلت فان تولوا عن الحكم المنزل واراد وا غيره
فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني ذنبهم لتولوا عن حكم الله تعالى فعبر عنه بذلك تنبيها على ان
لهم ذنوبا كثيرة وهذا من عظمها واحدها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما في التكثير ونظيره قول
لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها وان كثيرا من الناس لفاسقون المتمردون في الكفر المعتدون فيه

الحكم الجاهلية يبغون الذى سوالسبيل والمداهنة فى الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التى هى متابعة الهوى
وقيل نزلت فى بنى قريظة والنضير طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية
من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على الابتداء ويبغون خبره والراجع محذوف وخففه فى الصلة فى قوله تعالى هذا
الذى بعث الله رسولا واستضعف فيه وغير الشعر وقرئ افحكم الجاهلية اى يبغون حاكما حكام الجاهلية
يحكم بحسب شهواتهم وقرأ ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما
لقوم يوقنون اى عندهم واللام للبيان كما فى قوله هيت لك اى هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم
الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء بامثالها هم فيعلمون ان لا احسن حكما من الله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب
بعضهم اولياء بعض اى علة النهى فانهم متفقون على عداوتكم يوالى بعضهم بعضا لاتحادهم فى الدين
واحاحهم على مضادتكم ومن يتولهم منكم فانه منهم اى ومن والاهم منكم فانه من جملتهم وهذا التشديد
فى وجوب مجانبتهم كما قال عليه الصلوة والسلام لا تتراءى ناراهما اى ناراهما اولان الموالين هم كانوا منافقين ان الله
لا يهدى القوم الظالمين اى الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار والمومنين بموالاة اعدائهم فترى الذين فى
قلوبهم مرض يعنى ابن ابى واضرابه يسارعون فيهم اى فى موالاتهم ومعاونتهم يقولون نخشى ان تصيبنا
دائرة ويعتذرون بانهم يخافون ان تصيبهم دائرة من الدوائر بان يغلبوا الامر ويكون الدولة للكفار
روى ان عبادة بن الصامت قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لى موالى من اليهود كثيرا عددهم وانى
ابرء الى الله تعالى ورسوله من ولايتهم واوالى الله تعالى ورسوله فقال ابن ابى انى رجل اخاف الدوائر لا ابرء من
ولاية موالى فقلت فعسى الله ان ياتى بالفتح لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على اعدائه واظهار المسلمين او امر من
عنده يقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء والاول باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا اى
هولاء المنفقون على ما اسروا فى انفسهم نادمين على ما استبطنوه من الكفر والشك فى امر الرسل فضلا
عما اظهروه مما اشعر على نفاقهم ويقول الذين امنوا بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائى على انه كلام مستانف
وتؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو وعلى انه جواب قائل يقول فما ذا يقول المومنون حينئذ
وبالنصب قراءة ابى عمرو ويعقوب عطفا على ان ياتى باعتبار المعنى وكانه قال عسى ان تاتى الله تعالى بالفتح ويقول
الذين امنوا او بجعله بدلا من اسم الله داخلا فى اسم عسى معتبرا عن الخبر بما تضمنه من الحدث او على الفتح يعنى
عسى الله ان ياتى بالفتح ويقول المومنين فان الاتيان بمايوجبه لا يليق بهولاء الذين اقسموا بالله جهد
ايمانهم انهم معكم يقول الله المومنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنفقين وتبجحا عما من الله تعالى عليهم
من الاخلاص ويقولون للهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله تعالى عنهم وان قوتلتم
لنصرنكم وجهد الايمان اغلظها وهو فى الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله

يجتمعون جملا ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه وذلك سائغ كونهما معرفتين او على المصدر كانه قيل
اعمالهم واصيبت خسرانا من قوله تعالى شهادة طم لجوط اعمالهم وفيه معنى التعجب
كانه قيل ما احبط اعمالهم فيما اخسرهم يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه قرأه على الاصل نافع وابن عامر
بهمزتين الثانية ساكنة وابو عمرو بهمزة واحدة مكسورة وياء ساكنة وقرأ الباقون بادغام احدى الهمزتين في الاخرى
وهو كذلك في الامام والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التي اخبر الله تعالى عنها قبل وقوعها وقد ارتد من
العرب طوائف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذو الخمار الاسود العنسي تنبأ
باليمن واستولى على بلادهم ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدها واخبر الرسول
صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة قتل المسلمون والى الخير في اخر ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة
تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها
لي ونصفها لك فاجابه من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض يورثها من يشاء من عباده
والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله تعالى عنه بجنود المسلمين وقتله الوحشي قاتل حمزة وبنو اسد
قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا رضي الله تعالى عنه فهرب بعد القتال الى الشام
ثم اسلم وحسن اسلامه وفي عهد ابي بكر رضي الله تعالى عنه سبح فزارة قوم عيينة بن حصين وغطفان قوم قرة بن
سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت
المنذر المتنبئة ذوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم وكفى
الله الامر كلا بيد وفي امرة عمر رضي الله تعالى عنه غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام فسوف
يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قيل هم اليمن لما روي انه صلى الله عليه وسلم اشار الى ابي موسى رضي الله تعالى عنه
وقال قوم هذا او قيل الفرس لانه صلى الله عليه وسلم سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان رضي الله تعالى عنه وقال
هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلثة الاف
من ابناء الناس والاجامع من محذوف وتقديره فسوف ياتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد ارادة
الله سبحانه وتعالى التوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الاخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه اخرجه
على المؤمنين عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل واستعمالهم على الضمين يعني
ان عطف والخنو او للتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم او لكل قبيلة اعزة
على الكافرين مثل اشداء متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال يجاهدون في سبيل الله صفة اخرى
لقوم او حال من الضميرين في اعزة ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون يعني انهم الجامعون بين
المجاهدة في سبيل الله تعالى والتصلب في دينه او حال يعني انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم
يضربون في جيش المسلمين خائفين ملامة اولياءهم من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم
واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكيرها مبالغتان ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوصاف فضل الله يؤتيه من يشاء

يمحقه ويوفق له والله واسع كثير الفضل عليم بمن هو اهله انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة
الكلمة ذكر عقيبه من هو حقيق بها وانما قال وليكم ولم يقل اولياءكم للتنبيه على ان الولاية لله تعالى على الاصالة ولرسوله
والمؤمنين على التبع الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة للذين آمنوا فانه جرى مجرى العلم وبذل
منه ويجوز رفعه ونصبه على المدح وهم راكعون متخشعون في صلوتهم وزكوتهم وقيل هو حال من فاعل يؤتون اي
يؤتون الزكوة في حال ركوعهم في صلوة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه وانها نزلت في علي رضي الله تعالى عنه حين سأله
سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه واستدل به الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولي المتولي
للامور والمحق للتصرف فيهم والظاهر ما ذكرناه سواء حمل الجمع على الواحد ايضا لخلوه الظاهر او ان صح انه
نزل فيه فلعله جمع بلفظ الجمع ليرغب الناس في مثل فعله فينال ما نال وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل
في الصلاة لا يبطلها وان صدق التطوع لتسميه زكوة ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا ومن يتخذهم
اولياء فان حزب الله هم الغالبون اي فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه
وكانه قيل ومن يتولهم فهؤلاء قرنهم حزب الله تعالى وحزب الله تعالى هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشانهم وتشريفا
لهم بهذا الاسم وتعريضا بمن يتولى غيرهم فهؤلاء بانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم

يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء
نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهروا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما وقد رتب النهي
عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايماء على العلة وتنبيها على ان من هذا شانه بعيد من الموالاة حقيق
بالمعاداة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جر ومنهم ابو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وان
عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على ان النهي
عن موالاة من لين على الحق رأسا سواء كان ذا دين تبع فيه الهوى او حرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن
كالمشركين واتقوا الله بترك المناهي ان كنتم مؤمنين لان الايمان حقا يقتضي ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعدي
ووعيدي واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا اي اتخذوا الصلوة او المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلوة
روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات
ليلة بنار واهله نيام فتطايرت شررها في البيت فاحرقه واهله ذلك بانهم قوم لا يعقلون فان السفر يؤدي الى
الجهل بالحق والهزء به والعقل يمنع منه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه
كذا اذا انكره واستقم اذا كافاه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهو لغة الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل الا ايمانا بالكتب المنزلة
وان اكثركم فاسقون عطف على ان آمنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اي ما تنكرون منا الا صفا لفكم
حيث دخلتم الايمان وانتم خارجون منه او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون فخالفتم وعلى هذا اي وما تعيبون
منا الا الايمان بالله تعالى وبما انزل وبان اكثركم كفرة وعلى هذا محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا ان آمنا

لقلة انصافكم وفسقكم او نصب ما فصار فاعل يفعل محذوفا اى وما تنقمون منا الا ان آمنا وان اكثركم فاسقون او رفع على الابتداء والخبر محذوف اى فسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الاعتراف والآية خطاب لليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به فقال ومن يا الله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا لا احد اسوأ حالا منك ذكر عيسى عليه السلام لانهم ادنى شرا من دينكم قل هل انبئكم بشر من ذلك اى من ذلك المنقوم مثوبة عند الله جزاء ثابتا عند الله تعالى والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت هنا موضعها على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع من على التمييز عن شر من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير بدل من شر على حذف المضاف اى شر اهل دين من لعنه الله او بشر من ذلك دينا من لعنه الله تعالى او خبر محذوف اى هو من لعنه الله تعالى ومسخ الهود اعلام الله تعالى من رحمته ونسخ عليهم بكفرهم وانهماكهم فى المعاصى بعد وضوح الآيات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى عليه السلام وقيل كلا المسخين فى اصحاب السبت ستناتم ومثالهم خنازير وعبد الطاغوت عطف على صلة من لكن اعيد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعكس بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا اى فيهم او بينهم ومن قرأ عابد الطاغوت او عبدة على انه نعت كفطن ويقظ او عبيد او عبد الطاغوت على انه جمع كخادم او ان اصله عبيدة فحذفت التاء للاضافة عطفه على القردة ومن قرأ وعبد الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل من اطاعوه فى معصية الله تعالى وقرأ وعبد الطاغوت بضم الباء وجر التاء والباقون بفتح الباء ونصب التاء اولئك اى الملعونون شر مكانا اى المكان شرا ليكون ابلغ فى الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا مستعارا واضل عن سواء السبيل قصد الطريق المتوسط بين طرفى الافراط والتفريط وقد ذم اليهود بكلا الامرين حيث نعتت بالتقصير تارة بالزيادة مطلقا كما هنا وبالاضافة الى المؤمنين فى الشدة والضلال واذا جاؤكم قالوا امنا نزلت فى اليهود نافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم او فى عامة المنافقين وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اى يخرجون من عندك كما دخلوا ولم يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا او بالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضى من الحال ليصح ان يقع حالا افاد ايضا ما فيها من التوقع ان امارة النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول يظنه ولذلك قال والله اعلم بما كانوا يكتمون اى من الكفر وعداوتهم وترى كثيرا منهم اى من اليهود او المنافقين يسارعون فى الاثم اى الحرام وقيل الكذب لقوله عن قولهم الاثم والعدوان الظلم او مجاوزة الحد فى المعاصى وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم واكلهم السحت اى الحرام خصه بالذكر للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا يعملونه لان ما هو الربا يتولون والاحبار عن قوله الاثم واكلهم السحت تخصيص لعلمائهم على النهى عن ذلك فان لولا اذا دخل الماضى افاد التوبيخ واذا دخل المستقبل افاد التحضيض لبئس ما كانوا يصنعون ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الاساطين لتدربه فيه وترقيه وتحريه اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحمية اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تتذرع بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الاكل صلبها فكان جديرا بابلغ الذم وقالت اليهود يد الله مغلولة اى هو بخيل لا يقترض

٢٣٢

وتغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل او بسط ولذلك تستعمل حيث لا يتصور ذلك
كقوله ٭ جاد الحيي وبسط اليدين يوابل شكرت نداه بلاده ٭ وهاداه ٭ وتظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل
وقيل معناه انه فقير لقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم ولعنوا بما
قالوا دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة او بغل الايدي حقيقة يغلون اسارى في الدنيا ومسحبين الى النار في
الآخرة فيكون المطابقة من حيث المعنى للفظ وملاحظة الاصل كقولك ستبنى سبت الله دارك بل كلاهما مبسوطتان شئ اليه مبالغة
في الرد ونفي البخل عنه واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخي من ماله ان يعطيه بيديه وغايتها على صخ الدنيا
والآخرة وعلى ما يعطى بالاستدراج وما يعطى للاكرام ينفق كيف يشاء تاكيد لذلك اى هو مختار في انفاقه يوسع
تارة ويضيق اخرى على حسب مشيته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق في ذات يد ولا يجوز جعله
حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها مضاف اليها ولا من اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك ولا
نزلت في فنحاص بن عازوراء فانه قال ذلك لما كف الله تعالى عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشوم تلك منهم مجملا
صلى الله عليهم واشتراك فيه الآخرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا
وكفرا اى هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا مما يسمعون من القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء
الصالح للاصحاء والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة فلا يتوافق قلوبهم ولا يتطابق افواههم كلما اوقدوا نارا
للحرب اطفاها الله كلما اراد واحزاب الرسول صلى الله عليه وسلم واثارة شر عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ردهم الله تعالى بان اوقع
بينهم منازعة كف بها عنه شرهم او كلما اراد واحزاب حرب غلبوا انهم لما خالفوا حكم التوراة سلط الله تعالى عليهم
بخت نصر ثم افسدوا فسلط قسطوس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين
وللحرب صلة او قدروا وصفة نارا ويسعون في الارض فسادا اى للفساد وهو اجتهادهم في الكيد واثارة الحرب
والفتن وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين فلذلك يجازيهم الا نشرا ولو ان اهل الكتاب امنوا بمحمد صلى الله تعالى عليه
وسلم وجاء به واتقوا ما عددنا من معاصيهم ونحوه لكفرنا عنهم سيئاتهم التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم
جنات النعيم ولجعلناهم من الداخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب
ما قبله وان جل وان الكفار لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل باذاعة ما فيهما و
القيام باحكامهما وما انزل اليهم من ربهم يعني سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها
كالمنزل اليهم او القرآن لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات من
السماء والارض ويكثر ثمرة الاشجار وغلة الزروع او يرزقهم الجنان المانعة الثمار فيجتنونها من راس الشجر ويلتقطون
ما تساقط على الارض بتبين بذلك ان ما كف عنهم بشوم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم امنوا
اوا قاموا ما امروا به لوسع الله تعالى عليهم وجعل لهم خير الدارين منهم امة مقتصدة عادلة غير غالية
ولا مقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته وكثير منهم ساء ما يعملون

اى بئس ما يعملونه ثم فيه معنى التعجب اى ما اسوأ عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه وقوله الا فرّاط فى العداوة

يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميعا انزل اليك غير مراقب احدا ولا خائف مكروها وان لم تفعل وان لم تبلغ

جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته فما ادّيت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ما اتى منها انزل الله بعض

الصلوة فان غرض الداعى ينتقض به او فكانك ما بلّغت شيئا منها لقوله فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان

البعض واكل سواء فى الشناعة واستحقاق العقاب وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر رسالاته بالجمع وكسر التاء والله يعصمك

من الناس عدة وحث من ان يمنعوك من بعضه وحرصه صلى الله عليه وسلم من تعرض الاعادى واذا حثه على العاذير صلى الله عليه وسلم

ان الله لا يهدى القوم الكافرين لا يمكنهم مما يريدون بك وعن النبى صلى الله عليه وسلم بعثنى الله تعالى برسالة

فضقت بها ذرعا فاوحى الله تعالى الىّ ان لم تبلغ رسالاتى عذّبتك وضمن لى العصمة فقويت وعن انس رضى الله تعالى

عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمنى

الله تعالى من الناس وظاهر الاية يوجب تبليغ كل ما انزل واصل المراد تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله

اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية ما لو لم يظهر لم يكن افشاؤه قل يا اهل الكتاب لستم على شئ اى دين يعتدّ به ويصحّ ان

ليس شئ لانه باطل حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم ومن اقامتها الايمان بمحمد صلى الله

عليه وسلم والاذعان بحكمه فان الكتب الالهية باسرها امرت بالايمان بمن صدّقه المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له

والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس

على القوم الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم

المؤمنين مندوحة لك عنهم ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى سبق تفسيره فى سورة

البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والية به التاخير عما فى حيز ان والتقدير ان الذين امنوا

والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله * فان وقيار بها لغريب * وقوله * بغاة ما لقينا فى شقاق * وهو كاعتراض دلّ به على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم

عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صحّ منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون

والنصارى معطوفا عليه ومن امن خبرهما او خبر ان مقدرا دل عليه ما بعده كقوله * نحن بما عندنا وانت بما

عندك راض والرأى مختلف * ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف

عليه قبله كان الخبر خبر المبتدا وخبر ان معا فيجتمع عليه عاملان وعلى الضمير فى هادوا للعدم التاكيد و

الفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها فى موضع الرفع بالابتداء و

قيل والصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوزبالواو من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا

فى الرفع بالابتداء وخبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والجملة خبران او خبر المبتدا كما مرّ والراجح محذوف

اى من امن منهم او النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرئ الصابئين وهو الظاهر والصابيون

بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبيا بابدال الهمزة الفا او من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يثبتوا
شرعا وعقلا لقد اخذ نا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا ليذكروهم ويلزموهم الحجة امر وهم كلما جاءهم
رسول بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب الشرط والجملة
صفة رسلا والراجع محذوف اى رسول منهم فقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استمروا وانما حذف بقتلون
موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك دئيل دأبهم ماضيا
مستقبلا ومحافظة على رؤس الاى وحسبوا ان لا تكون فتنة وحسبوا بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب
بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب بالرفع على ان ان هي المخففة من الثقيلة
واصله انه لا تكون وادخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق بتنزيل له منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم وان اولان
بما في حيزهما اسدا مسد مفعوليه فعموا عن الدين والدلائل والهدى وصموا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا
العجل ثم تاب الله عليهم اى ثم تابوا فتاب الله تعالى عليهم ثم عموا وصموا كرة اخرى وقرئ بالضم فيهما على ان الله تعالى
عماهم وصمهم اى رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمى واصم كثير منهم بدل من الضمير او فاعل
والواو علامة الجمع كقولهم اكلوني البراغيث او خبر مبتدأ محذوف فاعمى والصم كثير منهم وقيل مبتدأ والجملة قبله
خبر وهو ضعيف لان تقديم الخبر في مثله ممتنع والله بصير بما يعملون فيجازيهم وفق اعمالهم لقد كفر الذين قالوا
ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم اى انى عبد مربوب مثلكم فاعبدوا
خالقي وخالقكم انه من يشرك بالله في عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال فقد حرم الله عليه الجنة
بمنعه من دخولها كما يمنع المحرم عليه من الكرم فانها دار الموحدين ومأواه النار فانها المعدة للمشركين وما
للظالمين من انصار اى وما لهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك
وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون من تمام كلامه عيسى صلوات الله تعالى على نبينا وعليه وان يكون
من كلام الله تعالى تهديدا على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام وتقربا اليه وهو معلوم
بذلك ومخاصمتهم فيه مما ينطق بغيره لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة اى احد ثلثة وهو حكاية ما قاله
النسطورية والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلثة وما سيق قول لبعضهم القائلين بالاتحاد وما من الاه الا اله واحد
وما في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال
عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا
ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم اى ليمسن الذين يقولون منهم على الكفر او ليمسن الذين كفروا من النصارى
وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العلة لتعلق من دام على الكفر ولم يتقلع عنه
ولذلك عقبه بقوله افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه اى الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد الزائغة الى قوله الرا
ويستغفرون بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور رحيم

يعترضهم ويمنعهم من فضلها وان تابوا وفي هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله
الرسل اى ما هو الا رسول كالرسل قبله خصه الله تعالى بآيات كما خصهم بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى
العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى عليه السلام وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق آدم عليه السلام من غير اب وام
وام هو اغرب وامه صديقة كسائر النساء اللاتي يلدن من الصدق او يصدقن الانبياء كانا يأكلان الطعام
ويفتقران اليه افتقار الحيوانات يبنين اولا اقتضى حالهما من الكمال ودل على انه لا يوجد فيهما الالوهية لان كثيرا
من الناس يشاركهما في مثله ثم بين على نقصهما وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضي ان يكونا من عداد المركبات الكاملة
الفاسدة ثم عجب ممن يدعي بالربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال انظر كيف نبين لهم الآيات
ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله وتم للتفاوت ما بين التعجبين اى ان بياننا للآيات
عجيب واعراضهم عنها اعجب قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعني عيسى عليه السلام
وهو وان ملك ذلك بتمليك الله تعالى اياه لا يملك من ذاته او لا يملك مثل ما يضر الله تعالى به من البلايا
والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه في ذاته بوطيبة لنفي القدرة عنه راسا
وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم
الضر لان الكلام في دعائهم من يرجى نفعه والله هو السميع لاقوالكم العليم بالاعوال والعقائد فيجازي عليها ان خيرا فخير
وان شرا فشر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق اى غلوا باطلا فتفرطوا عيسى عليه السلام الى ان
تدعوا له الالهية او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا
من قبل يعني اسلافهم وائمتهم الذين ضلوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم في شريعتهم واضلوا كثيرا من
شايعهم على بدعهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد السبيل الذي هو الاسلام بعد مبعثه
صلى الله عليه وسلم لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني الى ضلالهم
عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم اى لعنهم الله تعالى في الزبور
والانجيل على لسانهما وقيل اهل ايلة لما اعتدوا في السبت لعنهم داود عليه السلام فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير
المائدة لما كفروا ودعا عليهم عيسى عليه السلام ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف ذلك بما عصوا
يعتدون اى ذلك اللعن الشنيع المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم كانوا لا يتناهون عن
منكر فعلوه اى لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر اراد وا فعله
وتهيؤا له او لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع لبئس ما كانوا يفعلون تعجيب من سوء
فعلهم مؤكد بالقسم ترى كثيرا منهم من اهل الكتاب يتولون الذين كفروا ويوالون المشركين بغضا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لبئس ما قدمت لهم انفسهم اى لبئس شيئا قدموه ليردوا عليه يوم القيمة
ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله تعالى والخلود

في الباب ١ وعلة الذم والخصوص محذوف اى لبئس شيئا ذلك لانه كسبهم السخط والخلود وَاِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا اٰمَنَّا بِاَفْوَاهِهِمْ وَقَدْ دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهٖ وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُوْنَ يعني بنيتهم وان كانت الآية في المنافقين فالمراد نبيئنا وَمَآ اُنْزِلَ اِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوْهُمْ اَوْلِيَآءَ اذ الايمان يمنع ذلك وَلٰكِنَّ كَثِيْرًا مِّنْهُمْ فٰسِقُوْنَ خارجون عن دينهم او متمردون في نفاقهم لَتَجِدَنَّ اَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِيْنَ اٰمَنُوا الْيَهُوْدَ وَالَّذِيْنَ اَشْرَكُوْا لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وركونهم الى التقليد وبُعدهم عن التحقيق وتمردهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم وَلَتَجِدَنَّ اَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِيْنَ اٰمَنُوا الَّذِيْنَ قَالُوْٓا اِنَّا نَصٰرٰى لِلِينِ جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل والآية اشارة بقوله ذلك بِاَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيْسِيْنَ وَرُهْبَانًا وَّاَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُوْنَ عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمودة وان كانت في كافر وَاِذَا سَمِعُوْا مَآ اُنْزِلَ اِلَى الرَّسُوْلِ تَرٰٓى اَعْيُنَهُمْ تَفِيْضُ مِنَ الدَّمْعِ عطف على لا يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومبادرتهم الى قبول الحق وعلم تكبرهم عنه والفيض نصب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة وجعلت اعينهم من فرط البكاء كأنها تفيض بانفسها مِمَّا عَرَفُوْا مِنَ الْحَقِّ من الاولى للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا او للتبعيض فان بعض الحق هو الذي عرفوا بعض الحق بالكتاب يَقُوْلُوْنَ رَبَّنَآ اٰمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشّٰهِدِيْنَ الذين شهدوا بالحق او بنوته او من امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيامة وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ اَنْ يُّدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصّٰلِحِيْنَ استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الداعي وهو الطمع في الانخراط مع الصالحين والدخول معهم او جواب سائل قال لم آمنتم ولا تؤمن من جاء من الضير والعامل ما في اللام من معنى الفعل اى اى شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله تعالى بوحدانيته فانهم كانوا مشلثين او بكتابه ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما وَنَطْمَعُ عطف على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال اى ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها او بمن فَاَثَابَهُمُ اللّٰهُ بِمَا قَالُوْا اى عن اعتقادهم قولهم هذا قول فلان اى معتقده جَنّٰتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا وَذٰلِكَ جَزَآءُ الْمُحْسِنِيْنَ الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور والآيات الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه فآمن وجهز جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه وأحضر الرهبان والقسيسين فأمر جعفر ان يقرأ عليهم القرآن ففرأ سورة مريم فبكوا واٰمنوا بالقرآن وقيل نزلت في ثلثين او سبعين رجلا من قومه وقيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرأ عليهم سورة يس فبكوا واٰمنوا وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَكَذَّبُوْا بِاٰيٰتِنَآ اُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ الْجَحِيْمِ عطف التكذيب بآيات الله تعالى على الكفر وهو ضربه لان الفصل الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تُحَرِّمُوْا طَيِّبٰتِ مَآ اَحَلَّ اللّٰهُ لَكُمْ اى ما طاب لذة منه كما فهم مما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهي عن الافراط في ذلك والاعتداء بما حد الله تعالى بجعل الحلال حراما فقال وَلَا تَعْتَدُوْا اِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِيْنَ

ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود ما حلّ الله تعالى لكم الى ما حرم عليكم فتكون الآية ناهية عن تحريم الحلال بعد ما حرّم داعية الى الفصل بينهما وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وبّخ اقواما لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم فرّقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنهم واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يأتوا النساء ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا الطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء والطيب فمن رغب عن سنتي فليس مني ونزلت وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي كلوا ما احل لكم وطاب بمارزقكم الله تعالى فيكون حالا من المفعول وكلوا متعلق بما تعلقت به لا مذكرة ويجوز ان يكون من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز ان تكون مفعولا به وحلالا حالا من الموصول او العائد المحذوف وطيبا صفة المصدر المحذوف وعلى الوجوه لم يقع الرزق على الحرام لم يكن للذكر فائدة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم هو ما يسبق من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعي رحمه الله تعالى وقيل الحلف على ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب الامام الاعظم ابو حنيفة رحمه الله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان جمع يمين بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بايمان عقدتم او بتركيب ما عقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائي وابن عياش عقدتم بالتخفيف وابن عامر برواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل فكفارته تكفيره اي الفعلة التي تنذهب اليه وتتركه واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليات الذي هو خير اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم من اقصد في النوع او القدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله النصب صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع على البدل من الطعام واهلون كارضون وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الاحوال الثلث كالف وهو جمع اهل في جمع ليل ولا ترضى جمعه بل قياسه اهلة او كسوتهم عطف على الطعام او من اوسط ان جعل بدلا وهي ثوب يغطى العورة وقيل ثوب جامع قميص ورداء او ازار وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة في قدوة وكاسوتهم اي تعطى كسوتهم او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الا اوسط والكاف في محل الرفع وتقدير اواطعامهم كاسوتهم او تحريرهم تحرير رقبة واعتاق انسان وشرط الشافعي رحمه الله تعالى فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى ايجاب احد الخصال الثلث مطلقا وتخيير المكلف في التعيين فمن لم يجد اي واحد منها فصيام ثلثة ايام فكفارته صيام ثلثة ايام وشرط ابو حنيفة رحمه الله تعالى فيه التتابع لانه قرئ ثلثة ايام متتابعات والشذوذ ليس بحجة عنده اذا لم تثبت كتابا ولم تثبت سنة ذلك اي المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم بان

تضنوا بها ولا تبذلوا لها الكل امرا وبان تبرؤا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خيرا وبان تكفروها اذا حلفتم لذلك اى
مثل ذلك البيان يبين الله لكم آياته اعلام شرائعه لعلكم تشكرون نعمة التعليم او نعمه الواجب شكرها فان مثل
هذا التبيين يسهل لكم التحرج منه يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب اى الاصنام التى يضحت للعباد
والازلام سبق تفسيره فى اول السورة رجس قذر يعاف عنه العقول وافراده لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات محذوف
او لمضاف محذوف وكانه قال انما تعاطى الخمر والميسر رجس من عمل الشيطان لانه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه
الضمير للرجس او لما ذكروا وللتعاطى لعلكم تفلحون لكى تفلحوا ايا كم اجتناب عنه واعلم انه تعالى لما حرم الخمر والميسر فى هذه
الآية بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان
الاشتغال بهما مما يجب الاجتناب عن عينيهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح فقرر ذلك
بان بين ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة
والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة وانما خصهما بافادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها
على انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما فى الحرمة والشارة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم
شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلوة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن
الاحيان من حيث انها عماده والفارقة بينه وبين الكفر فانتهوا اعادة الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا
على ما تقدم من انواع الصوارف فقال فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر فى المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار
قد انقطعت واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امرتم به واحذروا عما نهيتم عنه او مخالفتهما فان توليتم فاعلموا
انما على رسولنا البلاغ المبين اى فاعلموا انكم لن تضروا الرسول بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضرر تولكم
انفسكم ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اما المحرم عليهم لقوله اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا
الصالحات اى اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر وآمنوا بتحريمه ثم اتقوا ثم
استمروا واثبتوا على اتقاء المعاصى واحسنوا وكرروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روى انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة
رضى الله تعالى عنهم يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرير
باعتبار الاوقات الثلثة او باعتبار الحالات الثلث استعمال الانسان التقوى والايمان بالاحسان فى الكرة الثالثة اشارة الى ما قال عليه الصلوة
بين الناس وبينه وبين الله تعالى وكذلك بل الايمان بالاحسان فى الكرة الثالثة اشارة الى ما قال عليه الصلوة
والسلام فى تفسيره او باعتبار المراتب الثلث المبدأ والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغى ان يترك المحرمات
توقيا من العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع فى الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس وصونا لها عن الخسة وتهذيبا لها عن
الطبيعة والله يحب المحسنين فلا يواخذهم بشئ وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار محبوبا يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت عام الحديبية تبتهم الله تعالى
بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم فى رحالهم بحيث يقدرون من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون

التقليل والتحقير فيه تنبيه على انهم ليس من العظائم التي تدخل تحت اقدارهم كالاستيلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عندهم كيف يثبت عندهم ما هو اسهل منه ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب مستظر لقوة ايمانه ممن لا يخاف لضعف قلبه وقلة ايمانه فان ذكر العلم واراد به وقوع المعلوم وظهوره او تعلق العلم صح ليعذبنّ بعد ذلك الابتلاء بالصيد فله عذاب اليم فالوعيد لاحق بهم فان من لا يملك جايشه في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله تعالى فيه فكيف به فيما يكون النفس اميل اليه واحرص عليه يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اي محرمون من جمع حرام كرداح ورداح وقرئ حرم كرد وحلل ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكوة للتعميم والمراد بالصيد ما يؤكل لحمه عادة الحلال فيه عرفا ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم خمس يقتلن في الحل والحرم الحدأة والغراب والعقرب والفارة والكلب العقور وفي رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل موذ واختلف في ان هذا النهي هل يلحق حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثني او لا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب ومن قتله منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قتل ما يقتله والاكثر على ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطئ والحر في ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الاية نزلت فيمن تعمد اذ روي انه عن لهم عمر لحد يبيه حمار وحش فطعنه ابو اليسر بوحشه فقتله فنزلت فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيون ويعقوب بمعنى فعليه او فواجبه جزاء مماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها وانما يكون صفته وقرأ الباقون على اضافة المصدر الى المفعول واقحام مثل كما في قولهم مثلك لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه ان يجزي جزاء مماثل ما قتل فجزاؤه مثل ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي رحمهما الله تعالى والقيمة عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى قال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت ثمن هدي يخير بين ان يهدي ما قيمته قيمته وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم يبلغ يخير بين الاطعام والصوم واللفظ للاول او في يحكم به ذوا عدل منكم صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا من ضمير في خبره او منه اذا اضفته او وصفته ورفعته بخبر مقدر دلت وكما ان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد يحتاج المماثلة في الخلقة والهيئة اليهما فان الاذرع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس او الاعمام هديا حال من الهاء في به او من جزاء وان نون لتخصيصه بالصفة او بدل ان عن مثل باعتبار محله او لفظه فمن نصبه بالغ الكعبة وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغ الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثم وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء او كفارة عطف على جزاء وان رفعته وان نصبته فخبر محذوف وطعام مساكين عطف بيان او بدل منه او خبر محذوف اي هي طعام وقرأ نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند

الشافعي رحمه الله تعالى او ان يكفر باطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مدا
او يعدل ذلك صياما اما سواه من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وهو في الاصل مصدر لطلق للمفعول
وقرئ بكسر العين وهو ما عدل الشيء في المقدار كعدل الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل
ليذوق وبال امره متعلق بالحذف وذاى فعليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء
عاقبة هتكه لحرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله تعالى واصل الوبل الثقل ومنه الطعام
الوبيل عفا الله عما سلف من قتل الصيد مرة في الجاهلية او قبل التحريم او في هذه المرة ومن عاد الى مثل هذا فينتقم
الله منه فهو ينتقم الله تعالى منه وليس فيه ما يمنع الكفارة على العائد كما حكي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
والله عزيز ذو انتقام ممن اصر على عصيانه احل لكم صيد البحر ما يتناول منه مما لا يعيش
الا في الماء وهو حلال كله لقوله عليه السلام في البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى
لا يحل منه الا السمك وقيل يحل السمك وما يوكل نظيره في البر وطعامه ما قذفه او نضب عنه وقيل الضمير
للصيد وطعامه اكله متاعا لكم تمتيعا لكم نصب على المفعول له وللسيارة اي لسيارتكم يتزودونه قديدا او
حرم عليكم صيد البر اي ما صيد فيها او الصيد فيها فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا ما صاده الحلال وان لم يكن
له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه السلام لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه او يصد لكم ما دمتم حرما
اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام واتقوا الله الذي اليه تحشرون حيث الله الكعبة صيرها وانما سماه
البيت الكعبة لتكعبه البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثاني قياما للناس انتعاشا لهم
اي سببا لانتعاشهم في امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويامن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه
اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالسيد او على
تسمية الشيء باسم المكان والشهر الحرام والهدي والقلائد سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر
الذي يودى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقوله ذلك وقيل الجنس ذلك اشارة الى الجعل او الى ما ذكر من
الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فان شرع الاحكام لدفع
المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه وان الله بكل شيء عليم
تعميم بعد تخصيص ومبالغة لبيان الاطلاق اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم وعيد
ووعد لمن هتك محارمه ولمن حافظ عليها او لمن اصر عليه ولمن اقلع عنه ما على الرسول الا البلاغ تشديد في
ايجاب القيام بما امر به اي الرسول الى ما امر به من التبليغ وقد بقي لكم عذر في التفريط والله يعلم ما تبدون وما كنتم
من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله
تعالى بين الردي من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب في صالح العمل وحلال المال
ولو اعجبك كثرة الخبيث فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود

القليل خير من [illegible] والحظ لكل مختار ولذلك قال فاتقوا الله يا اولى الالباب اى فاتقوه فى تحرى الخبيث
وان كثر وآثروا الطيب وان قل لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح روى انها نزلت فى حجاج اليمامة
لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم
وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لا تسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها فى زمان الوحى تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمهم
والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشىء على
ان اصله شيّء كهيّن او شيىء كصديق فخفف وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه
عفا الله عنها صفة اخرى اى عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روى انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت
قال سراقة بن مالك أكل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد ثلثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو
وجبت لما استطعتم فاتركونى ما تركتكم فنزلت واستئناف اى عفا الله تعالى عما سلف من مسئلتكم فلا تعودوا الى مثلها
والله غفور حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه عليه
السلام كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسأل عن شىء الا اجبت فقال
رجل اين ابى فقال فى النار وقال آخر من ابى فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت قد سألها قوم الضمير
التى دل عليها لا تسألوا ولذلك لم يعد بعن او لاشياء بحذف الجار من قبلكم متعلق بسألها وليس صفة لقوم
فان ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها ثم اصبحوا بها كافرين اى بسببها حيث لم يأتمروا بما
جحدوا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم
اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اى شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت
فناقتى سائبة ويجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهى لهم واذا ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان
ولدتهما وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوا
من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك تعدى الى مفعول واحد وهو البحيرة
ومن مزيدة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته اليه واكثرهم لا يعقلون اى الحلال
من الحرام والمبيح من المحرم والآمر من الناهى ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن يمنعه حب
الرياسة وتقليد الآباء ان يعترفوا به واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه
آباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم فى التقليد وان لا سند لهم سواه اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون
الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال اى احسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين
والمعنى ان الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفى التقليد يا ايها الذين آمنوا عليكم
انفسكم اى احفظوها والزموا اصلاحها والجار والمجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرئ بالرفع

على الابتداء لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وقرئ لا يضركم الضال اذا كنتم مهتدين ومن للاهتداء ان يكره
المنكر حسب طاقته لما قال عليه السلام من رأى منكرا واستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع
فبقلبه والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا
له سقمت ابالك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع على انه مستأنف وتقييده ان قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب والنهي
لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وينصره قراءة من قرأ لا يضرّكم بالفتح ولا يضيركم
بكسر الضاد ووضعهما من ضاره يضيره ويضوره الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين
وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره بأيها الذين آمنوا شهادة بينكم اى فيما امرتم شهادة بينكم وامراد
بالشهادة الاشهاد واضافتها الى الظرف على الاتساع وقرئ شهادةَ بالنصب والتنوين على ليقم اذا حضر احدكم الموت
اذا شارفه وظرف الشهادة حين الوصية بدل منه وفي ابدال اللّه تنبيه على ان الوصية مما ينبغي ان
لا يتهاون فيه او ظرف حضر اثنان فاعل الشهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف واعدل منكم اى
من اقاربكم او من المسلمين وهما صفتان لاثنان او آخران من غيركم عطف على اثنان ومن غيركم اى من غير اقاربكم
او من غير المسلمين جعله منسوخا فان شهادة على المسلم لا تسمع اجماعا ان انتم ضربتم في الارض وسافرتم فيها فاصابتكم مصيبة
الموت اى قاربتم الاجل تحبسونهما صفة اخران او حال من آخران والشرط بجوابه لدى المحذوف دل عليه
قوله او آخران من غيركم اعتراض وفائدته الدلالة على انه ينبغي ان يشهد اثنان منكر فان تعذر فكافران في السفر
غيركم او كستيتا كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما من بعد الصلوة صلوة العصر لانه وقت
اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل والنهار وقيل اى صلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم في امانتهما
لا نشتري به ثمنا مقسما عليه وان كان ذا قربى اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل بالقسم
عرضا من الدنيا اى لا نحلف بالله تعالى كاذبا بالطمع ولو كان المقسم له قريبا ولو كان المقسم قريبا ايضا وجوابه ايضا محذوف
اى نشتري وله لا نكتم شهادة الله اى شهادة الله التي امرنا باقامتها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتداء الله بالمد على حذف
حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير كقوطم الله لا فعلن انا اذا لمن الآثمين اى ان كتمنا وقرئ
لمن الاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما
اى لعلامة اوجبت اثما كتحريف في الخرصين فشاهدان الخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم من الذين
جني عليهم وهم الورثة وقرئ احقّ على البدل للفاعل وهو الاوليان لانهما احقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما
وقرئ خبر محله وقرئ الاوليين خبر آخران او مبتدأ خبره آخران او بدل منهما او من الضمير في يقومان وقرئ الاولين
ويعقوب ابو بكر عن عاصم الاولين على انه صفة للذين او بدل منه اى من الاولين الذين استحق عليهم وقرئ الاوّلان على
التثنية وانتصابه على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا
فيها وانا اذا لمن الظالمين الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين

انفسهم ان اعتدينا ومعنى الآيتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغي ان يشهل على امين من ذوي نسبه او دينه
على وصية او يوصي اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان في سفر فآخران من غيرهم شخوان وقوم نزاع وارتياب فاقسمهما
على صفة ما يقولان بالتغليظ في الوقت فان اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف آخران من اولياء الميت
والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه يمين الوارث وثبت ان كانا
وصيين ورد اليمين الى الورثة اما الظهور خيانة الوصيين فان تصديق الوصي باليمين لامانته او لتغير الدعوى
اذ روي ان تميما الداري وعدي بن بزيد خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو
ابن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به
واوصى اليهما بان يبلغوا متاعه الى اهله ومات فعتشا واخذا منه اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب
فخبأه فاصاب اهله الصحيفة وطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت يا ايها الذين آمنوا الآية
فحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء في ايديهما فاتاهما
بنو سهم في ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنزلت فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان وحلفا فلعل تخصيص العدد بحضور
الواقعة ذلك اي الحكم الذي تقدم او تحليف الشاهد ان ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها خوف الفضيحة
من غير تحريف وخيانة فيها او يخافوا ان ترد ايمان على ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم واتقوا الله
واسمعوا ما توصون به سمع اجابة والله لا يهدي القوم الفاسقين اي فان لم تتقوا ولم تسمعوا
كنتم قوما فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يريد بهم الى الجنة او الى طريق الجنة فتقوله تعالى
يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا او بدل الاشتمال او مفعول واسمعوا على حذف
المضاف اي واسمعوا خبر يوم جمعهم او منصوب باضمار اذكر فيقول اي للرسل ماذا اجبتم اي اجابة اجبتم على ان ما
في موضع المصدر او باي شيء اجبتم فحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموؤدة لتوبيخ الوائد
ولذلك قالوا لا علم لنا اي لا علم لنا بما كنت تعلمه لانك انت تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم ما نعلمه مما اجابونا واظهروا
وما لو علموا مما اضمروا في قلوبهم وفيه التنكي عنهم وورد الامر الى علمه بما كابدوا من اممهم وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب
علمك او لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت
اي انك انت الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص او النداء وقرأ حمزة وابو بكر الغيوب بكسر الغين حيث
وقع اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى اصحاب
الجنة والمعنى انه تعالى يذكره الكرة بعد الكرة يوم يعيد بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الآيات فكذبته
طائفة وسموهم سحرة وغلوا آخرون فاتخذوهم آلهة او نصب باضمار اذكر اذ ايدتك قويتك وهو

ظرف لبعثتي او حال منه وقرئ ايدتك بروح القدس بجبرئيل وبالكلام الذي يحيي به الدين او القلوب حيوة ابدية
وتطهر من الاديان الباطلة وتبرئ فوله تكلم الناس في المهد وكهلا اي كائنا في المهد وكهلا والمعنى تكلمهم في الطفولة
والكهولة على سواء والمعنى الحاق حاله في الطفولية بحال الكهولية في كمال العقل والتكلم وبه استدل على انه
سينزل فانه رفع قبل ان الكهل وإذ علمتك الكتب والحكمة والتوراة والانجيل وإذ تخلق من الطين هيئة
الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني وإذ تخرج الموتى باذني سبق تفسيره
في سورة العمران وقرأ نافع وابن عامر وكيفما طيرا على الافراد والجمع كالباقين وإذ كففت بني اسرائيل عنك لما همّوا
حين بهتوا بقتله إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين اي
ما هذا الذي جئت به الا سحر وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر فالاشارة الى عيسى عليه السلام وإذ اوحيت
الى الحواريين اي امرتهم على ألسنة رسلي ان امنوا بي وبرسولي يجوز ان يكون ان مصدرية وان تكون مفسرة
قالوا امنا واشهد بانا مسلمون مخلصون إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم منصوب باذكر او ظرف لقالوا
تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء لو يكن بعد عن
تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ما يقتضيه الحكمة والارادة لا على ما يقتضيه القدرة
وقيل المعنى هل يطيع ربك فحذف المضاف او اسند الفعل الى الرب مجازا والسائل هو الحواريون
ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف في المائدة الخوان اذا كان عليه الطعام ما دام فيه والا فهو
مادة اذا اعطاه كانها تميد بمن نقل اليه ونظيرها قولهم شبرقة مطعمة قال اتقوا الله من مثال هذا السؤال ان
كنتم مؤمنين بحال قدرته وصحة نبوتي او صدقتم في ادعاء الايمان قالوا نريد ان ناكل منها تعليل لما دعاهم
الى السؤل وقصوان يتمتعوا بالاكل منها ونطمئن قلوبنا بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال
قدرته ونعلم ان قد صدقتنا في ادعاء النبوة او ان الله يجيب دعوتنا ونكون عليها من الشاهدين اذا استشهد
او من الشاهدين للعالمين دون السامعين للخبر قال عيسى ابن مريم لما راى ان لهم غرضا صحيحا
في ذلك او اراهم لا يقلعون عنه واراد الزامهم الحجة بكسالها اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون
لنا عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن
جوابا للامر ولنا واخرنا بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتاخرينا روي انها نزلت يوم الاحد
فلذلك اتخذته النصارى عيدا وقيل يأكل منه اولنا واخرنا وقرئ لاولنا واخرانا بمعنى الامة والطائفة
وآية عطف على عيدا منك صفة لها اي آية كائنة منك على كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا المائدة
او الشكر عليها وانت خير الرازقين اي خير من يرزق لانه خالق الرزق معطيه بلا غرض قال الله اني منزلها
عليكم اجابه الى سؤالهم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا اي تعذيبا ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة لا اعذب به
الضمير للمصدر او للعذاب ان اريد به ما يعذب به على حذف حرف الجر احدا من العالمين اي من عالمي

زمانهم او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعش بعد ذلك غير هم روى انها نزلت سفرة عمت الناس غما متتابعين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال الشمعون يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شىء اخترعه الله تعالى بقدرته كلوا مما سألتم واشكروا يمددكم الله تعالى ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيى باذن الله تعالى فاضطربت ثم قال لها عودى كما كنت فعادت مشوية ثم طارت الى مائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تاتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والضعفاء والصغار والكبار يأكلون حتى اذا افاء الفئ طارت وهم ينظرون فى ظلها ولم يأكل منها غنى الا غنى مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض بعد ابدا ثم اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام ان احمل مائدتى فى الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلثمائة وثمانون رجلا وقيل لما وعظهم ان انزلها بهذه الشريطة استعفوه وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد ان هذا مثل ضربه الله تعالى لمقترحى المعجزات وعن بعض الصوفية للمائدة ههنا عبارة عن حقائق المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا فى حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى عليه السلام ان حصلة الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السوال والحوا فيه فسال الاجل فابين الله تعالى ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السائل اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه لعله لا يتحمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين او صلة اتخذونى ومعنى دون امّا المغايرة فيكون فيه تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادة غيره كمن لم يعبده او القصور فانهم لم يعتقدوا الوهيتهما مستقلتين باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة الله تعالى وكانه قيل اتخذونى وامى الهين متوسلين بنا الى الله تعالى قال سبحانك اى انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق ما ينبغى ان اقوله لا يحق لى ان اقوله ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين باعتبار مفهومه ومنطوقه ما قلت لهم الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله ربى وربكم بيان للضمير فى به او بدل منه وليس

من شرط البدل جواز طرح المبدل منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر مضمر او مفعوله مثل هو اغنى
ولا يجوز ابدال ما امرتني به فان المصدر لا يكون مفعول القول ولا ان يكون ان مفسرة لان الامر مسند الى
ضمير وهو لا يقول لعبده والله ربي وربكم والقول لا يفسر به الجملة تحكى بعد الا ان يقال القول بالامر فكان مثل
ما امرتهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم اى رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا
ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان فلما توفيتني بالرفع الى السماء لقوله تعالى اني متوفيك
ورافعك والتوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها
كنت انت الرقيب عليهم المراقب لاحوالهم فتمنع مرادت عصمة من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه
عليها بارسال الرسل وانزال الكتب وانت على كل شيء شهيد مطلع عليه مراقبه ان تعذبهم فانهم عبادك
اى ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم
استحقوا ذلك لانهم عباده وقد عبدوا غيرك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فلا عجز ولا استقباح
فانك القادر القوي على الثواب والعقاب الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم
فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعلق غفران الشرك مقتضى الوعيد بلا امتناع فيه لذاته ليمنع
التردد بالتعليق بان قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقرأ نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال
وخبر هذا لحذف وفاء ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذي مر من كلام عيسى عليه السلام واقع يوم ينفع وقيل
ان الخبر ولكن بني على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب وقد اراد بالصدق
الصدق في الدنيا لان النافع بالكمال حال التكليف لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
رضي الله عنهم ورضوا عنه وذلك الفوز العظيم بيان النفع لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء
قدير تنبيه على كذب النصارى فيما دعوا لهم في المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقالوا فيهن ما قالوا
غير اولي العقل في غاية القصور عن حق الربوبية والنزول عن رتبة المعبودية واهانتهم وتنبيها على الجامدة المنافية
لكمال ما يطلق عليه الا لاجناس كلها افهموا ولما بارادة العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة اعطي
من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الانعام مكية غير ست آيات او ثلث من قوله تعالى قل تعالوا وهي مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق
له على هذه النعم الجسام احمادا لم يحمد لم يكون حجة على الذين لم يحمدوه بعد لون وجمع السموات دون
الارض ومي متنهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقال مها الشرفها وعلو
مكانها وتقدم وجودها وجعل الظلمات والنور انشاءها والفرق بين خلق وجعل الذي لم مفعول واحد

ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولكن لك عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل
على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات للكثرة اسبابها ولاجرام الحاملة لها اولان
بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقدم بها لتقدم الاجرام على الملكات
ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس بعرض والعلم
لا يتعلق به الجعل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله تعالى حقيق
بالحمد على ما خلقه نعمة للعباد الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته ويكون بر جاعا تنبيها على انه خلق جدير
لان يشكر عليه لا ان يكفر به وتعديتهم بمن لتضمنه معنى العدول او الانحراف او على تقدير مضاف
اى يعدلون بربهم غيره او على حذف الجار وايصال الفعل اى يسوون بربهم غيره وهو الاصنام
الاشياء اسبابا لكونهم وتعديتهم بمن حقه ان يحمل عليها ولا يكفر او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر
احد سواه ثم يعدلون به ما لا يقدر على شئ منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذه البينات والباء على
الاول متعلقة بكفر واو صلة يعدلون محذوفة اى يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس العدول وعلى
الثانى متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان اى يسوونها به هو الذى خلقكم من طين
اى ابتدأ خلقكم منه فان المادة الاولى وان آدم الذى هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم فخلق فى اصلاب
ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيامة وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثانى ما بين الموت والبعث
فان الاجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثانى الموت وقيل الاول لمن مضى والثانى لمن بقى
يأتى واجل نكرة لم يعرف بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستيناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى
اى مثبت معين لا يقبل التغير واخر عنه بانه عند الله تعالى لما دخل لغيره فيه بعلم او قدرة ولانه المقصود بيانه ثم انتم تمترون
استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى اجالهم فان من قدر على خلق المواد
وجمعها وابداع الحيوة فيها واثباتها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالآية الاولى دليل
التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله المرى وهو استخراج اللبن من الضرع وهو لله
الضمير لله والله خبر وفى السموات وفى الارض متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا يقوله وهو الله
فى السماء الله وفى الارض اله او بقوله يعلم سركم وجهركم والجملة خبر ثان او هى الخبر والله بدل او يكفى لصحة الظرفية
كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد فى الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بعنى
انه تعالى الكامل علمه بما فيهما كأنه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان صلته لا تتقدم
ويعلم ما تكسبون من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب فى لعله اراد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس
وبالمكتسب اعمال الجوارح وما تأتيهم من آية من آيات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية
للتبعيض اى ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات او آية من آيات القرآن الا كانوا عنها
معرضين تاركين للنظر فيه منصرفين اليه فقد كذبوا بالحق لما جاءهم يعنى القرآن وهو اكبر الآيات لما قبله كما ستقف عليه
عن الآيات كلها كذبوا بآيات الله لجاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم لما عرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو اعظم الآيات

فكيف لا يعرضون عن عبادته ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون اى سيظهر لهم ما كانوا به يستهزءون عند نزول العذاب بهم فى الدنيا والآخرة او عند ظهور اسلامهم وارتفاع امره ألم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن اى من اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهى مائة سنة وقيل ثلثون وقيل اهل عصر فيه نبى او فائق فى العلم قلت مكنة او كثرت واشتقاقه من قرنت شيئا بشئ مكناهم فى الأرض جعلنا لهم فيها مكانا وقررنا هم فيها واعطيناهم من القوى والآلات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها ما لم نمكن لكم ما لم نجعل لكم السعة بطول القامة يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوة والسعة فى المال لاستظهارها بالعدد والآلات وارسلنا السماء عليهم اى المطر والسيل او المظلة فان سيل المطر يسمى سماء مدرارا مغزارا وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم فعاشوا فى الخصب والرفه بين الانهار والثمار فاهلكناهم بذنوبهم اى لم يغن ذلك عنهم شيئا واكثرنا من بعدهم قرنا آخرين بدلا منهم والمعنى انه تعالى قادر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود ويشئ مكانهم آخرين يعمرونهم بلاده ثم قادر ان يفعل لهلك بكم ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس مكتوبا فى ورق فلمسوه بايديهم فسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يتقلبه الايدى لا ما نع وتقييد بالايدى لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للخص لقوله ولئن لمسنا السماء لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين لغنتا وعنادا وقالوا لولا انزل عليه ملك هلا انزل معه ملك يكلمنا انه نبى كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ولو انزلنا ملكا لقضى الامر جواب لقولهم وبيانا لما هو المانع مما اقترحوه والحاصل فيه وللمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا الحق اهلاكهم فان سنة الله تعالى جرت بذلك فيمن قبلهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب ثان ان جعل الهاء للملك والمعنى ولو جعلنا قرينا ملك لارسلناه فى صورة البشر لان الجنس لا يطيق رؤية الجنس على ما هو عليه وللبسنا عليهم ما يلبسون على انفسهم حينئذ بان نجعله رجلا مثل جبريل فى صورة دحية فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك فى صورته واغارا هم كذلك الاقدار من لا يتبادر بقولهم الفارسية وللبسنا جواب ثالث ولو جعلناه رجلا للبسنا اى خلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ وللبسنا بالتشديد للمبالغة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يرى من قومه فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون فاحاط بهم الذى كانوا يستهزءون به حيث اهلكوا لاجله او فنزل بهم وبال استهزائهم قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين كيف اهلكهم الله تعالى بعذاب الاستيصال كى تعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا فى الارض فانظروا ان السير ثمة لاجل النظر وكذلك ههنا وكذلك قيل معناه ابلغوا السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر فى آثار الهالكين قل لمن ما فى السموات والأرض خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت قل لله تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره كتب على نفسه الرحمة التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن

ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بصلاحه دلالة وانزل الكتب في الامهال على الكفر ليجمعنكم الى يوم القيمة
استيناف وقيل للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظار ليجمعنكم في القبور وسيحوثين الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم
او في يوم القيمة والواو بمعنى في وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فان من رحمته بعثه اياكم والمناسبة عليكم لا ريب
فيه اليوم او الجمع الذين خسروا انفسهم بتضييع راس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب
على الذم او رفع على الخبر اي انتم الذين او على الابتداء والخبر فهم لا يؤمنون والفاء للدلالة على ان علم ايمانهم مما
عن خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس الوهمية والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على
الكفر والامتناع عن الايمان وله عطف على لله ما سكن في الليل والنهار من السكنى وتعديته بفي كما في قوله
سكنتم في مساكن الذين ظلموا والمعنى ما اشتمل عليه او من السكون اي ما سكن فيهما وتحرك فاكتفى باحد الضدين
عن الاخر وهو السميع لكل مسموع العليم بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم
وافعالهم قل اغير الله اتخذ وليا انكارا لان اتخاذ غير الله تعالى وليا لا يكون الا على ذلك قدم واولى الهمزة وكرر
بالوان المعبود لا يرد من دعاه الى الشرك فاطر السموات والارض مبدعهما وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وحفرته على الصفة الله
فانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب على المدح وهو يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعم
لشدة الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله تعالى والمعنى كيف اشرك بمن هو قاطر
السموات والارض الهو نازل عن رتبة الحيوانية وبينهما للفاعل على ان الثاني من اطعم بمعنى استطعم او على انه
يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله يقبض ويبسط قل اني امرت لان اكون اول من اسلم لان النبي سابق امته في الدين
ولا تكونن من المشركين وقيل لي ولا تكونن ويجوز عطفه على قل قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم مبالغة
اخرى في قطع اطماعهم وتعريضهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب فان الشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه
محذوف دل عليه الجملة من يصرف عنه يومئذ اي يصرف العذاب عنه وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر من عاصم
بفتح الياء على ان الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف او يومئذ بدل من الياء فقد رحمه وهو الفوز
عليه وذلك الفوز المبين اي الصرف والرحمة وان يمسسك الله بضر بلية كمرض وفقر فلا كاشف له الا هو
على الشقة الاكدة وان يمسسك بخير بنعمة كصحة وغنى فهو على كل شيء قدير فيكون قادرا على خطفه وازالته
على رفعه كقوله فلا راد لفضله وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالقدرة والصلابة وتمثيل في امره ونهيه
الخبير بالعباد وضمايرهم قل اي شيء اكبر شهادة نزلت حين قال قريش يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى
فزعموا ان ليس لك عندهم ذكرا ولا صفة فاروا من يشهد لك بانك رسول الله والشيء يقع على كل موجود وقد سبق
القول فيه في سورة البقرة قل الله اي الله اكبر شهادة ثم ابتدأ شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد وجوز ان يكون
الله شهيد هو الجواب لانه تعالى اذا كان اكبر شيء شهادة وأوحى اليّ هذا القرآن لانذركم به اي ولانذر من

بذكره لا تنذر عن ذكر البشارة ومن بلغ عطف على ضمير الخطاب اى لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من
الاسود والاحمر او من الثقلين او لانذركم ايها الموجودون ممن بلغه الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القران
تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وانه يجب ان يبلغهم امر لم يبلغه انكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى تقريع لهم
انكارا واستبعادا قل لا اشهد بما تشهدون قل انما هو اله واحد اى بل اشهد ان لا اله الا هو وانني بريء مما تشركون
يعني كما ضمائر الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته المذكورة في التوراة
والانجيل كما يعرفون ابناءهم بجامع الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين تهكم بهم كما يؤمنون لتضييعهم
ما به يكتسب الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم للملائكة بنات الله تعالوا هؤلاء شفعاؤنا عند
الله او كذب بآياته كان كذبوا القران والمعجزات وسموها سحرا واذا ذكروا صرتم تعجبوا بين الامرين تنبيها على ان
كلا منهما صده بالغ غاية الافراط في الظلم على النفس انه الضمير للشان لا يفلح الظالمون ضلوا عنهم ممن كان احد اظلم منه
ويوم نحشرهم جميعا منصوب بمضمر يقوبله للامر ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم اى الهتكم التي جعلتم
شركاء الله تعالى وقرأ يعقوب يوم يحشرهم بالياء ويقول بالياء الذين كنتم تزعمون اى تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان و
المراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين الهتهم حينئذ ليفتقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها
ويحتمل ان يبناهدوهم ولكن لم ينفعوهم فكانهم غيب عنهم ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا اى كفرهم والمراد عاقبته
وقيل معذرتهم التي يتوهمون ان يتخلصوا بها من فضحت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب او
لانهم تصدوا به الخلاص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء ورفع فتنتهم على انها الاسم ونافع وابو عمرو
وابو بكر بالتاء والنصب على ان الاسم ان قالوا والتانيث للخبر كقولهم من كانت امك والباقون بالياء والنصب والله
ربنا ما كنا مشركين يكذبون ويحلفون عليه علمهم بانه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا
اخرجنا منها وقال ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق قوله انظر كيف كذبوا
على انفسهم اى نفى الشرك عنها وحمله على كذبهم في الدنيا تعسف يحمل بالنظم ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا
فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرأ حمزة والكسائي ربنا بالنصب على النداء والمدح وضل عنهم ما كانوا يفترون
من الشركاء وفيهم من يستمع اليك حين تتلو القران وهو المراد ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم
احتالوا فسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فقالوا للنضر ما يقول فقال والذي جعلها بيته ما ادري ما يقول الا اني
اراه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل احاديثك وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان وهو ما يستر
ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا ثقلا يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك في اول البقرة وان يروا كل
اية لا يؤمنوا بها الفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم حتى اذا جاءوك يجادلونك اى بلغ تكذيبهم الايات الى
انهم جاءوك يجادلونك وحتى من التي يقع بعدها الجمل الاعمل لها والجملة اذا وجوابه وهو يقول الذين كفروا
ان هذا الا اساطير الاولين فان جعل اصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك حال

لمجيئهم وبجوز ان تكون الجارة واذ اجاءوك في موضع الحال ويجادلونك جواب وبقول تفسير له والاساطير الاباطيل جمع
اسطورة او اسطارة او اسطار جمع سطر واصله السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه اى ينهون الناس عن القران او الرسول
او الايمان به وينأون عنه بانفسهم او ينهون عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأون عنه فالايه مدنية
به كابي طالب فان قيل كيف يكونون مهلكين وما يهلكون بذلك الا انفسهم وما يشعرون ان ضرره لا يتعداهم الى غيرهم وكونهم
اذ وقفوا على النار جواب محذوف اى لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها
فيهمون مقدار عذابها لرايت امرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه دون وقفا فقالوا يا ليتنا نرد
تمنيا للرجوع الى الدنيا ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين استيناف كرم منهم على وجه الانابة بقولهم
دعني ولا عود اى انا لا اعود ترك كسني او لم تتركني وعطف على يرد او حال من الضمير فيه فيكون في حكم المتمنى
وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمني من الوعد وقضيهما احمر ويعقوب وحفص على الجواب باضمار ان بعد الواو
اجراء لها مجرى الفاء وقرأ ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب الثاني على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون من
قبل الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمني والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم او قبائح
اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا ولا منوا وكرروا اى الى الدنيا بعد الوقوف والظهور لعادوا
لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم وقالوا عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون
وعلى هذا استيناف بذكر ما قالوه في الدنيا ان هي اى ما الحياة الا الحياتنا الدنيا الضمير للحيوة وما نحن بمبعوثين ولو ترى
وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للسؤال التوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه او عرفوه حق التعريف
قال اليس هذا بالحق كانه جواب قائل قال اذا قال لهم حينئذ والهمزة للتقرير على التكذيب والاشارة الى البعث
ما يتبعه من الثواب والعقاب قالوا بلى وربنا قرار موكد باليمين لاجل الامر غاية الجلاء قال فذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون بسبب كفركم او بدله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم
ولقاء الله البعث وما يتبعه حتى اذا جاءتهم الساعة غاية للتكذيب لا للخسران خسرانهم لا غاية له بغتة
مجاوزة وبغتها على الحال او المصدر فانها نوع من المجيء قالوا يا حسرتنا اى تعالى فهذا اوانك على ما فرطنا قصرنا فيها
في الحيوة الدنيا اضيفت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او في الساعة يعني في شانها والايمان بها وهم يحملون اوزارهم
على ظهورهم تمثيل لاستقرارها اصارا لا تنام لاستقرار ما يزرون بئس شيئا يزرونه وزرهم والمخصوص الدنيا الا لعب
ما اعني بها الا لعب يلهو به الناس ويشغلهم عما يعقبهم منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم ان هي الا حيوتنا الدنيا
وللدار الاخرة خير للذين يتقون لذاتها وخلوص منافعها ولدوامها او قوله للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس
من اعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عامر ولدار الاخرة افلا تعقلون اى الامر من خبر وقرأ نافع وابن عامر وحفص
عن عاصم ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين به او تغليب الحاضرين على الغائبين قد نعلم انه ليحزنك الذي
يقولون يعني قد نزيادة الفعل وكثرته كما في قوله ربما ود لكنه قد يهلك المال نائله * واطلاق انه للسان فانهم

لا يكذبونك في الحقيقة وقرأ نافع والكسائي لا يكذبونك من أكذبه إذا وجده كاذبا أو نسبه إلى الكذب ولكن الظالمين
بآيات الله يجحدون ولكنهم يجحدون آيات الله تعالى ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على أنهم
ظلموا بجحودهم أو يجحدون التمرنهم على الظلم والباء لتضمين الجحود معنى التكذيب يقال كذبت بحقي وعرفت
وانك عندنا لصادق وإنما تكذبني وما جئتنا به فأنزلت ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وفيه دليل على أن قوله لا يكذبونك للذين ينفي تكذيبه مطلقا فصبروا على ما كذبوا وأوذوا على تكذيبهم
وإيذائهم فتأس بهم واصبر حتى أتاهم نصرنا فيه إيماء لوعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله لما علمت
من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيات ولقد جاءك من نبأ المرسلين أي من قصصهم وما كابدوا
من قومهم وإن كان كبر عليك عظم وشق إعراضهم عنك وعن الإيمان بما جئت به فإن استطعت أن تبتغي
نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية منفذا تنفذ فيه إلى الأرض فتظلم لها أو مصعدا تصعد به إلى السماء
فتنزل منها آية وفي الأرض صفة لنفقا وفي السماء صفة لسلما ويجوز أن يكونا مستعليتين بتبتغي أو حالين من المستكن
وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الأول والمقصود بيان حرصه البالغ على إسلام قومه والله قادر
أن يأتيهم بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لآتى بها فارجاء إيمانهم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى أي ولو شاء
الله تعالى جمعهم على الهدى لوفقهم للإيمان حتى يؤمنوا ولكن لم يتعلق به مشيته فلا تنتهك عليه والمعتزلة أولوه
بأنه لو شاء لجمعهم على الهدى بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين
بالحرص على ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر فإن ذلك من دأب الجهلة إنما يستجيب الذين يسمعون بقلوبهم
ويتأملون كقوله تعالى إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون
فحينئذ يسمعون لا يقفهم الإيمان ثم إليه يرجعون فيجازيهم على كفرهم وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه آية مما اقترحوه أو آية أخرى سوى ما نزل
من الآيات للتعنت لتعذر اعتدادهم بها عنادا فقل إن الله قادر على أن ينزل آية مما اقترحوه أو آية نضطرهم
إلى الإيمان كنتق الجبل وآية أن يجعلوها هلكوا ولكن أكثرهم لا يعلمون أن الله تعالى قادر على إنزالها وأن إنزالها
يستجلب عليهم البلاء وأن لهم فيما أنزل من بينة عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد وما من
دابة في الأرض يدب على وجهها ولا طائر يطير بجناحيه في الهواء وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها وقرئ ولا طائر بالرفع
على المحل لأن من زائدة أمم أمثالكم محفوظة أحوالها مقدرة أرزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال
قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على أنه قادر على أن ينزل آية وجمع الأمم حملا على المعنى ما فرطنا في الكتاب من شيء يعني اللوح المحفوظ فإنه مشتمل على ما يجري في العالم من جليل ودقيق لم يثبت فيه
أمر حيوان ولا جماد إلا القرآن فإنه قد دون فيه ما يحتاج إليه من أمر الدين مفصلا أو مجملا ومن من زائدة في موضع المصدر أو المفعول
به فإن فرط لا يتعدى بنفسه وقد تعدى في الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف ثم إلى ربهم يحشرون يعني الأمم كلها
فيبصر بعضها عن بعض كما روي أنه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حشرها موتها والذين

كذبوا بآياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتأثر به نفوسهم وبكم
لا ينطقون بالحق في الظلمات خبر ثالث اي خابطون في ظلمات الكفر او في ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز
ان يكون حالا من المستكن في الخبر من يشأ الله يضلله من يشأ الله اضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا على
المعتزلة ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم بان يرشده الى الهدى ويحمله عليه قل ارأيتكم استفهام تعجيب والكاف
حرف خطاب اكد به الضمير للتاكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول ارأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولا
كما قاله الكوفيون لعديت الفعل الى ثلثة مفاعيل ولزم في الآية ان يقال ارأيتموكم بل الفعل معلق او المفعول
محذوف وتقديره ارأيتكم آلهتكم تنفعكم او تدعونها وقرأ نافع ارأيتكم وارأيت وارأيتم واشباهها اذا كان قبل
الراء همزة بتسهيل الهمزة التي بعد الراء والكسائي يحذفها اصلا والباقون يحققونها وحمزة اذا وقف وافق نافعا ان اتاكم
عذاب الله كما اتى من قبلكم او اتتكم الساعة وهولها ويدل عليه اغير الله تدعون وهو تبكيت لهم ان كنتم صادقين
ان الاصنام آلهة وجوابه محذوف اي فادعوه بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم في مواضع وتقديم المفعول
لافادة التخصيص فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان يتفضل عليكم ولا يشاء في الآخرة وتنسون
ما تشركون وتتركون آلهتكم في ذلك الوقت لما ركز في العقول على انه القادر على كشف الضر دون غيره او وتنسونه
من شدة الامر وهوله ولقد ارسلنا الى امم من قبلك ومن زائدة فاخذناهم اي فكفروا وكذبوا المرسلين
فاخذناهم بالبأساء بالشدة والفقر والضراء الضر والآفات وهما صيغتا تانيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون
لنا ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم
ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع وانه لا مانع
لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء ولم يتعظوا به فتحنا عليهم
ابواب كل شيء من انواع النعم مراوحة عليهم استدراجا بين نوبتي الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء الزاما
للحجة وازاحة للعلة او مكرا بهم لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد
في جميع القرآن ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذي في الاعراف حتى اذا فرحوا اعجبوا بما اوتوا من النعم ولم يزيدوا
على البطر والاشتغال بالنعم عن المنعم والقيام بحقه اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون متحسرون آيسون فقطع
دابر القوم الذين ظلموا اي آخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه والحمد لله رب العالمين
على اهلاكهم فان هلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم واعمالهم نعمة
جليلة يحق ان يحمد عليها قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما يزول
به عقلكم وفهمكم من اله غير الله ياتيكم به اي بذلك او بما اخذ وختم عليه او باحد هذه المذكورات انظر كيف نصرف
الآيات نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين ثم هم
يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الآيات وظهورها قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب

الله بغتة من غير مقدمة او جهرة يقتل منها امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا او نهارا وقرئ بغتة وجهرة هل يهلك اى ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب الا القوم الظالمون ولذلك حرم الاستيثاء المفرغ منه وقرئ يشاء بفتح الياء وما نرسل المرسلين الا مبشرين المومنين بالجنة ومنذرين الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح علينا ويتحكم فمن امن واصلح ما يجب اصلاحه على ما شرع لهم فلا خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون يفوت الثواب والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندي خزائن الله مقدوراته او خزائن رزقه ولا اعلم الغيب حتى اخبركم بما سيحدث لي ولا يظهر عليه الا من ارتضى من رسول ولا اقول لكم انى ملك حتى تستبعدوا دعوى الرسالة ولا ادعى ما يدعيه الملائكة من القدرة على ما يقدرون عليه ان اتبع الا ما يوحى الي اقتدي به ولا ابتدع من عندي شيئا قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي او الجاهل والعالم او ملدعي المستحيل كالالوهية او الملكية وملدعي المستقيم كالنبوة افلا تتفكرون فتعلموا ان ما قلته هو الحق والباطل ما تقولوه وتتميزوا بين ادعاء الحق والباطل وتعلموا ان اتباع الوحي مما لا محيص عنه وانذر به الضمير لما يوحى الى الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم المؤمنون المفرطون في العمل او المجوزون للحشر مومنا كان او كافرا مقرا به او متردد افيه فان الاول ربما يتجرم فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا فان المخوف هو الحشر على هذه الحال لعلهم يتقون لكي يتقوا او لا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي بعد ما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لا يطردهم ترضية لقريش روي انهم قالوا لو طردت هولاء العبيد الذين نحن نستنكف من مجالستهم كعمار وصهيب وخباب وبلال حتى نجالسك ونسمع منك اتاك فقال ما انا بطارد للمومنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئنا قال نعم روي ان عمر رضي الله تعالى عنه قال له لو فعلت حتى ننظر الى ما يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلي كرم الله تعالى وجهه ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل صلوا الصبح والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة ههنا وفي الكهف يريدون وجهه حال من يدعون اى يدعون ربهم مخلصين فيه قيل الدعاء بالاخلاص تلبيسا على الله ملك الامر ورتب النهي عليه اشعارا بانه يقتضي اكرامهم ودنيا في ابعادهم ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء اى ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله تعالى اعظم من ايمان من تطردهم بسوء ظنهم طمعا في ايمانهم لو امنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما انتهضوا بسيرة المتقين وان كان ظهر بباطن غير مرضي كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك من حسابهم من فقرهم اى من فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد المومنين طمعا فيه فتطردهم فتبعد هم وهو جواب النفي فتكون من الظالمين جواب النهي وجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبيب وفيه نظر وكذلك فتنا بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس في امور الدنيا فتنا اى ابتلينا بعضهم ببعض

فی امر الدین فقال منا هؤلاء الضعفاء علی الشرف فترکین السبق الی الایمان لیقولوا اهؤلاء من الله علیهم من بیننا
اهؤلاء من انعم الله تعالی علیهم بالهدایة والتوفیق ما یسبقنا هم دوننا ونحن لا کابر والرؤساء ونحن المساکین والضعفاء
وهو انکار لان یخص هؤلاء من بینهم باصابة الحق والسبق الی الخیر کقولهم لو کان خیرا ما سبقونا الیه واللام للعاقبة او للتعلیل
علی ان فتنا متضمن معنی خذلنا الیس الله باعلم بالشاکرین عن یقع منه الایمان والشکر فیوفقه ومن لا یقع منه فیخذله
واذا جاءک الذین یؤمنون بآیاتنا فقل سلام علیکم کتب ربکم علی نفسه الرحمة الذین یؤمنون هم الذین یدعون
ربهم وصفهم بالایمان بالقرآن واتباع الحجج بعدما وصفهم بالمواظبة علی العبادة وامره بان یبدأ بالتسلیم وبلغ
سلام الله تعالیهم ویبشرهم بسعة رحمة الله تعالی وفضله بعد النهی عن طردهم ایذانا بانهم الجامعون الفضیلتین
العلم والعمل ومن کان کذلک ینبغی ان یقرب ولا یطرد ویعزز ولا یذل ویبشر من الله تعالی بالسلامة فی الدنیا والآخرة وقیل ان قوما جاؤا الی النبی صلی الله علیه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم یرد علیهم شیئا فانصرفوا
فنزلت انه من عمل منکم سوءا بکسر الهمزة علی الاستئناف وبفتحها بدل الرحمة بتفسیر الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ویعقوب بالفتح علی البدل
منها بجهالة فی موضع الحال ای من عمل ذنبا جاهلا بحقیقة ما یتبعه من المضار والمفاسد کعمر رضی الله تعالی
عنه فیما اشار الیه او ملتبسا بفعل الجهالة فان ارتکاب ما یودی الی الضرر من فعال اهل السفه والجهل
ثم تاب من بعده بعد العمل او السیوء واصلح بالتدارک والعزم علی ان لا یعود الیه فانه غفور رحیم فتح
من فتح الاول غیر نافع علی اضمار مبتدأ او خبر ای فامره او فله غفرانه وکذلک ومثل ذلک التفصیل الواضح نفصل الآیات
آیات القرآن فی صفة المطیعین والمجرمین المصرین منهم والآئبین ولتستبین سبیل المجرمین بالتاء وقرأ نافع بالتاء ورفع
السبیل علی معنی ولتستوضح یا محمد سبیلهم فتعامل کلا منهم بما یحق له فصلنا هذا التفصیل وقرأ ابن کثیر وابن عامر
وابو عمرو ویعقوب وحفص عن عاصم برفعه علی معنی ولتتبین سبیلهم والباقون بالیاء والرفع علی تذکیر السبیل
فانه یذکر ویؤنث ویجوز ان یعطف علی علة مقدرة ای نفصل الآیات لیظهر الحق ولتستبین قل انی نهیت صرفت
وزجرت بما نصب لی من الادلة وانزل علی من الآیات فی امر التوحید ان اعبد الذین تدعون من دون الله عن
عبادة ما تعبدون من دون الله تعالی او ما تدعونها آلهة ای تسمونها قل لا اتبع اهواءکم تاکید لقطع اطماعهم
واشارة الی الموجب للنهی وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم مبین لبعد اضلالهم وان ما هم علیه هوی
ولیس بهدی وتنبیه لمن تری الحق علی ان یتبع الحجة ولا یقلد قد ضللت اذا ان اتبعت اهواءکم فقد ضللت
وما انا من المهتدین ای فی شیء من الهدی حتی اکون من عدادهم وفیه تعریض بانهم کذلک قل انی علی بینة تنبیه علی
ابتناء حاله بعد ما بین ما لا یجوز ابتناؤه والبینة الدلالة الواضحة التی تفصل الحق من الباطل وقیل المراد بها القرآن والوحی
العقلیة او ما یعمها ومن رکبنی من معرفته وانه لا معبود سواه ویجوز ان یکون صفة لبینة وکذبتم به الضمیر للربی او للبینة
اشرکتم به غیره او لبینة بالمعنی ما عندی ما تستعجلون به یعنی العذاب الذی استعجلوه بقولهم فامطر علینا حجارة
من السماء او ائتنا بعذاب الیم ان الحکم الا لله فی تعجیل العذاب وتاخیره یقضی الحق ای القضاء الحق او یضم

الحق ويبرّيه من تهمهم قضى الذرع اذا صنعها فيما يقضي من تعجيل وتاخير واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل
الحكم المنع فكانه منع الباطل وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم بفتح ضاد يقضون من قضّ الامر وقصّ الخبر وهو خير الفاصلين
قل لو ان عندي اي في قدرتي ومكنتي واستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا وقضيا الربع
ما بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين فيه معنى استدراك كانه قال ولكن الامر الى الله تعالى وهو اعلم بمن ينبغي ان يؤخذ ومن
ينبغي ان يمهل ومنهم وعنده مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو الخزن او ما يتوصل به الى المغيبات مستعار
من المفاتح الذي هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح وقيل ان قرئ مفاتيح والمعنى انه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها
الا هو فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها وتاخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته تعالى وتعلقت به مشيته تعالى وفيه
دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها ويعلم ما في البر والبحر عطف للاعم على الاخص من اختصاص العلم بالمغيبات به
وما تسقط من ورقة الا يعلمها ما بالغة في احاطة علمه تعالى بالجزئيات ولا حبة
في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس معطوفات على ورقة وقوله الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول دل
الكل على ان الكتاب المبين علم الله تعالى او بدل الاشتمال ان اريد باللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل من ورقة
او الابتداء والخبر في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل يميتكم وبرافعكم فيه استعير التوفي من الموت للنوم لما
بينهما من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز فان اصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه خص
الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد ثم يبعثكم يوقظكم لاطلاق البعث تشبيها للنوم في انه يقضي اجل
مسمى ليبلغ المنتبه آخر اجله المسمى له في الدنيا ثم اليه مرجعكم بالموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة وقيل
الآية خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للآثام بالنهار والله تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم
من القبور في شان ذلك للذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضي اجل الموت
وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم
حفظة ملائكة تحفظ اعمالكم ومنهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض على
الله تعالى كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وفق بلطف سهل واعتد بعفوه وستره لم يحتشم منه واجترأ بامنه من
فضيحته للمتطلعين عليه حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقرأ حمزة توفاه بالف ممالة
وهم لا يفرطون بالتواني والتاخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان ثم ردوا
الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم الذي يتولى امرهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم
يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب
قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما في الهول وابطال
الابصار وقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب لدوام الخسف في البر والغرق في البحر وقرأ يعقوب ينجيكم
بالتخفيف والمعنى واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين او اعلانا واسرارا وقرأ ابو بكر هنا وفي الاعراف خفية

بالكسر لئن اجبتنا من هذم لنكونن من الشاكرين على ارادة القول اى تقولون لئن اجبتنا وقرأ الكوفيون لئن
انجانا ليوافق قوله يدعونه وهذه اشارة الى الظلمة قل الله ينجيكم منها شدائدها الكوفيون وهشام وخففه الباقون ومن كل
كرب ثم انتم تشركون تعودون الى الشرك ولا تفون بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تشركون لتثبتوا على
ان من اشرك في عبادة الله تعالى فكانه لم يعبده اصلا قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم
نوح وعاد واصحاب الفيل ومن تحت ارجلكم كما غرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم
ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم او يلبسكم يخلطكم شيعا فرقا متحزبين على اهواء شتى وينشب القتال بينكم
قال ولتلبسنها بكتيبة * حتى اذا التبست نفضت لها يدا * ويذيق بعضكم بأس بعض قاتل بعضكم بعضا
انظر كيف نصرف الآيات بالوعد والوعيد لعلهم يفقهون وكذب به قومك اى بالعذاب بالقرآن وهو الحق الواقع
لا محالة او الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل امركم فامنعكم من التكذيب واجازيكم انما انا منذر وما الله يحفظكم لكل نبأ
خبر يدل اما العذاب او لا يعاد به مستقر وقت استقرار ووقوع وسوف تعلمون عند وقوعه في الدنيا او في الآخرة واذا
رأيت الذين يخوضون في آياتنا بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى
يخوضوا في حديث غيره اعاد الضمير على معنى الآيات لانها القرآن واما ينسينك الشيطان بان يشغلك بوسوسته
حتى تنسى النهي وقرأ ابن عامر وينسينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكره مع القوم الظالمين وضع
الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام وما على الذين
يتقون وما يلزم المتقين من قبائح اعمالهم واقوالهم الذين يحاسبونهم من حسابهم من شيء من شيء مما يحاسبون
عليه ولكن ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى وينهوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهر واكراههم وهو مختار
على المصدر او الرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شيء لان من حسابهم يأباه ولا على شيء لان
ولكن من لا تزاد في الاثبات لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءة تعم ويحتمل ان يكون الضمير للذين
يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا تتشاغل بمجالستهم روى ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزئ
بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اى تبتوا امر دينهم على
التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الصنم وتحريم البحائر والسوائب والخلد وادينهم الذي
كلفوه ملهما ولهوا حيث سخروا به او جعلوا اعيادهم الذي يجعل ميقاتا عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال
بانعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا بآية السيف حمله
على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم وذكر به اى بالقرآن ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلاك وترهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه امرأة باسل لان قرنها
لا تنبسل منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه عدل ابسل عملها اى جرمها ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع يدفع عنها
العذاب وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى وههنا للفداء

يكمل نصب على المصدر لانه نوع خاص منها الفعل مسند الى منها الى ضميرها بخلاف قوله ولا توخذ منها عدل فانه
المعذب به اولئك الذين ابسلوا اى اسلموا للعذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة لهم شراب من حميم
وعذاب اليم بما كانوا يكفرون تاكيد وتفصيل للاول والمعنى لهم ماء متناه في الحر قطع امعاءهم في بطونهم وانار تشتعل بابدانهم
بسبب كفرهم قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا انكار لان يقدر على نفعنا وضرنا وترد على عقبانا او
نرجع الى الشرك بعد اذ هدانا الله فانقلب نادما متحيرا وارتفاع الاسلام كالذي استهوته الشياطين كالذي ذهبت به
مردة الجن في المهامه استفعال من هوى يهوي هويا اذا ذهب وقرئ استهواه بالف مالة وحمل الكسائي النصب
على الحال من فاعل نرد اى مشبهين الذي استهوته او على المصدر اى ردا مثل رد الذي استهوته في الارض
حيران متحيرا ضالا عن الطريق وله اصحاب هذا المستهوى رفقة يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه الطريق المستقيم
او الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر ائتنا يقولون له ائتنا قل ان هدى الله
الذي هو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين من جملة المقول عطف على
ان هدى الله واللام لتعليل الامر اى امرنا بذلك لنسلم وقيل هي بمعنى الباء وقيل هي زائدة وان اقيموا الصلوة
واتقوه عطف على لنسلم اى للاسلام واقامة الصلوة او على موقعه كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا روي ان
عبد الرحمن بن ابي بكر دعا ابا الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول بهذا القول اجابة عن الصديق رضي الله تعالى
عنه تعظيما لشانه واظهارا للاعتداد الذي كان بينهما وهو الذي اليه تحشرون يوم القيمة وهو الذي خلق السموات
والارض بالحق قائما بالحق والحكمة ويوم يقول كن فيكون قوله الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر اى قوله
الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارضين قوله الحق نافذ في
الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او الهاء في واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق
مبتدا خبره او فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اى لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون الاشياء
ويوجدها وحين يقوم القيمة فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها وله الملك يوم ينفخ في الصور كقوله لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اى هو عالم الغيب وهو الحكيم الخبير كالذي بعده للاية واذ قال ابراهيم
لابيه ازر هو عطف بيان لابيه وفي كتب التواريخ ان اسمه تارخ فتمل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل
العلم تارخ وازر وصف له معناه الشيخ او المعوج وكعل منع صرفه لانه اعجمي حمل على سوازنها او نعت مشتق من
الازر او الوزر والاقرب انه علم اعجمي على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به لملازمة عبادته او
اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اى اتعبد ازرا ثم قال اتتخذ اصناما
الهة تفسير او تقرير ويدل عليه ان قرئ ازرا اتتخذ اصناما بفتح همزة ازر وكسرها وهو اسم صنم وقرئ يعقوب بالضم
على النداء وتعريض على انه علم اني اراك وقومك في ضلال عن الحق مبين ظاهر الضلالة وكذلك نري ابراهيم
مثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال ماضية وقرئ نرى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه نبصره كذلك الربوبية

ملكوت السموات والارض وتدبيرها وملكها وقيل عجائبها وبدائعها والملكوت فى اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة
وليكون من الموقنين اى ليستدل وليكون او وفعلنا ذلك ليكون فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى
تفصيل لما اجمل من ذلك وقيل عطف على قال ابراهيم وكذلك نرى ابراهيم لاعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام
والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره بظلامه والجن
كان الزهرة وقيل المشترى وقوله هذا ربى على سبيل الوضع فان المستدل على صحة القول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر
عليه بالهدم اوعلى وجه النظر والاستدلال وانما قاله فى زمان مراهقة اوائل الوان بلوغه فلما افل اى غاب قال لا احب
الآفلين فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستتار يقتضى الامكان والحدوث وينافى الالوهية فلما رأى القمر
بازغا مبتدأ فى الطلوع قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين استجمع فترة واستدرك
ما فرط منه بالرجوع الى الحق فانه لا يهتدى اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على ان القمر ايضا لتغيره حاله لا يصلح
للالوهية وان من الحقه الله فهو ضال فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى ذكر اسم الاشارة لانه اكبر الخبر وصيانة للرب
عن شبهة التانيث هذا اكبر كبره استدلالا واظهارا للمشبه للخصم فلما افلت قال يا قوم انى برئ مما تشركون من الاجرام المحتاجة
المحدثة التى يجرى بها ويخصص خصصها بما يختص به ثم لما تبرأ عنها توجه الى موجدها ومبدعها الذى دلت على هذه الجملة
فقال انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وانما احتج بالافول دون البزوغ مع انه
ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه راى الكوكب الذى يعبدونه فى وسط السماء حين حاول الاستدلال وحاجه قومه و
خاصموه فى التوحيد قال اتحاجونى فى الله وفى احدى نونيه وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف النون وقد هدان الى التوحيد
ولا اخاف ما تشركون به اى لا اخاف معبودا لكم فى وقت لانها تضر ينفعها ولا تنفع الا ان يشاء ربى شيئا ان يصيبنى
من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه عن آلهتهم وتهديدهم بعذاب الله تعالى وسع ربى كل شىء علما فلا يعجل ان يكون فى علمه ان يجيئ بى مكروه من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر
والعاجز وكيف تخاف ما اشركتم ولا يتعلق به ضر ولا تخافون انكم اشركتم بالله وهو حقيق بان يخاف منه كل
الخوف لانه اشراك المصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر الصانع الضار النافع ما لم ينزل به عليكم
سلطانا ما لم يدل باشراكه كتابا او لم ينصب عليه دليلا فاى الفريقين احق بالامن اى الموحدون او المشركون
وانما لم يقل ايانا ام انتم احتراسا من تزكية نفسه ان كنتم تعلمون ما يجوز ان يخاف منه الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون استيناف منه او من الله تعالى بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم هنا الشرك
ان الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم
انما هو كما قال لقمان لابنه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الامن الا لمن يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط
بهذا التصديق لا اشراك به وقيل المعصية وتلك اشارة الى الحجة التى احتج بها ابراهيم عليه السلام على قومه من قوله فلما جن
الى قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجونى فى الله الى قوله عليما وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم ارشدناه اليها وعلمناه اياها

على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك وبحاجوناه حال بدل له اى آتيناها حاجته على قومه نرفع درجات من نشاء
فى العلم والحكمة وقرأه الكوفيون وبيعقوب بالتنوين ان ربك حكيم فى رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه واستدلا
له ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا اى كلا منهما او نوحا هديناه من قبل من قبل ابراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة
والسلام عطف على ابراهيم عليه السلام من حيث انه كان اباه وشرف الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته الضمير
لابراهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا عليهما وعلى نبينا السلام ليسا من
ذرية ابراهيم عليه السلام فلو كان لابراهيم عليه السلام لخصص البيان بالمعدودين فى تلك الاية والتى بعدها
والكل يوصفون فى الاية الثالثة عطف على نوحا داود وسليمان وايوب يوسف من ايوص من اسباط عيص بن اسحق
ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين اى ومثل ما جزينا ابراهيم نرفع درجاته
وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى وعيسى هو ابن مريم وفى ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد البنات
والياس قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن فى الاية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخى موسى عليهما
نبينا الصلوة والسلام كل من الصلحين الكاملين فى الصلاح وهو الاتيان بما ينبغى والتحرز عما لا ينبغى واسمعيل واليسع
هو اليسع بن اخطوب عليه السلام وقرأ حمزة والكسائى واللبسع وعلى القراءتين علم اعجمى ادخل عليه اللام كما ادخل على اليزيد
فى قوله ٭ رأيت الوليد بن اليزيد مباركا ٭ شديدا بأعباء الخلافة كاهله ويونس هو يونس بن متى ولوطا هو ابن
هاران ابن اخى ابراهيم عليهما السلام وكلا فضلنا على العلمين بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق
ومن ابائهم وذرياتهم واخوانهم عطف على كلا او نوحا اى فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض ابائهم وذرياتهم
واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا هدى واجتبيناهم عطف على فضلنا او هديناه وهديناهم الى صراط مستقيم
تكرير لبيان ما هدوا اليه ذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا به يهدى به من يشاء من عباده دليل على انه متفضل بالهداية
ولو اشركوا اى لو اشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو شانهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون كما نوا لغيرهم فى حبوط اعمالهم
بسقوط ثوابها اولئك الذين اتيناهم الكتاب يريد به الجنس والحكم الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق
والرسالة فان يكفر بها اى بهذه الثلثة هؤلاء يعنى قريشا فقد وكلنا بها اى بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين وهم
الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار واصحاب النبى وكل من آمن بصلى الله تعالى عليه وسلم او الفرس وقيل
الملوك اولئك الذين هدى الله يريد الانبياء المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده واختص طريقتهم بالاقتداء والمراد
بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل
ولا بكن التاسى بهم جميعا فليس فيه دليل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم متعبد بشرع من قبله والظاهر فى اقتده الوقف
من اثبتها فى الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وابى عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف ويحذف الهاء فى الوصل خاصة حمزة
والكسائى واسبعها ابن عامر برواية ابن ذكوان على انها كناية المصدر ويكسر الهاء بغير اشباع برواية هشام قل لا اسالكم
عليه اى على التبليغ او القرآن اجرا جعلا من جهتكم كما لم يسأل من قبلى من النبيين وهذا من جملة

٢٦١

بالأمر بالاقتداء بهم فيه إن هو أي ما القرآن أو القرآن إلا ذكرى للعالمين إلا تذكير وعظة لهم وما قدروا الله
حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة ولا تعلم على العباد إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء حين أنكروا الوحي
وبعثة الرسل وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته أو في السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جبههم على هذه
المقالة والآلف الأولون منهم اليهود وقالوا ذلك مبالغة في إنكار إنزال القرآن بالليل نقض كلامهم بقوله قل من أنزل
الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس وقرأ الحجازيون تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء
وأنا قرأ بالياء ابن كثير وأبو عمرو حملا على قالوا وما قدروا وأو لتضمين ذلك توبيخهم على سوء حملهم للتوراة وذمهم على تحريفها
بإبداء بعض المكتوب وكتبوه في ورقات متفرقة وإخفاء بعض لا يشتهونه روي أن مالك بن الصيف قاله لما اعتصه
الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله تعالى يبغض الحبر السمين فإنه كان حبرا
سمينا وقيل هم المشركون والزامهم بإنزال التوراة لأنه كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون
لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم وعلمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم زيادة
على ما في التوراة بيانا لما التبس عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا أعلم منكم ونظيره أن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل
أكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش قل الله أي أنزله الله تعالى والله تعالى أمره بأن
يجيبهم إشعارا بأن الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على أنهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ثم ذرهم
خوضهم في باطلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة يلعبون حال من هم الأولى أو الظرف صلة ذرهم ويلعبون أو حال من
مفعوله أو فاعل يلعبون أو من هم الثاني والظرف متصل الأول وهذا كتاب أنزلناه مبارك كثير الفائدة والنفع مصدق
الذي بين يديه يعني التوراة أو الكتب التي قبله ولتنذر أم القرى عطف على محل مبارك أي لتبارك وتنذر
محذوف أي ولتنذر أهل أم القرى أنزلناه وإنما سميت مكة بذلك لأنها قبلة أهل القرى ومحجهم ومجتمعهم أو
أعظم القرى شأنا وقيل لأن الأرض دحيت من تحتها أو لأنها مكان أول بيت وضع للناس وقرأ أبو بكر عن عاصم
بالياء أي لينذر الكتاب من حولها أهل الشرق والغرب والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون
فالمراد بهم من آمن بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب والضمير يعم
ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلاة لأنها عماد الدين وعلم الإيمان ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أفترى على الله
نبيا كمسيلمة والأسود العنسي أو لمختلق على إحكام كعمرو بن محي ومتابعيه أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء
كعبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين
فلما بلغ قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال عبد الله تبارك الله أحسن الخالقين فجرى من تفضيل خلق الإنسان فقال
نبي عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد أوحي إلي كما أوحي إليه ولئن كان
لقد قلت كما قال ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله كما قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى إذ الظالمون
محل مفعوله لكلا لأنه للظرف أي ولو ترى الظالمين في غمرات الموت شدائد من غمرات الماء إذا غشيه وأصله الستر ومنه

باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضى لما له اوبالغا اخرجوا انفسكم اى يقولون لهم اخرجوها الينا لنحازكم تغليظا وتعنيفا عليهم او اخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا اليوم تجزون بما كنتم تقولون على الله غير الحق كادعاء الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحى كاذبا وكنتم عن اياته تستكبرون فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما اثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاوثان التى زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتانيث كقولك كسالى وقرئ فرادا كثار وفراد كقتلوت وفردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل منه اى على الهيئة التى ولدتم عليها فى الانفراد وحال ثانية ان نجوز النقل فيها الى الحال من الضمير فى فرادى اى مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اى مجيئا مثل خلقنا كم وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم فى الدنيا فتخلتم به عن الاخرة وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم تجدوا نفيرا ومانرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اى شركاء الله تعالى فى ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم لقد تقطع بينكم اى تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل على الاتساع والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائى وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه او اقيم ظرف مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به وضل عنكم ضياع وبطلان ما كنتم تزعمون انها شفعاء وكبراء ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وقيل المراد به الشق الذى فى الحنطة والنواة يخرج الحى يريد به ما ينمى من الحيوان والنبات على طبق ما قبله من الميت مما لا ينمو كالنطف والحب ومخرج الميت من الحى ومخرج الحى من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب والنوى فان قولك يخرج الحى ناقم موقع البيان لذلكم الله اى ذلكم المحيى والمميت هو الذى يحق له العبادة فانى تؤفكون تصرفون عنه الى غيره فالق الاصباح شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار وشاق ظلمة الاصباح وهو العنبر الذى يليه والاصباح فالق اصل مصدر اصبح اذ دخل فى الصبح سمى به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا يسكن اليه التعب والنهار استراحة يقال سكن اليه اذا اطمأن اليه استينا سابه او يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لا به فانه فى معنى الماضى وقرئ على الاصل وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به اويدل على ان المراد منه جعل مستمر فى الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون والشمس والقمر عطفا على محل الليل وليشهد له قراءة من قرأ بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدرا وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اى مجعولان حسبانا اى على دوار يختلفة يحسب بها الاوقات ويكون على الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كالحسبان بالكسر مصدر حسب بالكسر وقيل جمع حسبانة كشهاب وشهبان ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اى ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذى قهر هما وسيرهما على الوجه المخصوص العليم بتدبيرهما والانتفاع من النار المملكة طما وهو الذى جعل لكم النجوم خلقها لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر فى ظلمات الليل فى البر

٢٦٣

والبحر واضافتها اليهما للملابسة او في مشتبهات الطرق وسماها طرقا على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعد ادماجها بقوله لقوم الخ قد فصلنا الآيات بيناها فصلا فصلا لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به وهو الذي انشأكم من نفس واحدة هو آدم عليه السلام فمستقر ومستودع اي فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض واستيداع في الارحام او تحت الارض وموضع استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير وابو بكر وابن عامر بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع اسم مفعول اي فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار من آداب المستودَع والاستيداع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ذكر مع ذكر التخويف يعلمون لان امرها ظاهر ومع ذكر تخليق بني آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر وهو الذي انزل من السماء ماء من السحاب او من جهة السماء فاخرجنا على تلوين الخطاب به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة في انبات الانواع المختلفة بماء واحد وان كان كما في قوله تسقى بماء واحد وتفضيل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات او الماء خضرا شيئا اخضر يقال اخضر واخضر كاعور وعور وهو الخارج من الحبة المنتشبة ثم منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل ومن النخل من طلعها قنوان اي واخرجنا من النخل اخذا من طلعها قنوان او من النخل شيء من طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصله من طلع النخل قنوان وهو اكمام جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع وكأنه قريبة من المتناول او ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها من بين ما يأكل منها لانها عليه وزيادة النعمة فيه وجنات من اعناب عطف على نبات كل شيء وقرئ بالرفع على الابتداء اي ولكم او لهم جنات او من الكروم جنات ويجوز عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل والزيتون والرمان ايضا عطف على نبات او نصب على الاختصاص لعزة هاتين الصنفين عندهم مشتبها وغير مشتبه حال من الرمان او من الجميع اي بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه في الهيئة والقدر واللون والطعم انظروا الى ثمره كل واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائي بضم الثاء وهو جمع ثمر كخشبة وخشب او ثمار كلبن وكعب اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به وينعه ولي حال نضجه الى نضجه كيف يعود طريا حلوا بعد ما كان حامضا غير منتفع به ولذته وهو في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه وبالغة ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون اي لآيات على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث هذه الاجناس المختلفة والانواع المتفننة من اصل واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما يقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده عقيبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه فقال وجعلوا لله شركاء الجن اي ملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشانهم او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله تعالى او عبد والاوثان يشملهم ولم يفهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو راي الثنوية ومفعولا جعل الله شركاء والجن بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء او حال منه وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر

على الاضافة للتبيين وخلقهم حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله تعالى خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق
وقرئ وخلقهم خطفا على الجزاء وما يخلقونه من الاصنام او عما يشركاء اى وجعلوا لله اختلاقهم الافك حيث نسبوه
اليه تعالى وخرقوا له افتعلوا او افتروا له وقرأ نافع بتشديد الراء لتكثير وقرئ خرقوا اى وضعوا وبينوا وبالغوا فقالت اليهود
عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوا
ويرده اعليه دليلا وهو وضع الشيء من الواو او المصدر اى خرقا بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون وهو ان له شريكا
او ولدا بديع السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير
فيهما وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف او على الابتداء وخبره انى يكون
له ولد اى من اين او كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة تكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله
او ضمير الشان وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ولا يخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الاول والى الآية الاولى
على نفى الولد من وجوه الاول ان من سبق عليه ان السموات والارض وما بينهما من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنهم
لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى بان يتعالى عنها او ان ولد الشيء يظهره ولا يظهره فالولد والثانى ان المعقول من
الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفء الوالد كقوله لو جعلت
الاول ان كل ما عداه مخلوقه فلا يكافئه والثانى انه لذاته عالم بجميع المعلومات ولا كذلك غيره بل علم ذلك بتعليمه
اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض
بدلا او صفة والبعض خبرا فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة وهو على كل
شيء وكيل اى هو مع ذلك الصفات متولى اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى ايتاح مآربكم ورد به على اهل الكوفة حيث
جعلوا الكوفة قيما عليها لا تدركه لا تحيط به الابصار وجمع بصر ومع حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على
امتناع الرؤية وهو ضعيف لان لا ليست لادراك مطلق الرؤية ولا النفى فى الآية عاما فى الاوقات فلعله مخصوص ببعض الاوقات
ولان لا تخصص فانه فى قوة قولنا كل بصر يدركه مع ان النفى لا يوجب الامتناع وهو يدرك الابصار بحيط بها علما
علمه وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه لا بصارا ويجوز ان يكون من باب اللف اى لا تدركه الابصار ولا يدركه الابصار
لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف مما لا يدرك بالحاسة ولا
ينطبع فيها قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهى للنفس كالبصر للبدن سميت بها الادلة لانها تجلى المعانى الحق
وتبصرها فمن ابصر اى بصر الحق وآمن به فلنفسه ابصر لان نفعه لها ومن عمى عن الحق وضل فعليها وبالها وما انا عليكم بحفيظ
وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك
نصرف الآيات مثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر فى المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشيء من حال الى حال
وليقولوا درست اى وليقولوا صرفتنا واللام لام العاقبة والتعليل وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست اى دارست اهل
الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس اى قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم اساطير الاولين

وقرئ درّست بفتح الراء مبالغة في درست ودرّست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او حفيت ودارست بمعنى درست او دارست اليهود محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وجازاضافاتهم بلاذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن اى عفون وذكرن اى درسن صلى الله عليه وسلم ودارسات اى قارئات او ذوات دروس كقوله عيشة راضية وكتيبة اللام على اصله لان التبيين مقصود التصريف في الضمير للايات باعتبار المعنى او القرآن وان لم يذكر كقوله معلوما او للمصدر لقوم يعلمون فانهم المنتفعون بها اتبع ما اوحي اليك من ربك بالتدبر به لا الله الا هو اعتراض لكريه ايجاب الاتباع او حال موكدة من ربك بمعنى منفردا في الالوهية واعرض عن المشركين ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى آرائهم ومن جعله منسوخا بآية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر وان مراده واقع وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا وما انت عليهم بوكيل تقوم بامورهم وكلفت انما عليك البلاغ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اى كلمات تؤدي الى سبهم الله تعالى وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يودي الى الشر شر كذلك زينا لكل امة من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سبب الله تعالاهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازاة عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر في موضع الحال والداعي لهم الى هذا القسم والتاكيد فيه التحكم على الرسول صلى الله عليه وسلم في طلب الآيات واستحقارا لما اتوا منها الى ان جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله هو القادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء منها بقدرتي وارادتي وما يشعركم وما يدريكم استفهام انكار انها ان الآية المقترحة اذا جاءت لا يؤمنون اى لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على انه تعالى انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لاخرجه وقيل ان بمعنى لعل اذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبر عنهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجيء الآية طمعا في ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرأ ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءت لم فيكون انكارا لعلمهم على حلفهم اى وما يشعرهم ان قلوبهم حينئذ لم تكن على ما كانت عليه قبل نزول القرآن وغيره من الآيات فيؤمنون بها ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون اى وما يشعركم انا نحيل امرهم فنقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا به اول مرة اى عند انزال امثالها ونذرهم في طغيانهم يتحيرون لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الملائكة

ولو اننا نزلنا اليهم الملئكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا الملائكة فنؤمن بابائنا او نبعث لنا من يشهد لك بالله تعالى والملائكة قبيلا وقبل جمع قبيل بمعنى كفيل اى كفلاء بما تقترحه او جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات

او مصلة بمعنى مقابلة كقبيلة وهو قراءة نافع وابن عامر وقرئ على الاوجه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه تاكانوا ليؤمنوا
كما سبق عليهم القضاء بالكفر الا ان يشاء الله واستثناء امر يعم الاحوال اى لا يؤمنون فى حال الا حال مشيئة الله تعالى بهم
وقيل منقطع وهو صحيح واضح على المعتزلة ولكن اكثرهم يجهلون انهم لو اتوا بكل اية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم
على ما يشعرون وكذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل عمهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون
نزول الاية طمعا فى ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا اى كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبى سبقك عدوا وهو دليل
على ان عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله تعالى وخلقه شياطين الانس والجن مردة الفريقين وهو بدل من عدوا
او اول مفعولى جعلنا وعدوا مفعوله الثانى وكل متعلق به او حال منه يوحى بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن
الى شياطين الانس وبعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض زخرف القول الاباطيل المموهة من زخرفت اذا زينته غرورا
مفعول له او مصدر فى موقع الحال ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه اى ما فعلوا ذلك يعنى معاداة الانبياء وايحاء
الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء والزخرف والغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون وكفرهم
ولتصغى اليه اى لتميل اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق يوحى او ليكون
ذلك جعلنا لكل نبى عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة او لام القسم كسرت لما لم يوكد الفعل
بالنون او لام الامر وصغيت اظهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير فى فعلوه وليرضوه لانفسهم وليقترفوا وليكتسبوا
ما هم مقترفون من الاثام افغير الله ابتغى حكما على ارادة القول اى قل لهم يا امحمد افغير الله اطلب من يحكم بينى وبينكم
ويفصل منا المحق من المبطل وغير مفعول ابتغى وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما البالغ من حاكم ولذلك يوصف به غيره
العادل وهو الذى انزل اليكم الكتاب القرآن المعجز مفصلا مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفى التخليط والالتباس
وفيه تنبيه على ان القرآن باعجازه وتقريره مغن عن سائر الايات والذين آتيناهم الكتب يعلمون انه منزل من ربك
بالحق تاييد للدلالة الاولى على ان القرآن حق منزل من عند الله تعالى بعلم اهل الكتاب به لتطابق ما عندهم مع انه صلى الله تعالى
عليه وسلم لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه
بادنى تامل وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين
فى انهم يعلمون ذلك او فى انه منزل بجحود اكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله ولا تكونن من المشركين خطاب
الرسول لحكم الامة وقيل الخطاب لكل احد يعنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغى لاحد ان يمترى فيه وتمت كلمة
ربك بلغت الغاية لجهات واحكامه ومواعيده صدقا فى الاخبار وللمواعيد وعدلا فى الاقضية والاحكام و
نصبهما على التمييز او الحال والمفعول له لا محبل لكلماته لا احد يبدل شيئا منها بما هو اصدق واعدل ولا احد
يقدر ان يحرف فيها تحريفا اشائعا ذا لغا كما فعل بالتوراة على ان المراد بها القرآن فيكون ضمانا لها من الله بالحفظ كقوله
وانا له لحافظون او لا نبى ولا كتاب بعده فاينسخها ويبدل احكامها وقرأ الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اى ما تكلم به او القرآن
وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون فلا يخفى عليه ما يصدر منهم وان تطع اكثر من فى الارض اى اكثر الناس يريد الكفار او الجهال واتباع

الهوى وقيل الارض كلها يضلونك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه لان الضال في غالب الامر لا يأمر الا بما فيه
ان يتبعون الا الظن وهو قولهم ان اباءهم كانوا على الحق وانها لا تحرم واراءهم الفاسدة فان الظن يطلق على ما يقابل العلم
وان هم الا يخرصون يكذبون على الله تعالى فيما ينسبونه اليه كتحليل الميتة وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة
وتحريم البحيرة وغيرها وقيل يقدرون امرا على شيء وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم
بالمهتدين اى اعلم بالفريقين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب يفعل دل عليه اعلم لا به فان افعل لا ينصب
الظاهر في مثل ذلك واستفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلقة عنها الفعل المقدر وقرئ من يضل اى يضله الله
تعالى فيكون من منصوبة بما بعدها بالفعل المقدر او مجرورة باضافة اعلم اليه اى اعلم المضلين من قوله من يضلل الله او من
اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل في العلم بكثرته ولما طاعتهم بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات
لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحللون الحرام والمعنى كلوا مما
اسم الله على ذبحه كما مر وقد ذكر على اسم غيره او تاركين ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احل الله تعالى
واجتناب ما حرمه وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه ولي غرض لكم في ان تحترزوا عن اكله وما يمنعكم عنه وقد فصل لكم
وقد حرم عليكم مما حرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب
وحفص حرم على البناء للفاعل لا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه ايضا احل لكم لضرورة وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام
وتحريم الحلال قراه الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح بأهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تمسك بدليل بفتيا العلم ان
ربك هو اعلم بالمعتدين بمجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر او ما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكسبون وكانوا يأكلون
مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا ونسيانا وإليه ذهب داود وعن احمد مثله وقال مالك والشافعي
رحمهم الله تعالى بجوازه لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ذبيحة المسلم حلال وان لم يسم الله تعالى وفرق ابو حنيفة رضي الله
تعالى عنه بين العمد والنسيان والاول بالميتة او بما ذكر اسم غير الله تعالى عليه لسوء وانه لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله تعالى
به والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذي دل عليه تأكلوا وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من
الكفار ليجادلوكم بقولهم تأكلون ما قتلتم انتم وحرام عليكم ما تذكون الله تعالى هو يدل على ان المراد بالميتة ما
كانوا يستحلون من ميتاتهم في مخالفتهم انكم لمشركون فان من ترك طاعة الله تعالى لطاعة غيره واشتغل بمعصيته فقد اشرك وانما
حسن حذف الفاء لان الشرط بلفظ الماضي ومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مثل من هو في الضلالة
الفظ من الضلالة وجعل له نورا يهتدي به وهو الايمان بالحق والتمييز بين الحق والباطل والفهم به للمطلق وقرأ نافع ويعقوب
ميتا على ان اصله كمن مثل فخفف كصيد في صيد وهو مبتدأ خبره في الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لا من
الهاء في مثله للفصل وهو مثل من بقي على الضلالة وكذلك متعلق بمحذوف دل عليه ما قبله اى مثل ذلك التزيين زين للكافرين
بقدرته ما كانوا يعملون والآية نزلت في حمزة وابي جهل وقيل في عمار وابي جهل وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اى

لما جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه الاكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني وفي كل قرية اكابر مجرميها بدل وجوز ان يكون مضافا اليه ان مثل جعلنا بالتعدي وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة وكذلك قوي اكابر مجرميها وتخصيصهم لان الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس واكثر بهم وما يمكرون الا بانفسهم لان وبال مكرهم راجع اليهم وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعنى كانوا قريشا مروا يوما بابي جهل فقال لهم محمد نبي عبد مناف في البئر حتى اذا اخرجوه قال لهم هات فلما اتاه قال اما والله لا ارضى به ابدا ان ياتينا وحي كما ياتيه فانزلت الله اعلم حيث يجعل رسالته استئناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالسن والمال وانما هي بفضائل نفسانية يخص الله تعالى بها من يشاء من عباده فيحيي لرسالته من علم انه يصلح لها ويقوم اللدى فيه يضرها وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وعقاب بليغ بهم القيمة وقيل تقديم من عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسببه او جزاء على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام يلطف به ويقذف فيه مجالة وشبه كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار صلى الله تعالى عليه وسلم حين سئل عنه فقال نور يقذف به الله تعالى في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كجيت ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرأ ابن كثير بتشديد الضاد وتخفيف الياء ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر كشديد لضيق والباقون بالفتح فصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاع وبه على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع عليه الصعود والى السماء متعلق بيصعد او حال من ضميره او صفة اخرى لحرجا بمعنى كانما يتصاعد الى السماء منبوا عن الحق ويتباعد في الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرأ ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد كذلك مثل ما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل العذاب او الخذلان عليهم ووضع الظاهر موضع المضمر للتعليل وهذا اشارة الى البيان الذي جاء به القرآن او الى الاسلام او الى ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك الطريق الذي ارتضاه واعتاده او الطريق الذي اقتضته حكمته لا عوج فيه او عادل لا مطرد او معوجا ولكنه كقوله وهو الحق مصدقا او مقيدا والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر هو الله تعالى وان كل ما يحدث من خير او شر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم بالعواقب حكيم عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام وهو الله تعالى اضافها اليه تعظيما لها او دار السلامة من الآفات او دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم يتولاهم بسبب اعمالهم او متوليهم في الدارين يوم نحشرهم جميعا نصب باضمار اذكر او نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرأ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء يا معشر الجن يعني الشياطين قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم معشر معكم كقولهم استكثر الامير من الجند وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع

بعضنا ببعض اى نفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اضرارهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اى البعث وهو اعترافهم بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على خاتمة قال النار مثواكم مستقركم او ذات مثواكم خالدين فيها حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله الا اوقات التي تثقلون فيها من النار الى المحشر وقيل الا ما شاء الله قبل الدخول كأنه قيل النار مثواكم ابدا ما اميلكم ان ربك حكيم في افعاله عليم باحوال الثقلين واحوالهم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا اى كما جمعنا بين الجن والانس نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم اولياء بعض وقرناء هم في العذاب كما كانوا في الدنيا كذلك نفعل بالظالمين بسبب ما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الكل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم لقوله ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيمة قالوا جوابا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستوجبوا العذاب وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذم لهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم فانهم اغتروا بالحياة الدنيا والالذاذ المحدثة واعرضوا على الاخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك اشارة ارسال الرسل وهو خبر مبتدأ محذوف واى لامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون تعليل للحكم وان مصدرية او مخففة من الثقيلة اى لامر ذلك لانتفاء كون ربك او لان الشان لم يكن ربك مهلك اهل القرى بسبب ظلم فعلوه وهم غافلون لم ينبهوا برسول وبدل من ذلك ولكل من المكلفين درجات مراتب مما عملوا من اجل ما عملوا من اجزيتها او من جزائها ومن اجلها وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل اوقدر ما يستحق به من ثواب وعقاب وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة وربك الغني عن العباد والعبادة ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم وبمجازاتهم على المعاصي فيه تنبيه على ان ما سبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وآيس لما بعده وهو قوله ان يشأ يذهبكم اى ما به اليكم حاجة ان يشأ يذهبكم اياها البتة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من اخلاق كما انشأكم من ذرية قوم اخرين اى قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم ترحما عليكم انما توعدون من البعث واحواله لآت لكائن لا محالة وما انتم بمعجزين بفائتين طالبكم به قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان مكانة كمقام ومقامة وقرأ ابو بكر عن عاصم على مكاناتكم بالجمع في كل القرآن وهو امر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم اني ثابت عامل على ما انا عليه من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة في التوعد كان المهدد يريد تعذيبه جمعا عليه فيحمله بالامر على ما يفضي به اليه وتعجل ان الهدد لا يأتي منه الا الشر كالمأمور به الذي لا يقدر ان يقضي عنه فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ان جعل من استفهامية بمعنى اى بأن تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله تعالى لها هذه الدار فحملها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب

بتعلمون اى فسوف تعرفون الذى يكون له العاقبة وفيه مع الانذار انصاف فى المقال وحسن ادب تنبيه على وثوق المنذر
بانه محق وقرأ حمزة والكسائى دنا فى القصص يكون بالياء لان تانيث العاقبة غير حقيقى انه لا يفلح الظالمون وضع
الظالمين موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة وجعلوا اى مشركوا العرب لله مما ذرأ خلق من الحرث والانعام
نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم
روى انهم كانوا يعينون شيئا من حرث ونتاج لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيئا منهما لاصنامهم وينفقون
على سدنتها ويذبحون عندها ثم ان راوا ما عينوا لله ازكى بدلوه بما لاصنامهم وان راوا ما لاصنامهم ازكى تركوه لها
لاصنامهم وفى قولهم ما ذرا تنبيه على فرط جهالتهم فانهم اشركوا الخالق فى خلقه جماد لا يقدر على شئ ثم رجحوه عليه با
جعلوا الزاكى له وفى قوله بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يامرهم الله تعالى به وقرأ الكسائى بالضم فى المواضعين
وهو لغة فيه وقد جاء فيه الكسر ايضا كالوداد ساء ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك ومثل ذلك التزيين فى قسمة القربات زين لكثير
من المشركين قتل اولادهم بالوأد وخير لاصنامهم شركاؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين وقرأ ابن عامر زين على البناء
للمفعول الذى هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف فى العربية
معدود من نوادر الشعر كقوله فزججتها بمزجة زج القلوص ابى مزادة وقرئ بالبناء للمفعول وجر اولادهم ورفع شركائهم
باضمار فعل دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا ما كانوا عليه من دين اسمعيل او
ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء
الله ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم او الشركاء التزيين او الفريقان جميع ذلك فذرهم وما يفترون افترائهم
او ما يفترونه من الافك وقالوا هذه اشارة الى ما جعل لاصنامهم انعام وحرث حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوى
فيه الواحد والكثير والذكر والانثى وقرئ حجر بالضم وحرج اى مضيق لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال
دون النساء بزعمهم من غير حجة وانعام حرمت ظهورها يعنى البحائر والسوائب والحوامى وانعام لا يذكرون اسم الله
عليها فى الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها وقيل لا يحجون على ظهورها افتراء عليه نصب على المصدر لان ما قالوه
تقول على الله تعالى والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة له او على الحال والمفعول له والجار متعلق به او بالمحذوف
سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه او بدله وقالوا ما فى بطون هذه الانعام يعنون اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا
وحرام على ازواجنا حلال للذكور خاصة دون الاناث ان ولدت حيا لقوله وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور والاناث
فيه سواء وتانيث الخالصة للمعنى فان ما فى معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم فى رواية ابى بكر بن عامر فى تكن بالتاء
وحالفه هو وابن كثير فى ميتة فنصب لغيرهما والتاء فيه للمبالغة كما فى رواية الشعر وهو مصدر كالعافية وقع
موقع الخالص وقرئ بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذى هو فى الظرف لا من الذى فى
لذكورنا ولا من الذكور لانها لا تتقدم على العامل المعنوى وعلى صاحبه المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصة
بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدأ اناثنا والمراد به ما كان حيا والتذكير فى فيه لان المراد بالميتة

ما يحرم الذكور والاناث وخلب الذكر سيخرج ثم وصفهم بوجه آخر وعرفهم الكذب الله تعالى في التحريم والتحليل من قوله ونصف السنتهم
الكذب انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة الفقر
وقرأ ابن كثير وابن عامر قتلوا بالتشديد لمعنى التكثير سفها يجاز على الخفة عقلهم وجهلهم بان الله تعالى رازق الاولاد ثم
ويجوز نصبه على الحال والمصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر ونحوها افتراء على الله يحتمل الوجوه المذكورة في مثله قد
ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب وهو الذي انشأ جنات من الكروم معروشات غير معروشات فوقا على ما يحملها وغير معروشات
ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات ما نبت في البراري والجبال
والنخل والزرع مختلفا اكله ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية والضمير للزرع والباقي مقيس عليه او للنخل والزرع
داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه او للجميع على تقدير كل ذلك او كل واحد منها ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن
كذلك عند الانشاء والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه بينهما في اللون والطعم ولا يتشابه بعض
كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم ينته بعد وقيل نائله رخصة للمالك في الاكل منه
قبل اداء حق الله تعالى واتوا حقه يوم حصاده يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد الزكوة المقدرة فانها فرضت
بالمدينة والاية مكية وقيل الزكوة والاية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد امر بالخروج عما يجب فيه حينئذ حتى لا يؤخر عن
الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه
ولا تسرفوا في التصدق كقوله ولا تبسطها كل البسط انه لا يحب المسرفين لا يرضى فعلهم ومنه لا تعلم خمولة وقرئ
عطف على جنات اي وانشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش للمنسوج من شعره وصوفه ودبره
قيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا مما خلق
منه ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة عاداكم آدم
بدل من حمولة وفرشا او مفعول كلوا او اتبعوا معترضا بينهما او فعل دل عليه او حال من ما بمعنى مختلفة او متعددة
الزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول بين الضأني اثنين ذكر وانثى والمعز اثنين
من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل يجمعه ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر او قرئ
بفتح الهمزة وهو لغة فيه ومن المعز اثنين التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو
ما عز كصاحب واصحاب وعز كرمح وقرئ معزى قل الذكرين ذكر الضأن وذكر المعز حرم الله الاثنين ام الانثيين
ونصب الذكرين والانثيين بحرم لما اشتملت عليه ان حكم الاثنين او ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان او انثى
نبئوني بعلم بامر معلوم يدل على ان الله تعالى حرم شيئا من ذلك ان كنتم صادقين في دعوى التحريم علينا من
الابل اثنين ومن البقر اثنين قل الذكرين حرم ام الانثيين امّا اشتملت عليه ارحام الانثيين كما سبق وللمعنى الثاني
ان الله تعالى حرم من الاجناس الاربعة ذكرا كان او انثى وما حمل انثاها ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور بعض
والبانها تارة واولادها اخرى كيف كانت تهارة ذا عاين ان الله تعالى حرمها ام كنتم شهداء بل كنتم حاضرين بنا على

وصاكم الله بهذا حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة تلك الا المشاهدة
والسماع فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد اكابرا ومعاصروه من ذلك وعمرو بن لحي
ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد فيما اوحي الي اي في القرآن وفيه اوحي الى محمد مطلقا
تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحي لا بالهوى وقدم ما حرموه على المحرم تهكما على المطعم طعمه الا ان يكون ميتة الا ان يكون الطعام
ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتأنيث الخبر وقرأ ابن عامر بالتاء ورفع ميتة على ان كان هي التامة وقرئ ايضا تقع
عطف على ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالذم في العروق لا كالكبد والطحال او لحم خنزير فانه
رجس فان الخنزير اسم لجملته وقد تتعذر اكل البعض كالنجاسة او حيث يحيث وفيه عطف على لحم خنزير وعليهما اعتراض التسهيل
اهل لغير الله به صفة له مرضية وانما سمي ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له من
اهل وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع الى ما يرجع اليه المستكن في به فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى التناول
من ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه ولا يعاقبه محكيا لما انزل على انبيائه
صلى الله عليه وسلم ليجد فيما اوحي الى تلك الغاية محرما غير هذه وذلك لا ينافي ورود التحريم في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها
على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء غيرها الا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا وهم منا حرمنا كل ذي ظفر كل ما له اصبع
كالابل والنعام والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا ولعل التسبيب للظلم لتعميم التحريم وسم البقر
والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اشتمل على الامعاء جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفائن وقيل هو عطف على
ظهورهما او شحومهما او بمعنى الواو او ما اختلط بعظم وهو شحم الالية لاتصالها بالصلب خص ذلك التحريم او الجزاء جزينا هم ببغيهم
بسبب ظلمهم وانا لصادقون في الاخبار والوعد والوعيد فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة تمهيل للمكذبين
ولا تغتروا ايها الله فانه لا يعجل ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين حين ينزل وذو رحمة واسعة للمطيعين وذو بأس
شديد للمجرمين فاقام مقامه ولا يرد بأسه لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع الدلالة على انه لا راد له البتة لا يمكن
رده عنهم سيقول الذين اشركوا اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على عجازه لو شاء الله ما اشركنا ولا
آباؤنا ولا حرمنا من شيء اي لو شاء خلافه وذلك مشيته ارتضاها لقوله فلو شاء لهداكم اجمعين لما فعلنا نحن
ولا آباؤنا ما اردنا ولا بينا ذلك انهم على الحق المشروح المرضي عند الله تعالى لا اعتذارا عن ارتكاب هذه القبائح بارادة الله
تعالى اياها منهم حتى يتهافت ذهوبه دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل هذا
التكذيب البالغ في ان الله تعالى منع من الشرك ولم يجرم ما حرموه كذب من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا على الاضمار
في اشركنا من غير تأكيد للفصل بلو حتى ذاقوا بأسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر فتخرجوه
لنا حتى يصح الاحتجاج به علينا ان تتبعون فتخرجونا قطعا وهو لنا ان نتبع الا الظن ما تتبعون في ذلك الا الظن وان انتم الا تخرصون
تكذبون على الله تعالى وفيه دليل على المنع من اتباع الظن فيما لا طريق له الى العلم ولعل ذلك حيث لا يعارضه قاطع اذ الآية

فيه قل فلله الحجة البالغة البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات او يلغ بها صاحبها صحة دعواه وهي من
الحج بمعنى القصد كانها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو شاء لهداكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء
هداية قوم وضلال آخرين قل هلم شهداءكم احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف عند اهل الحجاز وفعل يونث ويجمع عند بني
تميم واصله عند البصريين هالم من لم اذا قصد حذفت الالف لقلة تقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند
الكوفيين هل م فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا تدخل الامر ويكون متعديا كما في الآية
ولازما كقوله هلم الينا الذين يشهدون ان الله حرم هذا يعني قدموهم فيه استحضروهم ليلزمهم الحجة ويظهر
بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا تمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيل الشهداء بلا اضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم
فان شهدوا فلا تشهد معهم فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمهم موافقة لهم في الشهادة الباطلة ولا
تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان مكذبي الآيات متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة
لا يكون الا مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالآخرة يعدلون بربهم يجعلون له عديلا قل تعالوا
امر من التعالي واصله ان يقوله من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم اتل اقرأ ما حرم ربكم منصوب بأتل
وما يحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز ان تكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول اتل لانه بمعنى اقول اي شيء حرم
ربكم عليكم متعلقه بحرم او اتل ان لا تشركوا به اي لا تشركوا بالنصب بحذف لا عطفا على الامر عليه بمعنى تعليق الفعل المنفي
فان الترجي يأتي بمعنى الامر او بترجيح الى الضد لارادتها فيه حين ناصبته فحاق النصب لعلكم على انه للاغراء او بالبدل من
عائد الحذوف على ان لا زائدة او الجر بتقدير اللام او الرفع على تقدير المتلو ان لا تشركوا او المحرم ان تشركوا شيئا
يحتمل المصدر والمفعول وبالوالدين احسانا اي واحسنوا بهما احسانا او وضعه موضع النهي عن الاساءة اليهما ايذانا
والدلالة على ان ترك الاساءة وشانها اعتبر كان بخلاف غيرهما او لا تقتلوا اولادكم من املاق من اجل فقر ومن خشية
خشية املاق نحن نرزقكم وايا هم منع لموجبة ما كانوا يفعلون لاجله واحتج عليه لا تقربوا الفواحش كبائر الزنا
او الزنا ما ظهر منها وما بطن بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق
وقتل المرتد وترك القصاص ذلكم اشارة الى ما ذكر مفصلا وصاكم به بحفظه لعلكم تعقلون ترشدون فان كلا
هو الرشد لا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن الا بالفعلة التي هي احسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره حتى يبلغ
حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وانعم او شد كسر وصر وقيل مفرد كانك وآفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل
لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسر عليكم فعليكم به ما
وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم في حكومة ونحوها فاعدلوا ايها ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او عليه
قرابتكم ويعم اهل الملة او قولوا الحق في ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتادية احكام الشرع ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون
تتعظون به وقرأ حمزة وحفص والكسائي تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع اذا كان بالتاء والباقون بالتشديد هذا
هذا الصراط الحق مستقيما الاشارة تعبه الى ما ذكر في السورة فانها باسرها في بيان التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقد

حمزة والكسائي إن بالكسر على الاستيناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف والباقون به مشددة بتقدير اللام على
انه علة لقوله فاتبعوه وقرأ ابن عامر صراطي بفتح الياء وقنبل وهذا صراطي وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك و
لا تتبعوا السبل الاديان المختلفة والطرق الناشئة من الهوى فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد كاختلاف
الطبائع والعادات فتفرق بكم تفرقكم وتزيلكم عن سبيله الذي هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان ذلكم الاتباع ووصاكم
به لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق ثم آتينا موسى الكتاب عطف على وصاكم وثم للاراخي في الاخبار للتفاوت
في الرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك ان اتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة على الذي
احسن على من احسن القيام به ويؤيده ان قرئ على الذين احسنوا وعلى الذي احسن تبليغه وهو موسى عليه السلام وما
بمعنى الذي او احسنه اي بجادة من العلم والشرائع اي زيادة على علمه انعاما له وقرئ بالرفع على هو احسن
مبتدأ محذوف اي على الذين هو احسن او على الوجه الذي هو احسن ما يكون عليه الكتب تفصيلا لكل شيء وبيانا
مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر وهدى ورحمة لعلهم
لعل بني اسرائيل بلقاء ربهم يؤمنون اي بلقاء الجزاء وهذا كتاب يعني القرآن انزلناه مبارك كثير النفع فاتبعوه و
اتقوا لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا او علة لانزلناه او انزل الكتاب على طائفتين
من قبلنا اليهود والنصارى ولعل الاختصاص بهما لان الباقي المشهور حينئذ من الكتب السماوية عندهم وان
كنا ان هي المخففة ولذلك دخلت اللام الفارقة على خبر كان والله كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين لا ندري
ما هي او لا نعرف مثلها او تقولوا عطف على لا ولو انا انزل علينا الكتب لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة
قرائحنا ولذلك تصفحنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب على انا اميون فقد جاءكم بينة من ربكم حجة
واضحة تعرفونها وهدى ورحمة ممن تامل فيه وعمل به فمن اظلم ممن كذب بايات الله بعد ان عرف صحتها او تمكن من
معرفتها وصدف اعرض وصد عنها فضلا واضل سنجزي الذين يصدفون عن ايلينا سوء العذاب شدة ما
كانوا يصدفون باعراضهم او صدهم هل ينظرون اي ما ينتظرون يعني اهل مكة وهم ما كانوا ينتظرون الا ان
لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا ان تاتيهم الملائكة ملائكة الموت او العذاب وقرأ حمزة والكسائي
بالياء او ياتي ربك اي امره بالعذاب او كل آياته يعني آيات القيمة واهلاك الكل كقوله او ياتي بعض آيات ربك يعني اشراط
الساعة عن حذيفة والبراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما
تذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق
وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام ونارا
تخرج من عدن ترحل الناس امامها تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا يوم لا ينفع نفسا ايمانها
وقرئ بتاء التانيث لاضافة الايمان الى ضمير الموعوث ثم كان امنت من قبل صفة نفسا او كسبت في ايمانها خيرا عطف
على امنت والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها غير كاسبة في ايمانها خيرا وهو دليل

لمن لم يعتبر بالايمان المجرد عن العمل والمعتبر بخبر هو الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين على معنى
لا ينفع نفسا خلت عن احدهما او العطف على لم تكن بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذى احدثته حينئذ وان كسبت فيه
خيرا قل انتظروا انا منتظرون وعيد لهم اى انتظروا الاتيان احد الثلثة فانا منتظرون له وحينئذ انا الفوز وعليكم الويل
ان الذين فرقوا دينهم بدلوه فامنوا ببعض وكفروا ببعض او افترقوا فيه قال صلى الله عليه وسلم افترقت اليهود على احد وسبعين
فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وتفترق امتى
على ثلث وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وهى الحمراء والكساء هنا وفى الروم فارقوا الاى بايعوا وكانوا شيعا
فرقا يشيع كل فرقة اماما كالسنة منهم فى شئ اى من السوال عنهم وعن تفرقهم او من عقابهم انما امرهم الى الله منهم وقتيل
هو منسوخ بايات السيف انما امرهم الى الله يتولى جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون بالحقيقة
من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اى عشر حسنات امثالها فضلا من الله تعالى وقرا يعقوب عشر بالتنوين امثالها بالرفع
على وصف فعل اقيم مقامه فاعل من اضعفا وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولان ذلك قيل المراد بالعشر
الكثرة دون العدد ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها فضيلة للعدل وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة
العقاب قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم بالوحى والارشاد الى ما نصب الحق دينا بدل من محل الى صراط اذ المعنى هداني
صراطا كقوله ويهدى بكم صراطا مستقيما او مفعول اهدى مضمرا دل عليه الملفوظ تبيانا فيعمل من قلم كسيبويه من ساد وهو امام من
المستقيم باعتبار الرتبة والمستقام باعتبار الصيغة وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى قيما على انه مصدر نعت به وكان
قياسه قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام ملة ابراهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من ابراهيم وما كان من
المشركين عطف عليه قل ان صلوتى ونسكى عبادتى كلها او قربانى وحجى وضحاياى وما انا عليه وحيوتى و
اموت عليه من الايمان والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير او الحيوة
والممات انفسها وقرا نافع محياى باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العلمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها
غيره وبذلك امرت اى بالقول او الاخلاص وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبى متقدم على اسلام امته قل اغير الله ابغى ربا
فاشرك فى عبادتى وهو جواب عن دعائهم له الى عبادة الهتهم وهو رب كل شئ حال فى موقع العلة للانكار والدليل له اى وكل ما سواه
مربوب مثلى لا يصلح للربوبية ولا تكسب كل نفس الا عليها فلا ينفعنى فى ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك ولا تزر
قارئة وزر اخرى جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيمة فينبئكم
بما كنتم فيه تختلفون بالبين الرشد من الغى ويميز المحق من المبطل وهو الذى جعلكم خلائف الارض يخلف بعضكم
بعضا او خلفاء الله تعالى فى ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام او خلفاء لامم السالفة على ان الخطاب للموجودين وزرع بعضكم
فوق بعض درجات فى الشرف والغنى ليبلوكم فيما اتاكم من الجاه والمال ان ربك سريع العقاب لمن عصاه وانه لغفور رحيم
لمن تاب واستغفر اذا الارادة وان لم يقترن بها ما يدل عليها ووصف العقاب بسرعة لانه ليس فى شئ من اوقات الامهال ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف
بالرحمة وفى بناء المبالغة واللام الموكدة تنبيه على انه تعالى غفور للذنوب معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة

بسم الله الرحمن الرحيم

المص سبق الكلام فيه ونظائره كتب خبر مبتدأ محذوف اى هو كنا او خبر المص والمراد به السورة او القرآن انزل اليك صفته فلا يكن فى صدرك حرج منه اى شك فان اشتاك حرج الصدر اى ضيق قلبك من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر فى القيام بحقه وتوجيه النهى اليه للمبالغة كقولك لا ارينك ههنا وللنهى تحتمل العطف والجواب كانه قيل اذا انزل اليك لتنذر به فلا يحرج صدرك لتنذر به متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله تعالى جسر على الانذار وكذا اذا الجمهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه وذكرى للمؤمنين يحتمل النصب بإضمار فعلها اى لتنذر وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل ان تنذر والرفع عطفا على انزل او على انه خبر المبتدأ محذوف اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعم القرآن والسنة لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ولا تتبعوا من دونه اولياء يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير فى من دونه لما انزل اى ولا تتبعوا من دون الله تعالى اولياء وقرئ لا تتبعوا قليلا ما تذكرون اى تذكرا قليلا ما تتذكرون او تذكرا قليلا حيث تتركون دين الله تعالى وتتبعون غيره وما مزيدة لتاكيد القلة وان جعلت مصدرية لم تحتج الى تقدير قلة وقرئ تذكرون وقرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون بالياء على ان الخطاب يعم النبى صلى الله عليه وسلم وكم من قرية وكثير من القرى اهلكناها اردنا اهلاكها اهلها او اهلكناها بالخذلان فجاءها فجاء اهلها بأسنا عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال او وهم قائلون عطف عليه اى نائمون نصف النهار كقوم شعيب عليه السلام وانما خص الوقتين لان مجيء العذاب فيهما اوقع لاشتغال الناس بالاستراحة فيهما فما كان دعواهم اى دعاؤهم او استغاثتهم او ما كانوا يدعونه من دينهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين اعترفوا بظلم انفسهم حين لا ينفعهم الاعتراف وبطلانه تحسرا عليه فلنسئلن الذين ارسل اليهم عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل ولنسئلن المرسلين عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفى فى قوله وما كنا غائبين عن نوجههم الجزمون سؤال الاستعلام اولا وعلى فرض وقوفه الحسبان عند حصولهم على العقوبة فلنقصن عليهم على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه بعلم علمناهم بظواهرهم وبواطنهم او بعملوا منا منهم وما كنا غائبين عنهم فيخفى علينا شئ من احوالهم والوزن اى القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء ولكبر وعلى ان صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اياما لائقا وقطعا للطمع عما يشاهدون من اعمالهم فتعترف بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم وتؤيده ما روى ان الرجل يؤتى به الى الميزان فتنشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمة الشهادة

اى فى الجنة اطعمهما الخذلان الاكل منها اخرجها العقوبة وشؤم المعصية فبقيا عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واخذا
فى ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان لباسهما كان نورا او حلقا او ظفرا وطفقا يخصفان ليخيطا
يلزقان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق التين وقرئ يخصفان من خصف اى يخصفان
انفسهما ويخصفان من خصف فادغمت التاء فى الصاد واصله يختصفان وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان
الشيطان لكما عدو مبين عتاب على مخالفة النهى وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق النهى
للتحريم ذلكما ظلمنا انفسنا اضرارنا اياها بالمعصية والتعرض للاخراج عن الجنة وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين دليل على ان الصغائر يعاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها بعد اجتناب الكبائر وقد
قيل انما قالا ذلك على عادة المقربين فى استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات قال اهبطوا الخطاب
لآدم وحواء وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا او اخبر عما قال لهم مفرقا بعضكم لبعض
عدو فى موقع الحال اى متعادين ولكم فى الارض مستقر استقرار ومتاع استمتاع وقسم للسببين الى ان
تقضى اجالكم فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء وقرأ حمزة والكسائى وابن ذكوان ومنها تخرجون فى
الموضعين وكذلك تخرجون بفتح التاء وضم الراء يا بنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا اى خلقناه لكم بتبليغ الملائكة
او انزلنا بالتقدير كما فى قوله تعالى وانزل لكم من الانعام وقوله تعالى وانزلنا الحديد يوارى سوءاتكم التى تحصل الشيطان ابداءها
وتعييركم عن خصف الورق روى ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف فى ثياب عصينا الله تعالى
فيها فانزلت فلعله ذكر قصة آدم عليه وعلى نبينا الصلوة والسلام تقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة من
سوء اصابة الانسان الشيطان وانه اغواهم فى ذلك كما اغوى ابويهما وريشا ولباسا فاخرا يجملون به والريش الجمال وقيل
المال ومنه ترييش الرجل اذا تموّل وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى خشية الله تعالى وقيل
الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب وقرئ بالنصب فعلة بالابتداء وخبره ذلك خير او خير وذلك صفته كانه قيل وريشا
التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائى ولباس بالنصب عطفا على لباسا ذلك اى انزل اللباس من اياته
الدالة على فضله ورحمته لعلهم يتذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بنى آدم كما فتن ابويكم
الشيطان لا يمتحننكم بان يمنعكم من دخول الجنة باغوائكم كما اخرج ابويكم من الجنة كما شأ ابويكم بان اخرجهما
منها والنهى فى اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به ينزع عنهما لباسهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج
واسناد النزع اليه للتسبب انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم تعليل للنهى او للتحذير من فتنته وقبيله جنوده وذريته
اياهم من حيث لا يرونهم فى الجملة لا تقتضى امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين
اولياء الذين لا يؤمنون بما اوحى الينا من التسلط بالوسوسة والتصرف بالاغواء عليهم وتمكينهم من ذلك لانهم وطنوا انفسهم على ما سولوا
لهم والآية مقصود القصة وقد لكة الحكاية واذا فعلوا فاحشة عطف على محذوف اى فى القبح كعبادة الصنم وكشف العورة فى الطواف
قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها اعتذروا باحد شيئين اما من تقليد الآباء والافتراء على الله تعالى فاعرض

عن الاول تظهر شناعته ومرة الثاني بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان عادته جرت على امر محاسن الاشياء
والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه جلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما يستقبحه
الطبع السليم ويستفظعه العقل المستقيم وقيل هم اجرايا سوا لين مرتبين كانه قيل لهم لما فعلتم فقالوا
وجدنا عليها اباءنا فقيل ومن اين اخذ آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمتنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه
لا مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار يتضمن النهي عن كل افتراء على الله تعالى قل امر ربي بالقسط بالعدل وهو الوسط
من كل امر المنحرف عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها
واقيموها نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكانه وهو الصلوة او في اي مسجد حضر تكم الصلوة
ولا تخرجوها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه وعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة فان اليه مصيركم كما بدأكم
كما انشأكم ابتداء تعودون باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبهه لا عادة بالابداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم
من التراب تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بدأكم صوصنا وكانا بيضة كم فريقا هدى بان وفقهم
للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده اى وخذل فريقا انهم اتخذوا
الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم او تحقيق لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون يدل على ان الكافر المخطئ في
المعارف سواء في استحقاق الذم والفارق ان يحمله على التقصير في النظر الذي امر به خذوا زينتكم ثيابكم لما اراة عورتكم عند كل مسجد
لطواف او صلوة ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلوة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلوة وكلوا واشربوا
مما طاب لكم روي ان بني عامر في ايام حجهم كانوا لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما تعظيما لذلك حجهم فهمة المسلمين فنزلت
ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او بافراط التطعيم والتشره عليه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كل ما شئت
والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين رضي الله تعالى عنه ان الله جمع في نصف آية فقال
كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اي لا يرضى فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وسائر ما يتجمل به التي اخرج
لعباده من النبات كالقطن والكتان ومن الحيوان كالحرير والصوف ومن المعادن كالدر والخرز والطيبات من الرزق
المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الآية سيقت
في معرض الانكار قل هي للذين امنوا في الحياة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع خالصة يوم القيمة
لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرأ نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات نفصل هذا التفصيل
كتفصيلنا لهذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن
حجم ما وسرها والاثم وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل الفواحش ما يتزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج والظاهر منها وما بطن
بالبغي موكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لا دليل عليه شرعا
وان تقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم الله امرنا بها ولكل امة اجل مدة لانزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم انقرضت امم امثالهم وقتهم لا يستاخرون ساعة

لا يستقدمون ساعة ولا يستقدمون ﴿ يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي ﴾ شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على أن إتيان الرسل أمر مترجى غير واجب كما ظنته أهل التعليم وضمن إليها ما للتأكيد معنى الشرط ولذلك أكد فعلها بالنون وجوابه ﴿ فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والمعنى فمن التقى التكذيب وأصلح عمله منكم والذين كذبوا بآياتنا منكم وأدخل الفاء في الخبر الأول دون الثاني لمبالغته في الوعد ولمسامحة في الوعيد ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته ﴾ ممن يقول على الله تعالى ما لم يقله أو كذب ما قاله ﴿ أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ﴾ ما كتب لهم من الأرزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح أي ما أثبت لهم فيه ﴿ حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم ﴾ أي يتوفون أرواحهم هو حال من الرسل وحتى غاية لنيلهم وما الثانية يبتدأ بعدها الكلام ﴿ قالوا ﴾ لجواب إذا ﴿ أين ما كنتم تدعون من دون الله ﴾ الآلهة التي كنتم تعبدونها وما وصلت بأين في خط المصحف وحقها الفصل لأنها موصولة ﴿ قالوا ضلوا عنا ﴾ غابوا عنا ﴿ وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴾ اعترفوا بأنهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه ﴿ قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس ﴾ أي كائنين في جملة أمم مصاحبين لهم من الجن والإنس يعني كفار الأمم الماضية من الجن والإنس ﴿ في النار ﴾ متعلق بادخلوا ﴿ كلما دخلت أمة لعنت أختها ﴾ التي ضلت بالاقتداء بها ﴿ حتى إذا ادارکوا فيها جميعا ﴾ أي تداركوا وتلاحقوا في النار ﴿ قالت أخراهم ﴾ أي دخولا أو منزلة ومعنى الانتباع لأولاهم أي لأجل أولاهم إذ الخطاب مع الله تعالى ﴿ لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا ﴾ لأنهم سنوا لنا الضلال ﴿ فآتهم عذابا ضعفا من النار ﴾ مضاعفا لأنهم ضلوا وأضلوا ﴿ قال لكل ضعف ﴾ أما القادة فلكفرهم وتضليلهم وأما الأتباع فلكفرهم وتقليدهم ﴿ ولكن لا تعلمون ﴾ ما الكل فيه ﴿ وقالت أولاهم لأخراهم ﴾ لكل فريق وقرأ عاصم بالياء على الانفصال ﴿ فما كان لكم علينا من فضل ﴾ في الضلال واستحقاق العذاب فقد استويتم في الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة أو من قول الله تعالى للفريقين ﴿ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها ﴾ أي عن الإيمان بها ﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ﴾ لأرواحهم وأعمالهم أو لأرواحهم كما تنزل الأعمال المؤمنين وأرواحهم لتصعد والتاء في تفتح لتأنيث الأبواب والتشديد لكثرتها وقرأ أبو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي بالياء ﴿ ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ﴾ أي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقبة الإبرة وذلك مما لا يكون فذلك ما توقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالنقل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهي الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفي سم المخيط وهو الإبرة والخياط ما يخاط به ﴿ كذلك نجزي المجرمين ﴾ وكذلك ذلك ومثل ذلك الجزاء العظيم نجزي المجرمين ﴿ لهم من جهنم مهاد ﴾ فراش ﴿ ومن فوقهم غواش ﴾ اللحف التي يتغطون بها ﴿ وكذلك نجزي الظالمين ﴾ عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين أخرى اشعارا بأنهم بتكذيبهم الآيات الصفوة أبهذه الأوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الجرمان من الجنة

والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته سبحانه وتعالى في ان يشفع الوعد بالوعيد لا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدا وخبره للترغيب في اكتساب ما يعد للمقيمين بما تسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس ونزعنا ما في صدورهم من غل اي اخرجنا من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن علي رضي الله تعالى عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا اوه هذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لولا هداية الله تعالى وتوفيقه واللام لتوكيد النفي وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرأ ابن عامر ما كنا لنهتدي بغير واو على انها مبتدئة للدلالة على انها مبتدئة بالحمد ولي لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه يقينا في الدنيا صار لهم عيانا عين اليقين في الآخرة ونودوا ان تلكم الجنة اذا راوها من بعيد او بعد دخولها والمنادي له بالذات اورثتموها بما كنتم تعملون اي اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم وان في المواقع الخمسة هي المخففة او للمفسرة لان المناداة والتاذين من القول وكادي اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا انما قالوا تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم كما قالوا وعدا لانه اريد ما وعد من الوعود لم يكن باسره مخصوصا وعدهم كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقرأ الكسائي بكسر العين وهما لغتان فاذن مؤذن قيل هو صاحب الصورية بينهم بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين وقرأ ابن كثير في رواية البزي وابن عامر وحمزة والكسائي في رواية المفضل عن عاصم ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب ويبغونها عوجا حالا او مفعولا ثانيا وسيأتي معناهما وهو عليه العوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم تكن منتصبة وبالفتح في المنتصبة كالحائط والرمح وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب اي بين الفريقين كقوله تعالى فضرب بينهم بسور وبين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احدهما الى الاخرى وعلى الاعراف رجال اي على الحجاب اي عاليه وهو السور المضروب بينهم عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه يكون بظاهر وهم اعرف من غيرهم رجال طائفة ممن استوت حسناتهم وسيئاتهم قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله تعالى فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء او اخيار المؤمنين وعلماؤهم او ملائكة يرون في صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة والنار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله تعالى بها كبياض الوجه وسواده وقرئ بسيماهم وهي من سام اذا اسلها في المرعى معلمة او من الوسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالهام او تعليم الملائكة ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي سلام الله عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو على الوجه الاول ومن الاصحاب على الوجه الثاني واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا تعوذوا بالله تعالى ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤساء الكفرة قالوا ما اغنى عنكم جمعكم اي جمعكم الاموال وما كنتم تستكبرون من الحق او على الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء

الآية والله تعالى اعلم ان الكفرة كانوا مستخذين ارباباً فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لانه الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فانظروا الاقلاك وتزيينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد سبحانه الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسماً قابلاً للصور المختلفة والهيئات المختلفة ثم قسمها صنوفاً وانواعاً متشابهة الاثار والافعال واشار اليه بقوله وخلق الارض في يومين اي وافى جملة السفل في يومين ثم انشأ انواع الموالد الثلاثة بتركيب موادها اولاً وتصويرها ثانياً كما قال تعالى بعد قوله وخلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لقوله في سورة السجدة الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والايام ثم صرح بعد ذلك بتمهيد التقرير وتلخيصه فقال الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امر هم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعاً وخفية اي ذوي تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص وانه يحب المتقين الجائزين بما مر وايده في الدعاء وغيره نبه به على ان الذي ينبغي ان لا يطلب الا ما يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسبكم ان يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها بعثة الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفاً وطمعاً اذ روي خوف من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع في اجابته تفضلاً واحساناً لفرط رحمته ان رحمة الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب للترتيب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف اي امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعول الذي هو صد كالنقيض وللفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره وهو الذي يرسل الرياح وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على الوحدة نشراً جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ ابن عامر نشراً بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائي نشراً بفتح النون حيث وقع على انه مصدر في موقع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم نشراً وهو تخفيف نشر جمع بشير وقد قرئ به ونشراً بفتح الباء مصدر نشره بمعنى نشراً او بشرى للبشارة او للبشارة وبشراً بين يدي رحمته قدام رحمته يعني المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والله اعلم فرقه حتى اذا اقلت حملت واشتقاقه من قلة فان المقل للشيء يستقله سحاباً ثقالاً بالماء جمع ثقال لان السحاب بمعنى السحائب سقناه اي سحاب او فريق الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت لاحيائه او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء بالليل او بالسحاب او بالنهار او بالريح وكذلك فاخرج جنابه ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول وللظرفية في الثاني واذا كان لغير فهي للسببية من كل الثمرات من كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة فيه الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اي كما نحييه بأحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث برد النفوس الى ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تتذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على غرابته والبلد الطيب والارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيئته وتيسيره عبر بها عن كثرة النبات وحسنه وغزارته

نفسه لانه اوقعه فى عقابها والذى خبثت اى كالحق والسبخة لا يخرج الا نكدا قليلا معه النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام والبلد الذى خبثت لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج اى نخرجه البلد الذى يكون الا نكد المفعول وبكل على الصدر اى انكدا وبكدا بالاسكان للتخفيف كذلك نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله تعالى فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبر الآيات واستفع بها ولمن لم يرفع اليها راسا ولم يتأثر لقد ارسلنا نوحا الى قومه جواب قسم محذوف ولا يكاد تطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما يصلح ربها ونوح بن لمك بن متوشلخ بن ادريس وكان بعد ادم عليه السلام وهو ابن خمسين سنة او اربعين فقال يا قوم اعبدوا الله اى عبدوه وحدف لقوله ما لكم من الهٍ غيره وقرأ الكسائى غيره بالكسر على اللفظ وقرئ بالنصب على الاستثناء الى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعى عند اذنه والمعنى يوم القيامة او يوم نزول الطوفان قال الملأ من قومه اى الاشراف فانهم يملؤون العيون رواء انا لنريك فى ضلال بين زوال عن الحق مبين بين قال يا قوم ليس بى ضلالة اى شئ من الضلال بالتنوين فى النفى كما بالغوائى الانبات وغرضهم به ولكنى رسول من رب العالمين استدراك بليغ لما يلزمه وهو كونه على هدى كانه قال ولكنى على هدى فى الغاية لانى رسول من الله تعالى ابلغكم رسالات ربى وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون صفة لرسول واستئناف ومسافة على الوجهين ليبين كونه رسولا وقرأ ابو عمرو وابلغكم بالتخفيف رسالة على الافراد لاتحادها او لان المراد بها ما اوحى اليه والى الانبياء قبله او لتنوع معانيها كالعقائد والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحى اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث وادريس وزيادة اللام فى لكم للدلالة على المحاض النصح لهم وفى علم من الله تقريبا او علم به فان معناه علم من قوله تعالى وشد ما تطشئه او من جهة ما اوحى اليه شيئا لا علم لكم بها او عجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اى اكذبتم وعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم رسالة او موعظة على رجل على لسان رجل منكم من جملتكم او من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى ابائنا الاولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصى ولتتقوا منها بسببه ولعلكم ترحمون بالتقوى فائدة حرف الترجى التنبيه على ان التقوى غير موجب والترحم من الله تعالا تفضل وان لمتقى ينبغى ان لا يعتمد على تقواه ولا يامن من عذاب الله تعالى فكذبوه فانجيناه والذين معه وهم من امن به وكانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل تسعة صبوه سام وحام ويافث وستة ممن امن به فى الفلك متعلق بمعه او بانجيناه او حال من الموصول او الضمير فى معه واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان انهم كانوا قوما عمين عن الحق او عن الغوث واصله عميين فخفف وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالته على الاثبات والعامى اعم منه عطف على نوحا الى قومه هودا عطف البيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح ان اعبدوا الله ما لكم من الهٍ غيره استئناف به وقع جوابا لسائل قال فما قال لهم وارتغب فى اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الهٍ غيره استئناف به وقع جوابا لسائل قال فما قال لهم حين ارسل اليهم افلا تتقون عذاب الله تعالى وكان قومه كانوا اقرب من قوم نوح والملك قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك فى سفاهة متمكنا فى خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين

قومك وإنا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي
وأنا لكم ناصح أمين أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم وتسق تفسيره وقوله وأجابة الانبياء اللهم عن كلهم
لهما وعاما بما وأولا عراضهم عن مقابلتهم بمحال النصح والشفقة بهم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله وأنا لكم ناصح أمين
تنبيه على أنهم عرفوه بالامرين وأذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح أي في مساكنهم من بعد عاد إلى حضرموت أو في الارض
بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ملك معمورة الارض خوفهم من عقاب الله تعالى وذكرهم بانعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة
وقوة فاذكروا آلاء الله تعميم بعد تخصيص لعلكم تفلحون كي يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها الموجب للفلاح قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر
ما كان يعبد آباؤنا استبعدوا واختصاص الله تعالى بالعبادة والاعراض عما اشرك به آباؤهم لهما كانا في التقليد وحب الالف
ومعنى المجيء في جئتنا إما المجيء من مكاني اعتزاليه عن قومه أو من السماء على التهكم أو القصد على المجاز لقولهم ذهب يبني فانيا
بما تعدنا من العذاب الهائل قوله إن كنت من الصادقين فيه قال قد وقع عليكم رجز وحق عليكم
أو نزل عليكم على أن المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب من الرجز وهو الاضطراب وغضب إرادة انتقام أتجادلونني
في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان أي في أشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الالهية لان المستحق
للعبادة بالذات هو الموجد للكل وأنتم علمتم أنها استحقت كان استحقاقها بجعل تعالى أمر بالآية ونصب حجة بأن منتهى حجتهم و
سندهم ان الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واستناد الاطلاق الى من لا يؤبه به بقوله أظهر الغاية
لجهالة التيم وفرط غباوتهم واستدل به على أن الاسم هو المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم
والابطال بانها اسماء مخترعة ثم ينزل الله تعالى بها سلطانا وضعها طاهر فانتظروا ما وضح الحق وانتم مصرون على العناد نزل
العذاب الذي معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه في الدين برحمة منا عليهم وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا
أي استأصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض بمن آمن منهم وتنبيه على ان المفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان روي
انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله تعالى اليهم هودا فكذبوه وأرادوا قتله فأمسك الله تعالى القطر عنهم ثلث سنين حتى جهدهم
الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم فاذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله تعالى الفرج فيه وإليه قيل بن عنز ومرثد
بن سعد في سبعين من اعيانهم وكان اذذاك بمكة العمالقة أولاد عملیق بن لاوذ بن سام وبيسل بهم معاوية بن بكر
فلما قدموا عليهم وهو بظاهر مكة أنزلهم واكرمهم وكانوا أخوالهم واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان
فلما رأى ذلك هودا بالهوا عما ابتغوه الله أهمه ذلك واستحيى ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين
الا يا قيل ويحك قم فهين * لعل الله يسقينا غماما * فيسقي أرض عاد إن عادا * قد امسوا ما يبينون الكلاما * حتى
غنتا به فانتهز ذلك فقال مرثد والله لا تسقون لكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله تعالى سقيتم فقالوا لمعاوية
احبسه عنا لا يقدم معنا مكة فانه قد ترك دين هود وترك دينا لقد دخلوا سكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت
فانشأ الله تعالى سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم نادى مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء
فانها اكثرهن ماء فخرت السحابة على عاد من واد المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءت بهم مهب

عقروا فاهلكهم وبخاصة والمؤمنون معه فانتوا مكة وعبدوا الله تعالى فيها حتى ماتوا ثم الى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا
باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرى مصروفا وغير
مصروف وابنا وبل الحجر
او بلدتهم الاحقاف وكانت مساكنهم بين الحجاز والشام الى وادى القرى فارسل الله تعالى صالح بن عبيد بن اسف بن ماسح
بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على
صحة نبوتى وقوله هذه ناقة الله لكم اية استيناف لبيانها واية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هو
اية ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا فى اية وان ناقة الناقة الى الله تعالى تعظيما ولانها جاءت
من عنده بلا وساطة اصل واسبق معبودة ولذلك كانت اية فذروها تاكل فى ارض الله العشب ولا تمسوها بسوء نهى عن المس
الذى هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة فى الامر وازاحة للعذر فيأخذكم عذاب اليم جواب
للنهى او اذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الارض ارض الحجر تتخذون من سهولها قصورا اى تبنون فى سهولها
او من سهولة الارض ما تعملون منها كالآجر والاجر وتنحتون الجبال بيوتا وقرى تنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع وتنصبونها
بيوتا على الحال المقدرة او المفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال وتنحتون معنى تتخذون فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا
فى الارض مفسدين قال الملا الذين استكبروا من قومه اى عن الايمان للذين استضعفوا اى للذين استضعفوهم واستذلوهم
لمن امن منهم بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين اتعلموا ان صالحا
مرسل من ربه قالوا على الاستهزاء قالوا انا بما ارسل به مؤمنون علموا به عن الجواب الذى هو نعم تنبيها
على ان ارساله اظهر من ان يكتفى فيه عاقل او يخفى على ذى عقل ودراية وانما الكلام فيمن امن به ومن كفر فلذلك قال الذين
استكبروا انا بالذى امنتم به كافرون على المقابلة ووضعوا الموصول موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما
عقروا الناقة فكأنهم اسندوا الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة او لانه كان برضاهم وعتوا عن امر ربهم واستكبروا عن امتثاله
وهو ما بلغهم صالح بقوله فذروها وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة الزلزلة
فاصبحوا فى دارهم جاثمين ميتين كما روى انهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تبقى بها الا
فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا فى خصب وسعة فعتوا وافسدوا فى الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله تعالى اليهم صالحا من
اشرافهم فانذرهم فسألوه اية فقال اية اية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك ويدعو الهتنا فان اجيبت
له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال
اخرج من هذه الصخرة ناقة شارفا مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك
ليؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا
ينظرون ثم نتجت سقبا مثلها فى العظم فامن به جندع بن عمرو وذؤاب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب بن صمر وكان كاهنهم وكثير ممن كان يستقى الماء والطعام من الناقة ومنع الباقون من الايمان ودوام بن عمرو
والحباب صاحب اوثانهم ورباب بن صمر وكان كاهنهم وكثير ممن كان يستقى الماء والطعام من الناقة ومنع الباقون من الايمان
لكم شرب يوم فيها ولها شرب يوم معلوم ما شاء احتى عيتل او ابيهم فليشربون ويوم معلوم وكانت تصيف بكثرى الوادى وتشتى

منها الغائم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى الظهرة فشق ذلك عليهم وتبيت عقرها هم عنيزة ام غنم وصدقه
بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقى سقبها حيا واسمه قارة فرغا ثالث فقال صالح لهم اكركوا الفصيل لعلى ان يرفع عنكم
العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجت الصخرة بعد رغائه فدنا منها فقال لهم صالح تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة وبعد
الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا قتله فاوحى الله تعالى الى الارض فلسطين ولما كان ضحوة
اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالاقطاع فاتتهم صيحة من السماء ان فيحت فوقهم فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم لقد
ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين
ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر وقال يا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل
وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم ولوطا وارسلنا لوطا اذ قال لقومه وقت قوله اهلوا واذكروا لوطا واذبل
اتاتون الفاحشة توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح ما سبقكم بها من احد من العالمين ما فعلها قبلكم احد
قط والباء للتعدية ومن الاولى لتاكيد النفي والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استيناف مقرر للانكار كانه
وبخهم اولا بايتان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوأ انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بيان لقوله اتاتون
الفاحشة وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار المستانف وشهوة مفعول له او مصدر وقع موقع الحال
وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع
لا قضاء الوطر بل انتم قوم مسرفون اضرب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التي ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف
في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن مجرد وقوعه مثل عذركم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب
قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اي ما جاوا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصيحته بالامر باخراجه فيمن معه من
المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا انهم اناس يتطهرون اي من الفواحش فانجيناه واهله اي من امن به الا امراته
واهلكه فانها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب المذكور وامطرنا عليهم
مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روي ان
لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه ابراهيم عليهما السلام الى الشام نزل بالاردن فارسله الله تعالى الى اهل سدوم
ليدعوهم الى الله تعالى وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله تعالى عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف
بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم والى مدين اخاهم شعيبا اي وارسلنا اليهم ومدين اولاد مدين بن ابراهيم شعيب
بن ميكائيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
قد جاءتكم بينة من ربكم يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن انها ما هي فما روي من عصاه التي عليها ولد على نبينا
السلام الثنين وعشرين ولادة الغنم التي دفعها اليه الملك خاصة وكانت الموعودة له من اولادها واوقع عصا آدم عليه
السلام على يديه في المرات التسع متأخر من هذه المقاولة يحتمل ان يكون كرامة لموسى عليه السلام او ارهاصا للنبوته
فاوفوا الكيل اي اتموه على الاضمار او اطلق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله والميزان كما قال في سورة

٢١٩

هودا والكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم
وانما قال اشياءهم للتعميم بتنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا ممكاسين لا يدعون شيئا
الا مكسوه ولا تفسدوا في الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلحها اهلها الانبياء واتباعهم بالشرائع او
اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة في ثمار الارض وغيرها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين اشارة الى الامر بالامور
ونهاهم عنه ومعنى الخيرية زيادة المنفعة مطلقا او لسيادتها دينية وحسن الحالة وجمع المال لا تقعدوا بكل صراط توعدون بكل
طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا راوا احدا
ينتحى شيئا منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتنك عن دينك
ويوعدون من امن به وقيل كانوا يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله دين الله الذي دعا واليه فوضع
الظاهر موضع المضمر بيانا لكمال ردته والدلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله من امن به اي بالله او كل
صراط على الاول ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتبغونها عوجا
عليه في موضع الحال من الضمير في تقعدوا او تبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها للناس بانها معوجة
واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم او كنتم فقراء فاغناكم بالبركة في النسل او المال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم
قبلكم واعتبروا بها وان كان طائفة منكم امنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا وانتظروا حتى يحكم الله بيننا
اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فيه وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه

قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب

والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم عن القرية او عودكم في الكفر
شعيب لم يكن في ملتهم قط كان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب فعمه بخطابهم وعلى ذلك يجري الجواب
في قوله قال او لو كنا كارهين اي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او لتعيدن ونحن كارهون قد افترينا على الله كذبا ان عدنا
عليه ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه
لم يقع لكنه جعل كالواقع لمبالغة وادخل عليه قد ليقرب به من الحال اي قد افترينا الآن ان همنا بالعود بعد الخلوص
منها حيث تزعم ان لله دينا وانه قد تبين لنا انا ما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق وقيل انه جواب قسم وتقديره والله
لقد افترينا وما يكون لنا وما يصح لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا خذلنا واردادنا وفيه دليل على ان الكفر
بمشيته تعالى وقيل اراد به عصمتهم في العود بالتعليق على ما لم يكن وسع ربنا كل شيء علما اي احاط علمه بكل شيء فكان
وما يكون منا ومنكم على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم
بيننا والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز الحق من الباطل من فتح السكر
اذا بينه وانت خير الفاتحين على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم ضلالته بهداكم او لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو ساء مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام

فاخذتهم الرجفة الزلزلة وفي سورة الحجر فاخذتهم الصيحة وتعليلها كانت من مبادئها فاصبحوا في دارهم جثمين اي في
مدينتهم الذين كذبوا شعيبا مبتدأ وخبره كان لم يغنوا فيها اي استوصلوا كان لم يقيموا بها والمعنى المنزل الذين كذبوا
شعيبا كانوا هم الخسرين دينا ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعمه افاكهم الوكين في الدين وللتنبيه على هذا و
المبالغة فيه كرر الموصول واستانف الجملتين واتى بهما اسميتين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت
لكم فكيف اسى على قوم كافرين فكيف اتاسف على تاسفه عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف اسى على قوم كافرين ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم
بكفرهم او قاله اعتذارا لحزنه على ترك شفقة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق
فلم تصغوا فلو اقوى فكيف اسى عليكم وقرئ فكيف اسى بالياء من قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء
والضراء بالبؤس والضر لعلهم يضرعون كي يتضرعوا وينذلوا ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كرهوا
فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتداء كلامهم حتى عفوا كثروا واعدادا ويقال عفا النبات اذا كثر ومنه
اعفاء اللحى وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء اي كما نحن لم نزل في الناس بين الضراء والسراء وقد مس اباءنا منه مثل ما مسنا فاخذناهم بغتة مجازاة وهم لا يشعرون وان يترك العذاب وقوله
اهل القرى يعني القرى المدلول عليها بقوله وما ارسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها امنوا واتقوا امكان كفرهم وعصيانهم
لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير وكثرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرا ابن عامر
لفتحنا بالتشديد ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي افامن اهل القرى عطف على قوله فاخذناهم
بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى بعد ذلك امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا تبييتا ووقت بياتا او مبيتين
وهو في الاصل مصدر بمعنى المبيتوتة وقيل بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم للابذاء المستترا
في بياتا او من اهل القرى وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر او بالسكون على الترديد ان ياتيهم باسنا ضحى ضحوة النهار وهو
الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وقيل يلعبون يلهون من غرط الغفلة او يشتغلون بما لا يعنيهم افامنوا مكر الله تقرير لقوله افامن
اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب فلا يامن مكر الله الا القوم الخسرون الذين
خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار او كرر ليهدي للذين يرثون الارض من بعد اهلها اي يخلفون من خلا قبلهم
ويرثون ديارهم واتى على يهدي باللام لانه بمعنى يبين ان لو نشاء اصبناهم بكفرهم ان الشان ونشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا
من قبلهم وهو فاعل يهدي ومن قراه بالنون جعله مفعولا ونطبع على قلوبهم عطف على ما دل عليه او
لم يهد الذين يخلفون عن الهداية ونطبع عطف منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه
بمعنى وطبعنا لانه في سياقة جواب لو لاقتضائه الى بقي الطبع عنهم فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار
تلك القرى يعني قرى الامم المار ذكرهم نقص عليك من انبائها حال ان جعل القرى خبرا ويكون اقام
بالتشديد بها وخبرا ان جعلته صفة ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اي نقص بعض انبائها وطها انباء غيرها
لاقتصها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا اعند بمعنى عند بما كذبوا من قبل ما كذبوه من قبل الرسل لكانوا مستمرين على

التكذيب وفما كانوا ليؤمنوا امدة عمرهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل ولم يوثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة ولا الآيات
المتتابعة واللام لتاكيد النفي والدلالة على انهم طبع اللاعيان لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم كذلك
يطبع الله على قلوب الكافرين فالمعنى تشبيه طبعهم الآيات واثبت رويما وجدنا لاكثرهم لاكثر الناس والآية اعتراض
او لاكثرالهم المذكورين من عهد وفاء عهد فان اكثرهم نقضوا ما عهد الله تعالى اليهم في الايمان والتقوى باتزال الآيات
وفصيح الحجا او ما عهدنا اليه حين كانوا في ضر وشدة مثل ان انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وان وجدنا اكثرهم
اي علمنا هم لفاسقين من وجدت زيد اذا الحفاظ للايمان المخففة واللام الفارقة وذلك لايسوغ الا في المبتدأ والخبر
والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفي واللام بمعنى الا ثم بعثنا من بعدهم موسى الضمير للرسل في قوله ولقد
جاءتهم رسلهم او لكل امم بآياتنا يعني المعجزات الى فرعون وملائه فظلموا بها بان كفروا بها مكان الايمان الذي هو من حقها
لوضوح حجاجها هذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لكل ملك صعب كسبري لمن ملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد
بن مصعب بن الريان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين اليك وقوله
حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق لعله جواب لمن يكذبه اياكم في دعوى الرسالة وانما لم يذكره للدلالة قوله فظلموا
بها عليه وكان اصله حقيق علي ان لا اقول كما قراه نافع فقلب عن الامر للاسناد كقوله ونشقى الرماح بالضياطرة
الحمر او كان ما الزمك فقد لزمته او لتكرير اني في الوصف بالصدق والمعنى انه حق واجب على القول الحق ان اكون
انا قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس
وجئت على حال حسنة وبوئتم قراءة ابي بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل
فخلهم ليرجعوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الاعمال الشاقة فلما كانت حجته اية
من عند من ارسله فاتى بها فلهذا لم يقل بينة وقرئ بها فاطرح هاعندك ليثبت بها صدقك ان كنت من الصادقين في الدعوى فالقى عصاه فاذا
هي ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك في انه ثعبان وهو الحية العظيمة روي انه لما القاها صار ثعبانا اشعر فاتح فاه بين
لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث فانهزم
الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا وصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اومن بك وارسل
معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع يده من جيبه او من تحت ابطه فاذا هي بيضاء للناظرين اي بيضاء بياضا
خارجا عن العادة تحتمل حلة النظارة او بيضاء للنظارة لانها كانت بيضاء في جبلتها روي انه كان موسى عليه وعلى نبينا
الصلوة والسلام ادم شديد الادمة فادخل يده في جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية غلبت شعاع
شعاع الشمس قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم قيل قاله اشراف قومه على سبيل التشاور وفي امره معي
عنه في سوء الشعاء وعنهم هنا يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون تشيرون فان نفعل فاكلوا الجزية
وارسل في المدائن حاشرين يا تونك بكل ساحر عليم كاد اتفقت عليه اراؤهم فاشاروا به الى فرعون والاجماع التابع
اي لحزامه واصله ارجه كما قرأ ابن عامر وابو بكر ويعقوب من ارجات وكذلك ارجئه هو على قراءة ابن كثير وهشام عن ابن عامر

على الاصل في الاصغار او ارجئ من ارجيت كما قرأ نافع في رواية ورش واسمعيل والكسائي ولما قراءته في رواية قالون
ارجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها واما قراءة حمزة وحفص ارجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل حاجز
وكابن في سكان وسطه واما قراءة ابن عامر في رواية ابن ذكوان ارجئه بالهمز وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فان الهاء لا تكسر الا اذا كان قبلها كسرة
او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب ياء اجريت مجراها وقرأ حمزة والكسائي بكمل سحارة وفي يونس وطه والشعراء وجاء السحرة فرعون بعد ارسل الشرطة في طلبهم قالوا ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين استانف بجواب سائل
ما قالوا فلما قالوا نعم وقرأ ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم ائن لنا على الاخبار وايجاب الاجر كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم
قال نعم ان لكم اجرا وانكم لمن المقربين عطف على ما سئل مسئلة نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم قالوا يا موسى اما ان تلقي واما
ان نكون نحن الملقين خيروا موسى عليه وعلى نبينا الصلوة والسلام مراعاة لادب او لطهارة المجاورة ولكن كانت رغبتهم
في ان يلقوا اولا فيه واعليها بتغيير النظم الى ما سواه لم وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وتاكيد ضمير المتصل بالمنفصل فلذلك
قال القوا كرما وتساهما او ازدراء وثوقا على شانه فلما القوا سحروا اعين الناس بان خيلوا اليهم بما الحقيقة بخلافه
واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم طلبوا رهبتهم وجاؤا بسحر عظيم في قوة روعي انهم القوا حيالا غاظة واخشية الى
كانها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان الق عصاك فالقاها فصارت حية فاذا هي تلقف ما يأفكون
اي ما يزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه ويجوز ان يكون ما مصدرية ومن مع الفعل في معنى المفعول
روي انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك خلق عظيم ثم
اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقال السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا وقرأ حفص تلقف هنا وفي
طه والشعراء فوقع الحق وثبت بظهور امره وبطل ما كانوا يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين
صاغرا او الى اهلهم مهانين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه وألقي السحرة ساجدين جعلوا كالملقين على
وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود حيث لم يتوقعوا تلك وان الله تعالى الهمهم ذلك وعلمهم علما يضطرون بتكريره
بالدين ارادوا بهم كسر موسى عليه السلام وينقلب الامر عليه او مبالغة في سرعة خرورهم وشدة وقوعهم قالوا آمنا برب العالمين رب موسى
وهرون ابدلوا الثاني من الاول لزيادة تقريرهم انهم ارادوا به فرعون قال فرعون آمنتم به بالله تعالى او بموسى قبل ان ياذن لكم
فيه للاضمار وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب وهشام بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرأ حفص
آمنتم به على الاخبار وقرأ قنبل قال فرعون وآمنتم بمدة على الاستفهام بحذف همزة الاستفهام واوا مفتوحة وبمدها مدة في تقدير الفين وقرأ في طه على الخبر بهمزة والف وقرأ في الشعراء على الاستفهام بهمزة وملكم مطولة في تقدير الفين وقرأ
الباقون بتحقيق الهمزة الاولى وتليين الثانية قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه اي ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها
وسويتم في المدينة قبل ان تخرجوا الى الميعاد لتخرجوا منها اهلها اي القبط وتخلصوا لكم وبني اسرائيل فسوف تعلمون
عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم اجمعين
تفصيلها لكم وتبكيتا لامتثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله تعالى للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك عامل محاربة الله ورسوله

ولكن على التعيين فقد رجمته فلولا انا الى ربنا منقلبون بالموت لا محالة فلا عتبى الى وعيدك او انا منقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت
بنا ذلك كما هم استطابوا موتهم شغفا على لقاء الله تعالى او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا وما تكرهنا
الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس عما يأتي لنا العدول عنه طلبا لمرضاته تعالى ثم توجهوا
الى الله تعالى فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا صبرا عظيما كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر
على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى
انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملا من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض بتغيير الناس عليك ودعوتهم
الى مخالفتك وبدل وذرك عطف على يفسدوا او جواب للاستفهام بالواو او بقول الخطيئة تشكو الراك جارتكم ويكون بنيّ وبينكم المودة
والاحياء بمعنى ان يكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على اتذر او استينافا او حالا وقرئ
بالسكون كأنه قيل يفسدوا ويذرك كقوله فاصدق واكن والهتك معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما
وامرهم ان يعبدوها قال انا ربكم الاعلى وقرئ لآلهتك اي عبادتك قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب
ملكنا على يديه وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا قال موسى لقومه
استعينوا بالله واصبروا والما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده
تسلية لهم وتقرير للامر به استعانا بالله والتنشيط في الامر والعاقبة للمتقين وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من هلاك
القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام في الارض يحتمل العهد والجنس قالوا اي بنو اسرائيل
اوذينا من قبل ان تأتينا بالرسالة بقتل الابناء ومن بعد ما جئتنا بالعادة بقتل الابناء قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم و
يستخلفكم في الارض فتروا كيف تعملون اي كما ترى عنده اولا كما ترى انهم لم يتسلوا بذلك لعله اتى بفعل الطمع لعلم جزمه بانهم للمستخلفون باعيانهم
او اولادهم وقد روي ان مصر افتتحت في زمن داود عليه السلام فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة
ومعصية ثم اليه ازيكم على حسب ما يصدر منكم ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين بالجدوب قلة الامطار والمياه والسنة
غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنده ويوبخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا اصابتهم السنة ونقص من الثمرات
بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا على ان ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا ويرتدعوا فلو بهم بالبلاء المرة بعد المرة الى
الله تعالى ويرغبوا فيما عنده فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن مستحقوها وان تصبهم سيئة جدب وبلاء
يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا اعراق في وصفهم بالعناد والقساوة فان
الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهي لم تزدهم الا طغيانا وعتوا
وانما كافى الغنى وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق للكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات وذكر السيئة واتى
مع حرف الشك لندورها وعدم القصد بها الا بالتبع الا اعند طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيته او سبب شؤمهم
عند الله تعالى وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التي سافت اليهم ما يسوءهم وقرئ انما طيرهم وهو اسم الجنس وقيل هو جمع

ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما يصيبهم من الله تعالى او من شؤمهم اغالهم وقالوا مهما تاتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين اي لتسحرنا بها فما
ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتاء وقيل مركبة من مه الذي يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء
او النصب بفعل يفسره تاتنا به اي اي شيء تحضرنا تاتنا به من اية لتسحرنا بها وانما سموها اية على زعم موسى عليه وعلى نبينا السلام
لاعتقادهم ولذلك قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين اي لتسحرنا بها اعيننا وتشبيه علينا والضمير في به وبها لما ذكره قبل التبيين
بتعبير اللفظ وانت بعد باعتبار المعنى فارسلنا عليهم الطوفان ما الماء فيهم وغشي اماكنهم ومحروثهم من مطر او سيل وقيل الجدري
وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قيل نبات اجنحتها والضفادع والدم روي انهم
مطروا ثمانية ايام كل يوم شنبة لا يقدرون ان يخرجوا من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بني اسرائيل
مشتبكة بيوتهم ولم تدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها وادام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى عليه السلام
ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبتت لهم من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله تعالى عليهم
الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذت تاكل الابواب والسقوف والثياب فقزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء وانشار بعصاه
نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله تعالى عليهم القمل فاكل ما ابقاه الجراد وكان
يقع في طعامهم ويدخل بين ثيابهم وجلودهم فيمصها فقزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا فقد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله تعالى
عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي والى
افواههم عند التكلم فقزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله تعالى عنهم فنقضوا العهد ثم ارسل الله تعالى عليهم
الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي مع الاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ماء يمص الماء من فمه
الاسرائيلي فيصير دما وقيل سلط الله تعالى عليهم الرعاف آيات نصب على الحال مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله تعالى
ونقمته عليهم او مفصلة لا متحدات احوالها اذ كان بين كل اثنين منها شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل ان موسى عليه
السلام لبث فيهم بعد ما غلبت السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على تمهل فاستكبروا عن الايمان وكانوا قوما مجرمين
ولما وقع عليهم الرجز يعني العذاب المفصل والطاعون ارسل الله تعالى عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك
بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهده اليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك في آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير
فيه يعني ادع الله تعالى متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل اسقنا الماء ما تطلب منك
بحق ما عهد عندك او قسم مجاب بقوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اي فقمنا بعد الله
تعالى عنك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن ولنرسلن فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجأوا
النكث من غير توقف وتامل فيه فانتقمنا منهم فادرنا الانتقام منهم فاغرقناهم في اليم اي البحر الذي لا يدرك قعره وقيل
بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها
وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون اي بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفيهم

مشارق الارض ومغاربها يعني ارض الشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتملكوا في زمانهما التي بارکنا فيها
بالخصب وسعة العيش وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل ومضت عليهم وانصلت لهم بانجاز عداته اياهم بالنصرة والتمكين
وهو قوله تعالى ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد بما صبروا والسبب بروهم على الشدائد
ودمرنا وخربنا ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعون من
البناء قصر هامان وقرأ ابن عامر وابو بكر هنا وفي النحل يعرشون بالضم وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله وجاوزنا ببني اسرائيل
البحر وما بعده ذكر ما اختار بنو اسرائيل من الامور الشنيعة بعد ان من الله تعالى عليهم بالنعم الجسام وارادهم من الآيات
العظام تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مما رأى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة
احوالهم روي ان موسى عليه السلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد اهلاك فرعون وقومه فصاموه شكرا فانوا على قوم
قد ولعوا بعبادة اصنام لهم وقيل من نحم وقرأ حمزة والكسائي يعكفون بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا الها متلا لهذه
يعبدونها فكافة للكاف قال انكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق والكلام لبعد ما صدر عنهم بعد ما رأوا من الآيات الكبرى
على العقل ان هؤلاء اشارة الى القوم مبتدأ متبر خبره ما هم فيه بيان ان الله تعالى يهدم دينهم الذي هم عليه ويحبط اعمالهم وباطل
خبر كان اي كائنا ما كانوا يعملون من عبادتهم وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما بالغ في هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسما وجعل
عاما هم فيه بالتنبيه على ما فعلوا بالطلان وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه على ان الدمار الحق الذي لا حق غيره
وان الاحباط الكلي لازم لما مضى عنهم متبرا وتحذيرا كما قيل اتبر الله تبارهم فقال اغير الله ابغيكم الها اطلبكم معبودا وهو فضلكم على العالمين
ولحال انه خصكم بنعم لا يحيط بها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله تعالى اياهم من امثالهم بما لم يستحقوه
تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به اخس شيء يخلوقاته واذ انجيناكم من آل فرعون واذكروا اصيغة معكم في هذا الوقت وقرأ
ابن عامر انجاكم بكسر الميم وتكرير سوء العذاب استيناف لبيان ما انجاهم وحال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما يقتلون ابناءكم
ويستحيون نساءكم بدل سنه مبينون وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي الانجاء والعذاب نعمة او محنة عظيمة وعن
ثلثين ليلة ذا القعدة وقرأ ابو بكر ويعقوب وعدنا وانما ذكرها لان العشر من ذي الحجة فتم ميقات ربه اربعين ليلة
بالغا اربعين روي انه عليه السلام وعد بني اسرائيل عصيان اياتهم بعد هلاك فرعون بكتاب من الله تعالى فيه ما يأتون وما يذرون فلما هلك سأل ربه فامره بصوم ثلثين فلما اتمها انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك واتممتها بالسواك فليمرك الله تعالى ان يزيد عليها عشرا وقيل امره بان يتخلى ثلثين بالصوم والعبادة ثم انزل عليه
التوراة في ذي الحجة وكلمه فيها وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب ان يصلح من امورهم
او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تنتسب من سلك لا فسدوه ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا
لوقت الذي وقتناه واللام للاختصاص اي اختص مجيئه بميقاتنا او كلمه ربه من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما روي ان موسى
عليه السلام كان يسمع ذاك الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس كسماع كلام المحدثين قال رب ارني

انظر اليك ارني نفسك بان تمكنني من رويتك او تجلى لي فانظر اليك وارآك وهو دليل على ان رويته تعالى جائزة
في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله تعالى وذلك رده بقوله لن ترانى دون لن أرى
ولن أريك ولكن انظر الى تنبيها على انه قاصر عن رويته لتوقفها على امر معدم في الرائي لم يوجد فيه بعد وجعل السؤال
لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطأ اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجابهم وبين بشهتهم كما فعل بهم حين قالوا
اجعل لنا الها كما لا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبعان سبيل المفسدين ولا يستدل به على جواز شيء على استحالتها اشتراط خطأ اذ لا يدل الاخبار
عن عدم رويته اياه تعالى ان لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا وفضلا عن ان يدل على استحالته ودعوى الضرورة
فيه مكابرة او جهالة بحقيقة الرؤية قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني استدراك
يريد ان بينهما بونا بائنا لا يطيقه وفي تعليق الرؤية باستقرار ايماء الى دليل الجواز ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن والجعل قيل
جبل زيتا تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى له حياة ورؤية حتى راه جزءا دكا
ملكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرأ حمزة والكسائي دكاء اى ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء التي
لا سنام لها وقرئ دكا فعلى دكاء وحمزة موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما راى لما افاق قال تعظيما لما رآى سبحانك تبت
اليك من الجرأة والاقدام على السوال بغير اذن وانا اول المؤمنين من قومي او من امن بانك لا ترى في الدنيا قال يا موسى اني اصطفيتك اخترتك على الناس اى الموجودين في زمانك وهرون وان كان نبيا كان مامورا
باتباعه ولم يكن كليما او على جنس البشر برسالاتي اي باسفار التوراة وقرأ ابن كثير وناف برسالتي وبكلامي وبتكليمي اياك
فخذ ما آتيتك اعطيتك من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة فيه روى ان سوال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التوراة له
يوم النحر وكتبت له في الالواح من كل شيء ما يحتاجون اليه في امر الدين موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار والمجرور اى كتبنا
كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف في ان الالواح كانت عشرة او سبعة وكانت من زمرد او زبرجد او ياقوت احمر
او صخرة صماء ليتها الله تعالى لموسى عليه السلام فقطعها بايده او شققها باصابعه وكان فيها التوراة او غيرها فخذها على
اضمار القول عطفا على كتبنا او بدل من قوله فخذ ما آتيتك والهاء للالواح او لكل شيء فانه بمعنى الاشياء او للرسالات بقوة بجد
وعزيمة وامر قومك يأخذوا بأحسنها اى باحسن ما فيها كالصبر والعفو لا باضداده الى لا تتصدوا ولا تقتصروا على طريقة الندب
والحث على الافضل كقوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم او يؤتى بما هو احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن
البالغ في الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو ما امر به كقولهم الصيف احر من الشتاء سأريكم دار البناسفين دار فرعون
وقومه عبيرة خاوية على عروشها ومنازل عاد وثمود واطلالهم لتعتبروا فلا تقسقوا او دار هم في الاخرة وهي جهنم وقرئ سأريكم
بمعنى سابين لكم من اوريت الزند اذا قدحت نارها او ريكم بدونه قوله تعالى واورثنا القوم سأصرف عن ايتي المنصوبة في الافاق وانفس
الذين يتكبرون في الارض بغير الحق على قلوبهم فلا يتكبرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان
يجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم بغير الحق صلة يتكبرون اى يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم
الباطل او حال من فاعله وان يروا كل آية منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم واختلال عقولهم بسبب كفرهم في الهوى و

التذليل وهو يؤيد الاحتمال الاول وان ترى سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء السبئة عليهم وقرأ نافع والكسائي
الرشد بفتحتين وقرئ بالضم والسكون وثلثتها لغات كالسقم والسقم والشقاء والشقاء وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم
كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين اي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات ويجوز ان يتصب ذلك على المصدر
الى ساء وصف ذلك الصرف بسببهما والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة اي لقاءهم الدار الآخرة او ما وعد الله تعالى في الآخرة حبطت
اعمالهم لا ينتفعون بها اصلا هل يجزون الا ما كانوا يعملون الا الجزاء اعمالهم واتخذ قوم موسى من بعده اي من بعد ذهابه لميقات
من حليهم التي استعاروها من القبط عجلا جسدا من معدود اضافتها اليهم لانها كانت في ايديهم او ملكوها بعد هلاك
وضع بعضهم حلي لمندى وثاني عنزة والكسائي بالكسر كالكبير والكبر وهيئ على الافراد عجلا جسدا له لحم ودم
او جسدا من الذهب خلط الماء الروح وتخريره على البدل الله خوار صوت البقر وقرئ السامري لما صاغ العجل القي
في فمه من تراب اثر فرس جبريل فصار لحما ودما وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه ويصوت وانما سبت الآية
اليهم وشيعه امالة لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم اياه الها وقرئ بالرفع اي صياح البقر ألم يروا ان الله لا يكلمهم ولا يهديهم
سبيلا تقرير على وفق ضلالهم راشدا لعطفه بالنصب والمعنى المرئي دون اتخاذه الها الله لا يعتد على كلامهم ولا على ارشاد سبيل
كاحاد البشر حسبوا الله خالق الاجسام والقوى والقدر اتخذوه تكذيب للذم اي اتخذوه الها وكانوا ظالمين واضعين
الاشياء في غير موضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولما سقط في ايديهم كناية من ان الشيء ندمهم فان النادم
المتحسر يعض يده غما يجيء بيديه مسقوط اليهما وقرئ سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم في انفسهم
ورأوا وعلموا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا الئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوراة ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة لنكونن من
الخاسرين دنوا بهم لحرمة والكسائي بالتاء وربنا على النداء وكذا رجع موسى الى قومه غضبان اسفا شديد الغضب وقيل حزينا قال
بئسما خلفتموني من بعدي فعلتم من بعدي حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة و
الخطاب لهارون والمؤمنين معه ومانكرة موصوفة بيفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة
خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي او من بعد ما رأيتم مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف
عما ينافيه اعجلتم امر ربكم اتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته او عجلتم الموعد ربكم الذي
وعدنيه من الاربعين وقد رجع موسى وغيرهم بعده كما خيرت لاهم بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة الغضب
وفرط الضجرة وحمية للدين روي ان التوراة كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفع ستة
اسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام واخذ برأس اخيه يجره اليه توهما بانه قصر في
كفهم وهرون كان اكبر منه بثلث سنين وكان جميلا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل قال ابن ام ذكر الام ليرفقه عليه وكانا
من اب ولم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم هنا وفي طه يا ابن ام قال ابن ام بالكسر فاصله يا ابن امي فحذفت
الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله او تشبيها بخمسة
عشر ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ازالة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني

واستغفرت وتبت اليه قال ان شئت يا رب اخرت عني ما تفعل بي ايشتمون بي الاعداء فلا تفعل بي ما يشتمون به ولا تجعلني مع القوم الظالمين
معترضا في اعدائهم باللوم اخذ في تاديبه بالتقصير فقال رب اغفر لي ما سنت باخي وادخلني ان فرط في الكف ضم اليه نفسه
في الاستغفار وتضيه له ودفعا للشماتة عنه وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام علينا وانت ارحم الراحمين فانا ادرم
بناء على انفسنا ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وهو امر مقارب به من قتل انفسهم ذلة في الحياة
الدنيا وهي خروجهم من ديارهم وقيل الجزية وكذلك نجزي المفترين على الله تعالى ولا فرية اعظم من فريتهم هذا الهكم واله موسى
ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات
وامنوا واشتغلوا بالايمان وما هو مقتضاه من الاعمال الصالحة ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم حيث قبل توبتهم
عظم الذنب كجريمة عبدة العجل تكفر كجرائم بني اسرائيل ولما سكت سكن وقد روي انه لما القى الالواح اخذ برأس اخيه
او بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغري عليه حتى عبر
عن سكوته بالسكوت وقرئ سكت واسكت على ان السكت هو الله تعالى او اخوه اولا الذين تابوا اخذ الالواح التي
القاها وفي نسختها اي في ما نسخ فيها اي كتب على بناء المفعول للخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة تدل بيان
للحق ورحمة ارشاد الى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون خصت الرحمة المفعول لضعف الفعل بالتاخير او حذف
للمفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي الله تعالى ويخافون عقوبته واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل
الفعل اليه سبعين رجلا ميقاتا فلما اخذتهم الرجفة روي انه تعالى امره بان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فاختار
من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان من قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع
وذهب بالباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى عليه السلام بهم الغمام وخروا سجدا سمعوه يكلم موسى بامره
وينهاه فلما انكشف الغمام اقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة
الجبل فصعقوا منها قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل وايای بما فعل السفهاء منا او بالعبادة او بالمسالة
اخزاوعني به انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بجعل تزعون على اهلاكهم وباغراقهم في اليم وغيرهما وتوهمت
عليهم بالانفاذ منها فان توهمت عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك اتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العبادة
والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم
موسى عليه السلام ليقات التوبة عن بقية قومه تلفوا صنهما ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على
الهلاك وخافهم موسى عليه على بني البيت الصالح والسلام فيما ورد وكشفها الله تعالى عنهم الى هي تربتك ابتلاؤك حين
اسمعته كلامك حتى طمعوا في الرؤية او رجفت في العجل خوارا فزاد خواره تضل به من تشاء ضلاله بالتجاوز
عن حده او باتباع المخايل وتهدي من تشاء هداه فيقوى بها ايمانه انت ولينا القائم بامورنا فاغفر لنا ما فرطنا
وارحمنا وانت خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة حسن مثوبة و
توفيق طاعة وفي الاخرة الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده اذا

اذا اطلته ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل والمفعول يعني لمكنا انفسنا واملينا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض قال عز اني اصيبهم من اشاء تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا المؤمن والكافر بل للكافر وغيره فسأكتبها فسأثبتها في الآخرة او فسأكتبها كتبة خاصة متكررة اي للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكوة خصها بالذكر لانافتها او لانها كانت اشق عليهم والذين هم بآياتنا يؤمنون فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول النبي مبتدأ خبره ياجرهم او خبر مبتدأ تقديره هم الذين او بدل من الذين يتقون بدل البعض او الكل والمراد من امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله تعالى ونبيا بالاضافة الى العباد الامي الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احد معجزاته الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل اسما وصفة بأن يرسم بالمهموز وغيرها هم عن المنكر ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير وكالربوا والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ويخفف عليهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من تحرك لثقله وقرأ ابن عامر اصارهم فالذين آمنوا به وعزروه وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير وتنصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اي مع نبوته يعني القرآن وانما سماه نورا لانه بإعجازه ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا بانزل او بمحذوف هو حال من النور اي وانتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة اولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة الابدية تضمنت هذه الآية جواب دعاء موسى عليه وعلى نبينا الصلوة والسلام قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم لخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل الى قومهم خصوصا جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموت والارض صفة لله وان جعل بيانا بما هو متعلق المضاف اليه لانه كالمستلزم عليه او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره لا اله الا هو وهو على الوجوه الاول بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غير فيحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته ما انزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القرآن او عيسى عليه السلام تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن بهم لا يعتد بايمانه واتبعوه علل الامر باتباعه بالترجي عن التكلم بالنعمة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع له واهتدوا جعل رجاء الاهتداء اثرا له مع تنبيهها على ان من صدق ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد في خطط الضلالة ومن قوم موسى يعني بني اسرائيل امة يهدون بالحق يرشدون الناس محقين او بكلمة الحق وبه يعدلون بينهم في الحكم والاداء بها لما تمدح على الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيها على ان تعاوض الخير والشر وتراجع اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل نزلوا من اهل الكتاب وقفى قوم وراء الصين راهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فمنوا به وشفعناهم وصيرناهم قطعا متمايزا بعضهم عن بعض اثنتي عشرة مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير

ش قوله بكسر زمين كه بجيت بنا كنند كرد او خط كشيده باشند وحد سيد اكرده خطوط جمع ۱۲ صراح

اوحال وتأنيثه للحمل على الامة او القطعة اسباطا بدل امة وذلك جمع او تمييز له على ان كل واحدة من اثنتي عشرة اسباطا
فكانه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانها امما على الاول بدل او نعت اسباطا وعلى الثاني من اسباطا واوحينا الى
اذ استسقاه قومه واتسه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست اى فضرب فانبجست فحذفه للايماء على ان موسى عليه السلام
لم يتوقف في الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا بتوقف عليه الفعل في ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس
كل سبط مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا اى وقلنا لهم كلوا من طيبات
ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية يعني اريحا او القرية
بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا مثل ما في البقرة غير ان قوله فكلوا منها بالفاء
افاد تسبب سكنى ما ما كل منها ولم يتعرض له هنا اكتفاء بذكره ثمة او بدلالة الحال عليه واما تقديم قولوا على وادخلوا فلا اثر له
في المعنى لانه لا يوجب الترتيب لكن الواو العاطفة بينهما نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين وعدا بالغفران والزيادة
عليه بالاثابة وانما اخرج الكلام مخرج الاستيناف للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلة ما امروا به وقرأ نافع وابن عامر
ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم بالرفع والجمع غير ابن عامر فانه وحد وقرأ ابو عمرو خطاياكم
فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون مضى تفسيره
فيها واساكنهم للتقرير والتقريع بقبائحهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التي لا تعلم الا بتعليم او وحي ليكون ذلك
معجزة عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع باهلها التي كانت حاضرة البحر قريبة منه وهي ايلة بين مدين والطور على
شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية اذ يعدون في السبت يتجاوزون حدود الله تعالى بالصيد يوم السبت واذ ظرف
لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل اشتمال اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ
يعدون واصله يعتدون ويعدون من اعداى يعدون الا ترى الصيد يوم السبت وقلة نهوا ان يشتغلوا فيه
بغير العبادة يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة
وقيل اسم اليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويومئذ لا ان قرئ يوم اسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون
لا تاتيهم وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال من
الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا اذا دنا واشرف كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد
نبلوهم بسبب فسقهم وقيل ذلك متصل بما قبله اى كما تاتيهم مثل اتيانهم يوم السبت والباء متعلق بيعدون واذ قالت
عطف على اذ يعدون امة منهم جماعة من اهل القرية يعني صلحاؤهم الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى ايسوا من انتفاعهم
لم تعظون قوما الله مهلكهم مخترمهم او معذبهم عذابا شديدا في الاخرة لتمادیهم في العصيان قالوه مبالغة في
ان الوعظ لا ينفع فيهم او سؤلا عن علة الوعظ وتفعله وكانوا تقاولوا بينهم او قول من ازعوى عن الوعظ لمن لم يزعو
منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعظاهم ردا عليهم وتهكما بهم قالوا معذرة الى ربكم جواب لسؤال
اى وعظنا انهاء عذرا الى الله تعالى حتى لا ننسب الى تفريط في النهي عن المنكر وقرأ حفص معذرة بالنصب على

المصل او العلة اى عذرنا به معذرة او وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا
تركوا ترك الناسى واذكروا به ما ذكروهم صلحاؤهم به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاستمرار
ومخالفة امر الله تعالى بعذاب بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرأ ابو بكر بيئس على فيعل كضيغم وابن
عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة على انه بئس كحذر كما قرئ فخفقت عينه بنقل حركتها الى الفاء ككبد فى كبد ونافع
بيئس على قلب الهمزة ياء كما قلت فى ميت او على انه فيعل الذم وصرف ليجعل اسما وقرئ بئيس كرغيف على قلب الهمزة ياء
فرادفا ما وبئيس على التخفيف كهين وبائس كما قرئ يسقون بسبب فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا عن ارتكاب ما امروا به
عنه كقوله وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والامر
يقتضى ان الله تعالى مسخهم اولا بعذاب شديد بعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز ان يكون الاية الثانية تفسيرا للاولى وقد روى ان الناهين لما ايسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم شانا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسبائهم ولكن القرد تعرفهم فجعلت تأتى انسباءها وتشم ثيابهم وتئن حولهم باكية ثم ماتوا بعد ثلث ومن مجاهد مسخت قلوبهم ولم تمسخ ابدانهم
واذ تأذن ربك اى اعلم تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم على الشئ يوذن نفسه بفعله
فاجرى مجرى فعل القسم لكى الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم الى يوم القيمة والمعنى واذ اوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب كالاذلال والضريبة بعث الله تعالى عليهم بعد سليمان عليه وعلى نبينا الصلوة والسلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقى منهم وكانوا يودونها الى المجوس حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ففعل بهم ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر ان ربك لسريع العقاب عاقبهم فى الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وامن وقطعناهم فى الارض امما وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قطعا امما مفعول ثان او حال منهم
الصلحون صفة اولى منه وهم الذين امنوا بالدرية ونظرائهم ومنهم دون ذلك اى دون الصلحين صفة اولى منه وهم
عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون يتوبون فيرجعون
عما كانوا عليه فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر وصف به ولذلك يقع على الواحد والجمع
جمع وما هو شائع فى الشر والخلف بالفتح فى الخير والمراد به الذين كانوا فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب التوراة
من اسلافهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا الادنى حطام هذا الشئ الادنى يعنى الدنيا وهو من الدنو
والدناءة وهو مما كانوا يأخذون من الرشى فى الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذ
الله تعالى بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون
وان يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير فى لنا اى يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين الى امثالها متى
عنه الكر يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب فى الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق

ولم ناس دون ذلك
فرق فى الاشتمال دون
المبتدء والخبر فان الاول
الخاء فى محل الاول جزا
الثانى بسنة وبخبر الموصول
سوء ان الكس وان كان ليس
ان يهم لمن دان يتم
بالخبر اخرى وكانهم يرون
الى ان الكون فى الدانية
اولى من
حال من الضمير فى لا يخفى
عليكم ان الحال من
يجوز ان يكون من
وان الخبر اسمى ويدل
عليه الخبر فان يأتوا
المنفية فى تعلم يعلمون
يسيئون ان وخبرها سد
الخبر مسد
يتم عرض الخ

بان لا يقولوا على الله تعالى الا الحق والمراد توبيخهم على الامرين معا وقرأ ابن كثير بالنون على انه اخبار عن نفسه وحده وقرأ على الله تعالى
وخرون من بيتاق الكتاب وهو ما فيه عطف على لم يوخذ من حيث المعنى فانه تقرير لما اوعلى ورثوا وهو اعتراض
والدار الاخرة خير للذين يتقون مما ياخذ مولاء افلا يعقلون فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الادنى الدنى بالموبق الى
العقاب النعيم الخالد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة
عطف على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون اعتراض او مبتدا خبره انا لا نضيع اجر المصلحين على تقدير ضميرهم او وضع الظاهر موضع
المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالملاك من التمسك وقرأ ابو بكر يمسكون بالتخفيف واخر اقامة الصلوة لانها افتها على سائر انواع
التمسكات واذ نتقنا الجبل فوقهم اى قلعناه ورفعناه فوقهم واصل النتق الجذب كانه طلة سقيفة وهى
كل ما اظلك وظنوا وتيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما
اطلق الظن لانه لم يقع متعلقا وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله تعالى الطور فوقهم وقيل
ان قبلتم ما فيها والا يقعن عليكم خذوا اعلى اضمار القول عند قلنا خذوا او قائلين خذوا ما اتيناكم من الكتاب
بقوة بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل لا بتركه كالمنسى لعلكم تتقون قبائح
الاعمال ورذائل الاخلاق واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم اى اخرج من اصلابهم نسلا على ما
يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بنى آدم بدل البعض وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب
ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم اى نصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم الى
الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى فتمكنهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد
والاختراع على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة اى كراهة ان تقولوا انا
كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه بدليل او تقولوا عطف على ان تقولوا وقرأ ابو عمرو بالياء لان اول الكلام
على الغيبة انما اشرك ابآونا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن
من العلم به لا يصلح عذرا انهلكنا بما فعل المبطلون يعنى اباءهم المبطلين بتاسيس الشرك وقيل لما خلق الله تعالى
ادم عليه وعلى نبينا الصلوة والسلام اخرج من ظهره ذرية كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق والهمهم ذلك
لحديث رواه عمر رضى الله تعالى عنه وقد حقق الحلام فيه في شرح لكتاب المصابيح والمقصود من ايراد هذا الاستدلال
هدم الزعم اليهود بقتضى الميثاق العام بما الزمهم بالميثاق الخصوص بهم وانه احتجاج عليهم بالحجج السمعية و
العقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال وكذلك نفصل الآيات ولعلهم
يرجعون اى عن التقليد واتباع الباطل واتل عليهم اى على اليهود نبا الذى اتيناه آياتنا هو اخد علماء بنى اسرائيل
واميتن بلعم الصلت فانه كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا ان يكون هو فلما بعث محمد صلى الله تعالى
عليه وعلى آله وسلم حسده وكفر به او بلعم بن باعوراء من الكنعانيين او في عهد بعض كتب الله تعالى فانسلخ منها من الآيات
بان كفر بها واعرض عنها فاتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه وكان من الغاوين فصار من الضالين روى ان

قوله سألوا ان يدعو على موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ومن معه فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فأمنوا على
حتى دعا عليهم فبقوا في التيه وكونشتا لو رضناه الى منازل الابرار من العلماء بها بسبب تلك الآيات وملازمتها
ولكنه اخلد الى الارض الى الدنيا واولى استفالة واتبع هواه في ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الآيات
وانما علق رفعه بمشية الله تعالى ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشية سبب لفعله الموجب لرفعه
وان عليه دليل عدمها لدلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي هو المشية وان ما نشاهده من الاسباب
وسائط معتبرة في حصول المسبب من حيث ان المشية تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه
اعرض عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وان حب الدنيا راس كل خطيئة
فصفته التي مثل في الخسة كمثل الكلب كصفته اخس احواله وهو ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث دائما
سواء حمل عليه بالزجر والطرد او ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات الضعف فوائه والتهت اذ كلاع اللسان عن النفس
الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى لا هنا في الحالين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع
ووضع المنزلة للبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى عليه السلام خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب
ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص المذكورة على اليهود فانها نحو قصصهم لعلهم يتفكرون
تفكرا يؤدي بهم الى الاعتاظ ما مثل القوم او مثل القوم وكرئ ساء مثل القوم اي مثلهم على حذف المخصوص
بالذم الذين كذبوا بآياتنا بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون داخلا في الصلة
معطوفا على كذبوا بمعنى الذي جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم انفسهم او منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب
الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم
الخاسرون تصريح بان الهدى والضلال من الله تعالى وان هداية الله تعالى تختص ببعض دون بعض وانها مستلزمة
للاهتداء والا فوارد في الاول والجمع في الثاني لاعتبار اللفظ والمعنى تنبيها على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم
بخلاف الضالين والاقتصار في الاخير على ذكر هداه الله تعالى بالمهتدي تعظيم لشان الاهتداء او تنبيها على انه في
كمال الجسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستتبع للفوز بالنعيم الاجيل والعنوان لها ولقد ذرانا خلقنا
لجهنم كثيرا من الجن والانس يعني المصرين على الكفر في علمه تعالى هم قلوب لا يفقهون بها اذ لا يلقونها الى معرفة الحق
والنظر في دلائله وهم اعين لا يبصرون بها اي لا يطرقون الى ما خلق الله تعالى انظار اعتبار وهم اذان لا يسمعون بها الآيات والنذر
سماع تامل وتدبر اولئك كالانعام في عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر او في ان مشاعرهم وقواهم
متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك ما يمكن لها ان تدرك من المنافع والمضار وتجتهد
جلبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار واولئك هم الغافلون
الكاملون في الغفلة ولله الاسماء الحسنى لانها دالة على معان هي احسن المعاني والمراد بها الالفاظ و
الصفات فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا يليق

فيه اذ دعا بوهم معنى فاسد كقولهم يا ابا المكارم يا بيض الوجوه او لانه نداء عما سمى به نفسه كقولهم يا اغر يا لاكعم
اليمامة او وذروهم والحاكم فيها بالباطل وقفا على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا تقوموا
عليه او اعرضوا عنهم فان الله تعالى يجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا يعملون وقرأ حمزة هنا وفي حم السجدة يلحدون بالفتح
يقال لحد والحد اذا مال عن القصد ومن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون ذكر ذلك بعد ما بين ان خلق
للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على انه خلق ايضا للجنة ائمة هادين بالحق عادلين في كل امر واستدل به على صحة
الاجماع لان امر احدهما ان في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله صلى الله عليه وسلم لا يزال من امتي طائفة على الحق
الى ان يأتي امر الله تعالى اذ لو اختص بعهد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم او غيره لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم والذين
كذبوا بآياتنا سنستدرجهم سنأخذهم قليلا قليلا من حيث لا يعلمون ما نوليهم به وذلك ان نتابع عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله تعالى بهم
فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب ومنه الملى لهم ولهلهم عطف على يستدرجهم ان كيدي متين
ان اخذي شديد يحل وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان او لانهم يقابلون ما يصادرهم يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم من حمله جنون روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم على الصفا فدعاهم فخذا فخذا فحذرهم بأس الله تعالى
فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يعوي الى الصباح فنزلت ان هو الا نذير مبين موضح انذاره بحيث لا يخفى على
ناظر ولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء مما يقع عليه الشيء من الاجناس التي لا يمكن حصرها
ليدلهم على كمال قدرته صانعها وعظم شأن مالكها ومتولي امرها لينظروا بعين بصيرة فيؤمنوا به وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم
عطف على ملكوت وان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن
والخبر يكون والمعنى اولم ينظروا في اقتراب اجلهم وتوقع حلوله فيسارعوا الى الطلب والتوجه الى ما ينجيهم قبل مفاجأة الموت
ونزول العذاب فبأي حديث بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان كأنه اخبار عنهم
بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى ان يكون كأنه قيل
لعل اجلهم قد اقترب فبأي حديث بعده يريدون الايمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به
فبأي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به وقوله من يضلل الله فلا هادي له كالتقرير والتعليل
له وقرئ ويذرهم وقرئ بالرفع على الاستئناف وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب ليا به لقوله من يضلل الله وحمزة والكسائي
بالجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل لا يهديه احد غيره ويذرهم يتمادون حال من هم يسألونك عن الساعة
اي عن القيمة وسميت بذلك لغلبة وقوع الاهوال فيها او لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها عند الله تعالى كساعة
ايان مرساها متى ارساؤها اي اثباتها واستقرارها ورسو الشيء ثباته واستقراره منه رسا الجبل وارسى السفينة
واشتقاق ايان من اي لان معناه اي وقت وهو من اويت لان البعض اوى الى الكل قل انما علمها
عند ربي استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها لا يظهر امرها في وقتها الا هو والمعنى ان

الخفاء بها مستمرا على غيره الى وقت وقوعها والكلام المتباعد كالكلام في قوله اقم الصلوة لدلوك الشمس ثقلت في السموات
وكرض على اصلها من الارض مكة والثقلاين هو لها وكانه اشارة الى الحكمة في اخفائها لانها لا تاتيكم الا بغتة فجاءة
على غفلة كما قال عليه السلام ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم
سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه كانك حفي عنها اي عالم بها فعيل من حفي عن الشيء اذا
سال عنه فان من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدي بعن وقيل حفي صلة يسالونك
وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسالونك
عنها كانك حفي تتعنى بهم وتخصهم لاجل قرابتهم بك فبعلمك وقتها وقيل معناه كانك حفي بالسؤال عنها لتخبر بها
حفي بالشيء اذا فرح لانك تكره لا بد من الغيب الذي استاثره الله تعالى بعلمه قل انما علمها عند الله كرره لتكرير يسالونك لما بينهما
من هذا الزيادة وللمبالغة ولان اكثر الناس لا يعلمون ان علمها عند الله تعالى لثقله احد من خلقه قل لا املك
لنفسي نفعا ولا ضرا الا جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية والتبري عن ادعاء العلم بالغيوب الا ما شاء الله من ذلك
فيلهمني اياه ويوفقني له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ولو كنت اعلم ساعة موتي لعجلت
من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسني سوء ان انا الا نذير وبشير وما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة
لقوم يؤمنون فانهم المنتفعون بها ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوف هو الذي
خلقكم من نفس واحدة هو ادم عليه وعلى نبينا الصلوة والسلام وجعل منها من جنسها من ضلع من اضلاعها او من
جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل زوجها حواء ليسكن اليها ليانس بها ويطمئن اليها اطمينان الشيء الى
جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب قوله فلما تغشاها اي جامعها حملت حملا خفيفا
عليها ولم تلق منه ما تلقى منه الحوامل غالبا من الاذى ونحوه خفيفا وهو النطفة فمرت به فاستمرت به وقامت
وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف وفمارت من المور وهو المجيء والذهاب او من المرية اي فطنت الحمل
واربتابه فلما اثقلت صارت ذات ثقل لكبر الولد في بطنها وقرئ على البناء للمفعول اي اثقلها حملها دعوا
الله ربهما لئن اتيتنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين لك على هذه النعمة المجددة
فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما اتاهما اي جعل اولادهما شركاء فيما اتاهما اولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف وعلى
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله فتعالى الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون
الا صنم وقيل الحمل حواء اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة او كلب
وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرت لادم عليه السلام فهما منه ثم عاد اليها وقال اني
من الله تعالى بمنزلة فان دعوت الله تعالى ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه فسميته عبد الحارث
وكان اسمه حارثا في الملائكة فقبلت فلما ولدت سمته عبد الحارث وامثال ذلك لا يليق بالانبياء ويحتمل
ان يكون الخطاب في خلقكم لكل قصي من قريش فانهم خلقوا من نفس قصي وكان لها زوج من جنسها عربية قرشية وطلبا من الله تعالى

الاول فاعطاهما الدعوة بنين فسمّيا ابنهما عبد مناف فعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما وقرأ نافع وابو بكر شركا اي شركة بان اشركا فيه غيره او ذوي شرك وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام جيء به على تسميتهم اياها الهة ولا يستطيعون لهم نصرا اي لعابديهم ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها وان تدعوهم اي المشركين الى الهداية الى الاسلام لا يتبعوكم وقرأ نافع بالتخفيف وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اي ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله تعالى سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون. وانما لم يقل ام صمتم بها للمبالغة في علم افادة الدعاء من حيث انه مسوّ بالثبات على الصمت اولانهم كانوا يدعونها الى جلب نفع فكانه قيل سواء عليكم احدثتم دعاء واستمراركم على الثبات عن دعائهم ان الذين تدعون من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم الهة عبادي امثالكم من حيث انها مملوكة مسخرة فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ان الهة ويجعل انهم مما تحتوتهم بصور الناس قال علي ان قضاي امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال الهكم ارجل تمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها وقرئ ان الذين بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم هنا وفي القصص والدخان قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون فلا تنظرون فانكم لا تقدرون عليه من مكروهي انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فلا تمهلوني فاني لا ابالي بكم لوثوقي على ولاية الله تعالى وحفظه ان ولي الله الذي نزل الكتاب القرآن وهو يتولى الصالحين اي ومن عادته تعالى ان يتولى الصالحين من عباده فضلا عن انبيائه والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون كانهم يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه خذ العفو اي خذ ما عفى لك من افعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد او خذ العفو من الذنبين او الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة وأمر بالعرف بالمعروف المستحسن من الافعال واعرض عن الجاهلين فلا تمارهم ولا تكافيهم بمثل افعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق امره الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بايتائها وامره ان ينزغه من الشيطان نزغ يحتشك منه نخس وسوسة تحملك على خلاف ما امرت به كاعتراء غضب وفكرة والنزغ والنسغ والنخس الغرز سنته وسوسته للناس اغراؤهم على المعاصي واذا عاجا نغرز السائق ما يسوقه فاستعذ بالله انه سميع يسمع استعاذتك عليم يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه وسميع باقوال من اذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم ومن طاف به الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب طيف على انه مصدر او تخفيف طيف كميت

وحنين وتمرد بالتسويط ان الرجس ولذلك جمع ضميره ثم ذكر وأما امر الله تعالى به ونهى عنه فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطإ ومكائد الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها والآية تأكيد وتقرير لما قبلها ولكن اقوله واخوانهم جملتهم اى اخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين اى الغى بالتزيين والحمل عليه وقوى يمدونهم من امل ويمادونهم كانهم يجيبونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يجيبونهم بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردونهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اى لا يكفون عن الغى ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين وبرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له واذا لم تأتهم بآية من القرآن او مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا جمعتها تولا من نفسك كسائر ما تقرأه او هلا طلبتها من الله تعالى قل انما اتبع ما يوحى الى من ربى لست مخترعا للآيات ولست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا القرآن بصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب وهدى وقرة تقوم تهتدون سبق تفسيره واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون نزلت فى الصلوة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضى وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلوة واحتج به من لا يرى القراءة على المأموم وهو ضعيف واذكر ربك فى نفسك عام فى الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما او امر للمأموم بالقراءة سرا بعد قراءة الامام من قراءته كما هو مذهب الشافعى رحمه الله تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فانه ادخل فى الخشوع والاخلاص بالغدو والآصال باوقات الغدو والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اذا دخل فى الاصيل مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله تعالى ان الذين عند ربك يعنى ملائكة العلو الاعلى لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وينزهونه وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين وكذلك شرع السجود لقراءته وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم آية السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى ويقول يا ويلتى امر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلى النار وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعراف جعل الله تعالى يوم القيامة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيامة

سورة الانفال مدنية وآياتها خمس وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

يسألونك عن الانفال اى الغنائم يعنى حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله تعالى وفضل كما سمى به ما ينشطه الامام لمقتحم خطر زيادة على السهم قل الانفال لله والرسول اى امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يامره الله تعالى به وسبب نزوله اختلاف المسلمين فى غنائم بدر كيف تقسم ومن يقسم المجاهدون منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له غناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا انفالهم وكان اهل قليله فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم ولو انهزمتم لفئتم الينا فلا تذهبوا بحقنا فنزلت ففسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء وهذا قيل لا يلزم الامام ان ينفى بما وعد وهو

للشافعي رحمه الله تعالى وعن سعد بن ابي وقاص قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت سعيد بن العاص واخذت
سيفه فاتيت به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك فطرحته في القبض
فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله تعالى من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم سالتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وقرئ يسئلونك عن الانفال بحذف الهمزة
والقاء حركتها على اللام واخامين عن فيها ويسئلونك الانفال اي يسالك اشياء ما شرطت لهم فاتقوا الله في
الاختلاف والمشاجرة واصلحوا ذات بينكم الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله تعالى وتسليم امرهم الى
الله تعالى والرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واطيعوا الله ورسوله فيه ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ذلك وان كنتم
كاملي الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلثة طاعة الاوامر والانتهاء عن المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل
والاحسان انما المؤمنون اي الكاملون في الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما
له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنه خوفا من عقابه وقرئ وجلت
بالفتح وهي لغة وفرقت اي خافت واذا تليت عليهم ايته زادتهم ايمانا لان زيادة المؤمن به اولا طمانينة النفس
واليقين بتظاهر ادلته او بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل
داخل فيه وعلى ربهم يتوكلون يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون الصلاة
ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية
والاخلاص والتوكل وما من اعمال الجوارح التي هي العيار عليها من الصلوة والصدقة وخصا صفة مصليها بالحذف
او مصلي الموكد كقوله ما موعد الله حقا لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو منزلة وقيل درجاتها الجنة يرتقونها
باعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم اعدلهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده كما اخرجك ربك
من بيتك بالحق خبر مبتدا محذوف تقديره هذه الحال في كراهتهم اياها كحالك في اخراجك للحرب في كراهتهم له وصفة
الفعل المقدر وقوله لله والرسول اي الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك
يعني المدينة لانها مهاجره ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موقع الحال اي
اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عيرا قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم
ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبر
المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل
مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم واموالكم ان اصابها محمد لم تفلحوا بعدها ابدا او قد رأت قبل ذلك
مثلث حاتكة بنت عبد المطلب ملكا نزل من السماء ولحذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بلبث في مكة
الا اصابه شئ منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما يرضى رجالهم ان يتنبؤا حتى تنبأ نساؤهم
فخرج ابو جهل يحمج اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان

رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي ذفران فنزل عليه جبرئيل بالوحي احدى الطائفتين اما العير واما القريش فاستشار
اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتاهب له انا خرجنا للعير فرد عليهم فقال ان العير مضت
على ساحل البحر وهذا ابوجهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقام ابوبكر وعمر فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى
عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله تعالى فانا معك حيث
ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن
اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس
وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم براء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف
ان لا يروا نصرته الا على عدو دهم بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال
قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة
فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف
منا رجل واحد وما نكره ان نلقى بنا عدونا وانا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله تعالى يريك منا ما تقر به
عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله تعالى وابشروا فان الله تعالى قد وعدني
احدى الطائفتين والله لكاني انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه السلام لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير
فناداه العباس رضي الله تعالى عنه وهو في وثاقه لا يصلح فقال له فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك
ما وعدك فكره بعضهم قوله يجادلونك في الحق بعد ما تبين انهم ينصرون ايما توجهوا باعلام الرسول صلى الله عليه وسلم كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون اي
يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو ليشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدتهم وانهم
اذ روى انهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر فارسان وفيه اثنا عشر الفا فارسان وفيه اميال الى ان مجادلتهم كان لفرط فزعهم ورعبهم واذ يعدكم
الله احدى الطائفتين بدل اذ كر واحدى ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل عنها انها لكم بدل الاشتمال وتودون
غير ذات الشوكة تكون لكم يعني العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير
لكثرة عددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق بكلماته بما
يظهره ويعليه بكلماته الموحى بها في هذه الحال او بامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين ويستأصلهم
والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا ما لا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم فوق الذي
ليحق الحق ويبطل الباطل اي فعل ما فعل وليس بتكرير للاول بيان المراد وما بينه وبين مراد هم من التفاوت
الذي اشار اليه الداعي الى حمل الرسول صلى الله عليه وسلم على اختيار ذات الشوكة ونصره على ذلك ونكرهه المجرمون
اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكروا استغاثتهم

ان لا يخلص من القتل اخذوا يقولون اى ربنا نصرنا على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر رضى الله
تعالى عنه انه عليه السلام نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو
اللهم انجز لى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال
ابو بكر رضى الله تعالى عنه يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم انى ممدكم بالف
مما كم فخذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر على ارادة القول او اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة
من القول بالف من الملئكة مردفين متبعين للمؤمنين او بعضهم بعضا من ازدفته اذا جئت بعده او متبعين
بعضهم بعضا المؤمنين او انفسهم المؤمنين من ارفته اياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب بفتح الدال اى متتابعين
او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مرتدفين بكسر الراء وضمها واصله مرتدفين بمعنى
متزادفين فادغمت التاء فى الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل وبالضم على الاتباع وقرئ بالالف
ليوافقوا ما فى سورة ال عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة
او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف فى مقاتلتهم وقد روى اخبار تدل عليها وما جعله الله اى الامداد
الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم وما النصر الا من عند
ان الله عزيز حكيم وامداد الملئكة وكثرة العدد والعدد ونحوها وسائط لا تاثير لها فلا تحسبوا النصر منها
ولا تياسوا منه بفقدها اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما فى
من عند الله من معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكر وقرأ نافع بالتخفيف من اغشيته الشئ اذا غشيته اياه الفاعل على القراءتين
هو الله تعالى وقرأ ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع امنة منه من الله تعالى وهو مفعول له بايعتبى المعنى
تولى يغشيكم النعاس تمنحون معنى تغشون ويغشاكم بمعنى تغشاكم امنة فعل فاعله ويجوز ان يراد به ما يكون فعل الغشى وان يخص على
القراءة الاخيرة فضل النعاس على المجاز لانها لاصحاب او لانه كان من حقه ان يغشاهم لشمول الخوف فاغشى عنهم فكان حصلت لهم امنة من الله
تعالى لاجلهم يغشيهم كقوله يهاب النوم ان يغشى عيونا نامة تهابك فهو نقيض رشح وندى وقرئ امنة كرحمة وهى
نعاس فى الصلوة ويكون من النعاس ماء ليطهركم به من الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان يعنى
الجنابة لانها من تخييله او وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روى انهم نزلوا فى كثيب اعفر تسوخ فيه
الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلبهم المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون
وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله تعالى وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل
الله تعالى المطر فمطرهم اليلا حتى سالت الاودية واتخذوا الحياض على عدوة وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضاوا وتلبد
الرمل الذى بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان ويربط على قلوبكم بالثبات
على لطف الله تعالى بهم ويثبت به الاقدام اى بالمطر حتى لا تسوخ فى الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت
فى المعركة اذ يوحى ربك بدل ثان ثالث او متعلق بيثبت او بقوى انى معكم فى اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحى وقرئ

بالكسر على اداة القول واجراء الجر مجراه فثبتوا الذين آمنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله
سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل
فيه مع لكم تمثيلا او على التغيير لهما او على ان قوله سألقي الخ قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كانه
قال قولوا لهم قولي هذا فاضربوا فوق الاعناق اعاليها التي هي المذابح او الرؤس واضربوا منهم كل بنان اي اصابع
جرحوا وازقاروهم واقطعوا اطرافهم ذلك اشارة الى الضرب والامر به والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد من
المخاطبين قيل الآية نزلت يوم بدر وقيل يوم الخندق شاقوا الله ورسوله كسبب مشاقتهم لها واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعاديين في
شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدوة والمحادة من الحد وهو الجانب ومن يشاقق الله ورسوله فان الله
شديد العقاب تقرير للتعليل ووعيد بما اعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة
على طريقة الالتفات وتحله الرفع اي الامر ذلكم او ذوقوا عذاب النار نصب بفعل دل عليه قدوقوه او غيره مثل باشروا او على
ليكون الفاء عاطفة وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا عاجلا
مع آجل الكي في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع المضمر للدلالة على ان الكفر سبب لعذاب الآجل والعاجل يا ايها
ان بالكسر على الاستيناف يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانهم يزحفون
وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع على وقوف لتصابه على الحال فلا تولوهم
الادبار بالهزام تفضلا ان يكونوا مثليكم او قلتم منكم ولا ظهرتم عليهم لحكمة لكنها مخصوصة بقوله حرض المؤمنين الآية ويجوز ان ينتصب
زحفا على الحال من الفاعل والمفعول جميعا اي اذا لقيتموهم متزاحفين يدلونكم وتدلونهم اليكم وتدلونهم فلا تفروا منهم فالقاه
وعلا ويكون اشعارا بانه سيكون منهم يوم حنين حين تولوا يوم اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا
لقتال ليكر بعد الفر وتقرير العدو فانه من مكائد الحروب او متحيزا الى فئة اخرى من المسلمين على القرب
للمستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روي ان عمر رضي الله تعالى عنه انه كان في سرية بعثهم رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا
ومتحيزا على الحال او لانه مفعول له والاستثناء من المولين اي الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل
والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هذا اذا لم يزد العدو على
الضعف لقوله الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر قتلتموهم والخاضرين معه في الحرب
فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روي انه لما طلعت
قريش من العقنقل قال صلى الله عليه وسلم هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسألك
ما وعدتني فاتاه جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا
من الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون
يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت فانزلت والفاء جواب الشرط المحذوف

ولكن الله قتلهم نفى ان يكون القتل صادرا عنهم على الوجه المعتاد وهو التأثير بقوتهم واثبته لله على الوجه الخارق
للعادة وما رميت اذ رميت نفى ان يكون الرمي الذي هو سبب الاصابة صادرا عنه صلى الله عليه وسلم وهو حذف
المصيب وايصال الرمي اليه ولكن الله رمى اثبت له ذلك على الوجه الخارق للعادة وهو ان الرمية الواحدة صارت رميات
كثيرة حتى ملأت اعين الكل وافواههم او ان الرمي كان يوم حنين واما المنفيون فقد ذكروا الرمي في المواضعين ١٢ كشف

تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وما فعلت ذلك بقوتكم ولكن الله فعله
ليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع لدعائهم عليم بنياتهم ذلكم ايها المؤمنون البلاء الحسن
والقتل والرمي وقرئ موهن كيد الكافرين بالاضافة والتخفيف ان تستفتحوا ايها الكفار
فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين اراد الخروج تعلقوا باستار
الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا عن الكفر
ومعاداة الرسول فهو خير لكم وان تعودوا لنعد لنصره وان تغني لن تدفع عنكم فئتكم
جماعتكم شيئا من الاغناء او المضاء ولو كثرت فئتكم وان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة
وقرأ نافع وابن عامر وحفص وان الفتح على معنى ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب
للمؤمنين والمعنى ان يستنصر فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التحاسد في القتال والرغبة عما
استأثر الرسول صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم وان تعودوا له نعد عليكم بالانكار وتغيير العدو
ولن تغني حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله تعالى معكم بالنصر فانه مع الكاملين في ايمانهم وفي ذلك
يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اي لا تتولوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم فان المراد من الآية
الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله تعالى للتوطئة والتنبيه على ان طاعة الله
تعالى طاعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد
والاول ادل على العلية وانتم تسمعون القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا
سمعنا كالكفرة والمنافقين الذين ادعوا السماع وهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به فكأنهم لا يسمعون ان شر الدواب
عند الله شر ما يدب على الارض او شر البهائم الصم عن الحق البكم الذين لا يعقلون اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم
شرها لانطباقهم على ما يتبع الشهوة ويؤثر اللذة ولو علم الله فيهم خيرا اسعادة كتبت لهم او استعدادا بالآيات لاسمعهم
سماع تفهم ولو اسمعهم وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا ولكرهوا ما سمعوا ابرارا وتبعا للتصديق والقبول وهم معرضون عنها
وقيل كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم احي لنا قصيا فانه كان شيخا صالحا كي يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم
كلام قصي يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم وحمل الضمير فيه كما سبق ولكن دعوة

الله تعالى سمع من الرسول صلى الله عليه وسلم وروى انه عليه السلام مر على ابي وهو يصلي فدعاه فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن ايجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الى استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لا تقطع الصلوة فان الصلوة ايضا اجابة وقيل ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التاخير والمصلي يعظم الصلوة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول وانما يحييكم من العلوم الدينية فانها حية القلب والجهل منه قال تعالى لا يحيى بعقله الا حلته فان الجهل موت وتوبيخ لمن اعرض عما يورث الحياة الابدية الى الغير الدائم من العقائد والاعمال ومن الجهاد فانه سبب بقائكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله تعالى احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب مما يسرع فعله عنه صاحبها او حث على المبادرة الى الاخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله تعالى بينه وبين قلبه بالموت وغيره او تصوير وتخييل لانه لكم على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ المرء بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يمتنع فيه وانه اليه تحشرون فيجازيكم باعمالكم واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة بل تعمكم عامة ايقوا ذنبا يعم اثره كاثار المنكرين اظهركم والمداهنة في الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتماسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم وفيه ان جواب الشرط متردد بما يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم وامتناع صفة لفتنة وهو للنفي وفيه شذوذ لان النون لا تدخل للنفي في غير القسم او للنهي على ارادة القول كقوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاؤا بمزق هل رايت الذئب قط واما جواب قسم محذوف فكقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد امر بالقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته ان الله نهى عن الظلم منكم اقبح من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض ارض مكة يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم تخافون ان يتخطفكم الناس كفار قريش او من عداهم فانهم كانوا جميعا معادين مضادين لهم فاواكم الى المدينة او جعل لكم ماوى تحصنون به على اعدائكم وايدكم بنصره على الكفار او بظاهر قلانصا او ايام اذلالكم يوم بدر وزرقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول بتعطيل الفرائض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون وبالغلول في المغانم وروي انه عليه الصلوة والسلام حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات وازرح من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا فقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت

انى قد خنت الله تعالى ورسوله صلعم فارتئت فشكل نفسه على سارية فى المسجد فقال الله لا اذوق طعاما ولا شرابا
حتى اموت او يتوب الله تعالى على فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله تعالى عليه فقيل له قد تيب عليك
فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلنى فجاءه فحله بيده فقال ان
من تمام توبتى ان اهجر دار قومى التى اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالى فقال صلى الله عليه وسلم يجزئك الثلث
ان تصدق به واصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله فى ضد الامانة لتضمنه اياه وتخونوا
امانا تكم فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على اله قل او منصوب على الجواب باذا وانتم تعلمون انكم تخونون او انتم
علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لما غر سبب الوقوع فى الاثم والعقاب او محنة
من الله تعالى ليبلوكم فيه فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابى لبابة وان الله عنده اجر عظيم لمن اثر رضى الله تعالى
عليهم وراعى حدوده فيهم فانطوا هما كم واياه كم بما يوجبه يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا
هداية فى قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين الحق والمبطل باعزاز المومنين واذلال الكافرين او نجاة
من الشبهات او نجاة مما تحاذرون فى الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبقى ذكركم من قولهم ظهر فلان اذا صح
اى الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم ويسترها او يغفرها لكم فلا تؤبخكم بالتجاوز والعفو عنها وقيل السيئات الصغائر والذنوب
الكبائر وقيل المراد بالتقدم وما تاخر ما سلف لها فى اهل بدر والله ذو الفضل العظيم تنبيه على ان ما وعدهم
هم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجبه تقوامهم عليه تعالى كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل واذ يمكر بك
الذين كفروا واذكر يا محمد قريشا حين كانوا بمكة ليشكروا نعمة الله تعالى فى خلاصه من مكرهم واستيلائه
عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك ليثبتوك بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته
لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليثبتوك من الثبات وليقيدوك او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك
من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومتابعتهم قريشا اجتمعوا فى دار الندوة متشاورين فى امره صلى الله عليه وسلم فدخل
عليهم ابليس فى صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن يعدموا منى رايا ونصحا فقال ابو البختري
رايى ان تحبسوه فى بيت وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ
بئس الراى ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايى ان تحملوه على جمل فتخرجوه من
بين اظهركم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الراى يفسد قومكم غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل
بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه فى القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم
فاذا طالبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رايه فاتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر
وامره بالهجرة فبيت عليا كرم الله تعالى وجهه على مضجعه وخرج مع ابى بكر رضى الله تعالى عنه الى الغار ويمكرون ويمكر الله
بحكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه او بعامله المكرين معه بان اخرجهم الى بدر وقتلهم المسلمين فاسرهم حتى قتلوا
عليهم فقتلوا والله سريع المكر لا يؤبه بمكرهم دون مكر وانما استاد امثال هذا انما يحسن للمزاوجة وكانوا طلقا

ف قوله
وانما السدوة بمكة بناها
قصى ليستند واالتى يحمعوا
للمشاورة واتى بحديث

ف قوله
اى ان ذكر الكفرة ولم يقل
والله سبحانه اعلم

ف قوله
الخ على الاولين مجاز
مرسل وعلى الثالث
استعارة على الاول
من قبيل ذكر المتعلق
ارادة المتعلق
وعلى الثانى فى الكلمة
فى الاولين وبهما
فى الاول
فى الثالث وذكر المشية
وهو الملزوم ارادة المشية
وهو الاخراج و
التعليل بجامع
الانتفاء

ابتداء ما فيه من اوهامهم الذم واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا وهو قول النضر بن الحارث
واستيناف الجملة استئناف ما دخله رئيس القوم اليهم فانه قد كان قطعهم او قول الذين اجرموا في امره صلى الله عليه وسلم
وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يبتدئوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عنه
ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سواه مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان ان هذا الا اساطير
الاولين ما سطره الاولون من القصص واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من
السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من كلام ذلك القائل البالغ في الجحود روي انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين
قال له النبي صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله تعالى فقال ذلك والمعنى ان كان القرآن حقا منزلا فامطر الحجارة علينا
عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد به انهكم واظهرها اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ
الحق بالرفع على ان هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذي
يدعيه النبي صلى الله عليه وسلم وهو تنزيله لا الحق مطلقا ليتجوز منهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون بيان لما كان الموجب لمهلهم
والتوقف لاجابة دعائهم عليه والام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استيصال والنبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم مخارج عن
عادته تعالى غير مستقيم في قضائه تعالى والمراد بالاستغفار اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم اغفر لنا وفرضه على
سبيل التهكم او لا يعذبهم بالاستئصال وهم يستغفرون لما كان فيهم من المؤمنين او لانهم كانوا يقولون غفرانك
سعني لو استغفروا او لا يعذبهم بالاكفوله تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله
وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام وما لهم ذلك وما
صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الى الهجرة ولصدهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه ان الاولياء له ان يستحقوا
ولاية امره مع شركهم وهو دليل على انهم كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء
ان اولياؤه الا المتقون من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضمير ان لله وذكر الكثير
لان الولاية لهم عليه كانه نبه بالاكثر ان منهم من يعلم ويعاند واراد به الكل كما يراد بالقلة العدم
لا يعلمون ان الامر كذلك وما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء وتصدية صلوة او ما يسمونه صلوة او ما يضعون موضعها الا مكاء صفيرا
تفعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكاء وتصدية تصفيقا تفعله من الصد او من الصد على
احد رأيين في التضعيف بالياء وقرئ صلوتهم بالنصب على انه الخبر المقدم وساق الكلام لتقرير استحقاقهم
العذاب لا لعدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلوته روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء
مشتبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلى الله عليه وسلم
ان يصلي يخلطون عليه ويريدون انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب يعني القتل والاسر يوم بدر وقيل
عذاب الآخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب اليم بما كنتم تكفرون او من اعتقاد او
عملا ان الذين كفروا وينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا

اثنى عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشرة جزرا وقيل سبعة استأجر ليوم احد اثنين من العرب سوى من استجاش من العرب واتفق عليهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وموافاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وموافاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير مقصود وحاصل ذلك انها تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون اخرا مرة وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين اي الاموال التي كفروا اي الذين ثبتوا على الكفر منهم اذا سلم بعضهم الى الجنة إلى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجمعه ويضم بعضه على بعض حتى يتراكبوا الفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كما ان الكافرين فيجعله في جهنم كلها او ذلك اشارة الى الخبيث لانه مقابل بالفريق الخبيث او الى المنفقين ثم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا يعني ابا سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم ان ينتهوا عن معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على انه خطابهم فيخفر على البناء للفاعل وهو الله تعالى وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين كفروا على الانبياء عليهم السلام بالتدمير مما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم الاديان الباطلة فان انتهوا عن الكفر فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب بالتاء على معنى ان الله تعالى بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الاسلام والايمان بصير يجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقابليهم للتسبب وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بعداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم اي الذي اخذتموه من الكفار قهرا من شيء مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط فان لله خمسه مبتدأ خبره محذوف اي فثابت ان لله خمسه وقرئ فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله تعالى للتعظيم كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فكانه قال فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء كما كان يصرف اليه وحكمه بعد باق غير ان سهمه الرسول صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان وقيل

الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى سهمه وسهم ذوي القربى ساقط بوفاته صلى الله
عليه وسلم وصار الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية وعن مالك رحمه الله تعالى الامر فيه مفوض الى راي الامام
يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر الاية وقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله تعالى الى الكعبة لما روي
انه عليه السلام كان ياخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم الله تعالى لبيت المال وقيل هو
مضموم الى سهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وذو القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم قسم سهم
ذوي القربى عليهما فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم عثمان وجبير بن مطعم رضي الله تعالى عنهما هؤلاء اخوتك بنو هاشم
لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله تعالى منهم ارايت اخواننا من بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن
وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا في اسلام وشبك بين اصابعه وقيل
بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش والغني والفقير فيه سواء وقيل مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل
الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والاية نزلت ببدر وقيل
كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة ان
كنتم امنتم بالله متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اي ان كنتم امنتم بالله تعالى فاعلموا انه تعالى جعل الخمس لهؤلاء فسلموه
اليهم واقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملي اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض
والمقصود بالذات هو العمل وما انزلنا على عبدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من الايات والملائكة والنصر وقرئ عبدنا
بالضمتين اي الرسول والمؤمنين يوم الفرقان يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان المسلمون
والكفار والله على كل شيء قدير فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة اذ انتم بالعدوة الدنيا
بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة
ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وهم بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تانيث الاقصى وكان قياسه قلب
الواو كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا
والركب اي العير او قوادها اسفل منكم في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف
واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على
المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين والتياث
امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى
فيها الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم
انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منهم وياسا من الظفر عليهم ليتحققوا
ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله تعالى خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ولكن جمع بينكم على هذه
الحال من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه

وقوله ليهلك من هلك عن بينة فيحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت كفر من مات عن بينة عاينها وليعيش من يعيش عن حجة شاهدها الثلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الايات الواضحة او ليصدق من كفر ايمان من امن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والاسلام والمراد من هلك ومن حي المشارف للهلاك والنجوة او من هو لحاله في علم الله تعالى وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرأ ابن كثير برواية البزي ونافع وابو بكر ويعقوب من حيي بفك الادغام للحمل على المستقبل وان الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من امن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك قليلا مقدر باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بعليم اى يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في رويا ك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم في الامر امر القتال وتفرقت اراءكم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها وما يغير احوالها واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا الضمير ان مفعولا يرى وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرويا الرسول صلى الله عليه وسلم ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل انهم اكلة جزور قللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترءوا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يروهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم ايات تلك الواقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله تعالى الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشروط ليقضي الله امرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به اولان المراد بالامر ثمة ما يتعلق بالمؤمنين وههنا اعز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه والى الله ترجع الامور يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا وقد مر تفسيرها ولم يصفها بالكثرة لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا لقاءهم واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله تعالى وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل اليه بكنه همته فارغ البال واثقا بان لطفه تعالى لا ينفك عنه في شيء من الاحوال واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا باختلاف الاراء كما فعلتم ببدر واحد فتفشلوا جواب النهي وقيل عطف عليه وكذلك قرئ وتذهب ريحكم بالجزم الريح مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله تعالى وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا ان الله مع الصابرين بالكلاءة والنصرة ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعني اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير بطرا فخرا واشرا ورياء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا جحفة واتاهم رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا وننحر بها الجزور ونطعم بها

القيان ونطع بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كاس المنايا وناحت عليهم النوائح فهتى المؤمنين
ان يكونوا مثلهم بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا اهل تقوى واخلاص من حيث ان النهى عن الشئ لمر يضاد ويصد
عن سبيل الله معطوف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذلك ان جعل مفعولا له لكن على تاويل المصدر
والله بما يعملون محيط فيجازيكم عليه واذ زين لهم الشيطان مقدر باذكر اعلمهم في معاداة الرسول صلى الله تعالى
عليه وسلم وغيرها بان وسوس اليهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم مقالة نفسانية والمعنى انه القى
في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يأمرهم
انها قربات تجيرهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين واهدى الدينين وكلم خبرا غالبا في صفته وليس بصلته ولا
لا يتصل كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اى تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى
اى بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سيبطل كيدكم وقال انى ترى ما لا ترون ان اخاف الله رأى مالا ترون
وخاف عليهم وايس من حالهم لما رأى امداد الله تعالى المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير
ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك الكنانى
وقال لا غالب لكم اليوم وانى جيركم من بنى كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام
فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال انى ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما
بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتنى هزيمتكم فلما اسلموا
الله الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله انى اخاف الله ان يصيبنى بكروهها من الملائكة وانى لهلكنى
ويكون الوقت هو الوقت المعهود اذ رأى فيه ما لم يرقبله والاول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله شديد
العقاب يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستأنفا اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض والذين اظهروا
الايمان بعد وبقى في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنفقون والعطف لتغاير الوصفين غروا هؤلاء
بعثوا المؤمنين دينهم حين تعرضوا لما لا يدى لهم به فخرجوا معهم ثلثمائة وبضعة عشر الى هاء الف ومن يتوكل على
الله جواب لهم فان الله عزيز غالب لا يذل من استجار به وان قل حكيم يفعل بحكمة البالغة ما يستبعده العقل
ويعجز عن ادراكه ولو ترى ولو رأيت فان لو تجعل المضارع ماضيا كقوله ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يبدو اظهر
والمفعول محذوف اى لو ترى الكفرة او حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز
ان يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدأ خبره يضربون وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغنى
فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم او من الملائكة او منهما لاشتماله على الضميرين واديارهم ظهورهم ثم واستاهم
ولعل المراد تعميم الضرب اى يضربون ما اقبل منهم وما ادبر ويقولون ذوقوا عذاب الحريق عطف على يضربون
بإضمار القول اى يقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الاخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها
التهبت النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله ذلك الضرب والعذاب بما قدمت ايديكم

ان بدئ في الرجعة الاولى شيئا على طريق سوق اوسنه ومن المنبوذ اليهم او منهما على غيره وقوله ان الله لا يحب الخائنين
تعليل للامر بالنبذ ونهى عن مباشرة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستيناف ولا تحسبن خطاب للنبي وقوله
الذين كفروا وسبقوا مفعولان وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد او من خلفهم او
الذين كفروا والمفعول الاول لنفسهم فحذف للتكرار وعلى تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية
كالموصول لا حيز لها فلا عائد على انها لا يعجزون بالفتح على قراءة ابن عامر وان لا بسلة وسبقوا
حال بمعنى سابقين اي فائتين ولا اظنهم اي تعليل للنهي اي لا يحسبنهم سبقوا فاتلتوا انهم لا يفوتون
الله تعالى او لا يجدون ظنا بهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان الا انه تعليل على سبيل الاستيناف
وكمل الآية ازاحة محل يحتمل ان يكون من تمام العهد وما بعده وقيل نزلت فيمن فاتنا من قتل المشركين واعدوا
ايها المؤمنون لهم لناقضي العهد او الكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة
بن عامر سمعته عليه السلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلثا ولعله صلى الله تعالى عليه وسلم
خصه بالذكر لانه اقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل التي ترتبط في سبيل الله تعالى فعال بمعنى مفعول او مصدر سمي
به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة وربابا او جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها
جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة ترهبون به تخوفون به وعن بعضهم
بالتشديد وايضا ربما استطعتم او للاعداد عدة الله وعدوكم يعني كفار مكة واخرين من دونهم من غيرهم من
الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم ليجازيهم وما
تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم جزاؤه وانتم لا تظلمون بتضييع العمل او نقص الثواب وان جنحوا ما لوا وسالم
وقد يتعدى باللام والى للتسلم للصلح والاستسلام وقرأ ابو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد معهم وتانيث الضمير لحمل السلم
على نقيضها فانه قال + السلم تاخذ منها ما رضيت به + والحرب يكفيك من انفاسها جرع + وقرئ فاجنح بالضم وقرئ
على الله ولا تخف من ابطانهم خدعة فانه فان الله تعالى يعصمك من مكرهم ويخيفهم بهم انه هو السميع لاقوالهم العليم
بنياتهم والآية مخصوصة باهل الكتاب لانصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها اية السيف وان يريدوا ان يخدعوك
فان حسبك الله فان محسبك الله وكافيك قال جرير + اني وجدت من المكارم حسبكم + ان لا تليموا حرة الاثواب
وتشتوا هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين جميعا والف بين قلوبهم مع ما فيهم من العصبية والضغينة
في ادنى شيء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يتالف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته صلى الله
عليه وسلم وبيانه لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اي تناهى عداوتهم الحمل لو انفق منفق
في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال لم يقدر على الالفة ولاصلاحهم ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة
فانه الملك القلوب يصرفها كيف يشاء انه عزيز تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريده حكيم يعلم انه كيف ينبغي
ان يفعل ما يريد وقيل الآية في الاوس والخزرج وكان بينهم احن لا امد لها ووقائع هلك فيها ساداتهم فالسلم

الله تعالى ذلك في انه يكفيهم بلا اسباب حتى تصافوا وصاروا اثنين يا ايها النبي حسبك الله كافيك ومن اتبعك من المؤمنين
اي كافيك ومن اتبعك فمن في محل النصب على المفعول معه كقولك حسبك وزيدا درهم ويجوز ان يكون في محل الرفع عطفا على اسم الله اي كفاك الله وكفى المؤمنون وقيل نزلت بالمدينة في غزوة بدر وقيل نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل نزلت في السبعين الذين تبايع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة ثلثة وثلثون رجلا وستة نسوة ثم اسلم عمر رضي الله تعالى عنه فنزلت وكذلك قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه نزلت في اسلام عمر يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال بالغ في حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفي على الموت وقرئ حرص من الحرص ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا امر في معنى الاخبار بصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله تعالى وتاييده وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر يكن بالتاء في الآيتين ووافقهم البصريان في ان تكن منكم مائة بانهم قوم لا يفقهون لبنائه على الجحد اذ المعنى ما فقههم بالله تعالى واليوم الآخر لانهم لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالي الدرجات فقتلوا او قتلوا ولا يستحقون من الله تعالى الا الهوان والخذلان الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله لما اوجب الله تعالى على الواحد ان يثبت للعشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد للاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بان لا يفر مائة منهم لمائتين ثم لما كثروا خفف الله تعالى عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين والله مع الصابرين بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون وما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد لان تكون له اسرى فقرأ البصريان بالتاء حتى يثخن في الارض يبالغ في القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض اذا اثقله واصله التخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها بالفداء والله يريد الآخرة يريد لكم ثواب الآخرة او سبب يوصل الآخرة من اعزاز دينه ورفع اعلائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف كقوله عليه الصلوة والسلام اكل امرئ تحسبين امرأ ونار تؤقد بالليل نارا والله عزيز يغلب ولياء على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ومنع عن الاثخاء حين كان الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي انه عليه السلام اتى يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشارهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله تعالى يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر رضي الله تعالى عنه اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله تعالى اغنانا عن الفداء مكني من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فتضرب اعناقهما فلم يهو ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله تعالى ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله تعالى ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين

دنيا فاخير اصحابه فاخذ والفداء فنزلت فدخل عمر رضي الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا هو
وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم
الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة قريبة ولآية دليل على ان الانبياء يجتهدون والله قال كان
خطأ ولكن لا يقرون عليه لو لا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم الآية في اللوح المحفوظ وهو ان لا يعذب
احدا في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر وقوما بما لم يصرح لهم به النهي عنه او ان الفدية التي اخذوها
ستحل لهم لكم فيما اخذتم من الفدية عن ابي عبيدة روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لو نزل
العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان وكلوا مما غنمتم من الفدية فانها
من جملة الغنائم وقبل لم يكونوا اعلموا بحل الغنائم فنزلت والفاء للتسبب والسبب محذوف وتقديره احببت لكم الغنائم فكلوا وتعوه
تشبث من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة حالا من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا طيبا
او اكلا حلالا طيبا وقرئ بفتح الطاء على لغة من يتبع الحركة الحركة او حمي منها على لغة من يسكن الوسط
من يخالفه ان الله غفور رحيم لكم ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى
قرأ ابو عمرو من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء
روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما علم ان في العباس رضي الله تعالى عنه اسلم ان يفادي نفسه وابني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن
الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال صلى الله عليه وسلم فاين الذهب الذي دفنته انت وام الفضل وقلت
خرجت وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم
فقال وما يدريك قال الخبر ربي به قال فاشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطلع
على هذا احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل قال العباس رضي الله تعالى عنه فابدلني الله تعالى خيرا من ذلك الآن
عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ولا اظن ان الله تعالى يغفر لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر
المغفرة من ربي يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا يعني الاسرى خيانتك فقد خانوا
الله من قبل بالكفر ونقض ميثاق المأخوذ بالعقل من قبل امكن منهم اي فامكنك منهم كما فعل يوم
فان عادوا للخيانة فيمكنك منهم والله عليم حكيم ان الذين امنوا وهاجروا وهم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا
لله ولرسوله وتجلدوا واياموا لهجرة فصرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها على الجاهدين وانفسهم في سبيل تمامية لنفقة
والذين اووا وآووا رسول الله وايدوه بالانصار اووا المهاجرين الى ديارهم وانصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء بعض في الميراث
وكان المهجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
وبالنصرة والمظاهرة والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا اي من توليهم في الميراث
وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كانه بتولية صاحبه يزاول عملا وان استنصروكم
في الدين لتعليمكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق وعهد فانه لا ينقض

تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض في الميراث والموازرة وهو
بمفهومه يدل على منع التوارث والموازرة بينهم وبين المسلمين لا تفعلوه ان لا تفعلوا ما امرتم به من التواصل
بينكم وتولي بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض تحصل فتنة
فيها عريضة وهي ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدين وقرئ كثير والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في
سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا للمقابلة المؤمنين ثلثة اقسام بين ان الكاملين في الايمان
منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعد لهم المغفرة
لهم ومغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه ثم اخبر بهم في الآخرين من يلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين
امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض في التوارث من الاجانب في كتاب الله في حكمه او في اللوح او القرآن واستدل به على توريث ذوي
الارحام ان الله بكل شيء عليم من المواريث والحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار
القرابة ثانيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد له بري
من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته في الدنيا

سورة براءة مدنية

وقيل الا يمن قوله لقد جاءكم رسول وهي اخر ما نزلت وهما اسماء اخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة
والمنقرة والمثيرة والحافرة والبحثة والفاضحة والمخزية والمكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين و
من النفاق وهي التي تأرمنه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم وبيل ملا
عليهم وايها مائة وثلثون وقيل تسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان النبي صلى الله
عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة او اية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها ان
في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلف الصحابة رضي الله تعالى عنهم في انهما
سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب بسم الله براءة من الله ورسوله
اي هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصل من الله ورسوله ويجوز ان تكون براءة مبتدأ
لتخصصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله
ورسوله صلى الله عليه وسلم بريا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله وبرسوله والمعاهدة
بالمسلمين للدلالة على ان يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله تعالى وانفاق الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم فانهما بريا منها وذلك ان منهم عاهد ومشركي العرب فنكثوا الا ناسا منهم بنو ضمرة وبنو
كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين واجل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا فقال فسيحوا في الارض اربعة
اشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لانها نزلت في شوال وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم

وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روى انه لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم عليا رضى الله تعالى عنه راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر رضى الله تعالى عنه
اميرا على الموسم فقيل لو بعثت بها الى ابى بكر فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا يؤدى عنى الا رجل منى فلما دنا
على رضى الله تعالى عنه سمع ابو بكر رضى الله تعالى عنه الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فلما لحقه قال اميرا او مامورا قال لا مامورا فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر رضى الله تعالى عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام
على رضى الله تعالى عنه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس انى رسول رسول الله اليكم فقالوا باعيادا فقرأ عليهم
ثلثين او اربعين اية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل
الجنة الا كل نفس مومنة وان يتوالى كل ذى عهد عهده ولعل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يؤدى عنى الا رجل منى ايس على العموم
فانه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث لان يودى عنه كثير الم يكونوا من عشيرته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة
العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه فى بعض الروايات لا ينبغى لاحد ان يعقد
هذا الا رجل من اهلى واعلموا انكم غير معجزى الله لا تفوتونه وان الله مخزى الكافرين بالاسر والقتل
فى الدنيا والعذاب فى الاخرة واذان من الله ورسوله الى الناس اى اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء
ورفعه كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الاكبر يوم النحر لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه وما
روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات فى حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة
لقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى بالحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع فى ذلك اليوم من
اعماله فانه اكبر من باقى الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيد اعياد اهل الكتاب ولانه
ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان الله اى بان الله تعالى برئ من المشركين اى من عهودهم ورسوله عطف
على المستكن فى برئ او على محل ان واسمها فى قراءة من كسرها اجراء للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على
اسم ان او لان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة من الله ورسوله اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب
الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين فان تبتم من الكفر والغدر فهو التوبة خيرا لكم وان
تولّيتم عن التوبة او تبتم عن الاسلام الوفاء فاعلموا انكم غير معجزى الله لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا فى الدنيا وكبر الذين كفروا
استدراك وكانه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط
العهد ولم ينكثوه او لم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ولم يعاونوا عليكم احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم
الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى
فاذا انسلخ انقضى واصل الانسلاخ خروج الشئ مما لابسه من سلخ الشاة الاشهر الحرم وهى التى ابيح للناكثين ان يسيحوا
فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضى بقاء حرمة الاشهر الحرم

اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فاقتلوا المشركين الناكثين حيث ثقفتموهم من حل وحرم وخذوهم واسروهم
والاحيذ الاسير واحصروهم واجلسوهم واحلوا بينهم وبين المسجد الحرام واتخذوا لهم كل مرصد كيما يحرموا
البلاد وانصبوا لهم على الطرق فان تابوا عن الشرك بالايمان وآقاموا الصلوة واتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم
فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تعرضوا لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يحكم بسلبك الله اياه
تعليل الامر اى فخلوهم لان الله تعالى غفور رحيم غفر لهم ما سلف ووعدهم الثواب بالتوبة وان احد من المشركين الخ اعتراض
بالعرض عليه استجارك استامنك وطلب منك جوارك فاجره فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة
الامر حتى يبلغه مامنه موضع امنه ان لم يسلم ولعل رفع يفعل يقتضيه ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل
ذلك الامن والامر بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد من امانهم حتى يسمعوا
ويتدبروا كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون
لهم عهد ولا يكتفوه مع غدرهم صدوهم اولان يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم
للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو على الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين
حال من العهد والمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قيل ومحله
النصب على الاستثناء والى على البدل او الرفع على ان الاستثناء منقطع اى ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام
فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اى فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله تعالى
فاتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما يحتمل الشرطية والمصدرية ان الله يحب المتقين تسبب بيانه
كيف تكرار الاستبعاد باثباتهم على العهد ويقابل حكمه مع التنبيه على العلة وتخير الفعل للعلم به كما في قوله ء وخيرهم
اغا الموت بالقرى كيف وهاتا هضبة وقليب اى فكيف ماتا وان يظهروا عليكم اى وجدوا الفرصة يظفروا بكم
لا يرقبوا فيكم لا يراعوا انيكم لا حلفا وقيل قرابة قال حسان رضي الله تعالى عنه لعمرك ان الك من قريش
كالسقب من رأل النعام وقيل ربوبية ولعله اشتق للحالف من الالية وهو الحجارة لانهم كانوا اذا تحالفوا
رفعوا بها اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية
وقيل اشتقاقه من آل الشيء اذا حلده او من آل البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى الاله لانه قوي ايلا يجير الا
وجبريل وكاتبه شهدا وحقا تجاعلى العقائد ترضونكم بافواههم استيناف بسبب حال المنافقين بثباتهم على العهد المؤدية
الى مراقبتهم عند التظفر وكا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بجدهم لو علموا لا يرضون وكان المراد اثبات
ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا
بهم لم يبقوا عليهم وكل الله تنافيه وتأبى قلوبهم ما يتقوه به افواههم والكثرة فسقون متمردون لا عقيدة تحملهم ولا مروءة ترد عليهم
وتخصيص اكثرهم لما في بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر احد وتبة السوء اشتروا بايات الله استبدلوا
بالقرآن ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات صدوا عن سبيله دينه الموصل اليه

او سبيل بينه بجعل الحج والعمار والقيام للدلالة على ان اشتراءهم اذاهم الى الصيد انهم مساء ما كانوا يتاجرون عملهم هذا
او دل عليه قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة فهو تفسير للاكثر وقيل الاول اعم في المنافقين وهذا خاص في الذين
اشتروا وهم اليهود والاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم فان تابوا
عن الكفر واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الآيات لقوم
يعلمون اعتراض للحث على امتثال ما فصل من احكام المعاهدين واحوال الناكثين وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وان
نكثوا اما بايعوا عليه من الايمان والوفاء بالعهود وطعنوا في دينكم بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اي
فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوي الرياسة والتقدم في الكفر احقاء بالقتال
وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتالهم اهم وهم احق او للمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم وابن
عامر وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن انهم لا ايمان لهم
اي لا ايمان لهم على الحقيقة ولا الما طعنوا ولينكثوا وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به
على ان يمين الكافر ليس بيمين وهو ضعيف لان المراد نفي الوثوق عليها لانها ليست بايمان لقوله وان نكثوا ايمانهم
وقرأ ابن عامر لا ايمان بمعنى لا امان او لا اسلام وتثبت به من لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان
يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار عن قوم معينين او ليس لهم ايمان فيرتبوا لاجله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا
اي ليكن غرضكم في المقاتلة ان ينتهوا مما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة الموذين الا تقاتلون قوما نكثوا
على القتال الان الهمزة دخلت على النفي للانكار فافادت التبالغة في الفعل نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع الرسول و
المؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا في امره بدار الندوة
على ما مر ذكره في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة
وهم بدأوكم اول مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم بدأهم بالدعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدي
به فعدلوا عن معارضة الى المعاداة والمقابلة فيما يعلم ان تعارضوهم وتصادموهم اتخشونهم اتتركون
قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره ان كنتم مؤمنين
فان قضية الايمان ان لا يخشى الا الله قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعد على تعذيبهم الله يعذبهم
بايديكم ويخزهم ويخزيهم وينصركم عليهم وعد لهم بان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم ويشف صدور قوم مؤمنين
يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقيل وفي الله تعالى عما
كان في قلوبهم من الموجدات ويتوب الله على من يشاء ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا
وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة
قوم آخرين والله عليم بما كان وبما سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة ثم حرضهم خطاب للمؤمنين

حين كره بعضهم القتال وقيل للملتقين وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان ان تتركوا ولما يعلم
الله الذين جاهدوا منكم ولم يتبين المخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غير سأم نفى العلم وارادنفى المعلوم للمبالغة
فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه وقم بالنصب واعطف على جاهدوا داخل في الصلة
من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما في لما من معنى التوقع
منبئة على ان تبيين ذلك متوقع والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قولهم لو علم
الله ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما جمع
لانه قبلة المساجد وامامها فعامرهم كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين
على انفسهم بالكفر باظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين
عمارة بيت الله تعالى وعبادة غيره روي انه لما اسر العباس عيرة المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له علي رضي
الله تعالى عنه في القول فقال مالكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة
ونسقي الحجيج ونفك العاني فانزلت اولئك حبطت اعمالهم التي تفتخرون بها فاثار من الشرك وفي النار هم خالدون لاجله
انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلوة واتى الزكوة اي انما يستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين
للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العباة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها
مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى
لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول لما علم ان الايمان
بالله تعالى قرينته وتمام الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلوة واتى الزكوة عليه ولم يخش الا الله اي في ابواب
الدين فان الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد العاقل يتمالك عنها فعسى اولئك ان يكونوا من
المهتدين ذكره بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع
بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعا
للمؤمنين ان يغتروا باعمالهم ويتكلوا عليها اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر
وجهد في سبيل الله السقاية والعمارة مصدر اسقى وعمر فلا تشبهان بالجثث بل لا بد من اضمار تقديره اجعلتم
اهل سقاية الحاج كمن امن او اجعلتم سقاية الحاج كايمان من امن ويؤيده الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمار المسجد
والمعنى انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون
عند الله وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين اي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله تعالى ووفقهم للحق والصواب
وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين الذين امنوا وهجروا وجاهدوا في سبيل الله بالوعد والتفسير
اعظم درجة عند الله اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يتصف بهذه الصفات او من اهل السقاية والعمارة

عليكم وأولئك هم الفائزون بالثواب وبنيل الحسنى عند الله ولكم يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها
في جنات نعيم مقيم دائم ومؤمنة بتشديد الميم وتخفيفه وتنكير البشرى به اشعار بأنه وراء التعيين والتعريف خالدين فيها أبدا الآية
الخلود بالتأبيد لا بنية قليلة لتعمل الملكات الطويلة ان الله عنده أجر عظيم وليتحرزوا منه ما استوجبوه لاحبائه أو نعم الدنيا يا أيها
الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء نزلت في المهاجرين فانهم لما أمروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا
وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا وحقوا بمكة
والمعنى لا تتخذوهم أولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله ان استحبوا الكفر على الايمان ان لتختاروا
وحرضوا عليه ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير محلها قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم
وأزواجكم وعشيرتكم أقرباؤكم وما تخوفون من العشيرة وقيل من العشرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد العشرة و
قرأ أبو بكر وعشيرتكم وقرئ وعشائركم وأموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات وقت نفاقها و
مساكن توصونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله الحث لاختيارها دون الطبيعي فانه لا يدخل تحت التكليف
التحفظ عن فتربصوا حتى يأتي الله بأمره جواب وعيد والأمر معقوبة عاجلة أو آجلة وقيل فتح مكة والله لا يهدي
القوم الفاسقين لا يرشدهم وفي الآية تهديد عظيم وقل من يتخلص عنه لقد نصركم الله في
مواطن كثيرة يعني مواطن الحرب وهي مواقعها وبوم حنين وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر في ايام مواطن او يغير
الموطن بالوقت كمقتل الحسين رضي الله تعالى عنه وكم منيبة ايذان ان قوله إذ أعجبتكم كثرتكم بدل من كثيرة
في مواطن فانه لا يقتضي تشاركهما في اضيف اليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم واعجابهم اياها في جميع المواطن وحنين واد بين
مكة والطائف حارب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثني عشر الفا العشرة الذين حضروا فتح مكة والفان
ان الفتح اليمام من الطلقاء هوازن وثقيف وكانوا اربعة آلاف فلما التقوا قال النبي صلى الله عليه وسلم او ابو بكر او غيره
من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم وانتشلوا قتالا شديدا فادبر المسلمين اعجابهم واعتمادهم
على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركزه ليس معه الا عمه العباس آخذ بلجام
وابن عمه ابو سفيان بن الحارث فناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته وقال للعباس رضي الله تعالى عنه وكان صيتا
صح بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت
الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال صلى الله عليه وسلم هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا
ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم اي الكثرة شيئا من الغناء ومن امر العدو وضاقت عليكم الأرض بما رحبت
برحبها او سعتها كالمجاز ون فيها مفرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب ولا تثبتون فيها كمن لا يجد مكانا ثم وليتم
الكفار ظهوركم مدبرين منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها
وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حالهما وقيل هم الذين ثبتوا مع
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يفروا وانزل جنودا لم تروها يعني الملائكة وقيل كانوا خمسة آلاف او ثمانية

اوستة عشر على اختلاف الاقوال وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين اي افعل
بهم جزاء كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق للاسلام والله غفور رحيم يتجاوز عنهم
ويتفضل عليهم روي ان ناسا منهم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر قسم
وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد سبي يوم بني المصطلق ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى
فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اختاروا اما سباياكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده
شيء من سبي وطابت نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى يصيب شيئا فنعطيه مكانه
فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرضوا انهم قد رضوا اليا انتهى
الذين آمنوا انما المشركون نجس نجست باطنهم او لانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب على الانجاس ولانهم لا يتطهرون ولا
يجتنبون عن النجاسات فهم صلايسولها غالبا وفيه دليل على ان الماء الغالب لا يتنجس وعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو كرجس في ذيل واكثر ما جاء
تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهي عن الاقتراب للمبالغة وللنهي عن دخول الحرم وقيل المراد به النهي
عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله تعالى وقاس مالك سائر المساجد على المسجد
الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع بعد عامهم هذا بعد سنة براءة ومي لتاسعة وقيل سنة
حجة الوداع وان خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارفاق فسوف
يغنيكم الله من فضله من عطائه او تفضل بوجه اخر وقد وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل
تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا الهدى فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ عائلة
على انها مصدر كالعافية او حال ان شاء متعلق بالمشية ليتقطع الامال الى الله تعالى وليتنبه على انه منفصل في
ذلك وان الغنى الموعود يكون ليبعض دون بعض وفي عام دون عام ان الله عليم بما هو الاكمل حكيم فيما يعطي
ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر اي لا يومنون بهما على الوجه الذي بيناه في اول البقرة فان ايمانهم
كلا ايمان ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذي يزعم انه اتباعه والمعنى
انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ سائر الاديان مبطلها
من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يومنون حتى يعطوا الجزية ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا
قضاه عن يد حال من الضمير اي عن يد مواتية بمعنى منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير ياعثين بايدي
غيرهم والذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى فان ذلك قبيح او عن يد القهر او عن يد تقهرهم عليهم بمعنى عاجزين
اذلاء او عن النعم عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة او من الجزية بمعنى نقد مسلمة عن يد الى يد وهم صاغرون
اذلاء وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يؤخذ الجزية من الذمي ويوجأ عنقه ومفهوم الاية يقتضي

تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده ان عمر رضى الله تعالى عنه لم يكن ياخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اخذها من مجوس هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب فالحقوا بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا توخذ منهم الجزية عندنا وعند ابى حنيفة رحمه الله تعالى توخذ منهم الا من مشرك العرب لما روى الزهرى انه عليه السلام صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك رحمه الله تعالى الاخذ من كل كافر الا المرتد واقلها فى كل سنة دينار سواء فيه الغنى والفقير وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى على الغنى ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شئ على فقير غير كسوب وقد كان اليهود وعزير بن الله انما قاله بعض من متقدميهم او ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم وقعة بخت نصر ممن يحفظ التورية وهو لما احيا الله تعالى بعد مائة عام املى عليهم التورية حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله تعالى والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الاية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائى وتعقوب عزير بالتنوين على انه عربى فى مخبر عنه بان غير موصوف به وحذف فى القراءة الاخرى اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف او لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف المد واللين او لان الابن وصف والخبر محذوف ومثل معبودنا اوصاحبنا وهو يؤيد الاول لانه يودى الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك قولهم بافواههم اما تاكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفى التجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذى يوجد فى الافواه ولا يوجد مفهومه فى الاعيان يضاهون قول الذين كفروا اى يضاهى قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه من قبل من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم او الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى ان فنحاص بن عازوراء قال ذلك لابى بكر رضى الله تعالى عنه او الذين كانوا فى عصر واحد كما يقال فلان يركب ما يركبه الناس ويلبس ما يلبسون ويجوز ان يكون التشبيه بالنظر الى ان كلا منهما كفر صريح او الى ان كلا منهما صدر عن تقليد الاسلاف من غير نظر فى الحجة والدليل قاتلهم الله تعالى عاصم ومنه قولهم امرأة ضهيا على فعيل للتى لا تحيض كانها لصغرها لم تحض بعد او لانها لا تحيض لقلة لحمها وقيل للتى لا ثدى لها وقيل للتى لا تحيض ولا تلد ولا زوج لها ولا يدخل فى هذا الباب الا بقيد من هذه القيود فان قيل كيف يصح الدعاء عليهم بالاهلاك وقد علم ان منهم من يؤمن قلنا المراد بالدعاء عليهم بالاهلاك الدعاء عليهم بالموت على ما هم عليه من الكفر او الدعاء عليهم بالاهلاك من بين اظهر المؤمنين لئلا يفتنوهم او الدعاء عليهم بالاهلاك على سبيل اليأس عن ايمانهم او الدعاء عليهم بالاهلاك على سبيل التعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق الى الباطل اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله باطاعتهم فى تحريم ما احل الله تعالى وتحليل ما حرم الله تعالى او بالسجود لهم او بان جعلوهم انبياء الله تعالى وما امروا اى وما امر الاحبار والرهبان امرا بينا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ الا ليعبدوا ليطيعوا الها واحدا وهو الله تعالى واما طاعة الرسل وسائر من امر الله تعالى بطاعته فهى فى الحقيقة طاعة الله تعالى الا هو صفة ثانية او استيناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون تنزيه له عن ان يكون له شريك يريدون ان يطفئوا بافواههم نور الله حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد او القران او نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بافواههم بشركهم او تكذيبهم ويابى الله الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل انه مثل لحالهم فى طلبهم ابطال نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يطلب الاطفاء بنور عظيم منبث فى الافاق فان قيل ان يريد بنفخه واما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه فى معنى النفى وكرهوا الكافرون محذوف الجواب

للدلالة ما قبله عليه هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله كاليا لقوله ويأبى الله الا ان
يتم نوره ولذلك كرر ولو كره المشركون غير انه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا
الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير في ليظهره لله والرسول واللام في الدين للجنس اي على سائر الاديان
فينسخها او على اهلها فيخذلهم يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل
ياخذونها بالرشى في الاحكام سمي اخذ المال اكلا لانه العرض الاعظم منه ويصدون عن سبيل الله دينه والذين
يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون
مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن به وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يودون حقه
ويكون اقترانه بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضي الله تعالى
عنه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان الله تعالى لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله صلى الله
عليه وسلم ما ادى زكوته فليس بكنز اي كنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله تعالى ان
ينفق فيه واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم من ترك صفراء وبيضاء كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم يود حقها
لقوله عليه السلام فيما اورده الشيخان مروياً عن ابي هريرة ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يودي منها حقها الا اذا
كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فاحمي عليها في جهنم وجبينه وظهره فيبشر هم بعذاب اليم هو الكي بها يوم تحمى
عليها في نار جهنم اي يوم القيمة توقد النار ذات حمى مثل يحمى عليها واصله تحمى بالنار فحذف الاحماء للنار مبالغة
ثم حذف النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التانيث الى صيغة
التذكير وانما قال عليها والذكور شيئان لان المراد بها دراهم ودنانير كثيرة كما قال علي رضي الله تعالى عنه
الربعية الا في ما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيها للكنوز او الاموال فان
الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها
على ان الذهب اولى بهذا الحكم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم وامساكهم
كان لطلب الوجاهة بالغنى ولنيل بالطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازورّوا عن السائل واعرضوا عنه
ولوكوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب
والكبد ولانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن وما خلفه وجنبتاه هذا ما كنزتم لانفسكم على ارادة القول
او على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اي وبال كنزكم وما كنتم تكنزونه
وقرئ تكنزون بضم النون ان عدة الشهور اي مبلغ عددها عند الله معمول عدة لانها مصدر اثنا عشر
شهرا في كتاب الله في اللوح المحفوظ او في حكمه وهو صفة لاثنا عشر وقوله يوم خلق السموات والارض
متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر من خلق
الله تعالى الاجرام والازمنة منها اربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم

ذٰلِكَ الدِّيْنُ الْقَيِّمُ اى تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القويم دين ابراهيم واسمعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما
فَلَا تَظْلِمُوْا فِيْهِنَّ اَنْفُسَكُمْ بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة القتال فيها منسوخة واقولوا الظلم اياكان
المعاصى فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها فى الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا فى الحرم ولا الشهر الحرم
الان يقاتلوا او يبدأ الاول وروى انه عليه السلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين فى شوال وذى القعدة وقاتلوا
الْمُشْرِكِيْنَ كَآفَّةً جميعا كما يقاتلونكم كافة وهو مصدر كف عن الشئ فان الجميع مكفوف عن الزيادة ووضع موقع الحال
وَاعْلَمُوْٓا اَنَّ اللّٰهَ مَعَ الْمُتَّقِيْنَ بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم اِنَّمَا النَّسِيْٓءُ اى تاخير حرمة الشهر الى شهر اخر كانوا
اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا اخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن
نافع انما النَّسِيْٓءُ بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسئ بحذفها والنَّسَآءُ والنِّسَآءُ وثالثتها مصادر كسأه
اذا اخره زِيَادَةٌ فِى الْكُفْرِ لانه تحريم ما احله الله تعالى وتحليل ما حرمه فهو كفر اخر ضموه الى كفرهم يُضَلُّ بِهِ الَّذِيْنَ
كَفَرُوْا ضلالا زائدا وقرأ حمزة والكسائى وحفص يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل على ان الفعل لله تعالى يُحِلُّوْنَهٗ
عَامًا يحلون المنسئ من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا اخر ويحرمونه عاما فيتركونه على حرمته قيل اول من فعل
ذلك جنادة بن عوف الكنانى كان يقوم على جمل فى الموسم فينادى ان الهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادى
فى القابل ان الهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال لِيُوَاطِـُٔوْا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللّٰهُ
اى ليوافقوا عدة الاربعة الحرمة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بمواطاة
العدة وحدها من غير مراعاة الوقت زُيِّنَ لَهُمْ سُوْٓءُ اَعْمَالِهِمْ وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى والمعنى خذلهم وخلاهم
وَاللّٰهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكٰفِرِيْنَ هداية موصلة الى الاهتداء يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مَا لَكُمْ اِذَا قِيْلَ
لَكُمُ انْفِرُوْا فِىْ سَبِيْلِ اللّٰهِ اتاقلتم تباطاتم وقرئ تثاقلتم على الاصل وانما قلنا على الاستفهام للتوبيخ اِلَى الْاَرْضِ
متعلق به كانه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدى بالى وكان ذلك فى غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف فى
عسر وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو وشق عليهم اَرَضِيْتُمْ بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وغرورها مِنَ الْاٰخِرَةِ بدلها
ونعيمها فَمَا مَتَاعُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا فما التمتع بها فى الاخرة فى جنب الاخرة اِلَّا قَلِيْلٌ مستحقر اِلَّا تَنْفِرُوْا ان لا تنفروا الى الاستنفر
اليه يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا اَلِيْمًا بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ويستبدل اكرم آخرين مطيعين
كاهل اليمن وابناء فارس وَلَا تَضُرُّوْهُ شَيْـًٔا اذ لا يقدح تثاقلكم فى نصرة دينه شيئا فانه تعالى الغنى عن كل شئ وفى
كل امر وقيل الضمير للرسول اى ولا تضروه فان الله تعالى وعد له بالعصمة والنصرة ووعده حق والله على كل شئ قدير
فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال اِلَّا تَنْصُرُوْهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّٰهُ اى ان لم تنصروه فسينصره
الله تعالى كما نصره الله تعالى اِذْ اَخْرَجَهُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا ثانى اثنين وَلَمْ يَكُنْ معه الا رجل واحد تحذف الجزاء واقيم
ما هو كالدليل عليه مقامه اى ان لم تنصروه فقد وجب الله تعالى النصرة حين نصره فى مثل ذلك الوقت فلن يخذله
فى غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه او قتله تسبب لاذن الله تعالى بالخروج وقرئ ثانى اثنين بالسكون

على القياس يجري المنصوص مجرى المقصور في الاعراب ونصبه على الحال اذ هما في التقدير بدل من اذ اخرجه بدل البعض
اذ المراد به زمان متسع والغار ثقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكث فيه ثلاثا اذ
يقول بدل ثان او ظرف لثاني اثنين او صاحبه وهو ابو بكر رضي الله تعالى عنه لا تحزن ان الله معنا بالعصمة والمعونة ردعا لاشفاقه
طالعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر رضي الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله
ثالثهما فاعماهم الله تعالى عن الغار فجعلوا يتردد دون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا
في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه فانزل الله سكينته امنته التي تسكن عندها القلوب عليه على النبي او على صاحبه
وهو الاظهر لانه كان مزعجا وايده بجنود لم تروها يعني الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار او ليعينوه على العدو يوم
بدر والاحزاب وحنين فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة
الكفر وكلمة الله هي العليا يعني التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدأ لها وابتائه اياه بالملائكة في هذه المواطن او بحفظه بعد ونصره له حيث
حضر وقرأ يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في
نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار له ولذلك وسط الفصل والله عزيز يحكم في امره وتدبيره
انفروا خفافا للنشاط لكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالكم او لكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا
من السلاح او صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل
ليس على الاعمى حرج وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله بما امكن لكم منهما عليهما او احدهما ذلكم خير
لكم من تركهما ان كنتم تعلمون الخير على انه خير لكم او ان كنتم تعلمون انه خير اذ اخباد الله تعالى به صدق فبادروا اليه
لو كان عرضا قريبا اي لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل المأخذ وسفرا قاصدا امتوسطا لاتبعوك لوافقوك
ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم
من تبوك معتذرين لو استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو وتشبيهها بواو الضمير
في قوله اشتروا الضلالة نحو جئنا معكم سادة مسد جواب القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه
يهلكون انفسهم بايقاعها في العذاب وهو بدل من سيحلفون لان الحالف الكاذب يوقع للنفس في الهلاك او حال من
فاعله والله يعلم انهم لكاذبون في ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج عفا الله عنك كناية عن خطابه في الاذن
فان العفو من روادفه لما اذنت لهم بيان لما يكنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاي شيء اذنت لهم في القعود
حين استأذنوك واعتلوا بالكاذيب وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار وتعلم
الكاذبين فيه قيل انما فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما اخذ الفداء واذنه للمنافقين
فعاتبه الله تعالى عليهما لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا بأموالهم وانفسهم اي ليس من
عادة المؤمنين ان يستأذنوك في ان يجاهدوا وان يتخلص منهم يبادرون اليه ولا يتوقفون فيه من الاذن فيه فضلا

ان يستأذنوا في التخلف عنه أو ان يستأذنوك في التخلف كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم
بالتقوى وعدة لهم بثوابه إنما يستأذنك في التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر بتخصيص الايمان بالله تعالى
واليوم الآخر في الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدمه الايمان بهما وارتابت
قلوبهم فهم في ريبهم يترددون وكوارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج كانه قال وما خرجوا ولكن يتثبطوا فانه تعالى كره انبعاثهم
اي نهوضهم للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله تعالى
الخروج في قلوبهم او وسوسة الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول لهم والقاعدين
يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا وشر الا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار اعم العام الذي وقع صفة الاستثناء
ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا ولا وضعوا خلالكم ولا سرعوا
بينكم بالنميمة والتضريب او الهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم بايقاع
الخلاف بينكم او الرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في اوضعوا وفيكم سماعون لهم صفة يسمعون قولهم ويطيعوهم
او عاملون يسمعون احاديثكم للنقل اليهم والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يأتي منهم لقد ابتغوا الفتنة تشتيت
امرك وتفريق اصحابك من قبل يعني يوم احد فان ابن ابي واصحابه كما تخلفوا عن تبوك يعد ما خرجوا مع الرسول الى ذي
جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد وقلبوا لك الامور ودبروا لك الكائد والحيل ودوروا الاراء في ابطال
امرك حتى جاء الحق النصر والتائيد الالهي وظهر امر الله وعلا دينه وهم كارهون اي على رغم منهم والاتيان بالسببية
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ابطلهم الله تعالى واحبله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم
وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تذكارا لما فوت الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب
عليه ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة اي المعصية والمخالفة بان لا تأذن لي
وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذنه او لم يأذن او في الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذ لا كافل لهم
بعدك او في الفتنة بنساء الروم لما روي ان جدا بن قيس قال قد علمت الانصار اني مولع بالنساء فلا تفتني ببنات
اصفر ولكني اعينك بمالي فاتركني الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف
او ظهور النفاق لا ما احترزوا عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة لهم يوم القيمة او الان لاحاطة
اسبابها بهم ان تصبك في بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم وان تصبك
في بعضها مصيبة كسر وشدة كما اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل تحرزنا بالصواب فهم واستحمدوا بذلك
في التخلف ويتولوا عن محفل ثهم بذلك ومجتمعهم له او عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وهم فرحون مسرورون

قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة او الشهادة او ما كتبه لاجلنا في
اللوح المحفوظ لا يتغير بموافقتكم ومخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا وهو من قبيل لا من قبل لانه
من بنات الواو ولقوطهم صاب السهم يصوب وبانتفائه من الصواب به ووقوع الشيء فيما قصد به وقبل من الصوب
هو مولانا ناصرنا ومتولي امرنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره
قل هل تربصون بنا انتظرون بنا الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب
النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم ايضا احدى السوأيين ان يصيبكم الله بعذاب من
عنده بقارعة من السماء او بايدينا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا ما هو عاقبتنا
انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها الآية كرها الذي يتقبل منكم امر في معنى الجزاء لن يتقبل منكم
نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة في تساوي الانفاقين في عدم القبول كانهم امروا بان
يتحروا فيفقوا وينظروا اهل يتقبل منهم وهو جواب قول الجد بن قيس ائذن لي ولا تفتني بالنفقة يحتمل امرين
ان لا يؤخذ منهم وان لا يثابوا عليه وقوله انكم كنتم قوما فاسقين تعليل له على سبيل الاستيناف
مما بعده بيان وتقرير له وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله اي وما منعهم
قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائي ان يقبل بالياء لان تانيث النفقات غير حقيقي وقرئ
يقبل نفقاتهم على ان الفعل لله ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين ولا ينفقون الا وهم
كارهون لانهم لا يحبون بها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان
ذلك استدراج لهم كما قال انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا بسبب ما يكابدون بجمعها وحفظها من التعب
ومقاساة الشدائد وللمصائب وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع
عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم
لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم لكفرهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم ان تفعلوا بهم
ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية لو يجدون ملجأ حصنا يلجأون اليه او مغارات جمع مغار من اغار
يغار اذا دخل او مدخلا يغورون فيه مفتعل من الدخول وقرأ يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مدخلا من ادخل مكانا يدخلون فيه
انفسهم ومتى خلا ومندخلا من تدخل وادخل لولوا اليه لاقبلوا نحوه وهم يجمحون يسرعون اسراعا
لا يردهم شيء كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك يعيبك وقرأ يعقوب يلمزك
بالضم وابن كثير يلامزك في الصدقات في قسمها فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم
يسخطون قيل انها نزلت في ابي الجواظ المنافق قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم
ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة راس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم
حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل

فمن تيسر له واذا للمفاجاة نائب مناب الفاء الجزائية ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ما اعطاهم الرسول
من الغنيمة او الصدقة وذكر الله تعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول كان بامره وقالوا حسبنا الله
كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله صدقة او غنيمة اخرى ورسوله فيؤتينا اكثر مما اتانا انا الى الله راغبون
فان يعتبنا من فضله والآية باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف
الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين اى الزكوات لهؤلاء لا لغيرهم
دون غيرهم وهو دليل على ان المراد باللمز لمزهم في قسم الزكوات دون الغنائم والفقير من لا مال له ولا كسب يقع
موقعا من حاجته من الفقار كانه اصيب فقاره والمسكين من له مال او كسب لا يكفيه ثمن السكون كان العجز
اسكنه ويدل عليه قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر وانه عليه السلام ليسأل المسكنة
ويتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله او مسكينا ذا متربة والعاملين عليها الساعين في تحصيلها وجمعها
وللمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستالفت قلوبهم او اشراف يترقب باعطائهم مراعاتهم
اسلام نظرائهم وقد اعطى رسول الله عليه السلام عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس
لذلك وقيل اشراف يستالفون على ان يسلموا فانه عم كان يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من خمس الخمس
الذي كان خاص ماله وقد علم منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكوات وقيل
كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله وكثر اهله سقط وفي الرقاب وللصرف في فك الرقاب
بان يعاون المكاتب بشيء منها على اداء النجوم وقيل بان يبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك واحمد وابن
يقدى الاسارى والعدول عن اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للمرقاب وقيل للاولين انهم
بانهم احق بها والغارمين المدينين لانفسهم في غير معصية اذا لو كان لهم وفاء او لاصلاح ذات البين
وان كانوا اغنياء لقوله عليه السلام لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لعامل عليها
او رجل اشتراها بماله او رجل له جار مسكين تصدق على المسكين فاهدى المسكين للغني او لعامل عليها
سبيل الله والصرف في الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل وفي بناء القناطر
المصانع وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر لما دل عليه الآية اى فرض لهم
الصدقات فريضة او حال من الضمير المستكن في للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة والله عليم بخلقه حكيم
يضع الاشياء في مواضعها وظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق الزكوة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف
الى كل صنف وجمل منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعي وعن عمر وحذيفة
وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز صرفها الى صنف واحد وبه قال الائمة الثلثة
واختاره بعض اصحابنا وبه كان يفتي شيخي ووالدي لدلالة على ان الآية بيان ان الصدقة لا تخرج
منهم لايجاب قسمها عليهم ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له ويصدق به

ف ١ من الفقر او الفقرة او الفاقة
ف ٢ الكامل الى الجنب ١٢ وان
ف ٣ الجمع اللام كي الوقت اى
ف ٤ اى الوقت
ف ٥ اى لهم في ذلك لانهم
ف ٦ اصحابنا ان فرض الفقراء
ف ٧ الكل التخيير
ف ٨ ٣٣ الصدقات
ف ٩ لا يصرف الى اقل من ثلثة
ف ١٠ لان الجمع المطلق
ف ١١ والذكر الحكيم
ف ١٢ وجوب صرفها الى ثلثة

سمي بالجارحة للمبالغة كأنه من فرط استماعه صار جملته آلة للسماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك أو اشتق
له فعل من أذن أذنا إذا استمع كأنف وشلل روي أنهم قالوا لئن كان أذن سامعة نقول ما شئنا ثم نأتيه
فيصدقنا بما نقول قل أذن خير لكم تصديق لهم بأنه أذن ولكن لا على الوجه الذي ذموا به بل من حيث
أنه يسمع الخير ثم يقبله ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده من الأدلة ويؤمن
للمؤمنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم والام مزيدة للتفرقة بين إيمان التصديق فإنه بمعنى التسليم
وإيمان الأمان ورحمة أي وهو رحمة للذين آمنوا منكم من أظهر الإيمان حيث يقبله ولا يكشف سره
وفيه تنبيه على أنه ليس بقبول قولهم لجهله بحالهم بل لرفقه بهم وترحما عليهم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا
على خير وقرئ بالنصب على أنها علة فعل دل عليه أذن خير لهم أي يأذن لكم رحمة وقرأ نافع أذن بالتخفيف
فيهما وقرئ أذن خير على أن خير صفة له أو خبر ثان والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم بأيذائه
يحلفون بالله لكم على معاذيرهم فيما قالوا أو بخلفهم البر رضوكم أي لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين
والله ورسوله أحق أن يرضوه أحق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضائين
أو لأن الكلام في إيذاء الرسول وإرضائه أو لأن التقدير والله أحق أن يرضوه والرسول كذلك إن كانوا مؤمنين
صدقا ألم يعلموا أنه أن الشأن وقرئ بالتاء من يحادد الله ورسوله يشاقق مفاعلة من الحد فإن
له نار جهنم خالدا فيها على حذف الخبر أي فحق أن له أو على تكريره للتأكيد ويحتمل أن يكون معطوفا على أنه
ويكون الجواب محذوفا والتقدير من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فإن بالكسر ذلك الخزي العظيم
يعني الاهلاك الدائم يحذر المنافقون أن تنزل عليهم على المؤمنين سورة تنبئهم بما في قلوبهم وتهتك عليهم
أستارهم ويجوز أن يكون الضمائر للمنافقين فإن النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث إنه مقرعة ومحجة
به عليهم وذلك يدل على تردد هم أيضا في كفرهم وأنهم لم يكونوا على بت في أمر الرسول بشيء وقيل أنه خبر
في معنى الأمر وقيل أنهم كانوا يقولون فيما بينهم استهزاء لقوله قل استهزؤا إن الله مخرج ما تحذرون مبرز ومظهر
ما تحذرون أي تحذرونه من إنزال السورة فيكم أو ما تحذرون إظهاره من مساويكم ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا
نخوض ونلعب روي أن راكب المنافقين مر واعلى رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فقالوا انظروا إلى هذا الرجل يريد
أن يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فأخبر الله تعالى به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا والله ما كنا
في شيء من أمرك وأمر أصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل
أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به والزاما للحجة
عليهم ولا تعتذروا باعتذاركم الكاذب لا تعتذروا ولا تشتغلوا باعتذاركم فإنها معلومة الكذب قد كفرتم
أظهرتم الكفر بإيذاء الرسول والطعن فيه لعل إيمانكم بعد إظهاركم الإيمان إن نعف عن طائفة منكم
لتوبتهم وإخلاصهم أو لتجنبهم عن الإيذاء والاستهزاء نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق

٣٣٩

او بمقدرين على الايذاء والاستهزاء وقرأ عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وان تعفّ بالتاء
بالبناء على المفعول ذهابا الى المعنى كانه قال ان نرحم طائفة المنفقون والمنفقات بعضهم من بعض اى متشابهون
فى النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشئ الواحد وقيل انه تكذيب منهم فى حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير
لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله يأمرون
بالمنكر بالكفر والمعاصى وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعة ويقبضون أيديهم عن البذل وقبض اليد عبارة
عن البخل نسوا الله اغفلوا عن ذكره وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم من لطفه وفضله ان المنافقين هم الفسقة
الكاملون فى التمرد والفسوق عن دائرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها
مقدرين الخلود حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على خزي من ابهاها ولعنهم الله ابعدهم من رحمته
ولهم اثامهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به ما وعدوه او ما يقاسونه من تعب النفاق كالذين من قبلكم
اى انتم مثل الذين او فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا بيان للتشبيه
وتمثيل لحالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلاق بمعنى التقدير فانه
ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم
الحسية من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر فى العاقبة والسعى فى تحصيل اللذائذ الحقيقية تنبيها
لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء اثرهم وخضتم دخلتم فى الباطل كالذى خاضوا كالفوج الذى خاضوا او كالفوج
الذى خاضوا او كالخوض الذى خاضوه اولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة لم يستحقوا عليها
ثوابا فى الدارين واولئك هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا والاخرة الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم
قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم اهلك نمرود ببعوض و
اهلك اصحابه واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكات قرى قوم لوط ائتفكت بهم اى انقلبت فصارت عاليها سافلها وامطر واحجارة من سجيل وقيل قريات
المكذبين المتمردين واتيتهن انقلاب احوالهم من الخير الى الشر اتتهم رسلهم يعنى الكل بالبينات فكان الله
ليظلمهم اى لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بالاجرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث
عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض فى مقابلة قوله المنافقون
والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون
الله ورسوله فى سائر الامور اولئك سيرحمهم الله لا محالة فان التعبير عن الوقوع بان الله عزيز غالب على
كل شئ لا يمتنع عليه ما يريده حكيم يضع الاشياء من اوضاعها وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من
تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة تستطيبها النفس ويطيب بها العيش وفى الحديث انها قصور
من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر فى جنات عدن اقامة وخلود وعنه عم جنان دار الله التى

لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تع طوبى
لمن دخلك ومرحبا العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعد المعدود لكل واحد او الجميع على سبيل التوزيع او الى تغاير
وصفه كانه وصفه اولا بانه من جلس ما هو ابهى الا ماكن التى يميل اليها طباعهم اول ما يفرح انعامهم
ثم وصفه بانه مشتوف يطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التى لا تخلو عن شئ منها ماكن الدنيا
وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات فى جوار العليين لا يعتريهم فيها
فناء ولا تغير وشم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال ورضوان من الله اكبر لانه المبدأ لكل سعادة
وكرامة والمودى الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه ع ان الله تع يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ومالنا لا نرضى
وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واى شئ افضل من ذلك فقال
احل عليكم رضوانى فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اى الرضوان او جميع ما تقدم هو الفوز العظيم الذى يستحقر
دونه الدنيا وما فيها يا ايها النبى جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم
فى ذلك ولا تحابهم وما لهم جهنم وبئس المصير مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا روى انه ع اقام فى غزوة
تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويخبره بمقالة المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن
شر من الحمير فبلغ رسول الله فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا
كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم واظهروا الكفر بعد اظهار اسلامهم وهموا بما لم ينالوا من قتل الرسول
هو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند قفوله من تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى الوادى اذا تسنم العقبة
بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حس
بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا او باخراجه واخراج المؤمنين
من المدينة او بان يتوجا عبد الله بن ابى وان يمرض رسول الله وما نقموا وما انكروا او وما جدوا ما يورث
منهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج فى ضنك من العيش فلما
قدم رسول الله ع اثروا بالغنائم وقتل الجلاس مولى عامر رسول الله بدية اثنى عشر الف درهم فاستغنى
والاستثناء مفرغ عن اعم المفاعيل او العلل فان يتوبوا يك خيرا لهم هو الذى حمل الجلاس على التوبة والضمير
فى يك للتوب وان يتولوا اياه اصرارا على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما فى الدنيا والاخرة بالقتل والنار
وما لهم فى الارض من ولى ولا نصير فيدفع عنهم من العذاب ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن
ولنكونن من الصالحين نزلت فى ثعلبة بن حاطب اتى النبى ع وقال ادع الله ان يرزقنى مالا فقال ع
يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذى بعثك بالحق لئن رزقنى مالا
لاعطين كل ذى حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما تنمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع
عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله ع فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله ع

المصرّ من الاحبار التصر فات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه الكتاب
التخويف الفرائض وقال ماهذه الا اخت الجزية فارجعا حتى ارى رأى فلما رجعا قال هما
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عم ان الله تعالى منعني ان
اقبل منك فجعل التراب يحثو على راسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله عم فجاء بها
الى ابي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان
رضي الله عنه فلما اتاهم من فضله بخلوا به ومنعوا حق الله تعالى منه وتولوا عنه طاعة الله وهم معرضون
وهم قوم عادتهم الاعراض عنها فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد
في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه
الله تعالى الموت او يلقون عملهم اي جزاءه وهو يوم القيمة باخلفوا الله ما وعدوه بسبب اخلافهم ما وعدوه
من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين فيه وان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح
من الوجهين او المقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد الم يعلموا اي المنافقون او من عاهد الله وقرئ
بالتاء على الالتفات ان الله يعلم سرهم ما اسروه في انفسهم من النفاق العزم على الاخلاف ونجواهم
وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن او تسمية الزكوة جزية وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه
ذلك الذين يلمزون ذم مرفوع او منصوب او بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين
المتطوعين من المؤمنين في الصدقات روي انه عليه السلام حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف
درهم وقال كان لي ثمانية الاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله عم بارك
الله تعالى لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك له حتى صولحت احدى امرأتيه عن ربع الثمن على ثمانين
الفا درهم وتصدق عاصم بن عدي مائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي
اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله عم ان ينثره على الصدقات فلزهم
المنفقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل
ولكنه احب ان يذكر نفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم
قرئ بالفتح وهو مصدر الجهد في الامر اذا بالغ فيه فيسخرون منهم يستهزئون بهم سخر الله منهم جازاهم
على سخريتهم كقوله الله يستهزئ بهم ولهم عذاب اليم على كفرهم استغفر لهم او لا تستغفر لهم يريد به
التساوي بين الامرين في عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روي
ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سأل رسول الله عم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال عم
لازيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه السلام فهم
من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين الله له ان

به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير لاشتمال
السبعة على جملة اقسام العدد وكأنه العدد بأسره ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله اشارة الى ان اليأس من
المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها
والله لا يهدي القوم الفاسقين المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بلا قيام
عن الكفر والارشاد الى الحق والتمسك وفي كفره المطبوع عليه لا يتقلم ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول
عم في استغفاره وعدم يأسه عن ايمانهم مالم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم
لقوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب
الجحيم فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله بقعودهم عن الغزو خلفه يقال اقام خلاف
الحي اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة او الحال وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم
وانفسهم في سبيل الله ايثار الدعة والخفض على طاعة الله وفيه تعريض بالمؤمنين الذين اثروا عليها
تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا في الحر اي قاله بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين تثبيطا
قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون ان ما هم اليها اوانها كيف هي
ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اخبار
عما يئول اليه حالهم في الدنيا والاخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان
يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم فان رجعك الله الى طائفة
منهم فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين او من
بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا فاستأذنوك للخروج الى غزوة اخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي
ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار في معنى النهي للمبالغة انكم رضيتم بالقعود اول كل مرة لتعليل ذلك
وكان اسقاطهم عن ذي ان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة مضى الخرجة الى غزوة تبوك فاقعدوا مع
اي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخالفين على قصر الخالفين ولا تصل على احد
منهم مات ابدا روي ان ابن ابي دعا رسول الله في مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي
يلي جسده ويصلي عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم
نزلت وانما نهي عن التكفين في قميصه وعن الصلوة عليه لان الصلوة بالقميص كان مخالفا بالكلم
ولانه كان مكافاة لا لباسه العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد من الصلوة الدعاء للميت والاستغفار
له وهو ممنوع في حق الكافر وكذلك نهي على قوله مات ابدا يعني الموت على الكفر فان احياء الكافر للتوبة
دون التمتع فكأنه لم يحي ولا تقم على قبره ولا تقف عند قبره للدفن او للزيارة انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا
وهم فاسقون تعليل للنهي او لتأبيد الموت ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله

ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون تكرير للتاكيد ولان حقيق به فان الابصار طامحة الى
الاموال والاولاد والنفوس عتيطة عليها ويجوز ان يكون هذا في فريق غير الاول واذا انزلت سورة من
القران ويجوز ان يراد بها بعضها ان امنوا بالله بان امنوا ويجوز ان يكون ان المفسرة وجاهدوا مع رسوله استاذنك
اولوا الطول منهم ذو الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا العذر رضوا بان
يكونوا مع الخوالف جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذي لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون
ما في الجهاد ومن اطاعة الرسول من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة لكن الرسول والذين امنوا معه
جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم واولئك لهم الخيرات
منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الاخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات
حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيرة واولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب اعد الله لهم جنات
تجري من تحتها الانهر خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات الاخروية وجاء المعذرون
من الاعراب ليؤذن لهم يعني اسدا وغطفان استاذنوا في التخلف معتذرين بالجدب وكثرة العيال وقيل
هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طي على اهالينا واموالنا والمعذر اما من
عذر في الامر اذا قصر فيه موهما ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذا مهد العذر ادغام التاء في الذال ونقل
حركتها الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرا بهما وقرا يعقوب المعذرون
من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال على انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو
لحن اذ التاء لا تدغم في العين وقد اختلف في انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون قوله وقعد
الذين كذبوا الله ورسوله في غيرهم ومنافقوا الاعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان وان كانوا
منهم الاولين فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب والمعذرين فان منهم من اعتذر
لكسله لا للكفر عذاب اليم بالقتل والنار ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين
لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كهلبة وعرنية وبني عذرة حرج اثم في التاخر اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان
والطاعة في السر والعلانية كما يفعل الموالي الناصح اوغما قدروا عليه فعلا او قولا يعود على الاسلام والمسلمين
بالصلاح ما على المحسنين من سبيل اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع
الضمير للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك والله غفور رحيم ايجابهم والمسي
فكيف للمسيء ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤن
سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله
بن معقل وعلبة بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقالوا نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف
المرقوعة والنعال المخصوفة فتعز ومعك فقال لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل و

سويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه قلت لا احملكم عليه حال من الكاف في اتوك ياضما قل تولوا
جوابا واعينهم تفيض تسيل من الدمع اى دمعها فان من للبيان ومعي مع الجر وفي محل النصب على التمييز وهو ابلغ من
يفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا حزنا نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل
دل عليه ما قبله الا يجدوا اى لئلا يجدوا ومتعلق حزنا او بتفيض ما ينفقون في مغزا من اغا السبيل
بالمعاتبة على الذين يستاذنونك وهم اغنياء مواجدو الا هبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف واستيثابين
ما هو السبب لاستيذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف ايثارا للدعة وطبع
الله على قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبته يعتذرون اليكم
في التخلف اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لانه كن لو من لكم لن نصدقكم
لانه قد نبانا الله من اخباركم اعلمنا بالوحي الى نبيه بعض اخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر
والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله انتيسوبون عن الكفر ان تتوبون عليه وكانه استتابة وامهال للتوبة
ثم ترددون الى عالم الغيب والشهادة اى اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم و
علنهم لا يفوت عن علمه شئ من ضمائرهم واعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون
بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم فلا توبخوهم انهم رجس لا ينفع
فيهم التانيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الاناية وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فهو علة
الاعراض وترك المعاتبة ومأواهم جهنم من تمام التعليل وكانه قال انهم ارجاس من اهل النار فلا ينفع
فيهم التوبيخ في الدنيا ولا الاخرة او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم
جزاء بما كانوا يكسبون يجوز ان يكون مصدرا لان يكون علة لما يحلفون لكم لترضوا عنهم بحلفهم
فتسندوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اى
فان رضاكم لا يستلزم رضاء الله تعالى ورضاكم وحكمكم لا ينفعهم اذا كانوا في سخط الله ولصد دعقابه او ان امكنهم
ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله تعالى فلا يخفى عليه سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من
الاية النهي عن الرضاء عنهم والاعتذار معاذيرهم لعلة الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم الاعراب
اهل البدو انسب كفرا ونفاقا من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم
للكتاب والسنة واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله من الشرائع فرائضها و
سننها والله عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا
وثوابا ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق يصرفه في سبيل الله ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا اذ
لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابه وانما ينفق رياء او تقية ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان وتنوبه
لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق عليهم دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بخوها يتربصونه

اولا الاخبار عن وقوع ما يتصون عليهم والدائرة في الاصل مصدر او اسم فاعل من دار بدا وزيدي بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق وقرئ ابن كثير وابو عمرو السوء هنا وفي الفتح بضم السين والله سميع لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ وعند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول وسيلة صلواته لانه عم كان يدعو للمتصدقين ويستغفر ولذلك سن للمتصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما قال النبي عم اللهم صل على ال ابي اوفى لانه منصبه فلا يتفضل به على غيره الا انها قربة لهم شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستيناف مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم وقرأ ورش قربة بضم الراء سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله ان الله غفور رحيم لتقريرهم وقيل الاولى في اسد وغطفان وبني تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين ومزينة والسابقون الاولون من المهاجرين منهم الذين صلوا القبلتين او الذين شهدوا بدرا والذين اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على السابقون والذين اتبعوهم باحسان اللاحقون بالسابقين من القبيلتين او من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة رضي الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما اولوا من نعمة الدينية والدنيوية واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار وقرأ ابن كثير من تحتها كما هو في سائر المواضع خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم اي ممن حول بلدتكم يعني المدينة من الاعراب منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم والديل وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق ونظيره في حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني وعلى الاول صفة للمبالغين فصل بينه بالمعطوف على الخبر او كلاهما مبتدأ لبيان تمردهم وتمهرهم في النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنويه في تعاميهم مواقع التهم لاحد خفي عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم ان قدروا ان تلبسوا عليك لم يقدروا وان يلبسوا علينا سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكوة ونهك الابدان ثم يردون الى عذاب عظيم هو عذاب النار واخرون اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله عم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكروا له انهم اقسموا

ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فانزلت فاطلقهم فحلفوا عملا صالحا
واخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذى مواظبتهم الى التكلم والاعتراف بالذنب باخر سيئ هو التخلف و
موافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما فى قولهم بعت الشاء شاة ودرهما او للدلالة على ان
كل واحد منهما مخلوط بالاخر عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم ويجيء مدلولا عليها بقوله اعترفوا
بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه خذ من اموالهم صدقة روى انهم لما
اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التى خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان اخذ من اموالكم
شيأ فانزلت تطهرهم وتزكيهم عن الذنوب او حب المال المؤدى بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من طهر بمعنى طهر
وتطهرهم بالجزم جوابا للامر وتزكيهم بها وتنمى بها حسناتهم وترفعهم الى المنازل المخلصين وصل عليهم
واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلوتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها
قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالتوحيد والله سميع باعترافهم عليم
بندامتهم الم يعلموا والضمير امّا للتائبين عليهم والمراد ان يمكن فى قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم
او لغيرهم والمراد به التحضيض عليها ان الله هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه
معنى التجاوز وياخذ الصدقات يقبلها قبول من ياخذ شيأ ليؤدى بدله وان الله هو التواب الرحيم
وان من شانه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا ما شئتم فسيرى الله عملكم فانه لا يخفى
عليه خير كان او شر او رسوله والمؤمنون فانه تم لا يخفى عنهم كما رايتم وتبين لكم وسترد ون الى عالم
الغيب والشهادة فينبئكم بالموت فيجزيكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه واخرون من المخلفين مرجون
مؤخرون اى موقوف امرهم من ارجاته اذا اخرته وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص مرجون بالواو وهما لغتان
لامر الله فى شانهم امّا يعذبهم ان اصروا على النفاق وامّا يتوب عليهم ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل
على ان كلا الامرين بارادة الله تم والله عليم باحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم
والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله عم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم
فلما راوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله فرحمهم الله والذين اتخذوا مبتدا مستحل اعطف
على واخرون مرجون او ميتدا خبره محذوف اى وفيمن وصفنا الذين اتخذوا او منصوب
على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر بغير واو ضرارا مضارة للمؤمنين روى ان بنى عمرو بن
عوف لما بنوا مسجد قباء سالوا رسول الله عم ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدهم اخوانهم بنو غنم
بن عوف فبنوا مسجدا على فصلان يومهم فيه ابو عامر الراهب واذا قدم من الشام فلما اتوه
اتوا رسول الله عم فقالوا انا قد بنينا مسجدا لذى الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه
حتى نتخذه مصلى فاخبرهم انه ذاهب الى تبوك فلما قفل معه فانزلت فدعا مالك بن الدخشم ومعن بن عدى وعامر

ابن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا واتخذ
كناسة وكفرا وتقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن يرد الذين كانوا يجتمعون للصلوة في
مسجد قباء وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني الراهب فانه قال لرسول الله عم يوم احد لا اجد
قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين انهزم مع هوازن وهرب الى الشام ليأتي
من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله وما يقاتلهم وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما
انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق بحارب او باتخذوا اي اتخذوه واسسوه من قبل ان ينافق هؤلاء
بالتخلف لما روي انه بنى قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله ان يأتيه فقال انا على جناح سفر واذا قفلنا
ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرة عليه فنزلت ولا يحلفن ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنائه الا الخصلة
الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلوة والذكر والتوسعة على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون في خلقهم
لا تقم فيه ابدا للصلوة لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد قباء اسسه رسول الله وصلى فيه
ايام مقامه بقباء من الاثنين الى الجمعة لانه اول ما وفق للقصة او مسجد رسول الله لقول ابي سعيد سألت رسول الله
الله عنه فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده ومن يوم الزمان والمكان
لقوله بملئ الدار بقيته الخبر اقوى من حج ومن ذهب ان تقوم فيه اولى بان تصلي فيه رجال
يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا يناموا عليها ولا يمرون
يحب المتطهرين يرضى عنهم ويثيبهم من جنابه ادناه المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله عم ومعه المهاجرون
حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال المؤمنون انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر رضي الله عنه
انهم مؤمنون وانا معهم فقال عم ترضون بالقضاء قالوا نعم قال تصبرون على البلاء قالوا نعم قال
تشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان
الله عز وجل قد اثنى عليكم فما ذا تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط
الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا رجال يحبون ان يتطهروا الآية فمن اسس بنيانه بنيان دينه على تقوى
من الله ورضوان خير على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة ام من اسس
بنيانه على شفا جرف هار على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها فانهارت به في نار جهنم فاداى به الى قعرها
وقلة استمساكه اي السقوط في النار وتأنيث ضمير شفا الجرف وهو ما جرفه الوادي الهائر في مقابلة التقوى
لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بايهاره به في النار ووضعه في مقابلة الرضوان
تنبيها على ان تأسيس ذلك على امر يحفظه عن النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته التي الجنة
ادناها وتأسيس هذا على ما هم عليه لسببه على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة فوان مصيره
الى النار لا محالة وقرأ نافع وابن عامر اسس على البناء للمفعول وقرئ اساس بنيانه واسس

بنيانه على الاضافة وأسس واساس بالكسر وثلثتها جمع اس وقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق
لا للتانيث كتترى وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف والله لا يهدي القوم الظالمين
الى ما فيه صلاح ونجاة لا يزال بنيانهم الذي بنوا ابناء دينهم الذي بنوه مصدر بنى يريد به المفعول وليس بمحمد
قد يدخل التاء ووصف بالمفرد ولخبر عنه بقوله ريبة في قلوبهم اى شكا ونفاقا والمعنى ان بناءهم هذا
لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول عم رسخ ذلك في قلوبهم
وزاد حبيث لا يزول وتسمع عن قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك
والاضمار وملوه في غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطع ما هو كائن بالقتل او في القبر
او في النار وقيل التقطع بالتوبة ندما واسفا وقرأ يعقوب الى بالرفع على الانتهاء وتقطع بمعنى تقطع وهو قراءة
ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء ويقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول عم او كل مخاطب
وقرئ قطعت على البناء للفاعل والمفعول والله عليم ببنيانهم حكيم فيما امر بهدمه بنا انهم ان الله اشترى من
المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله تعالى ايام الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيله تعالى
يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استيناف ببيان ما لاجله الشرى وقيل يقاتلون في معنى الامر
وقرأ حمزة والكسائي بتقديم البنى للمفعول وقد عرفت ان الواو لا يوجب الترتيب وان فعل البعض قد
يسند الى الكل وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى فانه في معنى الوعد في التوراة والانجيل
والقرآن مذكور فيهما كما اثبت في القرآن ومن اوفى بعهده من الله مبالغة في الايجاز وتقرير لكونه حقا
فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتموه به فرحوا بابة غاية الفرح فانه تعالى اوجب لكم عظائم المطالب كما قال
وذلك هو الفوز العظيم التائبون رفع على المدح اى هم التائبون والمراد بهم الموصوفون المذكورون ويجوز
ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى وخبره ما بعده
اى التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح او جرا صفة
للمؤمنين العابدون الذين عبدوا الله تعالى مخلصين له الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء
السائحون الصائمون لقوله عليه السلام سياحة امتي الصوم شبه بها من حيث انه يعوق عن الشهوات
او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او المسافرون لجهاد او لطلب
العلم الراكعون الساجدون في الصلوة الامرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر
عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انهم بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كانه قال التاركون
بين الوصفين وفي قوله والحافظون لحدود الله اى فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على
ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل انه للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث
ان السبعة هو العدد التام والثامن من ابتداء تعداد اخر معطوف عليه فلذلك يسمى واو الثمانية ويكتب

المؤمنين يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضمايرهم للتنبيه على ايمانهم
دعاهم الى ذلك وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل ويبشرهم
بما لا يحيط به الاحاطة الا الله تعالى وتعبير الحلائم ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين روى انه عليه
السلام قال لابي طالب الا اقول فيك كلمة احج لك بها عند الله فابى فقال لا ازال استغفر لك
مالم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى ابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال استاذنت ربي
في زيارة قبر امي فاذن لي فاستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي وانزل على الابيين ولو كانوا اولي قربى
من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب
توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابراهيم لابيه الكافر فقال وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا
عن موعدة وعدها اياه وعدهما ابراهيم ابا له بقوله لاستغفرن لك اى لاطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان
فانه يحاسبه ويدل عليه قراءة من قرا اباه او وعدها ابراهيم ابوه وهي الوعد بالايمان فلما تبين له انه عدو
لله بان مات على الكفر او اوحي بانه لن يؤمن تبرا منه قطع استغفاره ان ابراهيم لاواه لكثير التاوه
وهو كناية عن فرط رحمه ورقة قلبه حليم وصبور على الاذى والمحاملة لبيان ما حمله على الاستغفار
مع شكاسته عليه وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين لهم ما يتقون حتى يبين لهم خطر ما يجب اتقاؤه وكانه بيان عذر
من مات قبل ذلك منهم ان الله عم في قوله لعلهم اولمن استغفر لاسلافه المشركين قبل النهي وقيل انه في قوم مضوا على الامر الاول في القبلة
والخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف ان الله بكل شيء عليم فيعلم امرهم في الحالين ان الله
له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ما منعهم عن
الاستغفار للمشركين وان كانوا اولى قربى وتضمن ذلك وجوب التبرء عنهم يأسا بين لهم ان الله تعالى مالك
كل موجود ومتولي امره والغالب عليه ولا يتاتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا بالبشر اشرهم اليه ثم
ويتير وا عما عداه تعالى لا يبقى لهم مقصود فيما ياتون ويذرون سواه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار من اذن المنافقين في التخلف ويرئهم من علقة الذنوب كقوله ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي والمهاجرين
والانصار لقوله وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون ولان فوق كل احد مقام ليس فوقه مقام ولا نقص دونه ما هو فيه والترقي اليه
توبة من تلك النقيصة واظهر لفضلهم بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده الذين اتبعوه في
ساعة العسرة في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد
الزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا اللفظ من بعدها كادت تزيغ قلوب فريق
عن الثبات عن الايمان او اتباع الرسول وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعائد عليه الضمير في

منهم وقرأ حمزة وحفص بزيغ بالياء لان تأنيث القلوب غير حقيقي وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق
منهم يعني المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه على انه تاب عليهم من أجل ما كابدوا من
العسرة أو المراد انه تاب عليهم ليكيدوا نهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلثة وتاب على الثلثة كعب
وهلال بن امية ومرارة بن الربيع الذين خلفوا تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم فانهم المرجون
حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت اى برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة
الحيرة وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها الانس وسرور وظنوا وعلموا
ان لا ملجأ من الله من سخطه الا اليه الا الى استغفاره ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا او ازال قبو
توبتهم ليعدوا في جملة التوابين أو رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله
هو التواب لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة الرحيم متفضل عليهم بالنعمة يا ايها الذين امنوا اتقوا الله فيما
لا يرضاه وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم أو في دين الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين
أو في توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلثة واضرابهم فكان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب
ان يتخلفوا عن رسول الله عن حكمه نهى عن رغبوا عنه بصيغة النفي للمبالغة ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه لا يفعلوا
انفسهم عما لهم يصن نفسه عنه ويكابد ومعه ما يكابد من الاهوال ذوى ان اباخيثمة بلغ بستانه
وكانت له امراتان حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال
ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله في الضح والريح فاهذا بخير فقام فرحل ناقته
واخذ سيفه ورحمه ومركا لريح فمر رسول الله صلعم طرفه الى الطريق فاذا بالراكب يرهاه السراب فقال كن ابا
فكانه ففرح به رسول الله صلعم فاستغفر له وفي لا يرغبوا بجوز النصب والجزم ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان
من النهي عن التخلف او وجوب المشايعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ ثنى من العطش ولا نصب تعب
ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله ولا يطئون موطئا ولا يدوسون مكانا يغيظ الكفار يغضبهم وطاءه
ولا يأتون من عدو نيلا كالقتل والاسر والنهب الا كتب لهم به عمل صالح استوجبوا به الثواب
وذلك مما يوجب المشايعة ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم وهو تعليل للكتب وتنبيه على ان الجهاد
احسان اما في حق الكفار فلانه سعي في تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون واما في حق المؤمنين فلانه
صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة ولا كبيرة مثل ما انفق
عثمان في جيش العسرة ولا يقطعون واديا في مسيرهم وهو كل منعرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى
فشاع بمعنى الارض الا كتب لهم ما عملوا انبتهم ذلك ليجزيهم الله بن لك احسن ما كانوا يعملون جزاء احسن
اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعا للغزو
وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان ينتشطوا جميعا فادر ينزل بامر المعاش فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة

انها منفرة كل جماعة كثيرة لقبيلة واهل بلد رجاحة قليلة ليتفقهوا في الدين لتكلفوا الفقاهة
فيه ويجتهدوا اشاقّ تحصيلها وليندروا قومهم اذا رجعوا اليهم وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم
الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اتم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من فروض
الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد ولعلهم
يحذرون ارادة ان يحذروا اعمالا ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الاحاد حجة لان عموم كل فرقة يقضي
ان ينفر من كل ثلثة نفر وابقاء طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا فيحذروا فلو لم يعتبر الاخبار
ما وتتواتر لم يفد ذلك وقال شيعت الحلام فيه تقريرا واعتراضا في كتابي المرصاد وقد قيل للاية معنى
اخر وهو انه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى التفير وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل
فرقة طائفة الى الجهاد وتبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال الجهاد
هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا للبواقي والفرق بعد الطوائف النازلة
للغزو وفي رجوع الطوائف الى قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايامهم عنهم
من العلوم يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب لمحاذاة
رسول الله عم او لانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالي المدينة
كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم
غلظة شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين
بالحراسة والاعانة واذا ما انزلت سورة فمنهم من المنافقين من يقول انكارا واستهزاء ايكم زادته هذه
السورة ايمانا وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا
بزيادة العلم الحاصل من تلك السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم وهم يستبشرون بنزولها
لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم واما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم
كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا على الكفر او كبروا يعني
المنافقين وقرأ حمزة ويعقوب بالتاء انهم يفتنون يبتلون باصناف البلايا او بالجهاد مع رسول الله عم
فيعاينون ما يظهر عليه من الايات في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم
ولا هم يذكرون ولا يعتبرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزا وبالعيون انكارا لها
وتحية اوعيظا لما فيها من عيوبهم هل يراكم من احد اي يقولون هل يراكم احد ان قمتم من حضرة الرسول
فان لم يرهم احد قاموا وان رءم احد اقاموا ثم انصرفوا عن حضرته مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان
وهو يحتمل الاخبار والدعاء بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم او عدم تدبرهم لقد جاءكم
رسول من انفسكم من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من انفسكم اي اشرفكم عزيز عليه شديد

شاق ما عنتم عنتكم ولقاءكم المكروه حريص عليكم اى على ايمانكم وصلاح شانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رءوف رحيم وقدم الابلغ منهما وهو الرؤوف لان الرأفة شدة الرحمة لمحافظة على الفواصل فان تولوا اعرضوا عن الايمان بك فقل حسبى الله فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو كالدليل على علة توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم لملك العظيم والجسم الاعظم المحيط الذى تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابى ان آخر ما نزل هاتان الآيتان عن النبى صلعم قائل القرآن على الآية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل والله احد فانها انزلت علينا ومعها سبعون الفا صف من الملائكة

سورة يونس مكية وهى مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الر قرئت بالاشباع وقالون بخلف عنه بالقصر وورش بين بين وحفص وابو عمرو بالامالة والباقون بالفتح اجراء لالف الراء مجرى الياء تلك آيات الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات او القرآن من المعانى او الكتب احداهما او وصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانكلامه حكيم او محكم آياته لم ينسخ شئ منها كما كان للمتناسخ المتقدمة عجبا استفهام انكار للتعجيب وعجبا خبر كان واسمه ان اوحينا وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجبا والام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم يوبخون بانكارهم واستهزاءهم الى رجل منهم من ابناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابى طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحى والنبوة هذا انه عم لم يكن بقصير عن عظمائهم فيما يعتبرونه لا فى المال وخفة الحال اعون شئ فى هذا الباب وكذلك كان اكثر الانبياء قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره فى سورة الانعام ان انذر الناس من انذر المفسرة او المخففة من الثقيلة فيكون فى موقع مفعول اوحينا وبشر الذين آمنوا عطف بيان لانذر اى قائلا لهم بشرهم ليس فيه ما ينبغى ان ينذر عنه وخصص البشارة اذ ليس للكافر ما يصح ان يبشر به وانه ان لهم بان لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحقيقها والتنبيه على انهم انما نالوها بصدق القول والنية قال الكافرون ان هذا لساحر مبين وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول وفيه اعتراف بانهم صادقون من الرسول امور خارقة للعادة محيرة آياتهم عن المعارضة وقرئ ما هذا الا سحر مبين ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض التى هى اصول الممكنات فى ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر يقضى امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته وهى تتحكم فيها ايجادا وايزادا منه والتدبير النظر فى ادبار الامور ليتاتى محمودة العاقبة ما من شفيع الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان الهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اشعار بان الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله اى الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ربكم لا غيره فاعبدوه لا يشاركه احد فى شئ من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون تتفكرون ادنى تفكر فيتبين لكم ان المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه اليه مرجعكم جميعا بالموت والنشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر

مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله حقا مصدر اخر مؤكد لغيره وهو دال عليه وعد الله انه يبدأ الخلق ثم
يعيده بعد بدئه واهلاكه ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط اى يعدل له او بعد انتهائهم وقيامهم على العدل
في امورهم او باياتهم لانه العدل القويم وكما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوحد لمقابلة قوله والذين كفروا لهم
شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب
كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو
الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانما تولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة
فكانه داع ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشوم افعالهم والآية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود
من الابداء والاعادة مجازات الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة وبوبه قراءة من قرأ انه بدأ
بالفتح اى لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب وعد الله او بما نصب حقا هو الذي جعل الشمس ضياء اى
ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياؤه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير وابن عامر قبل
ضياء بهمزتين في كل القرآن على القلب بثقل تحريك اللام على العين والقمر نورا اى ذا نور وسمي نورا للمبالغة جعلهما
من الضوء كما عرفت وقيل بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه بذلك على انه خلق الشمس مبدءا لذاتها
والقمر بالعرض مقابلة الشمس والاكتساء منها وقدره منازل الضمير لكل ولحال اى قدر مسيره كل منزل
منازل او قدره ذا منازل وللقمر تخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع به
ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب الاوقات من الاشهر والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم
وما خلق الله ذلك الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة نفصل الآيات لقوم يعلمون
فانهم المنتفعون بالتامل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص بغير ياء ان في اختلاف الليل والنهار وما
خلق الله في السموات والارض من انواع الكائنات لآيات على وجود الصانع تعالى ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون
العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه لانكارهم للبعث وهو الحري
عما وراءها ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة لغفلتهم عنها واطمأنوا بها وسكنوا اليها مقصرين همهم على الدنيا
وزخارفها او سكنوا اليها اسكون من لا يرجو عنها والذين هم عن آياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم
بضادها والعطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا
والانهماك في الشهوات بحيث لا تخطر الآخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث
ولم ير الا الحياة الدنيا وبالآخرين من الهاهم سبب العاجل عن التامل في الآجل والاعداد له اولئك ماواهم النار
بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم
بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدي الى الجنة او الى ادراك الحقائق كما قال عم من عمل بما علم ورثه الله علم
ما لم يعلم او ملكة يرتاض بها في الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن

منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة والردف له تجري من تحتهم
الانهار استئنافا او خبر ثان او حال من الضمير المنصوب على المعنى لان خبر وقوله في جنات النعيم خبرا وحالا اخر منه
او من الانهار او متعلق بيجري او بيهدي دعواهم فيها اى دعاءهم سبحانك اللهم ان سبحانك تسبيحا و
تحيتهم ما يحيه به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم فيها سلام وآخر دعواهم واخر دعائهم ان الحمد لله رب
العالمين اى ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبريائه مجدوه ونعتوه بنعوت
الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى حياهم وانثوا عليه بصفات الاكرام
وان هي المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر وهو ما يستعجلون به
استعجالهم بالخير وضع موضع تعجيلهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته تعالى لهم في الخير حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم
وبأن المراد شر استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين
استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه لقضي اليهم اجلهم لاماتوا واهلكوا وقرأ
ابن عامر ويعقوب لقضي على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم
يعمهون عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كانه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي فندعهم امهالا لهم واستدراجا
واذا مس الانسان الضر دعانا لان الله مخلصا فيه لجنبه ملقيا لجنبه اى مضطجعا او قاعدا او قائما وفائدة التوزيع
تعميم الدعاء لجميع الاحوال والاصناف الضار قلما كشفنا عنه ضره مر مضى على طريقته واستمر على كفره او مر عن
موقف الدعاء ولا يرجع اليه كان لم يدعنا كانه لم يدعنا فحذف وحذف ضمير الشان كما قال وكأن مشرق اللون كان ثدياها
حقان الى مسة اى كشف ضرك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الاعراض عند المسة والاقبال عند الكشف
والاعراض عن العبادات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا ظالمين ظلموا بالتكذيب واستعمال الجوارح و
القوى لا على ما ينبغي وجاءتهم رسلهم بالبينات بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد وعطف على ظلموا
وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه تعالى بانهم يموتون على كفرهم واللام
لتاكيد النفي كذلك مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه يجزي القوم المجرمين يجزي كل مجرم او يجزي تكرير فوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على كمال جرمهم وانهم احقاء بان يجزوا ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم من بعد اهلاكهم لنعلم وهم استخلفناكم فيها بعد القرون التي اهلكناها استخلاف من
يختبر لننظر كيف تعملون اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى
الاستفهام يجب ان يعمل فيه ما قبله وفائدته الدلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا ذواتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى واذا تتلى عليهم ايتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني المشركين
ائت بقرآن غير هذا بكتاب ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت او ما نكرهه
من معايب آلهتنا او بدله بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك اية اخرى ولعلهم سألوا ذلك ليستهزئوا به

في تدبر الآيات المفتتحة من مقاساة نظر في عن تدبرها فانظروا وتدبروا واتدبروها الى معكم من المنتظرين لما يفعل الله تعالى
بكم بعد ذكره ما نزل على من الآيات العظام واقتراحكم غيره واذا اردنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم
كالخصب ومرض اذا لهم مكر في آياتنا بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم
رحمهم بالحيا فقطعوا يكذبون في آيات الله ويكيدون رسوله قل الله اسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه لم يخف على الحفظة
فضلا ان يخفى على الله وعن يعقوب تمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم منه في البر والبحر
حتى اذا كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة فانه تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم
وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها
ريح عاصف ذات عصف شديد الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان لشدة الموج منه وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا
وسدت عليهم مسالك النجاة كمن احاطت به العدو ودعوا الله مخلصين له الدين من غير اشراك لان الاضطرار يزيل الفطرة وزوال
المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل الاشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن
من الشاكرين على ارادة القول ومفعول دعوا لانه من جملة القول فلما انجاهم اجابة للدعائهم اذا هم يبغون في الارض
فاجاؤه الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق
زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فان وبال ذلك عليكم او انه على امثالكم
او ابناء جنسكم متاع الحياة الدنيا منفعة الحيوة الدنيا لا تبقى وتبقى عقابها ورفع على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او
خبر محذوف اى تقديره ذلك متاع الحيوة الدنيا وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر موكد اى تتمتعون
متاع الحيوة الدنيا او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف اى تقديره بغيكم متاع الحيوة
الدنيا محذور او ضلال او مفعول فعل دل عليه البغي وعلى انفسكم خبر ثم اليناكم مرجعكم في القيامة فننبئكم بما كنتم
تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار
الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما يأكل الناس
والانعام من الحبوب والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها تزينت باصناف النبات واشكالها والوانها
المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والتزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقلبت الواو ياء لوقوعها على الاصل وازينت
على افعلت من غير اعلال كاخيلت والمعنى صارت ذات زينة وازينت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون
عليها متمكن من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا عذابنا او اهلاكنا ليلا او نهارا فجعلناها فجعلناها زرعها حصيدا
شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن كان لم يغن زرعها اى لم يلبث فالمضاف محذوف وفي الموضعين للمبالغة
وقرئ بالياء على الاصل بالامس فيما قبله وهو مثل في الوقت القريب الممثل به مضمون الحكاية وهو روا

خضرة النبات فجاءة وذهابه حطاما بعد كمال غضارته والتفاوت بين الارض حتى طمر فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح
لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب لذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون به
والله يدعو الى دار السلام دار السلامة من التقضي والآفات او دار الله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه
على ذلك او لانه يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها او لمراد الجنة ويهدي من يشاء بالتوفيق الموصل
هو طريقها وذلك الايمان والتدبر بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشية دليل على ان الامر غير
الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة ومايزين لي مستوجبة تفضلا
لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة
مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة هو اللقاء ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد
ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار ولا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات جزاء
سيئة بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدارزين والجرة عمرو والذين مبتدأ و
الخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اي ان يجازي سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه
تنبيه على ان الزيادة من الفضل والتضعيف او كأنما اغشيت او اولئك اصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة
مبتدأ وخبره محذوف اي جزاء سيئة بمثلها واقع او بمثلها على زيادة الباء او تقدير مقدر بمثلها وترهقهم ذلة
قرئ بالياء فالكم من الله من عاصم ما من احد يعصمهم من سخط الله او من حجته الله او من عنده مما يكون للمؤمنين كأنما
اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما قرئ سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه بمعنى
في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرأ
ابن كثير والكسائي وليعقوب قطعا بالسكون وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الآية في الكفار لاشتمال السيئات على الشرك والكفر ولان الذين
احسنوا اتيانا بالصحائف الكبيرة من اهل القبلة فلا عتبا وهم قسيم يوم نحشرهم جميعا يعني الفريقين جميعا ثم نقول للذين
اشركوا امكانكم الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله وشركاؤكم عطف على
وقرئ بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم فرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم
اياانا تعبدون مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم وانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لا لانهم الآمرة بذلك
لا ما اشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشافههم بذلك ممكان الشفاعة التي توقعوا منها وقيل الحي يلحقهم بالشركاء
المسيح والملائكة وقيل الشياطين فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العالم بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان هي
المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة هنالك في ذلك المقام تبلو كل نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت من عمل تعاين نفعه وضره وقرأ
حمزة والكسائي تتلو من التلاوة اي تقرأ ذكر ما قدمت ومن المتلو اي تتبع عمله فيقودها الى الجنة او الى النار وقرئ تبلوا

بالنون ونصب كل والبدل منه والمعنى نختبرها اى نفعل بها فعل المختبر بحالها المتغير فى سعادتها وشقاوتها بتغير ما
اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد نضيق بالبلاء العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبة بنزع الخافض
وردوا الى الله فى جزائه ايام بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم ومتولى امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ
الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان الهتهم تشفع لهم وما كانوا
يكونون انها الهة قل من يرزقكم من السماء والارض منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية
ومواد ارضية او من كل واحد منهما توسعة عليهم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اى من اهل السماء و
الارض امن يملك السمع والابصار ام من يستطيع خلقها وتسويتها او من يحفظها من الآفات مع كثرتها
وسرعة انفعالها من ادنى شئ ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يحيى ويميت او من ينشئ الحيوان
من النطفة والنطفة منه ومن يدبر الامر ومن يلى تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص سيقولون الله
اذ لا يقدرون من المكابرة والعناد فى ذلك لفرط وضوحه فقل افلا تتقون ان تفكروا عقابه باشراككم اياه فلا تثبتوا له
فى شئ من ذلك فذلكم الله ربكم الحق اى المتولى لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت بوبيته لا غير الذى
انشأكم واحياكم ورزقكم ودبر امركم فما ذا بعد الحق الا الضلال استفهام انكارى ليس بعد الحق الا الضلال فمن
تخطى الحق الذى هو عبادة الله وقع فى الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك اى كما حقت
الربوبية لله اوان الحق بعد الضلال وانهم مصرفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه على الذين فسقوا ثم مردوا
فى كفرهم وخروجا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بهم العلة بالعلاج
قل هل من شركائكم من يبدئ الخلق ثم يعيده جعل الاعادة كالابداء فى الالزام بها لظهور برهانها وان لم
يساعد على عليها ولذلك امر الرسول بان يتولى عنهم فى الجواب فقال قل الله يبدئ الخلق ثم يعيده لان بجاهرته لا يدعهم ان يعترفوا
فانى تؤفكون تصرفون عن قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق
للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها
لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها اسناده الى الله قل الله يهدى للحق افمن يهدى الى الحق
احق ان يتبع امن لا يهدى الا ان يهدى ام الله لا يهتدى الا ان يهدى من قولهم هديته بنفسه اذا اهتدى
او لا يهدى غيره الا ان يهدى بهدى الله وهذا حال اشراكهم كالماء ومكة والمسيح والعزير وقرأ ابن كثير وورش
عن نافع وابن عامر يهدى اى يفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدى فادغم
وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر يهدى بإتباع الياء الهاء قرأ ابو عمرو بالادغام
المرحوم بال بالتقاء الساكنين لان المدغم فى حكم المتحرك وعن نافع برواية قالون مثله وقرئ الا ان يهدى على
المبالغة فما لكم كيف تحكمون بما يقتضى صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدون الا ظنا مستندا الى الجاهلية
فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع

خضرة النبات فجاءة وذهابه حطاما بعد كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح
لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون به
والله يدعو الى دار السلام دار السلامة من التقضي والآفات او دار الله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه
على ذلك او دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة ويهدي من يشاء بالتوفيق الى صراط
هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشية دليل على ان الايمان غير
الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة ومايزين لي مستوجبه تفضلا
لقوله ويزيدكم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة
مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة هو اللقاء ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد
والادلة هوان والمعنى لا يرهقهم مايرهق اهل النار ولا يرهقهم مايوجب ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب
الجنة هم فيها لا يزالون دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات جزاء
سيئة بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار زيدا والحجرة عمرا والذين مبتدأ
والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اي ان يجازي سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه
تنبيه على ان الزيادة من الفضل والتضعيف او كانما اغشيت او اولئك اصحاب النار ومابينهما اعتراض فجزاء سيئة
مبتدأ وخبره محذوف اي جزاء سيئة بمثلها واقع او بمثلها على زيادة الباء او تقدير مقدر بمثلها وترهقهم ذلة
قرئ بالياء لانه مجاز من الله ومن عاصم ما من احد يعصمهم من سخط الله او من جهة الله او من عنده كما يكون للمؤمنين كأنما
اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما كان قطع سوادها وظلمتها او مظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل
في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرأ
ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا بالسكون وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الآية في الكفار لاشتمال السيآت على الشرك والكفر ولان الذين
احسنوا يتناول الصحابة الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم ويوم نحشرهم جميعا يعني الفريقين جميعا ثم نقول للذين
اشركوا مكانكم الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير المنفصل اليه من عامله وشركاؤكم عطف عليه
وقرئ بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم فرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم
ايانا تعبدون مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم وانتهم فانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانهم الآمرة بالاشتراك
لا ما اشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشاهدهم بذلك فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العالم بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان هي
المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة هنالك في ذلك المقام تبلو كل نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت من عمل تعاين نفعه وضره وقرأ
حمزة والكسائي تتلو من التلاوة اي تقرأ ذكر ما قدمت او من التلو اي تتبع عملها فيقودها الى الجنة او الى النار وقرئ تبلوا

بالنون ونصب كل وابدال تاء مثله والمعنى نختبرها اى نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما
اسلفته من اعمالها ويجوز ان يراد نصيب البلاء العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبة بنزع الخافض
ورُدُّوا إِلَى اللَّهِ الى جزاءه اياهم بما اسلفوه مولاهم الحق ربهم ومتولى امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ
الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان الهتهم تشفع لهم وكانوا
يدعون انها آلهة قل من يرزقكم مِنَ السَّمَاءِ والارض بالمطر والنبات وغيرهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية
ومواد ارضية او من كل واحدة منهما توسعة عليهم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اى من اهل السماء و
الارض أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ امن يستطيع خلقها وتسويتها او من يحفظها من الآفات مع كثرتها
وسرعة انفعالها من ادنى شئ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُحْيِي وَيُمِيتُ او من بنشئ الحيوان
من النطفة والنطفة منه وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ وَمَنْ يلى تدابير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ
اذ لا يقدرون من المكابرة والعناد فى ذلك لفرط وضوحه فقل أَفَلَا تَتَّقُونَ انفسكم عقابه باشراككم اياه فلا تشا
وشئ من ذلك فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ اى المتولى لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لا هذه الذى
انشاكم واحياكم ورزقكم ودبر امركم فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ استفهام انكارى ليس بعد الحق الا الضلال فمن
تخطى الحق الذى هو عبادة الله وقع فى الضلال فانى تُصْرَفُونَ عن الحق الى الضلال كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ اى كما حقت
الربوبية لله او ان الحق بعد الضلال وانهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا تمردوا
فى كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العلة بالعلة
قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ جعل الاعادة كالابداء فى الالزام بها لظهور برهانها وان لم
يساعد عليها ولذلك امر الرسول بان يتولى عنهم فى الجواب فقال قُلِ اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لان بجاهم لا يدعون ان يعتزوا
فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ تصرفون عن قصد السبيل قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق
للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها
لو توجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها اسناد الى الله قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ
أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى ام الله لا يهتدى الا ان يهدى فلكم من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى
او لا يهدى غيره الا ان يهديه الله وهذا حال اشراكهم كالملائكة والمسيح والعزير وقرأ ابن كثير وورش
عن نافع وابن عامر يَهِدِّي بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدى فادغم
وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر يَهِدِّي باتباع الياء الهاء وقرأ ابو عمرو بالادغام
المحض وهو بال بالتقاء الساكنين لان المدغم فى حكم المتحرك وعن نافع برواية قالون مثله وقرئ الا ان يُهْدَى على
المبالغة فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ بما يقتضى صريح العقل بطلانه وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ فيما يعتقدون إِلَّا ظَنًّا مستندا الى الجاهات
فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع

او من شتى منهم الى التمييز ونظره ولا يرضون بالقليل الصرف ان الظن لا يغني من الحق من العلم والاعتقاد بالحق شيئا من
الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول واجب ولا تكفي
بالتقليل والظن غير جائز ان الله عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم الظن في اعراضهم عن البرهان وما كان هذا
القرآن ان يفترى من دون الله افتراء من الخلق ولكن تصديق الذي بين يديه مطابق لما تقدمه من الكتب
الالهية الشاهد على صدقها فلو يكون كذا يكيف وهو لكونه معجزا ودليا عليها شاهدا على صحتها وتصديقها وانه خير لكان مفعولا
او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الذين وقرئ بالرفع على تقديره ولكن هو تصديق وتفصيل الكتب
وتفصيل ما حقق واثبت من العقائد والشرائع لا ريب فيه منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل في حكم لا سلب
ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول في المعنى وان يكون استينافا من رب العالمين خبر اخر تقديره كائنا من
رب العالمين او متعلق بتصديق او بتفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب
او الضمير في فيه ومعنى الهمزة فيه الانكار قل فأتوا بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي
في العربية والفصاحة واستمدوا بمن قدرتم بالمعارضة واعوانا من استطعتم فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا
به من دون الله سوى الله تعالى فانه وحده قادر على ذلك ان كنتم صادقين في انه اختلقه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه بالقرآن او لما سمعوه قبل ان يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشأنه او
بالجملة ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم ولما يأتهم تأويله ولم يعقلوا بعد
على تأويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه او ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه
صدق ام كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم فاجأهم قبل ان يتدبروه ويتفحصوا معناه ومعنى
التوقع فيه انه قد ظهر لهم بلاحة اعجازه لما كرر عليهم التحدي فرازوا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها آمالهم
شاهد او قوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم
انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم ومن المكذبين من
يؤمن به من يصلح وبحكمته ويعلم انه حق ولكن يعاند ومن سيؤمن به ويتوب عن كفره ومنهم من لا يؤمن به في نفسه لفرط
عناده وقلة تدبره او فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او بالمصرين وان كذبوك فقل
اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم فتبرأ منهم فقال اعذرت والمعنى لجزاء عملي ولكم جزاء عملكم
حضا كان او بطلا انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون لا تواخذون بعملي ولا اواخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الامر
عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ بآية السيف ومنهم من يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون
كأنهم لا يسمعون اصلا فأنت تسمع الصم تعلل على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم الى
صممهم عدم تعقل وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا يوصف به البهائم وهو لا يتأتى

الا باستعمال العقل السليم فى تدبره وعقولهم لما كانت موقوفة بمعارضة الوهم ومشاركة الخيال تعذر لطفها مهم
لحكم والمعانى الدقيقة فلم ينتفعوا البتة الا لفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق ومنهم من ينظر اليك
يعاينون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقون افانت تهدى العمى تقل على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون وان الضم
الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار مولاعتبار والاستبصار والعمى فى ذلك البصيرة ولذلك
يجانس الاعمى المستبصر ويقظن لما لا يدل كالبصير الاحمق والآية كالتعليل للامر بالتبرى والاعراض عنهم ان الله لا
يظلم الناس شيئا بسد حواسهم وعقولهم ولكن الناس انفسهم يظلمون بافسادها وتفويت منافعها عليهم وفيه
دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيد الهم بمعنى ان
ما يحيق بهم يوم القيمة من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه وقرأ حمزة والكسائى
بالتخفيف ورفع الناس ويوم نحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا او
القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية فى موقع الحال اى يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم
والعائد محذوف تقديره كان لم يلبثوا قبله او لمصدر محذوف اى حشرا كان لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم
بعضا كانهم يتقارفون الا قليلا وهذا اول ما تشرد اثر يقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهو حال اخرى مقدرة او
بيان لقوله كان لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم يحشرهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله الشهادة
على خسرانهم والتعجيب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير فى يتعارفون على ارادة القول وكانوا مهتدين لطرق استعمال
ما يتوسل به من المعاون فى تحصيل المعاش فاستكسبوا بها جهالا نالت بهم الى الردى والعذاب الدائم وامانرينك
بعض الذى نعدهم من العذاب فى حياتك كما اراه يوم بدر او نتوفينك قبل ان نريك فاليناهم مرجعهم فنريكه
فى الآخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك نثر الله شهيد على ما يفعلون مجاز عليه ذكر
الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم او موردا شهادته على افعالهم يوم القيمة ولكل امة
من الامم الماضية رسول يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضى بينهم بين الرسول
ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجى الرسول واهلك المكذبون وهم لا يظلمون وقيل معناه لكل امة يوم القيمة رسول
اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضى بينهم بانجاء المؤمن وعقاب الكافر لقوله وجئ بالنبيين
والشهداء وقضى بينهم ويقولون متى هذا الوعد استبعاد الله واستهزاء به ان كنتم صادقين خطاب منهم للنبى
والمؤمنين قل لا املك لنفسى ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل فى جلب العذاب اليكم لا ما شاء الله
ان املكه او لكن ما شاء الله من ذلك كائن لكل امة اجل مضروب لهلاكهم اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا
يستقدمون لا يتاخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيجئ وقتكم ويتحقق وعدكم قل ارايتم ان اتاكم عذابه الذى تستعجلون
بيانا وقت يبات واشتغال بالنوم او نهارا احين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم فاذا يستعجل منه المجرمون اى اى شئ من العذاب
يستعجلونه وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق بارايتم لانه بمعنى اخبرونى والجملة مبينة وضع موضع الضمير للدلالة

على الفرح وهو ينبغي ان يفرحوا من بين ما يجمعون على العموم لان يستحيوه وجواب الشرط محذوف وهو مدل عليه الاستيحال او عرضوا انفسهم
ويجوز ان يكون الجزاء اذا لكونك ان اتيتك ماذا تعطيني ويكون الجملة متعلقة بادأ بتراوه قوله آذكر اذا ما وقع ليه
به بمعنى ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وهذا يستجعل اعتراض دخول حرف
على ثم لاضمار التاخير الان على ارادة القول اى قيل لهم اذا ما وقع العذاب الان امنتم به وعن نافع الان بحذف
الهمزة والقاء حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر دون
عذاب الخلد المؤلم على الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبئونك ويستخبرونك ايحق هو
احق ما تقول من الوعد اذ ادعاء النبوة بقوله بجدام باطل عزل به قاله حيي بن اخطب لما قدم مكة والا ظهر ان
الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ الحق هو فان فيه تعريضا بانه
باطل والحق مبتدأ والضمير مرتفع به سادّ مسدّ الخبر او خبر مقدم والجملة في موضع النصب يستنبئونك قل اى
وربي انه لحق ان العذاب الكائن وما ادّعيته كائن ثابت وقيل كلا الضميرين للقرآن واي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك
يجاب به في التصديق فيقال اى والله ولا يقال اى وحده وما انتم بمعجزين فائتين العذاب ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك
او التحكم على الغير ما في الارض من خزائنها واموالها لافتدت به بمعاملته فدائها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى
فداه واسروا الندامة لما رأوا العذاب لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل
اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاص لها او لانه يقال سر الشيء لخالصته من حيث انها تخفى وتصان بها وقيل
اظهروا مما من قولهم اسر الشيء واسره اذا اظهره وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ليس تكريرا لان الاول قضاء بين الانبياء
وقومهم بين بعضهم والثاني قضاء بين المشركين على الشرك والمرتكبين بين الظالمين والمظلومين والضمير انما تناولهم لدلالة الظلم عليهم
الا ان لله ما في السموات والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب
كائن لا خلف فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهم لا يعلمون لقصور عقولهم الا ظاهرا من الحياة الدنيا هو يحيي ويميت في الدنيا
فرويدا يستدلون عليهما في الصغى لان القادر لذاته لا يزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحياة والموت قابلة لهما
ابدا واليه ترجعون بالموت او النشور يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور
وهدى ورحمة للمؤمنين اى قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها والموعظة
الزاجرة عن مقابحها والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين
ورحمة للمؤمنين حيث انزل عليهم فحصلوا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد
من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته بانزل القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا
فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا قبل ذلك فليفرحوا او فائدة ذلك
التكرير التاكيد والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح او فعل دل عليه قل جاءتكم
وذلك اشارة الى مصدره اى فبمجيئها فليفرحوا والفاء لمعنى الشرط كانه قيل ان يفرحوا بشيء فبهما فليفرحوا او للربط

بما قبلها والله اعلم ان مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب لشرح وتكريرها للتاكيد كقوله واذا هلكت

فعند ذلك فاجرني وعن يعقوب فلقحوا بالتاء على الاصل المرفوض وقد روي مرفوعا وبويع انه قرئ فانزحا هو وجدري يجتمعون

من حطام الدنيا فانها الى الزوال وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر تحبون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما

تجمعونه ايها المخاطبون قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق وجعل الرزق سببا له لانه مقدر في السماء محصل

منها باسباب منه وما في موضع النصب بانزل او بارايتم فانه بمعنى اخبروني والكلام دل على ان المراد منه ما حل وكذلك

وبخ على التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا كمثل هذه الانعام وحرف حجر ما في بطون هذه الانعام خالصة

لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل الله اذن لكم في التحريم والتحليل فيقولون ذلك بحكم ام على الله تفترون في نسبة

اليه ويجوز ان يكون المنفصلة متصلة بارايتم وقل متكرر للتاكيد وان يكون الاستفهام للانكار ولام منقطعة ومعنى الهمزة

فيها تقرير الافتراء على الله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب اي شيء ظنهم يوم القيامة ايحسبون ان لا يجازوا

عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كائن قبل بهام الوعيد تهديد عظيم ان الله لذو فضل على

الناس حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة ولا يكونون

في شان ولا تكونوا في امر وحاصله التهيج من شانت شانه اذا قصدت قصده والضمير في وما تتلوا منه لله لان تلاوة

القرآن معظم شان الرسول والقراءة تكون لشان فيكون التقدير من اجله ومفعول تتلوا من قرآن على ان من

تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفي والقرآن واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او الله ولا تعملون من عمل

تعميم للخطاب بعد تخصيصه من هو رأسهم وذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل

والحقير الا كنا عليكم شهودا رقباء مطلعين عليه اذ تفيضون تخوضون فيه وتندفعون وما يعزب عن ربك ولا

يبعد ولا يغيب عن علمه وقرأ الكسائي بكسر الزاء من مثقال ذرة موازن عملة صغيرة او هباء في الكوة ولا في السماء على الجحود ولا اصغر ولا اكبر

فان العالا تعرف بمعانيها التي ليست في بنية ولا متعلقا بها وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود منه هو البرهان على

احاطة علمه بها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية واصغر اسمها

وفي كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل

الكسرة امتناع الصرف او على محلها لان جر لاستغراقها وعلم لا استثناء منقطع والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله الذين

يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون نفوات مامول والآية كالمجمل فسره قوله

الذين امنوا وكانوا يتقون وقيل الذين امنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم لهم البشرى في الحياة الدنيا وهو

ما بشر به المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه ومايريهم في الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى

الملائكة عند النزع وفي الآخرة بتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم ومحل الذين

النصب او الرفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء وخبره لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله لتغييرا لقوله ولا

اخلاف لمواعيده ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة والتي قبلها اعتراض

لتحقيق البشرية وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يقع بعد كلام يتصل بما قبله وكذلك قولهم اشركهم وتكذيبهم
تهديدهم وقرأ نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى ان العزة لله جميعا استيناف بمعنى التعليل وقيل علة للقراءة بالفتح
كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيأ منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم هو
السميع لاقوالهم العليم بمعتقداتهم فيكافئهم عليها الا ان لله من في السموات ومن في الارض من الملائكة والثقلين واذا كان هؤلاء
الذين هم اشرف الممكنات عبيده لا يصلح احد منهم للربوبية فما لا يعقل منها احق ان لا يكون له ندا او شريكا فهو
كالدليل على قوله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء اى شركاء على الحقيقة وانكانوا يسمونها شركاء
ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه ان يتبعون الا الظن اى ما يتبعون يقينا انما
يتبعون ظنهم انها شركاء ويجوز ان يكون ما استفهامية منصوبة بيتبع وموصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء
والمعنى واى شئ يتبع الذين تدعون هم شركاء من الملائكة والنبيين اى انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره
فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما يتبعون
عن خطابهم لنبيانسدهم ومنشار ايهم وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبون الى الله او يحزرون ويقدرون انها شركاء
تقدير الصلة هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتبتغوا فيه على كمال قدرته وعظم نعمته المتوصل بها الى
على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذي هو سبب
ان في ذلك لايات لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا اى تبناه سبحانه تنزيه له عن التبني فانه
لا يصلح الا لمن يتصور له الولد وتعجيب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لتنزهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة له ما في
السموات وما في الارض تقرير لغناه ان عندكم من سلطان بهذا نفي لمعارض وابطاله من البرهان مبالغة في تجهيلهم
وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان او نعت له او بعندكم كانه قيل ان عندكم في هذا سلطانا
اتقولون على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو
جهالة وان العقائد لا بد لها من قاطع وان تقليد فيها غير سائغ قل ان الذين يفترون على الله الكذب باتخاذ الولد
واضافة الشركاء اليه لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع في الدنيا خبر مبتدأ محذوف اى افتراءهم
متاع في الدنيا يتمتعون به رياستهم في الكفر وجبوتهم او تعليلهم متاع او مبتدأ خبره محذوف اى لهم متعة في الدنيا ثم
الينا مرجعهم بالموت فنذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم
نبأ نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم وشق مقامي فيكم وتذكيري اياكم بآيات الله
او كوني واعظا لكم مدة مديدة او قيامي على الدعوة وتذكيري اياكم بآيات الله فعلى الله توكلت وثقت به
فاجمعوا امركم فاعزموا عليه وشركاءكم اى مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من
غير تأكيد للفصل وقيل انه معطوف على امركم بحذف المضاف اى وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف
تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امروهم بالعزم او الاجتماع على

قصدهم والسعي في اهلاكه على اي وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاته بهم ثم لا يكن امركم في قصدكم عليكم غمة
مستورا بل اجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتموني فتخلصتم عن ثقل مقامي
وتذكيري ثم اقضوا الي وادوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي وقرئ ثم افضوا بالفاء اي انتهوا الي بشركم وابرزوا الي
من اقضى اذا خرج الى الفضاء ولا تنظرون ولا تمهلوني فان توليتم اعرضتم عن تذكيري فما سألتكم من اجر فيوجب توليكم
لثقله عليكم وانهاكم اياي لاجله وضيق لتوليكم ان اجري ما ثواب على الدعوة والتذكير الا على الله لا تعلق له بكم يثنيني
امنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره فكان نوح واصحابه
على تكذيبه وتموا عليه بعد الزهم الحجة وبين ان توليهم ليس لانه لم يعلمهم وتردهم لاجرم حقت عليهم كلمة العذاب
فكذبوه فنجيناه من الغرق ومن معه في الفلك وكانوا ثمانين وحملنا امتعتهم خلائف من الهالكين به او اعرفهم الذين كذبوا بآياتنا
بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول وتسلية له ثم بعثنا ارسالا
من بعد من بعد نوح رسلا الى قومهم كل رسول الى قومه فجاؤهم بالبينات بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم
فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله اياهم بما كذبوا من قبل اي بسبب
تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كذلك نطبع على قلوب المعتدين بخذلانهم لانهماكهم في الضلال واتباع الهوى
وفي امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله تع وكسب العبد وقد عرفت تحقيق ذلك ثم بعثنا من بعدهم
من بعد هؤلاء الرسل موسى وهرون الى فرعون وملائه بآياتنا الآيات التسع فاستكبروا عن اتباعها وكانوا قوما مجرمين
معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بظاهر المعجزات
القاهرة قالوا المزيحة للشك قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر وفائق في فنه واضح فيما بين اخواته قال
موسى اتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف محكي القول للدلالة ما قابله عليه ولا يجوز ان يكون اسحر هذا
لانهم يثبتون القول بل هو استيناف بانكاره ما قالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكي لقالوا مفهومه قولهم ويجوز ان يكون
معنى اتقولون للحق تعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى عن المفعول ولا يفلح
الساحرون من تمام كلام موسى اي لا يفلحون في ما يطلبون به الفلاح ولا يفلح الساحر حيث اتى او من تمام قولهم ان جعل السحر هذا امكنكا انهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح
الساحرون قالوا اجئتنا لتلفتنا التصرفنا واللفت والفتل اخوان عما وجدنا عليه اباءنا من عبادة الاصنام وتكون
لكما الكبرياء في الارض ارض مصر فيها سميت بها لاضافة الملوك بالكبر او التكبر على الناس باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين
بمصدقين فيما جئتمانا به وقال فرعون ائتوني بكل ساحر وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة
قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر اي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون
وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو آلسحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها والسحر بدل منه او خبر مبتدأ محذوف
تقديره اهو السحر او مبتدأ خبره محذوف اي آلسحر هو ويجوز ان ينتصب بما يفعل يفسره ما بعده تقديره اي

شئ أيتم أن الله سيبطله سيمحقه أو سيظهر بطلانه إن الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على
أن السحر فساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق ويثبته بكلماته بأوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك
فما آمن لموسى في مبدأ أمره إلا ذرية من قومه إلا أولاد من أولاد قومه بني إسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون إلا قليلة
من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به أو مومن أن فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته
ومشاطته على خوف من فرعون وملائهم أي مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير الملوك
أو على أن المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر أو للذرية أو للقوم أن يفتنهم أن يعذبهم فرعون وهو بدل اشتمال منه
أو مفعول خوف أو آذوه بالضمير للذرية لدلالة على أن الخوف من الملأ كان بسببه وإن فرعون لعال في الأرض لغالب بها
وإنه لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق أسباط الأنبياء وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين به
يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين
له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فإن المعلق بالإيمان وجوب التوكل فإنه المقتضى له والمشروط بالإسلام حصوله
فإنه لا يوجد مع التخليط ونظيره إن دعاك زيد فأجبه إن قدرت فقالوا على الله توكلنا لأنهم كانوا مؤمنين
مخلصين ولذلك أجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين أي لا تسلطهم علينا فيفتنوا
وتجلنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وشوم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على أن
الداعي ينبغي أن يتوكل أولا لينجاب دعوته وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ أن اتخذا مباءة لقومكما مصر بيوتا يسكنون فيها
أو يرجعون إليها للعبادة واجعلوا بيوتكم قبلة متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان
موسى يصلي إليها وأقيموا الصلاة فيها أمر وأبدلت أولى الميم ألفا لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر
المؤمنين بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وإنما ثنى الضمير أولا لأن التبوئ للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس
القوم بإشاورتهم لأن جعل البيوت مساجد والصلاة مما ينبغي أن يفعله كل أحد أمر وحده لأن البشارة في الأصل
وظيفة صاحب الشريعة وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة مما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوها
وأموالا في الحياة الدنيا وأنواعا من المال ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الأمر بما علم من ممارستهم الجواهر
أنه لا يكون خيرا فكأنه قال لك لعن الله إبليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت ويحتمل أن يكون للعلة لأن إيتاء
الكفرة استدراج وتثبيت على الضلال ولأنهم لما جعلوها سببا في الضلال فكأنهم أوتوها ليضلوا فيكون ربنا كالأول
تأكيدا وتنبيها على أن المقصود عرض ضلالتهم وكفرانهم تقدمه لقوله ربنا اطمس على أموالهم اهلكها واطمس على
قلوبهم اقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للإيمان فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم
جواب للدعاء أو دعاء بلفظ النهي أو عطف على ليضلوا وما بينهما اعتراض قال قد أجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون
لأنه كان يومن فاستقيما فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والزموا الحجة ولا تستعجلا فإن ما طلبتما كائن ولكن في وقته
روي أنه مكث فيهم بعد الدعاء أربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون طريق الجهلة في الاستعجال

ج

او عدم الوثوق والاطمينان بوعد الله وعن ابن عامر وكتبعانا بالنون الخفيفة وكسر هاء لقاء الساكنين وكتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اى جوزناهم فى البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف وضاعف فاتبعهم فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته وفرعون جنوده تبعيا وعدوا وباغين وعادين اى للبغى والعدو وقرئ وعدوا حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال امنت انه اى بانه لا اله الا الذى امنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين وقرئ بالكسر على اضمار القول او لاستيناف الاسلام وتفسيره لا امنت فتكتب عن الايمان او ان المقبول وبالغ فيه حين لا يقبل الا ان تؤمن الان وقد اياست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل قبل ذلك وانت من المفسدين وكنت من الضالين الصالين عن الايمان فاليوم ننجيك ببعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر وبجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض لير اك بنو اسرائيل وقرأ يعقوب نجيك من النجى وقرئ ننحيك بالحاء اى نلقيك بناحية الساحل ببدنك فى موضع الحال اى ببدنك عاريا عن الروح او كاملا سويا او عريانا من غير لباس او بدروعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اى باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه او بابدروعك كانه كان مظاهرا بينهما لتكون لمن خلفك اية لمن وراءك علامة وقدم بنو اسرائيل الذكران فى نفوسهم من عظمته بحيث اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى عم حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على عرصة من الساحل او من يأتى بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك كفرك من تشاهد عبرة ونكالا عن على الطغيان او حجة تدلهم على ان الالهية على ما كان عليه من عظم الشان وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك اى لمخالقك اية كسائر الايات فان ازدراءه اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تحمد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة فى امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا احتمل على المشهور وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق منازل صالحة مرضية وهو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات من اللذائذ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم فما اختلفوا فى امر دينهم الا من بعد ما قرؤا التورية وعلموا احكامها او فى امر محمد صلعم الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق عن المبطل بالاثابة والاعقاب فان كنت فى شك مما انزلنا اليك من القصص حين سبيل الفرض والتقدير فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك فانه محقق عندهم ثابت فى كتبهم على نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما فى الكتب المتقدمة وان القرآن مصدق لما فيها او وصف اهل الكتب بالرسوخ فى العلم بصحة ما انزل اليه او تهييج الرسول وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال لعلم لا اشك ولا اسئل وقيل الخطاب للنبى والمراد به امته او لكل من يسمع اى ان كنت ايها السامع فى شك مما انزلنا على لساني نبيك اليك وفيه تنبيه على ان من حانت منه شبهة فى الدين ينبغى ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم لقد جاءك الحق من ربك واعلم انه لا مدخل للمرية فيه بالاية القاطعة فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ان الذين حقت عليهم كلمة ربك بانهم يموتون على الكفر او يختارون فى العاقبة الكفر بوء مرتون او لا يؤمنون كما انه

لا ينقض قضاءه وقوجاءتهم كل آية فان لسبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود حتى يرى العذاب
الاليم وحينئذ لاينفعهم كما لم ينفع فرعون فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها امنت
قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس
لكن قوم يونس لما امنوا اول ما رأوا امارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا
ويجوز ان يكون الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا كان المراد من القرية
اهاليها كانه قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية فينفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع
على البدل ومتعناهم الى حين الى آجالهم روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا على
فرعادهم بالعذاب الى ثلث وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد غامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد فهبط
حتى غشي مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا بالعذاب فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم
نسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج
واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ولو شاء ربك لآمن
من في الارض كلهم بحيث لا يشذ منهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية في
انه تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين وان من شاء ايمانه يؤمن لاستحالة والتقييد بمشية الالجاء خلاف الظاهر فانت
تكره الناس بما لم يشأ الله منهم حتى يكونوا مؤمنين وترتيب الاكراه على المشية بالفاء وايلاؤها حرف الاستقبال
للاستمرار وتقدير الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشية مستحيل فلو يمكنه تحصيله بالاكراه عليه فضلا
والتحريض عليه اذ روي انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزل ولذلك قرره بقوله وما كان لنفس
ان تؤمن الا باذن الله الا بارادته واطلاقه وتوفيقه فلا تتهالك نفسك في هدايتها فانه الى الله ويجعل الرجس
العيب او الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاء وقرأ ابو بكر ونجعل بالنون على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم للنظر
في الحجج والآيات او لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله قل انظروا وتفكروا ماذا في السموات
والارض من عجائب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل
وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون في علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية في موضع النصب فعلى
ينظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم من وقائعهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من يوم
ايام العرب لوقائعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا اهلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم ثم
ننجي رسلنا والذين آمنوا عطف على محذوف دل عليه الامثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا ومن
آمن بهم على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين كذلك الانجاء او انجاء كذلك ننجي محمدا وصحبه حين
هلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك وقرأ حفص والكسائي حقا قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وهذا خلو

دين اعتقادا واعملا فاعرضوها على التفكر الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف التعلموا صحتها وهو انى لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد الخالق الذى هو يوجد كم ويتوفيكم وانما خص التوفى بالذكر للتهديد وامرت ان اكون من المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحى وحث الجم من ان يكون ان يكون من المطرد مع ان وان وان يكون من غيره كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون خير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما فى الغرض الذى هو المقصود ومنها ما يتضمن معنى المصدر لتدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة فى الدين والاشتداد فيه باداء الفرائض والانتهاء عن القبائح او فى الصلوة باستقبال القبلة حنيفا حال من الدين او الوجه ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك بنفسه ان دعوته او خذلته فان فعلت فان دعوته فانك اذا من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسوال مقدر عن نتيجة النهى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له يرفعه الا هو الا الله وان يردك بخير فلا راد فلا دافع لفضله الذى ارادك به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده يصيب به بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فيغفر ضر الرحمة بالطاعة ولا يئسهما من غفرانه بالمعصية قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم رسوله او القرآن ولعل لكم على ان تمنى اهتدى بالايمان وللمتابعة فانما يهتدى لنفسه لان نفعه لها ومن ضل بالكفر بما فانما يضل عليها لان وبال الضلال عليها وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم وانما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك بالامتثال والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل اذاهم حتى يحكم الله بالنصر او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطاء فى حكمه لاطلاعه على السرائر الصارفة على الظواهر عن النبى عن من قرأ سورة يونس اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعد من غرق مع فرعون والله اعلم

سورة هود مكية وهى مائة وثلث وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب مبتدأ وخبر او كتاب خبر محذوف احكمت ايته نظمت نظما لا يعتريه اختلال من جهة اللفظ والمعنى او نسخت ما قبلها من الشرائع فان المراد بايات السورة وليس فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلائل وجعلت حكيمة منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية ثم فصلت بالفوائد من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار او بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما او فصل فيها ولخص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اى فرقت بين الحق والباطل او احكمت ايات ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت فى الحكم او للمتراخى فى الاخبار من لدن حكيم خبير صفة اخرى للكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت او فصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ما ينبغى بحيث لا مظنة لخلل ما ظاهر ولا خفى ان لا تعبدوا الا الله لان لا تعبدوا او قيل ان مفسرة لان فى تفصيل الآيات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما مستأنفا للاخبار على التوحيد والامر بالتبرى عن عبادة الغير كانه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى انى منه

اتركوها تركا إنني لكم منه من الله نذير وبشير بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد وأن استغفروا ربكم
أن لا تبدوا ثم توبوا إليه ثم توصلوا الى المطلوب بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع وقيل استغفروا
الله من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز أن يكون ثم لتفاوت ما بين الامرين يتمتعكم متاعا حسنا إشكال في كيفية
إلى أجل مسمى هو اخراعماركم للقدرة او لا يهلككم بعذاب الاستيصال ولا يرزقكم والاجال وان كانت متعلقة بالامرين
لكنها مسماة بالاضافة الى الكل الاحق فلا تتغير ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله
الدنيا والاخرة وهو وعد للموحد المتأنب بخيري الدارين وان تولوا وان تتولوا او ان تتولوا فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير
يوم القيمة وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى أكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من والى الله مرجعكم ترجعون في ذلك
اليوم وهو شاذ عن القياس وهو على كل شيء قدير فيقدر على تعذيبهم اشد العذاب فكانه تقرير لكبر اليوم ألا إنهم يثنون
صدورهم يثنونها عن الحق ويعرضون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي ص او يولون ظهورهم وقرئ يثنون
بالياء والتاء من اثنوى وهو بناء المبالغة وتثنون واصله تتثنون من الثنى وهو الكلام الضعيف اراد به ضعف
قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثني وتشنأ من اشنأ كاينبأض بالهمزة ليستخفوا منه من الله ليستروهم او يطلع
رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا
صدورنا على عداوة محمد ص كيف يعلم وقيل نزلت في المنافقين وفيه نظر اذ الاية مكية والنفاق حدث بالمدينة
الا حين يستغشون ثيابهم الا حين يأوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم يعلم ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون
بافواههم ليستوي في علمه سرهم وعلانيتهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه انه عليم بذات الصدور وبالاسرار ذات الصدور والقلوب
واحوالها وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
غذاءها ومعاشها لتكفله اياه بفضله ورحمته وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على المتوكل فيه
ويعلم مستقرها ومستودعها اما نهاية في الحيوة والممات او الاصلاب والارحام او مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل او
من المواد والعناصر حين كانت بالقوة كل في كتاب مبين مذكور في اللوح المحفوظ او
كانه اريد بالايراد البيان كونه عالما بها على التفصيل وبعلمها اجمالا بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقرير للتوحيد
وما سبق من الوعد والوعيد وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اى مقدار ستة ايام خلقها وما فيهما كما مر بيانه
في الاعراف وما في تحتي العلو والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون
السفليات وكان عرشه على الماء قبل خلقهما لم يكن حائل بينه وبين الماء لانه لم يكن موضوعا على متن الماء واستدل به على ان
الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك ليبلوكم
ليعاملكم معاملة المبتلي لاجوالكم كيف تعملون
أيكم احسن عملا متعلق بخلق اى خلق ذلك كله لغرض من مخلوق ليعاملكم معاملة المبتلي لاجوالكم كيف تعملون
فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما يحتاج اليه اعمالكم ودلائل ولمارات تستدلون بها وتستظهرون
منها وانما جاز تعليق فعل البلوى بما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل

والاختيار الشامل للفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح المقتضيين على الحاسن المحاسن والتخصيص على المترقي دائما في
مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح وكذلك قال النبي عم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم
الله واسرع في طاعة الله والمعنى ايكم اكمل علما وعملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا
ان هذا الا سحر مبين اي ما البعث او القول به او القرآن المتضمن لذكره الا كالسحر في الخديعة او البطلان وقرأ حمزة
والكسائي الا ساحر على الاشارة الى القائل وقرئ انكم بالفتح على تضمن قلت معنى ذكرت او ان تكون ان بمعنى
نعم اي وائن قلت على سبيل الفرض انكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في
انكاره ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة الى جماعة من الاوقات قليلة ليقولن استهزاء مما يحبسه
ما يمنعه من الوقوع الا يوم يأتيهم كيوم بدر ليس مصروفا عنهم ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس
مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها وحاق بهم واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا
مبالغة في التهديد ما كانوا به يستهزؤن اي العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع يستهزؤن موضع يستعجلون
لان استعجالهم كان استهزاء ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ولئن اعطيناه نعمة تجلت تجلي الدنيا عليه فنالها
منه ثم سلبنا تلك النعمة منه انه ليئوس قطوع رجاءه من فضل الله لقلة صبره وضعف ثقته بالله كفور
مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف
الفعلين نكتة لا تخفى ليقولن ذهب السيئات عني اي المصائب التي ساءتني انه لفرح بطر بالنعمة مغتر بها فخور على الناس مشغول عن الشكر
القيام بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم والمحن كالا نموذج لما يجده في الاخرة وانه
يقع في الكفران والبطر بادنى شيء لان الذوق ادراك الطعم والمس مبدأ الوصول الا الذين صبروا على الضراء ايمانا بالله
واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات شكرا للنعماء سابقها ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير
اقله الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق
ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك تترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف
رأي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو
عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ مانعا وضائق به صدرك وعارض لك احيانا ضيق صدر بان
تتلوه عليهم مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز يغنيه في الاستغناء كالملوك او تجيء معه ملك يصدقه
وقيل الضمير في به مبهم يفسره ان يقولوا اي فلعلك تارك بعض ما اوحي اليك وضائق صدرك بما اوحي اليك ولا عليك الا
الانذار عوافقا بالك بضيق به صدرك والله على كل شيء وكيل فتوكل عليه فانه عالم بما لهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم
وافعالهم ام يقولون افتراه ام منقطعة والهمزة لما يوحى قل فاتوا بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم اولا
بعشر سور ثم لما عجزوا واعياهم سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد مفترى يأتي مختلفات
من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما اقول عليه بل انتم

٣٧١

اقدر تعلمكم النصح والاشفاق وتتوركم القرآن والتعلم وادعوكم الى ما يستتبع تعلمه من الخوض في التأمل في معارفه وتدبر حقائقه
ان كنتم صادقين انه مفترى وان لم يستجيبوا لكم بالاتيان بما دعوتموهم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول او لان المؤمنين
ايضا كانوا يقترحون عليه ويقولون ائت بقرآن غير هذا او بدله من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر لا ما يختصه كما يدل
والتنبيه على ان العلم مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يتزلزلون عنه ولذلك رتب عليه قوله
فاعلموا انما انزل بعلم الله انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر عليه سواه وان لا اله الا هو وهل انتم
لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجزكم وانتفاء هذا الكلام الثابت صدقه
بالتحدي عليه وفيه تهديد واقناط من ان يجيبوهم من بأس الهتهم فهل انتم مسلمون ثابتون على الاسلام
فيه مخلصون اذ الحق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين فالضمير في لم يستجيبوا لكم
اي فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله
وانه منزل من عنده وان ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي
هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قبيح الموجب وال العدل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها
باحسانا ويره نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم جزاء اعمالهم من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد
وقرئ يوف بالياء اي يوف الله ونوف على البناء للمفعول ونوفي بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله
وان اتاه كريم يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم ومنها لا يبخسون لا ينقصون شيئا من اجورهم ولا يفوتهم
اهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار مطلقا في مقابلة ما عملوا
لانهم استوفوا ما يقتضيه صورة اعمالهم الحسنة وبقيت اصولها وازاء العزائم السيئة وحبط ما صنعوا فيها لانه لم يبتغ به ثواب في الآخرة او
لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله والعمدة في اقتضاء ثوابها الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا وباطل
في نفسه وما كانوا يعملون لانه لم يعمل على ما ينبغي وكان كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه
مفعول يعملون وفيها ايهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من فيّ زور كلام ويدل على الفضل افمن كان
على بينة من ربه برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما يأتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شأنه
هؤلاء المقصورين همهم واشتاقهم على الدنيا وان تقارب بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان
على بينة كمن كان يريد الحياة الدنيا وهو حكيم كل مؤمن مخلص ويجوز ان يراد به النبي ﷺ وقيل هو من امنوا اما كما
ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل شاهد منه شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن
قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى يعني توراته فانها ايضا تتلوه في التصديق وقيل البينة هو القرآن ويتلوه من التلاوة والضمير
جبرئيل او لسان الرسول او لهم على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير في يتلوه اما للمنزل والبينة
المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة وقرئ كتاب بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلوا القرآن شاهد منه
كان على بينة دالة على انه حق كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرأ من قبل القرآن التوراة

إماما كتابا موتما به في الدين ورحمة على المنزل عليهم لانه الموصلة الى الفوز بخير الدارين أولئك اشارة الى من كان على
بينة يؤمنون به بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب منهم على رسول الله فالنار موعده
يرد هاهنا محالة فلا تك في مرية منه من الموعد او القرآن وقرئ مرية بالضم وهما الشك انه الحق من ربك ولكن
اكثر الناس لا يؤمنون لقلة نظرهم واختلال فكرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كان اسند اليه ما لم ينزل له
او نفى عنه ما انزله اولئك يعرضون على ربهم في الموقف ان يحبسوا وتعرض اعمالهم ويقول الاشهاد من الملائكة
والنبيين ومن جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة
الله على الظالمين تهويل عظيم مما يحيق بهم حين تظلهم بالكذب على الله الذين يصدون عن سبيل الله عن
دينه ويبغونها عوجا ويصفونها بالاعوجاج عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة وهم بالآخرة هم
كافرون والحال انهم كافرون بالآخرة وتكريرهم لتاكيد كفرهم واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض
اي كانوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم وما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه اخر عقابهم
الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم يضاعف لهم الحد اي استيناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف
بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن ايات الله
وكانه العلة لمضاعفة العذاب فقيل وموبخا على ما انفاه من ولاية الالهة بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء فان
فاقد الشيء وكل يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض او اولئك الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة
الالهة بعبادة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها او خسروا بما بذلوا واضاع عنهم ما حصلوا
فلم يبق لهم سوى الحسرة والندامة لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون لا احد ابين واكثر خسرانا منهم ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اطمأنوا اليه وخشعوا له من الخبت وهي الارض المطمئنة اولئك
اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون مثل الفريقين الكافر والمؤمن بالاعمى والاصم والبصير والسميع يجوز ان يراد
به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن ايات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله وتأبيه عن تدبر معانيه و
المؤمن بالبصير والسميع لان امره بالضد فيكون كل واحد منهما مشتركا بالثنين باعتبارين وصفين او تشبيه الكافر بالجامع
بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة لقولك الصالح فالغانم فلا يأبى هذا ان يكون
اللف والطباق هل يستويان هل يستوي الفريقان مثلا تمثيلا او صفة او حالا افلا تتذكرون تتعظون بضرب الامثال
والتأمل فيها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم بالى لكم وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول
نذير مبين ظاهر النذارة لكم موجبات العذاب وجه الانذار ان لا تعبدوا الا الله بدل من اني لكم او مفعول مبين ويجوز
ان يكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم صوب او وصف في الحقيقة صفة المعذب
ولكن يوصف به العذاب في زمانه على طريقة جد جده ونهاره صائم للمبالغة مثل الملا الذين كفروا من قومه
ما نراك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تختصك بالنبوة ووجوب الطاعة وما نراك اتبعك الا الذين

ثم الراذل لنا الخباء تاجمع ارذل كانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر او ارذل جمع رذل بادي الرأي ظاهر الراي
من غير تعمق من البدو واو اول الراي من البدأ والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ ابو عمرو بالهمزة وانتصابه
بالظرف على حذف المضاف اي وقت حدوث بادي الراي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم
لما لم يعلموا الا الظاهر من الحيوة الدنيا كان الاخطر بها اشرف عندهم والحروم منها ارذل وما نرى لكم لك ولمتبعيك علينا
من فضل يوهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة بل نظنكم كاذبين اياك في دعوى النبوة واياهم في دعوى العلم بصدقك
فغلب الخطاب على الغائبين قال يا قوم ارايتم اخبروني ان كنت على بينة من ربي حجة شاهدة بصحة دعواي وآتاني
رحمة من عنده بايتاء البينة او النبوة فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم تهتدوا وتوحيد الضمير لان البينة في نفسها بينة
اولان خفاءها يوجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار او لانه لكل واحدة منهما وقرأ
حمزة والكسائي وحفص فعميت اي اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله انكر ملكوها انكركم على الاهتداء بها وانتم لها
كارهون لاختيارونها ولا تتاملون فيها وحيث اجتمع ضميران ليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز في الاشهر
الفصل والوصل ويا قوم لا اسالكم عليه على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر مرارا ان اجري الا على الله فلا
اعمل منه فما انا بطارد الذين امنوا جوابهم حين سالوا طردهم انهم ملاقو ربهم فيحاصمني طردهم عند ربي او انهم
يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم ولكني اراكم قوما تجهلون بلقاء ربكم او بانا نطردهم او في التماس طردهم او
عليهم بان تدعوهم اراذل ويا قوم من ينصرني من الله بدفع انتقامه ان طردتهم وهم بتلك الصفة والمثابة افلا
تذكرون ولم تعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب ولا اقول لكم عندي خزائن الله خزائن الله ما
اموال الله حتى تجدوني فضلا ولا اعلم الغيب عطف على عندي خزائن الله اي ولا اقول لكم انا اعلم الغيب حتى تكذبوني
او حتى اعلم ان هؤلاء اتبعوني بادي الراي من غير بصيرة وعقد قلب وعلى الثاني يجوز عطفه على اقول ولا اقول اني ملك
حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول للذين تزدري اعينكم ولا اقول في شان من استرذلتموهم لفقرهم
لن يؤتيهم الله خيرا ان ما اعد الله لهم في الاخرة خير مما اتاكم في الدنيا الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن
الظالمين ان قلت شيئا مما في ملكه ولا ازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه قلبت تاءه دالا ليجانس الزاي في الجهر واسناده
الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية وبما عاينوه من رثاثة حالهم وقلة مالهم
دون تامل في معايبهم وكمالاتهم قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فاطلبته او ائتنا بانواع
فاتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في الدعوى والوعيد فان مناظرتك لا تورثنا قال انما
ياتيكم به الله ان شاء عاجلا او اجلا وما انتم بمعجزين بفائتين بدفع العذاب والهرب منه ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم شرط
دليل جوابه والجملة دليل جواب قولي ان كان الله يريد ان يغويكم وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت
ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك نظائر تقول لو قال لزوجته انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت
لم تطلق وهو جواب لهما او لهما من ان حذف الله كلامه يدل عليه دليل على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء وان حذف

مراده يضل وقيل ان يغويكم ان يهلكم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك هو ربكم خالقكم والمتصرف فيكم وفق
ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى اجرامي وباله وقرئ اجرامي
على الجمع وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسناده كما تقرأ الى آخره واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن
فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اسقطه الله من ايديهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء واصنع الفلك
بأعيننا ملتبسا باعيننا او بحيث نراك ونحفظك او بكثرة آلة الحسن الذي به يحفظ الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ
والرعاية على طريقة التمثيل ووحينا اليك كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تراجعني فيهم ولا تدعني
باستدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه ويصنع الفلك حكاية حال
ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزؤا به لعمله السفينة فانه كان يعملها في برية بعيدة من
الماء او ان عزته فكانوا يضحكون منه ويقولون له صرت نجارا بعد ما كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم
كما تسخرون اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الاخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال فسوف تعلمون من يأتيه عذاب
يخزيه يعني به ايانا وبالعذاب الغرق ويحل عليه وينزل ويحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه عذاب مقيم
دائم وهو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى هي التي
تبتدأ بعدها الكلام وفار التنور نبع الماء فيه وارتفع كالقدر تفور والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع
على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها او في الهند او بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه
الارض واشرف موضع فيها قلنا احمل فيها في السفينة من كل من كل نوع من الحيوانات المنتفع بازوجين اثنين ذكرا
وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين اي من كل صنف ذكر وصنف
انثى واهلك عطف على زوجين او اثنين والمراد اخراجه وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين
بريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين ومن امن والمؤمنين من غيرهم وما امن معه الا قليل
قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون
رجلا وامرأة من غيرهم روي انه عم اتخاذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين
وسمكها ثلثين وجعل لها ثلثة بطون فجعل في اسفلها الدواب والوحش وفي اوسطها الانس وفي اعلاها الطير وركب
قال اركبوا فيها اي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالمركوب في الارض بسم الله مجراها ومرساها متصل
باركبوا حال من الواو اي اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها او مكانهما على ان المجرى والمرسى
للوقت او المكان او للمصدر والمضاف محذوف كقولهم اتيتك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما
بسم الله على ان المراد بهما المصدر او جملة من مبتدأ وخبر اي اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبره او صلته
والخبر محذوف وفي الجملة مقتضية لا تعلقها بما قبلها او حال مقدرة من الواو او الهاء وروي انه كان
اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فوست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم

السلام عليكما بقراءة حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص بالفتح من جرى وقرئ مرسها ايضا من رسا وكلاما يحتمل الثلاثة وغيرها
ومرسيها بلفظ الفاعل صفتان لله ان ربي لغفور رحيم اي لو لم يغفر لكم ورحمته اياكم لما نجاكم ومعنى
تجري بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اي فركبوا مسمين وهي تجري وهم فيها في موج كالجبال في فوج من الطوفان
وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كالجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء
والارض وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان
صح فلعل ذلك قبل التطبيق ونادى نوح ابنه كنعان وقرأ علي ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمائر الاربع
لنوح وقيل كان لغير رشدة لقوله فخانتاهما وهو خطأ اذ الانبياء عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في
الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الراء فركض في معزل عزل فيه نفسه عن ابيه او عن
دينه مفعل للمكان من عزله عنه اذا بعده يا بني اركب معنا في السفينة والجمهور كسروا الياء ليدل على ياء الاضافة
المحذوفة في جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها في لقمان في الموضع الاول باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية
قنبل وعاصم فانه فتح ههنا اقتصادا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلفت الرواية عنه في سائر المواضع
وقرأ مدغم الياء في الميم ابو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين في الدين او الاعتزال قال سآوي الى
جبل يعصمني من الماء ان يغرقني قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم الا الراحم وهو الله تع او الامكان من رحم
الله وهم المؤمنون ردبذلك ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم الا المرحوم به الا معتصم الموضعين وهو السفينة
وقيل لا عاصم بمعنى ذا عصمة كقوله عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من رحمه الله يعصمه و
حال بينهما الموج بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل فكان من المغرقين فصار من المهلكين بالماء وقيل بالارض
ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي نودي بما ينادى به اولو العلم وامر بما يؤمرون بمثله لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء كونه
فيهما بالامر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه والبلع
والاقلاع الامساك وغيض الماء نقص وقضي الامر وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين واستوت
واستقرت السفينة على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بأمل روي انه ركب السفينة عاشر رجب
ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم وصارت سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا اذا بعد بعدا
بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والاية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها
والدلالة على كنه الحال مع لا يجاز الخالي عن الاخلال وايراد الاخبار على البناء المفعول دلالة على تعظيم الفاعل وانه
متعين في نفسه مستغن عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليه سواه
ونادى نوح ربه اراد النداء بدليل عطف قوله فقال رب ان ابني من اهلي فانه النداء وان وعدك الحق و
انك وعدك منجز كل وعد تعده حتى لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان تنجي اهلي فما باله لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل
فانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم او لانك اكثر حكما من ذوي الحكم لان الحاكم من الحكام كالملك

من البدع قال يٰنوحُ اِنَّهٗ لَيْسَ مِنْ اَهْلِكَ لقطع الولاية بين المؤمن والكافر واليه اشار بقوله انه عمل غير صالح فانه
تعليل لنفي كونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقولك الخنساء تصفها قد ترتع
ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما و
اشفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرأ الكسائي وانه عمل اي عمل عملا غير صالح فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهٖ
عِلْمٌ ما لم تعلم صوابه هو ام ليس كذلك وانما سمي ذلك سؤالا لتضمن ذكر الموعد بنجاة اهله استنجازه في شان
ولده او استفسار المانع الابهام في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله اِنِّيْٓ اَعِظُكَ اَنْ تَكُوْنَ مِنَ الْجٰهِلِيْنَ كانه
استثناء من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال اغناه عن السؤال لكن شغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه
وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون الشديدة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على ان اصله تسئلنني
فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء ثم حذفت الكسرة بالكسرة وعن نافع اثباتها
في الوصل قَالَ رَبِّ اِنِّيْٓ اَعُوْذُ بِكَ اَنْ اَسْـَٔلَكَ فيما يستقبل مَا لَيْسَ لِيْ بِهٖ عِلْمٌ مما لا علم لي بصحته وَاِلَّا تَغْفِرْ لِيْ وان لم تغفر
فاوطني من السوال وترحمني بالتوبة والتفضل عَلَيَّ اَكُنْ مِّنَ الْخٰسِرِيْنَ اعماله قِيْلَ يٰنُوْحُ اهْبِطْ بِسَلٰمٍ مِّنَّا انزل من السفينة
مسلما من الحكام من جهتنا او مسلما عليك وَبَرَكٰتٍ عَلَيْكَ ومباركا عليك او زيادات في نسلك حتى تصير امما ناشئة
وقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهي الخير النامي وَعَلٰٓى اُمَمٍ مِّمَّنْ مَّعَكَ وَعَلٰٓى اُمَمٍ ناشئة ممن الذين معك سموا
امما لانهم اولتشعب الامم منهم او على امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله وامم سنمتعهم اي في
معك امم سنمتعهم في الدنيا ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِّنَّا عَذَابٌ اَلِيْمٌ في الاخرة والمراد بهم الكفار من ذريته من بعده وقيل امم قوم هود وصالح
ولوط وشعيب والعذاب النازل بهم تِلْكَ اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها مِنْ اَنْۢبَآءِ الْغَيْبِ اي بعض
نوحيها اِلَيْكَ خبر ثان والضمير لها اي موحاة اليك او حال من الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلق به او حال من
الهاء كُنْتَ تَعْلَمُهَآ اَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هٰذَا خبر اخر اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك
او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها وفي ذكرهم تنبيه على انه لم تتعلمها اذ لم يخالط
غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوا فكيف بواحد منهم فَاصْبِرْ على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح اِنَّ
الْعَاقِبَةَ في الدنيا بالظفر وفي الاخرة بالفوز لِلْمُتَّقِيْنَ عن الشرك والمعاصي وَاِلٰى عَادٍ اَخَاهُمْ هُوْدًا
عطف على قوله ونجا الى قومه وهود اعطف بيان قَالَ يٰقَوْمِ اعبدوا اللّٰهَ وحده مَا لَكُمْ مِّنْ اِلٰهٍ غَيْرُهٗ وقرئ
بالجر حملا على المجرور وحده اِنْ اَنْتُمْ اِلَّا مُفْتَرُوْنَ على الله باتخاذكم الاوثان شركا وجعلها شفعاء يٰقَوْمِ لَآ اَسْـَٔلُكُمْ
عَلَيْهِ اَجْرًا اِنْ اَجْرِيَ اِلَّا عَلَى الَّذِيْ فَطَرَنِيْ خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتحريضا للتصيص فانها لا تنجع
ما دامت مشوبة بالمطامع اَفَلَا تَعْقِلُوْنَ افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا الحق من المبطل والصواب من الخطاء
وَيٰقَوْمِ اسْتَغْفِرُوْا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوْبُوْٓا اِلَيْهِ اطلبوا مغفرته بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التائب عن الغير انما
يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده يُرْسِلِ السَّمَآءَ عَلَيْكُمْ مِّدْرَارًا المطر الدر وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً اِلٰى قُوَّتِكُمْ ويضاعف

قوتهم وآثارهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلاث سنين فوعدهم هود عم على الايمان والتوبة كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه لتجربتين مصرين على اجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات وما نحن بتاركي الهتنا بتاركي عبادتهم عن قولك صادرين عن قولك حال من الضمير في تاركي وما نحن لك بمؤمنين امتناط له من الاجابة والتصديق ان نقول الا اعتراك ما نقول الا قولنا اعتراك اي صابك من عراه يعروه اذا اصابه بعض الهتنا ليستمر يجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات والجملة مفعول القول ولا يجوز ان يكون الاستثناء مفرغا فان اني اشهد الله و اشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا انتم وهو فكيد في جميع احواله لا تنظرون لا تمهلون اجاب عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تعالى براءته من الهتهم وفراغه عن اضرارهم تاكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم بان يشهد واعليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد في اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهد واعيه ورأوا انهم عجزوا عن اخرمهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه لم يتوهم شبهة ان الهتهم التي هي جماد لا يضر ولا ينفع لا تمكن من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة اقتحام العطمل الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا بعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله اني توكلت على الله ربي وربكم تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم غاية وسعكم لم تقدروا في فاني متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكي ومالكم لا يحيق بي مما تريده ولا تقدرون على ما لم يقدره تقريرا هن عليه بقوله ما من دابة الا وهو اخذ بناصيتها اي الا وهو مالكها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم فان تولوا فان تتولوا افعل ابلغتكم ما ارسلت به اليكم فقد ادديت ما علي من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم استيناف باوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين في ديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع وكانه قيل فان تولوا يعذبني ويستخلف ولا تضرونه شيتا يتولكم شيئا من الضرر ومن جزم وليستخلف اسقط النون منه ان ربي على كل شيء حفيظ رقيب فلا يخفى عليه اعمالكم ولا يفلت عن مجازاتكم واحفظ مستولي عليه فلا يمكن ان يضره شيء ولما جاء امرنا عذابنا او امرنا بالعذاب تيسيا هودا والذين امنوا معه برحمة منا وكانوا اربعة آلاف ونجيناهم من عذاب غليظ تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم او المراد به تعجيتهم من عذاب الاخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الاخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد اثنت اسم الاشارة باعتبار القبيلة او كان الاشارة الى قبورهم واثارهم جحدوا بايات ربهم كفروا بها وعصوا رسله لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكانما عصى الكل لانهم امروا باطاعة كل رسول واتبعوا امر كل جبار عنيد يعني كبراءهم الطاعنين وعتيد من عند عنودا او عنيدا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم

واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اي جعلت اللعنة تبعة لهم في الدارين نكبتهم في العذاب الا ان عادا كفروا ربهم
جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به فحذف الجار لا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين
لما نزل عليهم بسبب ما حكي عنهم وانما كرر لا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم قوم هود عطف
بيان لعاد وقال بدل تمييز منهم عن عاد الثانية عاد ارم والاباء الى ان استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود والى
ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشأكم من الارض هو كونكم منها لان غيره
فانه خلق آدم ومواد اللطف التي خلق نسله منها من التراب واستعمركم فيها اعمركم فيها واستبقاكم من العمر او
اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها ديارهم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم
معمرين ديارهم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب رحمته مجيب
لداعيه قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا او مستشارا
في الامور او ان نواصقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاءنا عنك اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا
على حكاية الحال الماضية وانا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد والتبري عن الاوثان مريب موقع في الريبة
من ارابه اوذى ريبة على الاسناد المجازي من ارابه في الامر قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني
وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين وآتاني صفته رحمة نبوة فمن ينصرني من الله فمن يمنعني من عذابه ان عصيته
في تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به فما تزيدونني اذن باستتباعكم اياي غير تخسير غير ان تخسروني بابطال ما يمنحني
الله به والتعريض لعذابه لو فرضا تزيدونني بما تقولون لي غير ان اسلبكم الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية
انتصابها على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها فذروها تأكل في ارض الله
ترع عنانها وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى عن مسكوها بالسوء الا يسيرا
وهو ثلاثة ايام فعقروها فقال تمتعوا في داركم علبشوا في منازلكم او في داركم الدنيا ثلاثة ايام الاربعاء والخميس
والجمعة ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب على المجاز وكان الوعيد قال له اني لبك فان وفى به صدقه ولا كذبه
او وعدا غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة
منا ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي يومئذ وسوء لهم بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة وعن نافع والكسائي
يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه ان ربك هو القوي العزيز القادر على كل شئ والغالب عليه واخذ الذين
ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها قد سبق تفسير هذا في سورة الاعراف الا ان ثمود الكفر وادبهم
نونه ابو بكر ههنا وفي النجم والكسائي في جميع القرآن وابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو في قوله الا بعدا لثمود ذهابا
للحي او الاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا ابراهيم يعني الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلثة جبرئيل وميكائيل
واسرافيل بالبشرى ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه

٣٧٩

بقالوا على معنى ذكروا سلاما فقال سلام اى امركم او جوابى سلام او عليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرأ حمزة والكسائى سلم وكذلك فى الذاريات ومعناهما واحد وقيل المراد به الصلح فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فما ابطأ مجيئه به او فما ابطأ فى المجئ به او فما تأخر عنه والجار مقدر او محذوف والحنيذ المشوى بالرضف وقيل المشوى بالحجارة المحماة يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله بعجل سمين فلما رأى ايديهم لا تصل اليه لا يأكلون اليه ايديهم نكرهم وأوجس منهم خيفة انكر ذلك منهم وخاف ان يريد بأسا مكروها وانكر واستنكر بمعنى وقيل لا ضمار قالوا له لما احس منه اثر الخوف لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب لنهلكهم وامرأته قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤسهم للمجازاة فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او باصابة رأيها فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا فانى اعلم ان العذاب ينزل بهذا القوم وقيل فضحكت فحاضت قال وعهدها بسنى ضاحكا فى لبابة ولم تعلم حقا ثيها ان تحيضا ومنه ضحكت الشجرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء فبشرناها بإسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب بنصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل مضمر دل عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها من وراء اسحاق يعقوب وقيل انه معطوف على موضع باسحاق او على لفظه اى فحملته اليها فانه غير مصروف ووقرئ على الفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدأ خبره الظرف اى ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمى به لانه يعقب بعد الولد وعلى هذا يكون اضافته الى اسحاق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث انه وراء ابراهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما البشارة فيحتمل وقوعهما فى الحكاية بعد ان ولد اسميا به وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد قالت يا ويلتى يا عجبا اصله فى الشر فاطلق فى كل امر فظيع ووقع بالياء على الاصل وكذلك عجوزا اى ابنة تسعين او تسع وتسعين سنة وهذا بعلى زوجى واصله القائم بالامر شيخا ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلى بدل ان هذا لشئ عجيب يعنى الولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة دون القدرة ولذلك قالوا أتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد المنعم والكرامات ليس ببديع ولا حقيق بان يستغرب به عاقل فضلا عمن نشأ وتربى فى ملائكة الآيات فاهل البيت نصب على المدح او النداء لقصد التخصيص كقوله اللهم اغفر لنا ايتها العصابة انه حميد فاعل ما يستوجب به الحمد مجيد كثير الخير والاحسان فانا ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط يجادل رسلنا فى شأنهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما لجئ به مضارعا على حكاية الحال او لانه فى سياق الجواب بمعنى الماضى كجواب لو او دليل جوابه المحذوف ومثل ابراهيم فى حلمه ورقته ورأفته ورجوعه الى الحق ومقلع عن العجلة فى الدعاء على الظالمين ومتأن فى فعل ما يتأتى فيه التأنى ومتثبت فى معرفة مقام الشبهة مقابله مثل الحمار او قبل يجادلنا ان ابراهيم لحليم غير عجول على الانتقام من المسئ اليه اواه كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس منيب راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الجامل له

على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه يا ابراهيم على ارادة القول اى قالت الملائكة يا ابراهيم اعرض عن هذا الجدال
انه قد جاء امر ربك قدره بمقتضى قضائه الازلى بعذابهم وهو اعلم بحالهم وانهم اتيهم عذاب غير مرد ومصروف
بحال ولا دعاء ولا غيره ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سيئ بهم وساء مجيئهم لانهم جاؤا في صورة غلمان فظن انهم اناس
فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم وضاق بهم ذرعا مجاز عن بكائهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض
عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون اليه
يسرعون اليه كانهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات
الفواحش ومرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين بها وقال يا قوم هؤلاء بناتي فذوهن اضيافه كرما
وحمية والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن كانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم ولا لحرمة المسلمات
على الكفار فانه شرع طارئ ومبالغة في تباهي خبث ما يرومونه حتى ان ذلك اهون منه او اطهار الشدة
استعاضه من ذلك كي يرتدوا عن قوله وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابو امته من حيث الشفقة و
التربية وفي حرف ابن مسعود وهو اب لهم وسوادهم هن اطهر لكم انظف فيحل او اقل فحشا كقولك الميتة والطيب من المخصوص واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على ان هن بنتي بناني كقولك هذا اخي هو لا فصل
لا يقع بين الحال وصاحبها فاتقوا الله بترك الفواحش وبايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحوني من الخزاية او
تجعلوني من الخزاية بمعنى الحياء في ضيفي وفي شانهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاه اليس منكم رجل رشيد يحتشم الحق
يرعوي عن القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق حاجة وانك لتعلم ما نريد وهو اتيان الذكران قال لو ان
لي بكم قوة لو قويت بنفسي على دفعكم او آوي الى ركن شديد الى قوي امتنع به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي
رحم الله اخي لوطا كان يأوي الى ركن شديد وقرئ او اوي بالنصب باضمار ان كانه قال لو ان لي بكم قوة او اويت او خوا
لو محذوف تقديره لدافعتكم روي انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار
فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك لن يصلوا الى ضررك بل ضررك عليهم
ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبريل بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون النجاء النجاء ان
في بيت لوط سحرة فاسر باهلك بالقطع من الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع في القرآن من السرى يقطع
من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم احد ولا يتخلف او لا ينظر الوراءه والنهي في اللفظ لاحد وفي المعنى للوط
اذ امرأتك استثناء من قوله فاسر باهلك وبدل منه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك وعلى
انما يصح على تاويل لا يلتفت بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الوراء في الذهاب لم يتضح ذلك قراءة ابن
كثير وابي عمرو بالرفع على البدل من احد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين في انه خلفها مع قومها او اخرجها
فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقال يا قوماه فادركها حجر فشدخ رأسها لان القواطع لا يصح حملها على المتصل
المتناقضة ولان لو لم جعل الاستثناء في القراءتين عن قوله ولا يلتفت مثله في قولك ما فعلوه الا قليل ولا يصح ان يكون

اكثر القراء على غير الاصح ولا يلزم من ذلك امرهما بالتفات بل علم نهيهما عنه استصحابا ولان ذلك علة له على طريقة
الاستيناف بقول ابن انه مصيبهما كما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح كانه
علة للامر بالاسراء اليس الصبح بقريب جواب لا يستعجال لوط واستبطائه العذاب فكما جاء امرنا عذبنا وانجزنا به وعيده
كذلك هؤلاء وحمل التعذيب مسببا عنه بقوله جعلنا عاليها سافلها فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها
اى اهلها كما سيأتي في سورة هود فاستدل الى نفسه من حيث انه المستتبع للامر فانه روى ان جبرئيل عم ادخل جناحه
تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وامطر عليها
على الممكن او على مثل اذ هي حجارة من سجيل من طين متحجر لقوله حجارة من طين واصله سنكيل فعرب وقيل انه من
استجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل الشئ المرسل او مثل العطية في الاهلاك او من السجل اى ما كتب الله
ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اى من جهنم فابدلت لامه نونا منضود نضد مسدد العذاب بعضها على اثر بعض او نضد في
الارسال يتتابع بعضه بعضا كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض والصق به مسومة معلمة للعذاب وقيل
معلمة ببياض وحمرة او بسيما ينبئ بها عن حجارة الارض وباسم من يرمى به عند ربك في خزائنه وما هي من الظالمين ببعيد
فاعم بظلمهم حقيق بان يعمهم عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عم انه سال جبرئيل عم فقال يعني ظالمي امتك ما
من ظالم منهم الا وهو يرضخ يسقط عليه من ساعته الى الساعة وقيل الضمير للقرى اى هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها
في اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تاويل الحجر او المكان والى مدين اخاهم شعيبا اراد او لاد مدين بن ابراهيم
عم او اهل مدين وهو ملك بنى به مدينا سميت باسمه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان
امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس الشامل للعدل المخل بحكمة التعاوض اني
اراكم بخير بسعة يغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان تشكر فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو في الجملة علة النهي واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ منه احد منكم وقيل علة
محذوف من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب الاستيصال في توصيف اليوم بالاحاطة وهي صفة العذاب
لاشتماله عليه ويا قوم اوفوا المكيال والميزان صرح بالامر بالايفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها على انه لا
يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعي في الايفاء ولو بزيادة لا يتاتى دونها بالقسط بالعدل والسوية من غير
زيادة ونقصان فان الاول يراد به الايفاء وهو مندوب وغير مامور به وقد يكون محظورا ولا تبخسوا الناس اشياءهم تعميم
بعد تخصيص قيل لم من يكون في المقدار اراد في غيره وكذا قوله ولا تعثوا ولا تعثوا في الارض مفسدين فان العيوب تنقص
الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد ايضا البخس لكنه اخذ المنهي من المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق
والغارة ونحوها والحال اما للتاكيد او لاخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عم وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين
امر دينكم ومصالح اخرتكم بقية الله ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف
ان كنتم مؤمنين يشرط ان توحدوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان او ان كنتم

وعلى الاول يستثنى ان يكون خارجا عن ارادة تجيء العذاب ١٢ منه

اى الى الجو او الى الشئ المجوف او الى الجهة التي اراد الله منها ١٢ منه

ان وقتهم فان عرضه للاسراء ١٢ منه

٣٨٢

قوله لو بزيادة لا يتاتى دونها خيب الزيادة ح لان ما لا يتم الشئ الواجب الا به منه واجب ١٢

مصلحين من قولهم كم وقيل البقية الطاعة لقوله والباقيات الصالحات وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقوية التي
تكف عن المعاصي وما انا عليكم بحفيظ احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ
وقد اعذرت حين انذرت لست بحافظ عليكم نعم الله لو تركوا سوء صنيعهم قالوا اشعيب اصلواتك تامرك
ان نترك ما يعبد اباؤنا من الاصنام اجابوا به امرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلوته والاشعار بان شانه
لا يدعو اليه دراية عقل وانما دعاك اليه خطرات وساوس من جنس ما تواظب عليه وكان كثير الصلوة ولذلك
جمعوا وخصوا بالذكر وقرئ تامرك والكلام محقص على الافراد والمعنى اصلوتك تامرك بتكليفنا ان نترك
فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره او ان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف على ما اي وان نترك فعلنا
ما نشاء في اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على ان نترك وهو جواب الهمزة عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان
ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فاراد وابه ذلك انك لانت الحليم الرشيد تتهزء به وقصدوا وصفه بضد
ذلك او علموا انكارا مع محاسنه واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى امثال ذلك قال
يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اشارة الى ما اتاه الله من العلم والنبوة ورزقني منه رزقا حسنا اشارة
الى ما اتاه الله من المال الحلال وجواب الشرط محذوف قد يدع فهل يسعني مع هذا الانعام الجامع للسعادات
الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه وانا لخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغييرهم الوفاء
والنهي عن دين الآباء والتصدير في صنه لله اي من صنه وباعانته بلا كد مني في تحصيله وما اريد ان اخالفكم الى
ما انهاكم عنه اي وما اريد ان آتي ما انهاكم عنه لاستبد به فلو كان صوابا لاتيته ولم اعرض عنه فضلا ان انهاكم عنه
يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس ان اريد الا الاصلاح
استطعت ما اريد الا ان اصلحكم بامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح
فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه وهذه الاجوبة الثلثة على احد التسق شان وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان يراعي
في كل ما ياتيه ويذره اصل حقوق ثلثة احدها واداءها حق الله وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك
يقتضي ان امركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح
اي المقدار الذي استطعته او اصلاح ما استطعته فحذف المضاف وما توفيقي الا بالله وما توفيقي لاصابة الحق و
الصواب الا بهدايته ومعونته عليه توكلت عليه توكل من فانه لقادر التمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدم
ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدا واليه انيب
اشارة الى معرفة المعاد وهي ايضا تفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل والصواب على الفعل وفي هذه الكلمات طلب
التوفيق لاصابة الحق فيما ياتي ويذر من الله والاستعانة به في جامع امره والاقبال عليه بشراشره وحسم اطماع
الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بعداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء يا قوم لا يكسبنكم
يحملنكم معاداتي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الرجفة

وان يصلها تانى مفعولى جرم فانه يعدى الى واحد والى اثنين تكسب وعن ابن كثير بضم النون من اجرم
الى مفعول والاول افصح فان اجرم افرد ورانا على السنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لغة فيه نافته الى المبنى كقوله ثم يمنع الترب
مهملا غير ان نطقت حمامة فدعوت ذا دان اجاب دعاني وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا
بهم او ليس ببعيد منكم فى الكفر والمساوى فلا يبعد عنكم ما اصابهم وقرأ ابن كثير وما هى من الظالمين ببعيد
ولا يبعد ان يبقى فى امثالها بين المذكر والمؤنث لانها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق واستغفروا ربكم ثم
توبوا اليه حاثهم عليه ان ربى رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل الحبيب
لمودة من يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار قالوا يا شعيب ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول لوجود
التوحيد وحرمة التبخيس وما ذكرته دليلا عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه
اولانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفورهم عنه وانا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك فنمتنع منا ان اردنا بك سوءا او
مريضا لا حراك بك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استناد الاعمى
قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين ورؤيته ربه ظاهر ولولا رهطك قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا بحرمتك
شوكتهم فان الرهط من الثلثة الى العشرة وقيل الى السبعة لرجمناك لقتلناك بالرجم او لشتمناك بلغة حمير وما انت علينا
بعزيز فتمتنع عن رجمنا عزتك عن الرجم وهذا دليل السفيه المجبر بقبائل المجبر والاباة بالسب والتهدد بل وفى ايلائه الضمير
الذى تنبيه على ان الكرام فيه لا فى ثبوت العزة فان العاقل لهم عن ايذائه عزة قومه ولذلك قال يا قوم ارهطى اعز
عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه كالمنسى المنبوذ وراء الظهر بان اشركتم به وعاديتموه فلا تبقون
على اذيته وتثقون على بطشه وهو يحيط بكل شىء علما لا يكفر والتوبيخ والرد والتكذيب وظهريا منسوب الى الظهر والكسر من تغيرات
النسب ان ربى بما تعملون محيط فلا يخفى عليه شىء منها فيجازى عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون
من يأتيه عذاب يخزيه سبق مثله فى سورة الانعام والفراء فى صوف تعلمون ثم للتصريح بان الاصرار والتمادى
فيما هم عليه سبب لذلك وسيأتيهما لهما هنا لان جواب السائل اذا قال فماذا يكون بعد ذلك هو البليغ فى التهويل ومن هو
عطف على من يأتيه لانه فى تأويله كقولك ستعلم من اتاه ذب الصادق بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف
تعلمون من المحق فى الحاد بمعنى منكر وقيل ان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثانى اليه لكنهم لما كانوا
يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا انتظروا اما انا لكم رقيب معكم رقيب ينتظر فصيل بعوا
كالصهيل والمراتب كالعشار او الرهط كالرقيم وكما جاء امرنا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا اعاد ذكره بالواو ليؤذن
قصة عاد اذا لم يسبقه ذكرها بل ذكر ما يدل عليها ولما فانه ذكر بعد الوعيد ذلك قوله وعد غير
مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح دل ذلك على بقية السبعة واخذت الذين ظلموا الصيحة فصيل هى صاح بهم جبريل
فهلكوا فاصبحوا فى ديارهم جاثمين مستأنف واصل الجثوم اللزوم فى المكان كأن لم يغنوا فيها كأن لم يقيموا فيها الا بعدا لهم
كما بعدت ثمود شبه حالهم بحالهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة

مدين كانت من قراهم وقرى بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك
والبعد مصدر بعد بالضم والبعد مصدر بعد بالكسر ولقد ارسلنا موسى بآياتنا التوراة او المعجزات وسلطان مبين هو المعجزات
القاهرة او العصا واقراد لانها ابرها ويجوز ان يراد بهما واحد اى ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه اياتنا وسلطانا مبينا على
انحائها في نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الاية تعم الامارة والدليل القاطع
والسلطان يخص القاطع والمبين يخص بما فيه جلاء الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون فاتبعوا امره
بالكفر بموسى او فما اتبعوا موسى الهادى الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون
المنهمك في الضلال والطغيان الداعي الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم
وما امر فرعون برشيد امر مرشد وذى رشد وانما موغل محض وضلال صريح يقدم قومه يوم القيمة الى النار كما
كان يقدمهم في الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فاوردهم النار ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه
ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها مورد اثر قال وبئس الورد المورود اى بئس المورد الذى وردوه فانه يراد
لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والاية كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد فان من هذا عاقبته
لم يكن في امره رشد وتفسيره له على ان المراد بالرشيد ما يكون ياموون العاقبة حميدها واتبعوا في هذه الدنيا
لعنة يوم القيمة اى يلعنون في الدنيا والاخرة بئس الرفد المرفود بئس العون المعان او العطاء المعطى
واصل الرفد ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اى رفدهم وهو اللعنة في الدارين ذلك
اى ذلك البناء من انباء القرى المهلكة نقصه عليك مقصوص على مر بها قائم من تلك القرى باق كالزرع
القائم وحصيد ومنها عاف الاثر كالزرع المحصود والجملة مستانفة وقيل حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح اذ
لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بان عرضوها للاهلاك بارتكاب ما يوجبه فما اغنت
عنهم فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك حين جاءهم
عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب اهلاك او تخسير وكذلك ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك وقرئ اخذ ربك
بالفعل وعلى هذا يكون محل الكاف النصب على المصدر اذا اخذ القرى اى اهلها او قرئ ذلك على المضى وهى ظالمة
حال من القرى وهى في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامهم اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا والظاهر
ان ذلك اخذ كل ظالم نفسه او غيره من خاصة العاقبة ان اخذه اليم شديد وجيع غير مرجو الخلاص عنه وهو
مبالغة في التهديد والتحذير ان في ذلك اى فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصته الله من قصصهم لاية لعبرة
لمن خاف عذاب الاخرة يعتبره عظة لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما اعد الله للمجرمين في الاخرة او يزجره
عن موجباته لعلمه بانها من الاتي لا محالة ويرتدع من يشاء ويرتدع من يشاء فان من انكر الاخرة واحال فناء هذا
العالم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لاسبابها فلكيه انقضت في تلك الايام لا للذنوب التي لكن يهاذلك اشارة
الى اليوم القيمة وعذاب الاخرة دل عليه يوم مجموع له الناس اى يجمع له الناس والتعبير للدلالة على ثبات معنى

للجمع لليوم وانه من شأنه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم لليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة وذلك يوم مشهود اى مشهود فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كقولهم في محفل من تواصى الناس مشهودا اى كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان سائر الايام كذلك وما نؤخره اى اليوم الا لاجل معدود وحيرة الى انتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف واقامة مدة التأجيل كلها بالاجل لانتهائها فانه غير معدود ويوم يأت اى الجزاء واليوم كقوله ان تأتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين او الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله ونحوهم وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة يأت بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع ويجيء من جواب اما شقاوة وسعادة والناصب للظرف محذوف يدل عليه باضمار اذكروا او بالانتهاء المحذوف الا باذنه الا باذن الله كقوله لا ينطقون الا من اذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف اخر او انهم اذون فيها في الجوابات الحقة والممنوع عنه هي الاعذار الباطلة فمنهم شقي وجبت له النار بمقتضى الوعيد وسعيد وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس او للناس فاما الذين شقوا في النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعيرا في اول النهيق واخره فالمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحمرة على قفيه والحمير فيه رجعه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم خالدين فيها ما دامت السموات والارض ليس لهما دوام في انفسهما وانما دوامهما بدوام غيرهما فان النصوص دالة على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامها بل التعبير عن التأبيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للدوام لدل ايضا على زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا على دوامه دوامهما لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد بسموات الاخرة وارضها ويدل عليه قوله تع يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل الاخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف الا لكثير الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما دل على دوام الثواب والعقاب فلا يجري له التشبيه الا كما شاء ربك استثناء من الخلود في النار لان بعضهم وهم عصاة الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وقيل الاستثناء للتهديد بالاستثناء الذي هم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان التأبيد من مبدأ معين ينقضي باعتبار الابتداء كما ينقضي باعتبار الانتهاء وهو لاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه ان يكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي او مانع من الجمع وههنا المراد ان اهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا تخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين في شخص باعتبارين او لان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينقلون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله تعالى

او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب لان ظاهره يقتضي ان يكونوا في النار حين ياتي اليوم او مدة لبثهم في الدنيا او البرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التاويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا هنا بمعنى سوى كقولك على الف الا الفان القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا اخر لها على مدة بقاء السموات والارض ان ربك فعال لما يريد ان عيار اعتراض واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء في النار ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب في التابيد وقرأ حمزة والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال من الجنة فلا تك في مرية شك بعد ما انزل عليك من مال الناس مما يعبد هؤلاء من عبادة مولاء المشركين في انها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم من قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال ما يعبدونه في انه يضر ولا ينفع ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل استيناف معناه تعليل النهي عن المرية اي هم واباءهم سواء في الشرك اي ما يعبدون عبادة الا كعبادة اسلافهم وما يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان وقد بلغك ما لحق اباءهم من ذلك فنصيبهم مثله لان التماثل في الاسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف الالة قبل عليه وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كاباءهم او من الرزق فيكون عذرا لتاخير العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه غير منقوص حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فامن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القران ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة الانظار الى يوم القيامة لقضي بينهم بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق وانهم وان كفار قومك لفي شك منه من القران مريب موقع للريبة وان كلا وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل المضاف اليه وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع اعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتاكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمع ثلث ميمات فحذفت واكثر والمعنى لمن الذين يوفيهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لما وان كلا لما على ان ناقية ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما تعملون خبير فلا يفوت شيء منه وان حتى فاستقم كما امرت لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة او اطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله عم بالاستقامة مثل ما امرها وهي شاملة للاستقامة في العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين وللاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما انزل والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وافراط معفوت للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر قال عم شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي ومن تاب من الشرك والكفر وامن معك وهو عطف على

المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم انه بما تعملون بصير فيجازيكم عليه وسوى معنى التعليل للامر والنهي في الآية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف في الحراف نحو قياس واستحسان ولا تركنوا الى الذين ظلموا ولا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزين بزيهم وتعظيم ذكرهم وقيل التأخير كونوا لهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كان كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين اى الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه ولا تفهماك فيه ولعل الآية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول عم ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفي افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم في نفسه وقرئ تركنوا فتمسكم بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال ثم لا تنصرون اى ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم به ولا يتفق عليكم وتم لاستبعاد نصرهم اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون من لا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه كما بين ان الله يعذبهم وان غيره لا يقدر على نصرهم نبه على انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه وزلفا من الليل وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلوة صلوة الصبح لانها اقرب الصلوات من اول النهار وصلوة العشية العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات يذهبن السيئات يكفرها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر وقيل النزول ان رجلا اتى النبي عم فقال اني قد اصبت من امرأة غير اني لم آتها فنزلت ذلك اشارة الى قوله فاستقم ومن بعده وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين واصبر على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدل عن المضمر ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصلوة والصبر حسنان وايماء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص فلولا كان فهلا كان من القرون من قبلكم اولو بقية من الرأي والعقل والفضل فاعلة من بقي لان الرجل يستبقى افضل ما يجرحه ومنه يقال فلان من بقية الهوى من خياره ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية اى ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا رقبه ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كانه اراد ان يبين ما كان السبب لاستيصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع او اعترض وقرئ واتبع اى واتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة وبعضلم تقدم الانجاء وما كان ربك

ليهلك القرى بظلم بشركه وأهلها مصلحون فيما بينهم لا يضعون الشرك هم فسادا ومباغيا وذلك لفرط رحمته وفضله
فحقوقه ومن ذلك قالوا الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك
لجعل الناس أمة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على أن الأمر غير الإرادة وأنه تعالى لم يرد الإيمان من كل أحد وإن شاء الله
ووقوعه ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لاكتساب تحالفين يتفقان مطلقا إلا من رحم ربك إلا ناسا
هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو أصول دين الحق والعمل فيه وذلك خلقهم إن كان الضمير للناس فالإشارة
إلى الاختلاف واللام للعاقبة أو إليه وإلى الرحمة وإن كان لمن قال إلى الرحمة وتمت كلمة ربك وعيده أو قوله لأملأن جهنم
من الجنة والناس إلى عصاتهم أجمعين أو منهما أجمعين لا من أحدهما وكلا وكل نبأ نقص عليك من أنباء الرسل نخبرك به ما نثبت به
فؤادك تبيان لكلا أو بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات نفسه
على أداء الرسالة واحتمال أذى الكفار أو مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من أنواع الاقتصاص نقص عليك
ما نثبت به فؤادك من أنباء الرسل وجاءك في هذه السورة أو الأنباء المقتصة عليك الحق ما هو حق وموعظة
وذكرى للمؤمنين اشارة إلى سائر فوائده العامة وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم على حالكم إنا عاملون على
حالنا وانتظروا إنا منتظرون أن ينزل بكم نحو ما نزل على أمثالكم ولله غيب السموات والأرض خاصة
لا يخفى عليه خافية فما فيهما والإليه يرجع الأمر كله فيرجع لا محالة أمرك وأمرهم إليه وقرأ نافع وحفص يرجع على
البناء للمفعول فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وفي تقديم الأمر بالعبادة على التوكل تنبيه على أنه إنما ينفع
العابد ويكفي بعائل عما يعملون أنت ومن فيجازي ما يستحقه وقرأ نافع وحفص وابن عامر بالتاء هنا وفي آخر النمل
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق نوحا ومن كذب به وهود وصالح و
شعيبا ولوطا وإبراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء إن شاء الله تعالى

سورة يوسف مكية وهي مائة وإحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب المبين تلك إشارة إلى آيات السورة وهي المراد بالكتاب أي تلك الآيات آيات السورة الظاهر أمرها
أو الواضحة معانيها أو المبينة طرق تدبرها أنها من عند الله أو كليهود ما سألوا إذ روي أن علماءهم قالوا لكبراء
المشركين سلوا محمدا عن انتقال آل يعقوب من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف فنزلت إنا أنزلناه أي الكتاب قرآنا عربيا
سمي البعض قرآنا لأنه في الأصل اسم الجنس يقع على الكل والبعض وصار علما للكل بالغلبة وتنصيبه على الحال وهو في نفسه
إما لتوطئة الحال التي هي عربيا أو حال لأنه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له أو حال من الضمير فيه أو حال ثانية من
وفي كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لأنزلناه بهذه الصفة أي أنزلناه مجموعا أو مقروءا بالغات كي تفهموا وتحيطوا
بمعانيه أو تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا أن اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص بحيث لا يتصور إلا بإيحاء ممن يقص
عليك أحسن القصص أحسن الاقتصاص لأنه اقتص على أبدع الأساليب وأحسن ما يقتص لاشتماله على العجائب

والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض والنكث واشتقاقه من قص أثره اذا تتبعه بمرادنا وحينا بايحائنا اليك
هذا القرآن يعني السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر وان كنت من قبله لمن الغافلين
عن هذه القصة ثم تخطر ببالك ولم ترج سعك قط وهو تعليل لكونه وحيا وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي
الفارقة اذ قال يوسف بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبري
ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسر الهاء على التلقب لانه مضارع بني للمفعول او الفاعل من آسف
لان المشهور شهرت بعجمته لابيه يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام وعنه صلعم الكريم بن الكريم
بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم يا ابت اصله يا ابى فعوض عن الياء تاء التانيث
لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها
وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما جاز بابتا وانت
بالتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض
وانما الوتكرير كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها كما كان الخطاب في رأيت من الرؤية لقوله
لا تقصص رؤياك على اخوتك وقوله هذا تاويل رؤياي احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين
عن جابر ان يهوديا جاء الى رسول الله صلعم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي رآها يوسف فسكت فنزل جبريل
عم فاخبره بذلك فقال ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق
والصبح وضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي
اي والله انها لاسماؤها اتيتهم لي ساجدين استيناف ببيان حالهم التي رأهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى
العقلاء لوصفها بصفاتهم قال يا بني تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن اثنتي عشرة سنة لا تقصص
رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عم من رؤياه ان الله تعالى يصطفيه ويتم
نعمته عليه كما اتم على ابويه من قبل فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم فرق بينهما
بحرف التانيث كالقربة والقربا وهي انطباع الصورة المتخيلة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها
انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغه من تدبير البدن الدني فتتصور بما يناسبها
مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة
ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت عن التعبير
والا احتاجت اليه وانما عدى كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يعدى به تاكيدا ولذلك اكد الجملة
معللا بقوله ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة اذ حمل ابويه على ما فعل بابويه وحواء فلا يألو جهدا في تسويل مكايدهم واثارة
الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وكذلك اي وكما اجتباك يجتبيك ربك للنبوة واصلك اولا مورد عظامه والاجتباء من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك وليتمك بالكلية
يجتبيك ربك للنبوة واصلك اولا مورد عظامه والاجتباء من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك وليتمك بالكلية

٩٠ سم

خارج عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك ممن تأويل الاحاديث من تعبير الرؤيا وغيرها من احاديث الملك ان كانت صالحة
واحاديث النفس او الشيطان ان كانت كاذبة او من تاويل غوامض كتب الله وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم
جمع للحديث كالاباطيل اسم جمع للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الاخرة ويعلى
آل يعقوب بريديه سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب ونسلها كما انهما على ابويك بالرسالة او
على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحاق بانفاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم من قبل او من
قبلك او من قبل هذا الوقت ابراهيم واسحاق عطف بيان لابويك ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم يفعل الاشياء
على ما ينبغي لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم آيات دلائل على قدرة الله وحكمته او علامات نبوتك للسائلين لمن
سأل عنهم والمراد باخوته علاته العشرة ومنهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وربالون ويشجر ودينة من
بنات خالته كيامر وبسمها يعقوب قولا فقولا لما توفيت زوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقبل جمعها بينهما
وتزوجها على خالته وكان الجمع محرما حينئذ واربعة آخرون دان ويفتالي وجاد واشر من سريتين زلفة وبلهة اذ قالوا ليوسف
آخوه بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين احب الى ابينا منا وحده لان افعل من لا يفرق
فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف اخويه فان الفرق واجب في المضاف وتحن عصبة
والحال ان الجماعة اقوياء احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك
لان الامور تعصب بهم ان ابانا لفي ضلال مبين لتفضيله المفضول او لتركه التعديل في المحبة قيل انه كان يحب
اليه لما يرى فيه من الخصائل وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتمالغ
حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا اذ انهم اتفقوا على ذلك لا من قال
لا تقتلوا وقيل انما قاله شمعون او دان ورضي به الاخرون او اطرحوه ارضا منكورة بعيدة عن العمران وهو معنى
تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم جواب الامر والمعنى يصف لكم وجهه واليكم
فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد وتكونوا جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار ان
من بعده من بعد يوسف او الغداة من امره او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين الى الله مما جنيتم او صالحين مع ابيكم
يصلح ما بينكم وبينه بعذره تمهدونه او صالحين في امر دنياكم فانه ينتظم كلكم بعده بتلوه وجه ابيكم قال قائل منهم
يعني يهوذا وكان احسنهم فيه رأيا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه في غيابت الجب في قعره
سمي به لغيبته عن عيون الناظرين وقرأ ناقع في غيابات في الموضعين على الجمع كانه لتلك الجب غيابات وقروء متعددة وغيابات
بالتنوين تلتقطه بالحذف بعض السيارة بعض الذين يسيرون في الارض ان كنتم فاعلين ان عزمتم على التفريق
ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه قالوا يا ابانا مالك لا تأمنا على يوسف لم تخافنا عليه وانا له لناصحون ونحن
نشفق عليه ونريد له الخير اراد وابه استنزاله عن رأيه في شأنه منهم مما تنسم من حسدهم والمشهورة
تأمنا بالادغام بالاشمام وعن ناقع بترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء ارسله معنا

غدًا للصحراء نرتع نتسع فاكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهي الخصب تلعب بالاستباق والانتضال وقراءة ابن كثير نرتع بكسر العين على انه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ ويرتتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء والنافية لحافظون ان يناله مكروه بحذركم اياي ليحزنني ان تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه وخاف ان يأكله الذئب لان الارض كانت مذئبة وقيل راى في المنام ان الذئب قد شد على يوسف فكان يحذرهم وقد همزها على الاصل ابن كثير وحمزة في رواية البزي وابو عمرو ووقفا وقالون وعاصم وابن عامر درجا ووقفا وحمزة درجا والباقون بتركه للهمزة واشتقاقه من ذاءبت الريح اذا هبت من كل جهة وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اللام موطئة للقسم وجوابه انا اذا لخسرون ضعفاء مغبونون او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والواو في ونحن للحال فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب وعزموا على القائه فيها والجب بئر بيت المقدس او بير بارض الاردن او بين مصر ومدين او على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى وقد روي انهم لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويعيرونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا لما عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا به الى البير فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويبتاعوا به على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر تلبسوك وتؤنسوك فلما بلغ نصفها القوه وكان فيها ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه جبرئيل بالوحي كما قال تع واوحينا اليه وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا فاوحي اليه وصغره كما اوحي الى يحيى وعيسى عليهما السلام وقيل القصد ان ابراهيم عم حين القي الى النار جرد من ثيابه فاتاه جبرئيل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحاق واسحاق الى يعقوب وجعلية تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبرئيل والبسه يوسف لتنبئنهم بامرهم هذا حال الوحي اليهم بافعلن بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وبعدك عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيات وذلك اشارة الى ما قال لهم بعد حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون لتبشرنهم بما يؤول اليه امره ايناسه ونطييب قلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل باوحينا الى آنساه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك وجاؤا اباهم عشاء اخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشيا بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء يبكون ان ابانا كان يرى انه لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق نتسابق في العدو او الرمي وقيل يترك الافتعال والتفاعل لانه للانتضال والتناضل وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين لسوء ظنك بنا لشدة محبتك ليوسف وجاؤا على قميصه بدم كذب اي ذي كذب بمعنى مكذوب فيه وتخبرهم بكذبهم بالصحة لعلمهم بالحال او بالنصب على الحال من الواو اي جاءوا كاذبين وكذبهم بالدم غير متجرحا اي كذبوا في دعواهم وقبل انه لما ابصر الخبر على الجدار لاحتكاكه فشقه بالدم اللاصق على القميص وغفلوا عن قميصه في موضع النصب على الظرف فوق قميصه او على الحال

من الدم ان جرت تقديما على الجر وروى انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسال قميصه فخذاه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال قال بل سولت لكم انفسكم امرا اى سهلت لكم وحسنت في اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء فصبر جميل اى فامري صبر جميل او فصبر جميل احمل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه اى الى الخلق والله المستعان على ما تصفون على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف وعدة الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح وجاءت سيارة رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلاث من القائه فيه فارسلوا واردهم الذي يرد الماء ويستسقي لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي فادلى دلوه فارسلها في الجب ليملأها فتدلى بها يوسف فلما راه قال يا بشرى هذا غلام تنادي البشرى بنبأة لنفسه او لقومه كانه قال تعالي فهذا اوانك وقيل هو اسم صاحب له نادا ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشرى باضافة والامال فتحة الراء حمزة والكسائي وقرأ ورش الرائين اللفظين وقرئ يا بشرى بالادغام وهو لغة ويشرى بالسكون على قصد الوقف فاسروه اى الوارد واصحابه من سائر الرفقة وقيل الضمير في اسروه لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان يأتيه كل يوم بالطعام فاتاه يوما فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلام منا ابق منا فاشتروه فسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اى اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع فانه ما يصنع من المال للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم او ضميم اخوة يوسف بأبيهم واخيهم وشروه وباعوه وفي مرجع الضمير الوجهان واشتروه من اخوته بثمن بخس مبخوس لنزيفه او نقصانه دراهم بدل من الثمن معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها قيل كان عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين وكانوا فيه في يوسف من الزاهدين الراغبين عنه والضمير في وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بالعين فوهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون بما فانهم من انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا متبايعين فلانهم اعتقدوا انه ابق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل الام للتعريف ان جعل بمعنى الذي فهو متعلق بمحذوف يدل عليه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر واسمه قطفير او الطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف ومات في حياته وقيل كان فرعون موسى اربعمائة سنة وقيل ثمانمائة سنة لامرأته اكرمي مثواه اجعلي مقامه عندنا كريما اى حسنا والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا او نستظهر به في صالحينا او نتخذه ولدا انتبناه وكان عقيما لما تقرس فيه من الرشد وكذلك قيل اعرف الناس ثلاثة

عزيز مصر وامرأته شعيب التي قالت يا أبت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما وكذلك مكنا ليوسف في
الأرض وكما مكنا محبته في قلب العزيز أو كما مكناه في منزله أو كما أنجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه من
تأويل الأحاديث عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ونعلمه من تأويل أي كان القصد إنجائه وتمكينه
إلى أن يقيم العدل ويدبر أمور الناس وليعلم معاني كتب الله وأحكامه فينقلها أو يعبر المنامات المنتهية على الكرامات
الكائنة ليستعلمها ويشتغل بتدبيرها قبل أن تحل كما فعل لسلينه والله غالب على أمره لا يرده شيء ولا يتأتى
فيما يشاء أو على أمر يوسف أراد به آخرة يوسف شيئا وأراد الله غيره فلم يكن إلا ما أراده ولكن أكثر الناس
لا يعلمون أن الأمر كله بيد الله أو لطائف صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ أشده منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو
سن الوقوف على بين الثلاثين والأربعين وقيل بين الشباب وصدر الكهولة بلوغ الحلم آتيناه حكما حكمة وهو العلم
بالعمل أو حكما بين الناس وعلما يعني علم تأويل الأحاديث وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على أنه تعالى إنما آتاه ذلك
جزاء على إحسانه في عمله وإتقانه في عنفوان أمره وكان أوان نبوته أو التي هو في بيتها عن نفسه طلبت منه وتحلت لتنوله
من راد يرود إذا جاء وذهب لطلب الشيء ومنه الرائد وغلقت الأبواب قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير وأتى لك لغة
في الإتيان وقالت هيت لك أي أقبل وبادر أو تهيأت لك والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كأين واللام للتبيين
كالتي في سقيا لك وقرأ ابن كثير بالضم تشبيها بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسرها حفص وبخلاف عنه
فيه وقرئ هئت بكسر الهاء وهيئت بكسر الهاء والتاء من هاء يهيئ إذا تهيأ وعلى هذا فاللام من صلته قال معاذ الله
أعوذ بالله معاذا إنه أن الشأن ربي أحسن مثواي سيدي فطفق أحسن تعهدي إذ قال ذلك في أكرمي مثواه
فلم أخنه أن أخونه في أهله وقيل الضمير لله أي الله خالقي وأحسن منزلتي بأن عطف على قلبه فلا أعصيه إنه
لا يفلح الظالمون الجاحدون الحسن بالسيئ وقيل الزناة فإن الزنا ظلم على الغير في أهله ولقد همت به وهم بها
فصدت لها لطلته وقصد لمخالطتها ولولا أن رأى برهان ربه لخالطها بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي إذا هم بشيء
أمضاه والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف
بل الحقيق بالمدح والأجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم ومشارفة الهم كقوله قتلة
لو لم أخف الله لولا أن رأى برهان ربه في قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشوق الكلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز أن
يجعل وهم بها جواب لولا فإنها في حكم أدوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف دل هو عليه وقيل رأى جواب لولا
وقيل تمثل له يعقوب عاضا على أنامله وقيل قطير وقيل نودي يا يوسف أنت مكتوب في الأنبياء وتعمل
عمل السفهاء كذلك أي مثل ذلك التثبيت نثبتك أو الأمر مثل ذلك لنصرف عنه السوء فحيانة السيد
والفحشاء الزنا إنه من عبادنا المخلصين الذين أخلصهم الله لطاعته وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب
بالكسر في كل القرآن أي الذين أخلصوا دينهم لله واستبقا الباب أي تسابقا إلى الباب فحذف الجار
أو ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك أن يوسف فر عنها ليخرج وتبعته ليمنعه الخروج وقدت قميصه

من دبر لاجتذابه من ورائه فانقد قميصه وانقد الشق طولا والقط الشق عرضا والفيا سيدها وصادفا
زوجها لدى الباب فالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ايها ما بانها فوت منه تبرئة لساحتها
عن نفسي طالبتني بالمواتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن او العذاب الاليم ولو لم تكذب عليه لما قاله
وشهد شاهد من اهلها قيل ابن عمها وقيل ابن خالها صبيا في المهد عن النبي صلعم تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة
فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى وانما القى الله الشهادة على لسان اهلها لتكون الزم عليها ان كان
قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لانه يدل على انها قالت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها
او انه اسرع خلفها فعثر بذيله فانقد جيبه وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه يكون
انها اتبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية محكية على ارادة القول او على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها
شهادة لانها ادت مؤداها والجمع بين ان كان على تاويل ان يعلم انه كان ونحوه وتظيره فولك ان احسنت الي
فقد احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنن علي باحسانك امنن عليك باحسانك السابق وقرئ من قبل ومن دبر
بالضم لانها قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانها جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وليسكون العين فلما رأى قميصه
قد من دبر قال انه اي ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان السوء او ان هذا الامر من كيدكن
حيلتكن والخطاب لها ولامثالها ولنساء ان كيدكن عظيم فان كيد النساء الطف واعلق بالقلب واشد
تاثيرا في النفس لانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وتنظيره
للحذف اعرض عن هذا اكتمه ولا تذكره واستغفري لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطئين من القوم
المذنبين من خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة هواسم لجمع امرأة وتانيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي
ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها في المدينة ظرف لقال اي اشتهر الحكاية في مصر او صفة لنسوة وكن تسعا
زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحبي الدواب امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه تطلب مراودته غلامها اياها
والعزيز بلسان العرب الملك واصل فتاى لفتوهم فيان والفتوة شاذة قد شغفها قد شق شغاف قلبها
وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير
اذا هنأه بالقطران فاحرقه انا لنراها في ضلال مبين في صنيع يدل على ان الرشد وتجنب عن الصواب فلما سمعت
بمكرهن باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفى المكر ومكرن ذلك لترهن يوسف وكانها استكتمتهن
سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امرأة فيهن الخمس واعتدت لهن متكا كما يتكاثر
عليه من الوسائد واتت كل واحدة منهن سكينا حتى تتكئ والسكاكين بايديهن فلما خرج عليهن يوسف و
يشغلن عن انفسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها ويبكتن بالحجة او بهاب يوسف من مكرها اذا خرج وعلى
على اربعين امرأة في ايديهن الخنجر وقيل متكا طعاما او مجلس طعام فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب تنعما

ولذلك فى حقه قال جميل فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله وقيل المتكأ طعام يكرم حتى كان التالع
يتكئ عليه بنكين وقرئ متكا بجذف الهمزة ومتكأ باشباع الفتحة كمتراح ومضيتكا وهو الاترج او ما يقطع من متاع
اذا اتكئ ومتكل أمن تكأته كما اذا اتكأ وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن
النبى صلى الله عليه وسلم رايت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل الكبن بمعنى
حضن من اكبرت المرأة اذا حاضت لانها تحل الكبر بالحيض والهاء ضمير المصدر او ليوسف على حذف اللام اى حضن له
من شدة الشبق كما قال المتنبى خف الله واستر ذا الجمال برقع فان لحت حاضت فى الخدور العواتق وقطعن
ايديهن جرحنها بالسكاكين من فوط الدهشة وقلن حاش لله تنزيها له من صفات العجز وتعجبا من قدرته
على خلق مثاله وأصله حاشا كما قرأه ابو عمرو فى الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه
وفى باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما فى قولك سقيا لك وقرئ حاشا لله بغير لام بمعنى براءة الله و
حاشا لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا اللذ هو الناحية وفاعله ضمير يوسف
اى صار ناحية الله مما يتوهم فيه ما هذا بشرا لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة اهل الحجاز فى اعمال
ما عمل ليس لمشاركتهما فى نفى الحال وقرئ بشرا بالرفع على لغة تميم وبشرى اى بعبد مشترى ليتم ان هذا الا ملك
كريم فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة اولان جماله فوق جمال البشر
ولا يوفونه فيه الا الملك قالت فذلكن الذى لمتننى فيه اى فهو ذلك العبد الكنعانى الذى لمتننى فيه فى الافتتان
به فيل ان تتصوروه حق تصوره ولو تصورتنه بما عاينا نعذرننى او فهذا هو الذى لمتننى فيه فوضع ذلك
موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طلبا للعصمة افرطت فى حبه حتى عرضت
يعذرنها كى يعاونها على الائتمار بمركيته ولئن لم يفعل ما امره اى ما امره به فحذف الجار او امرى ايا اه بمعنى وجب
فيكون الضمير ليوسف ليسجنن وليكونا من الصاغرين الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من صغر
بالضم صغرا وقرئ ليكونن وهو يخالف الخط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف تشفعا على حكم الوقف وذلك فى الحقيقة
لشبهها بالتنوين قال رب السجن وقرئ بفتح الباء على المصدر احب الى مما يدعوننى اليه اى انزع عندى من هذا
زنا نظرا الى العاقبة وان كان هذا بما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه وأسناد الدعوة اليهن جميعا لان حزقته
عن مخالفتها وزينت له مطاوعتها او دعوته الى انفسهن وقيل انما ابتلى بالسجن لقوله هذا واما كان الاولى به ان
يسأل الله العافية وذلك رد رسول الله صلعم على من كان يسأل الصبر والا تصرف عنى وان لم تصرف عنى كيف
فى تحبيب ذلك الى وتحسينه عندى بالتثبيت على العصمة اصب اليهن امل الى اجابتهن او الى انفسهن بطبعى ومقتضى
شهوتى والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل اليها وقرئ اصب من الصبابة وهى
الشوق واكن من الجاهلين من السفهاء بارتكاب ما يدعونى اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا يعلمون
يعلمون فانهم والجهال سواء فاستجاب له ربه فاجاب الله دعاءه الذى تضمنه قوله والا تصرف عنى وصرف عنه

كيدهن فثبتته بالعصمة حتى قطعن نفسه على مشقة السجن واثرها على اللذة المضمنة للمعصية انه هو السميع لدعاء
الملجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ثم ظهر للعزيز واهله من بعد ما رأوا
الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل
بدا مضمر يفسره ليسجننه حتى حين وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه او حتى
الناس نه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم والعزيز ومن
يليه وعني بلغة هذيل ودخل معه السجن فتيان اي ادخل يوسف السجن والفتوان ادخل حينئذ آخران من عبيد
الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه قال احدهما يعني الشرابي اني ارآني اي اري في المنام ومتى
حكاية حال ماضية اعصر خمرا اي عنبا وسماه بما يؤول اليه وقال الآخر اي الخباز اني ارآني احمل فوق رأسي
خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله ويلوح انا نراك من المحسنين من الذين يحسنون تاويل الرؤيا او من
العالمين وانما قالا ذلك لانهما رأياه في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن
فلحسن البنا بأويل ما رأنا ان ركبت تعرفه قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله اي بتأويل ما قصصتما
علي او بتأويل الطعام يعني بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كانه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما
لطريق القويم قبل ان يسعفهما الى ما سألا منه كما هو طريق الانبياء والنازلين منازلهم من العلماء في الهداية والارشاد
فعلم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدل لهما على صدقه في الدعوة والتعبير قبل ان يأتيكما ذلكما اي ذلك
التأويل مما علمني ربي بالالهام والوحي ولبس من قبيل الكهانة والتنجيم اني تركت ملة قوم لا يؤمنون
بالله وهم بالآخرة هم كافرون تعليل لما قبله اي علمني ذلك لاني تركت ملة اولئك واتبعت ملة آبائي ابراهيم
واسحاق ويعقوب وكلا مستأنف لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة ليقوى رغبتهما في الاستماع اليه والوثوق
عليه ولذلك جوز الخامل ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتأكيد كفرهم
بالآخرة ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان ذلك اي التوحيد من فضل الله
علينا بالوحي وعلى الناس وعلى سائر الناس ببعثنا لارشادهم وتنبيههم عليه ولكن اكثر الناس لا يبعوث
اليهم لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا ينتبهون او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل
وانزال الآيات ولكن اكثر هم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فلغوها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها يا صاحبي السجن
يا ساكنيه او يا صاحبي فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل الدار آأرباب متفرقون خبر
مبتدأ محذوف متتى متعددة متساوية الاقدام خير ام الله الواحد المتوحد في الالوهية القهار الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه
غيره ما تعبدون من دونه خطابهما ولمن على دينهم من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم سميتموها
الله بها من سلطان اي لا اثبت بأعتبار اسامي اطلقتم عليها من غير حجة تدل على استحقاق مسمياتها وكأنكم لا تعبدون
الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم بالوهية على استحقاقه الالوهية عقل ولا نقل الحكم الا لله امر ان لا

تعبدونها بعتقد انها تطلقون عليها ان الحكم في امر العبادة الا لله لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته
الموجب للكل والمالك لامرهم امر على لسان انبيائه الا تعبدوا الا اياه الذي دلت عليه الحجج ذلك الدين القيم
الحق ولكن اكثر الناس لا يعلمون لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من التدرج في الدعوة والزام الحجة بان لهم اولا ترجمان التوحيد على
الالهة على طريق الخطابة ثم برهن على ان ما يسمونها الهة ويعبدونها لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة لما بالذات
واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره ولا
يرضى العباد دونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون في جهالاتهم يا صاحبي السجن اما احدكما يعني الشراب يسقي
ربه خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه واما الاخر يريد به الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه فقالا ان
فقال قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي قطع الامر الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحد فانهما وان
استفتيا في امرين لكنهما اريد استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك ذكر ذلك
من اجتهاد وان ذكره عن وحي فهو انما كان ان يؤول الظن باليقين اذكرني عند ربك اذكر حالي عند الملك كي يخلصني
فانساه الشيطان ذكر ربه فانسى الشرابي ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر الملابسة له او على تقدير ذكر لسيده او
يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبع بعد بضع
والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد وان كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء فلبث في السجن بضع سنين
البضع ما بين الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع اخر يابسات
فرجه راى الملك في المنام سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان وسبع
سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات وسبعا اخر يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن
عليهن وانما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف السبع
الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بهما جريا على الموصوف فانه لبيان الجنس فياسه عجف كما يقال جمع عجفاء لكنه حمل على سمين
لانه نقيضه يا ايها الملا افتوني في رؤياي عبروها ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصور
الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثالها من العبور وهو المجاوزة وعبرت الرؤيا بقلبها اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان
او لتقوية العامل فان الفعل اذا اخر عن مفعوله ضعف فقوي باللام كاسم الفاعل او لتضمن تعبرون معنى فعل يتعدى
باللام كانه قيل ان كنتم تستنطقون العابرين الرؤيا قالوا اضغاث احلام اي هذه اضغاث احلام وهي تخاليط جمع ضغث
واصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان
يركب الخيل او لتضمنه اشياء مختلفة وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اي لسنا
هيا تاويل هذا واما الثاني وهو المنام الصادق كانه مقدمة ثانية للعذر فجعلهم بتاويله وقال الذي نجا منهما من
صاحبي السجن وهو الشرابي وادكر بعد امة وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اي مدة طويلة وقرئ امة
بكسر الهمزة وهي النعمة بعد النعم عليه بالنجاة وكم اي نسيان يقال امه يأمه امها اذا نسي والجملة

اعتراض من المبتدأ ومقول القول أنا أنبئكم تأويله فأرسلون إلى السجن ثم عند عمله أو إلى السجن يوسف أيها الصديق أي فأرسل إلى يوسف فجاء وقال يا يوسف وإنما وصفه بالصديق وهو المبالغ في الصدق لأنه جرب أحواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبيه أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات أي في تأويل رؤيا ذلك لعلي أرجع إلى الناس أعود إلى الملك ومن عنده، وإلى أهل البلد إذا قيل إن السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون تأويلها أو فضلك ومكانتك وإنما لم يبت الكلام فيها لأنه لم يكن جازما من الرجوع فربما اختترم دونه وكان من علمهم قال تزرعون سبع سنين دأبا أي على عادتكم مستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين أو المصدر بإضمار فعله أي تدأبون دأبا وتكون الجملة حالا وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب في العمل وقيل أمر ولخروجه في صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم فذروه في سنبله لئلا يأكله السوس وهو على الأول نصيحة خارجة عن العبارة إلا قليلا مما تأكلون في تلك السنين ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن أي يأكل أهلهن ما ادخرتموه لأجلهن فأسند إليهن على المجاز طبقا للبعير والمعبر به قليلا مما تحصنون تحرزون لبذوره من الرعاة ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس يمطرون من الغيث أو يغاثون من القحط من الغوث وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على تغليب المستفتى وقرئ على بناء المفعول من أعصرته إذا أنجاه ويحتمل أن يكون المبنى للفاعل منه أي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا أو من أعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض أو بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد أن أول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وإيلاء العجاف السمان يأكل والجميع في السنين المخصبة في السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحي أو بأن انتهاء الجدب بالخصب أو بأن السنة الأخيرة على أن يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم وقال الملك ائتوني به بعد ما جاءه الرسول بالتعبير فلما جاءه الرسول ليخرجه قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إنما تأنى في الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حالهن ليظهر براءة ساحته ويعلم أنه سجن ظلما فلا يقبله الحاسدان يتوسل به إلى تقبيح أمره وفيه دليل على أنه ينبغي أن يجتهد في نفي التهم وتتبع مواقعها وعن النبي صلعم لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبثت لأسرعت الإجابة وإنما قال فاسأله ما بال النسوة ولم يقل فاسأله أن يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وإنما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة للأدب وقرئ النسوة بضم النون إن ربي بكيدهن عليم وعين قول الملك للخطوة وتهيئة تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى أنه بريء مما قرف به والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن قال الملك لهن ما شأنكن والخطب أمر يحق أن يخاطب فيه صاحبه إذ راودتن يوسف عن نفسه هل حاشا لله تنزيه له وتعجيب من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء من ذنب قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق وثبت واستقر من حصحص البعير إذا ألقى مبراكه ليناخ قال فحصحص في صلة الصفا فناله وناء بسيلي نوأة ثم صمما أو ظهر من حصحص شعره إذا استأصله بحيث ظهر بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي ذلك ليعلم قاله يوسف لما عاد إليه الرسول وأخبره بكلام هن أي

ذلك التثبت ليعلم العزيز انى لم اخنه بالغيب بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اى لم اخنه وانا غائب عنه
او وهو غائب عنى او ظرف اى بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة وان الله لا يهدى كيد الخائنين لا ينفذه ولا
يسدده او لا يهدى الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل فى خيانتها زوجها وتوكيد
لامانته ولذلك عقبه بقوله وما ابرئ نفسى اى لا انزهها تنبيها على انه لم يرد بذلك
تزكية نفسه والتعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس رضى الله عنهما
انه لما قال ليعلم انى لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك ان النفس لامارة بالسوء من حيث
انها بالطبع مائلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى الجوارح فى اتزهاها الا وقت ان يرحمها ربى والا بما رحم
الله من العوس فعصمه عن ذلك وقيل الاستثناء منقطع اى لكن رحم ربى هو الذى تصرف الاساءة وقيل الآية حكاية
قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسوء على قلب الهمزة واوا ثم الادغام ان ربى غفور
رحيم يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر المستغفر كذنبه المعترف على نفسه ويرحمه ما استغفره و
استرحمه مما ارتكبه وقال الملك ائتونى به استخلصه لنفسى اجعله خالصا لنفسى فلما كلمه اى فلما اتوا به وكلمه
شاهد منه الرشد والذكاء قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين موتمن على كل شئ روى انه
خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم انى اسالك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك
من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرية فقال ما هذا اللسان فقال لسان ابائى وكان الملك يعرف سبعين لسانا وكلمه
بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع رءياى منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل
واكلها على ما راها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفى قطفير فى تلك الليالى فنصبه منصبه وزوجه
راعيل فوجدها عذراء وولد له منها افرايم وميشا قال اجعلنى على خزائن الارض ولنى امرها والارض ارض مصر
انى حفيظ لما تحت يدى عليم بوجوه التصرف فيها ولعله علم لما راى انه ليستعمله فى امره لا محالة اثر ما تم
فوائده ومحل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولى من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى
اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك اسلم على يديه وكذلك مكنا ليوسف فى الارض
ارض مصر يتبوأ منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون نصيب برحمتنا من
نشاء فى الدنيا والآخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفى اجورهم عاجلا وآجلا ولاجر الآخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون
الشرك والفواحش لعظمه ودوامه وجاء اخوة يوسف روى انه لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد فى تكثير
الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون الجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيهما وتوجه الناس اليه فباعهم
اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شئ منها ثم بالحلى والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم
حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الراى رايك فاعتقهم وردّ عليهم اموالهم وكان قد اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب عليه السلام بنيه غير بنيامين اليه للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون

عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم اياه وسوء الحالة التي كانت وتسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك ولبعد حاله
واوه عليها من حال حسن فارقوه وقلة تأملهم في حلاه من التهيب والاستعظام ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدلهم واوقر
ركابهم بما جاؤا لاجله والجهاز ما يعد من الامتعة للقافلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة الى اخرى وما ترفق به
المرأة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر قال السوفي بخ لكم وقرئ انهم لما دخلوا عليه قال من انتم وما امركم
لعلكم عيون قالوا معاذ الله انا نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب عم قال كم انتم
قالوا كنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية وهلك قال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا عند ابينا
يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا نعرف فانا هنا من يشهد انا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني
باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف يعطي لكل نفر حملا فاصاب لاحمال زائد لا يخ لهم من ابيهم
فاعطاهم وشرط عليهم ان ياتوا به ليعلم صدقهم لا تروني اراكم وتروني اوفي الكيل انا خير المنزلين للضيف والمضيفين
لهم وكان احسن انزالهم وضيافتهم فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون اي لا تقربوني فلا تدخلوا
ديارنا وهو اما نهي او نفي معطوف على الجزاء قالوا سنراود عنه ابانا سنجتهد في طلبه من ابيه وانا لفاعلون ذلك لا نتوانى
فيه وقال لفتيته لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرئ كحمزة والكسائي وحفص لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله
اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل كل داخل واحد يعني قيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا واديما
وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان ياخذ من الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون
به لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها او لكي يعرفوها اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم لعلهم يرجعون
لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين
فارسل معنا اخانا نكتل نرفع المانع من الكيل ونحمل لنحتمل به وقرأ حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى اخ لهم او يكتل لنفسه فينضم
الينا له الى الينا انا وانا له لحافظون عن ان ينال مكروه قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل وقد قلتم
في يوسف وانا له لحافظون فالله خير حفظا فاتوكل عليه وافوض امري اليه وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمني بحفظه ولا
يجمع علي مصيبتين وانتصب حفظا على التمييز وحافظا في قراءة حمزة والكسائي وحفص بحاله والحال كقولهم لله دره فارسا
وقرئ خير حافظ او خير الحافظين ولما فتحوا امتعتهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة
الى الراء نقليا في بيع وقيل قالوا يا ابانا ما نبغي ما استفهامية اي اي شيء نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا وباع منا وردد علينا
متاعنا او لا نطلب وراء ذلك احسانا او لا نبغي في القول ولا نزيد لك فيما حكينا لك من احسانه وقرئ ما تبغي على
الخطاب اي اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان ومن الدليل على صدقنا هذه بضاعتنا ردت الينا استيناف موضح لقوله
ما نبغي ونمير اهلنا معطوف على محذوف اي رددت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك ونحفظ اخانا عن
المخاوف في ذهابنا وايابنا ونزداد كيل بعير وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية اما اذا كانت
نافية لحمل ذلك واحتمل ان يكون الجملة معطوفة على ما يبتغى اي لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ذلك كيل يسير

اى مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم قالوا وان يضاعفوه بالرجوع الى الملك اويزدادوا اليه مايكال لاخيهم ويجوز
ان تكون الاشارة الى كيل بعينه اى ذلك شئ قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب عم ومعنا
ان حمل بعير شئ يسير لا يخاطر لمثله بالولد قال لن ارسله معكم اذ رايت منكم ما رايت حتى تحلفون موثقا من الله حتى
تعطونى ما اتوثق به من عند الله اى عهدا مؤكدا باذكر الله كتاشتنى به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتاتينى به الا ان
يحاط بكم الا ان تغلبوا فان تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتاتنى
به على كل حال الا حال الاحاطة بكم او من اعم العلل على ان قوله لتاتنى به فى تاويل النفى اى لا تمتنعون من الاتيان به الا
للاحاطة بكم كقولهم اقسمت بالله الا فعلت اى ما اطلب الا فعلك فلما آتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول
من طلب الوثيقة وليلة وكيل رقيب مطلع قال يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة لانهم كانوا
ذوى جمال وابهة مشتهرين فى مصر بالفرهة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا
ولعله لم يوصهم بذلك فى الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ او كان الداعى اليها خوفه على بنيامين والنفس
اثار منها العين والذى يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم فى عوذته اللهم انى اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان
وهامة وعين لامة وما اغنى عنكم من الله من شئ مما قضى عليكم بما اشرت به اليكم فان الحذر لا يمنع القدر وان الحكم
الا لله يصيبكم لا محالة ان قضى عليكم بسوء ولا يفعكم ذلك عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين
فى عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة بلا اختصاص كان الواو للعطف والفاء لافادة التسبيب فان فعل الانبياء سبب
لان يهتدى بهم ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اى من ابواب متفرقة فى البلد ما كان يغنى عنهم راى يعقوب
وانباعهم لم من الله من شئ مما قضاه عليهم كما قال يعقوب عليهم السلام تفرقوا وادخل بنيامين من يوحيان الضراع
فى رحله وتضاعف المصيبة على يعقوب الا حاجة فى نفس يعقوب استثناء منقطع لكن حاجة فى نفسه يعنى شفقته
عليهم وخزانة من ان يعانوا فاضاها اظهرها ووصى بها وانه لذو علم لما علمناه بالوحى ونصب الحجج ولذلك قال ولما
اغنى عنكم من الله من شئ ولم يغتر بتدابيره ولكن اكثر الناس لا يعلمون سر القدر وانه لا يغنى عنه الحذر ولما دخلوا
على يوسف اوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين على الطعام وفى المنزل روى انه اضافهم فاجلسهم مثنى فبقى بنيامين
وحيدا فبكى وقال لو كان اخى يوسف حيا لجلس واكل معى فاجلسه معه على مائدته ثم قال ليتزل كل اثنين منكم بيتا
وهذا لا ثالى له فيكون معى فبات عنده وقال له انحبك ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا
مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فكان اذا اكل اكرمه واذا نام اضطجع معه حتى فارقه فلما هم بالرحيل
يعملون فى حفنا فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية المشربة فى رحل اخيه قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل
كانت يسقى الدواب بها ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب فلما انطلقوا بامهلهم
حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى منادا ايتها العير انكم لسارقون لعله لم يقله بامر يوسف وكان تغيبه للتوقية
والتلبيه عليها برصد بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه او انكم لسارقون والعير القافلة وهو

وهو اسم للابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تتردد فقيل لاصحابها كقوله عليه السلام يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير
واصلها فعل كسقف فعل بها ما فعل بسيد جمع به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة قالوا واقبلوا عليهم ماذا
تفقدون اي تفتقدون ضاع عنكم والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون من افقده اذا
وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والغين وصواغ من الصياغة
ولمن جاء به حمل بعير من الطعام جعلا له وانا به زعيم كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة
وضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما
كنا سارقين استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم لما عرفوا منهم في كرة مجيئهم ومداخلتهم للملك ما يدل على قرط امانتهم كرد البضاعة
التي جعلت في رحالهم وكرم الدراهم التي اوكوا بها افواه عدالهم فيما تناول زرعا او طعاما لاحد قالوا فما جزاؤه فما جزاء السارق او الشرق والضمير
على حذف المضاف ان كنتم كاذبين في ادعاء البراءة قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه اي جزاء سرقته اخذ
من وجد في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له او خبر من
والفاء لتضمنها معنى الشرط وجوابها على انها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير
كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كذلك نجزي الظالمين بالسرقة فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء اخيه ليوسف
لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها اي السقاية والصواع لانه يذكر ويؤنث من
وعاء اخيه وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف بان علمناه اياه واوحينا به اليه
فما كان ليأخذ اخاه في دين الملك ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعفي ما اخذ دون الاسترقاق وهو
بيان للكيد الا ان يشاء الله الا ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اي لكن
اخذه بمشية الله واذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وفوق كل ذي علم عليم وارفع درجة منه واحق
من رحمه الله تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوق من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذي علم من الخلق
لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذي له العلم البالغ غاية فلانه لا فوق بينه وبين قولنا فوق كل
العلماء عليم وهو مخصوص قالوا ان يسرق بنيامين فقد سرق اخ له من قبل يعنون يوسف قيل وزنت عمته من ابيها
منطقة ابراهيم وكانت حضنت يوسف وكانت تحبه فلما شبّ اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم اظهرت
ضياعها فتفحص عنها فوجدت عندها فصارت احق به في حكمهم وقيل كان لابي امه صنم فسرقه وكسره والقاه
في الجيف وقيل كان في البيت عناق اودجاجة فاعطى السائل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم انتهاكا في نفسه
ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة او نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير ويفسرها قوله قال انتم
شر مكانا فانه بدل من اسرها والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا اي منزلة في السرقة لسرقتكم اخاكم او في سوء الصنيع
مما كنتم عليه تأنيثها باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشان والله اعلم بما تصفون
وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن او القدر ذكروا له حالا استعطفا قاله

عليه فخذ احدنا مكانه بدله فان اباه يحلون على اخيه الحال يستانس به انا نراك من المحسنين البنا فاتم احسانك
او من المتعودين الاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده فان اخذ غيره ظلم
على فتواكم فلو اخذ احدكم مكانه اذا لاذا لظالمون في مذهبكم هذا وان مراده ان الله اذن ان اخذ من وجدنا الصاع في
رحله لصلحيته ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما فلما استيأسوا منه يئسوا من يوسف واجابته ليلتهم وزيادة
السين والتاء للمبالغة وعن البزي استيأسوا بالالف وفتح الياء من غير همزة واذا وقف حمزة القى حركة همزة على الياء على اصله ٢
خلصوا انفرادا واعتزالا من الاجانب مستأجبين ونجيا وحد كالندي مصدر او بزنته كما قيل هم صديق وجمعه انجية كنديّ
وانجاء قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في الرأي وهو شمعون وقيل يهوذا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا
من الله عهدا وثيقا وتوكيدا باليمين حلفكم بالله موثقا منه لانه باذن منه وتأكيد من جهته ومن قبل ومن قبل هذا ما فرطتم
في يوسف فتحتم تقصيرا في شأنه وما مزيدة ويجوز ان يكون مصدرية في موضع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا يأس بالفصل
بين المعطوف والمعطوف عليه بالظرف وهو اسم ان وخبره في يوسف ومن قبل او الرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان
خبرا او صلة لم يتطرق عن لاضافته حتى لم ينقص قال ان يكون موصولة اي ما فرطتموه في حقه من الجناية
ومحله ما تقدم فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى يأذن لي ابي في الرجوع اليه او يحكم الله لي او يقضي
بالخروج منها او بخلاص اخي منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها
الملك والله لنتركنا اخانا او لاسمعن صيحة تضع منها الحوامل وقفت شعور جلده فخرجت من ثيابه فقال يوسف
لابنه قم الى جنبه فمسه وكان به بعقوب اذا غضب احمر منه فمسه الاخ فذهب غضبه فقال روبيل من هذا الذي في هذا
البلد الكبير ذكر امن يزيد يعقوب وهو خير الحاكمين لان حكمه لا يكون الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك
سرق حتى ما شاهدنا من ظاهر امره وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا بان رأينا ان الصواع استخرج من
وعائه وما كنا للغيب لباطن الامر حافظين فلا ندري انه سرق او سرق ودس الصاع في رحله او ما كنا للعواقب عالمين
فلم نكن حين اعطينا الميثاق الموثق اليه سيسرق او انك تصاب به كما اصبت بيوسف واسأل القرية التي كنا فيها
يعنون مصر وقرية بقربها لحضرهم للتنادي فيها والمعنى اسأل اهلها واسألهم عن القصة والعير التي اقبلنا فيها
واصحاب العير التي توجهنا فيها وكنا معهم وانا لصادقون تأكيد في محل القسم قال بل سولت اي فعلا دعوا الى ايهامهم وقالوا
له ما قالوا لهم فحينئذ قال بل سولت اي زينت وسهلت لكم انفسكم امرا ارتموه فصبر جميل فامري صبر جميل او فصبري صبر جميل
او فشأني صبر جميل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا بيوسف وبنيامين واخيهما الذي توقف عن مصر اثانية هو العليم بحالي وحالهم الحكيم في تدبيرها وتولى عنهم واعرض عن مكالمتهم كراهة لما صادف منهم
وقال يا اسفى على يوسف اي يا اسفا تعال فهذا اوانك وانت وقتك يا اسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما اسف
على يوسف دون اخويه والوارث دونهم لان رزأه كان فادحة المصيبة وكان قضاء الله يجري قليله ولانه كان والقا بيعقوب
دون عيونه ثم الحزن لم تخط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة كالامة المحمدية على السلام الا ترى الى يعقوب

حين اصابه يا اصتام ليسترجع وقال يا اسفا واسفت عليك من الحزن لكثرة بكائه من الحزن كان البكرة بحيث
سوادها او قيل اضعف بصره وقيل عمى وقوع من الحزن وفيه دليل على جواز التاسف والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك
لا تدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند المشاهد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال
القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون فهو كظيم ممتلئ من الغيظ على ولاده ثم ترك
له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله ومنه مكظوم من كظم السقاء اذا شد رأسه على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين
من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته ردها في جوفه قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف اى لا تفتؤ ولا تزال
تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما في قوله * فقلت يمين الله ابرح قاعدا * ولو قطعوا راسي لديك واوصالي لانه لا يلتبس كالاثبات
قال القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذي
اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يثنى ولا يجمع والغيث بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ بهما وتضمر
يحب او تكون من الهالكين من الميتين قال انما اشكو بثي وحزني هم الذي لا اقدر على الصبر عليه من البث بمعنى
النشر الى الله لا الى احد منكم ومن غيركم مخلوق وشكايتي واعلم من الله من صنعه ورحمته وانه لا يخيب داعيه ولا يرد
الملتجئ اليه او من الله بنوع من الاطلاع ما لا تعلمون من حيوة يوسف قيل رأى ملك الموت في المنام فسأله عنه فقال
هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى يخر له اخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فعبر عنهما
وتفحصوا عن حالهما والتحسس يطلب الاحساس وكثيرا ما يستعمل في الشر ولا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اى
من رحمته التي يحيي بها العباد انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون بالله وصفاته فان العارف لا يقنط من رحمته
في شيء من الاحوال فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز بعد ما رجعوا الى مصر رجعة ثانية مسنا واهلنا الضر
شدة المجاعة وجئنا ببضاعة مزجاة ردية او قليلة ترد وتلزم رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان وقيل
كانت دراهم زيوفا او قيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل فاوف لنا الكيل فاتم لنا الكيل
وتصدق علينا برد اخينا او بالمسامحة وقبول البضاعة او بالزيادة على ما يساويها واختلف فان حرمة الصدقة تعم الانبياء او تخص بنبينا
عليه وعليهم الصلوة والسلام ان الله يجزي المتصدقين احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه السلام
في القصر هذه صدقة تصدق الله تعالى عليكم بها فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله تعالى قال هل
علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اى هل علمتم قبيح فعلتم فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع ان
يكلمهم الا بخر وذلة اذ انتم جاهلون بحالكم او جاهلون فيما ارتكبتم من ذلك او قد متم عليه وعاقبتموه انما قال ذلك تذكيرا لهم وتحريضا على التوبة و
شفقة عليهم لما رأى من تحيرهم وتمكنهم لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين وذكر فيه ما هو
فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال او لانهم كانوا حينئذ صبيانا ناشئين
قالوا ائنك لانت يوسف استفهام بقرين ولذلك حقق بان واللام عليه وقرأ ابن كثير على الايجاب بغير استفهام عرفوه برؤيته وشمائله
حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن راسه فراوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة

ويعقوب متلوها فقال انا يوسف وهذا اخي مر اني واذكر قصته تنبيها لشانه وادخاله في قوله فلا ابرح الارض
عليّ ان بالسلامة والكرامة انه من يتق الله ويتصبر على البلية او على الطاعات او عن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين
وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر قالوا تالله لقد اثرك الله علينا اختارك
الصورة وجمال السيرة وان كنا لخاطئين وان الشان انا كنا آثمين بما فعلنا معك قال لا تثريب
عليكم لا اثيب عليكم بتفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش بالازالة كالتجليد فاستعير للمثلب الذي هو
العرض بين شيء الوجه اليوم متعلق بالتثريب او بالمقدر بلي الواقع خبر لا التثريب اي لا اثربكم اليوم الذي هو
مظنته فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله لكم لانه صفح عن حقهم حينئذ واعتد قولها حينئذ وهو اوان الرجاء
فانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب من كرم يوسف انهم لما عرفوا ارسلوا اليه وقالوا انك دعوتنا باكلة
والعيش الا لطعام ونحن نستحي منك لما كرك صنائعك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الي بالاعين الاولى يعظمون بها كل من ملك
ثلثمائة عبد اثمن كل عبد بعشرين دينارا بلغ ولقد شرفتكم وعظمتكم في اعينهم حيث علموا انكم اخوتي وابن خليل الله واحملوا
اذهبوا بقميصي هذا وكان قميص ابراهيم عليه السلام الذي كان في النار فالقوه على وجه ابي يات بصيرا
ان ابصر وائتوني بأهلكم اجمعين بنسائكم وذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير من مصر وخرجت من عمران
قال ابوهم لمن حضره اني لاجد ريح يوسف اوجده الله تعالى ريحه من مسيرة ثمانية ايام حين ارسل اليه يهوذا من تمام
قوله لولا ان تنسبوني الى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم وكذلك الكهال يقال مخرف معقل اذا لم
تفندون تقبل قولي ذاق وجاب لولا محاذرة تقدير لصدقتموني اولقلتم انه قريب قالوا اي لحاضرون تالله انك
لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قديما بالافراط في محبة يوسف واكثار ذكره والتوقع للقائه فلما
جاء البشير يهوذا روي انه قال لما حزنه بحمل قميصه املقح اليه فاوجه بحمل هذا اليه القاه على وجهه فارتد
الضمير الى مجرد يعقوب او يعقوب نفسه فارتد بصيرا عاد صحيحا اما انتعش فيه من القوة قال الم اقل
لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حيوة يوسف وان الفرج وقيل الى اعلم كلام مبتدأ والمقول ولا يأس
من روح الله من رحمته يا بنينا يوسف قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه ان
عنه ويسأل له المغفرة قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم اخر الى السحر او الى صلوة الليل او الى ليالي الجمعة
تحريا لوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عفى عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة روي
ما روي انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذ ثلثمائة خاشعين حتى نزل جبريل وقال ان
الله تعالى اجاب دعوتك في ولدك وعفا عما اتيتم لبعدك على النبوة وهو ان صح فدليل على ان نبوتهم وان
كان قبل استكمالهم فلما دخلوا على يوسف روي انه وجه اليه رواحل واموالا ليتجهز اليه بمن معه ويستقبله
يوسف وهيأ له اما مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا
مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى اقوى اليه ابويه ضم اليه اباه وخالته

واعتقها شاهما منزلة الاهم فقد يلاحظ منزلة الاب في قوله واتبع ملة ابائي ابراهيم واسماعيل واسحاق وان يعقوب تزوجها بعد
والاية تدل على ان دخولهم مصر ان شاء الله امنين من القحط واصناف المكاره والمشية متعلقة بالدخول لا بالامن والدخول
الاول كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا تحية وتكرمة له قال السجود كان
جنسا مما يجري مجرى التحيات فقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله والواو لابويه واخوته والرفع مؤخر من اخر وروان
تزعم نفثة الدهتام يذكره بتعظيمه اياها وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل رويتها ايام الصبا قد جعلها ربي حقا واصلا قائما
وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب
المواشي واهل البادية من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي افسد بيننا وحرش من نزغ الفرس اذا نخسها الموحيا
على الجمع ان ربي لطيف لما يشاء لطيف التدبير له اذا ما من صعب يذلل فيه مشية ويسهل ورودها انه هو العليم بوجوه
المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل كل شئ في وقت وعلى وجه تقتضي الحكمة روي ان يوسف طاف
بابيه عليهما السلام في خزائنه فلما دخل خزانة القراطيس قال يا بتي ما اشغلك عنا بهذه القراطيس وما كتب ابي علي
فان مراحل قال امرني جبريل فقال وما تسأله قال ان انبسط مني اليه فسأله قال جبريل الله امرني بذلك لقولك والذئب
ان ياكله الذئب قال فما احفتني ربي قد اتيتني من الملك بعض الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث
الكتب او الرؤيا ومن يضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التاويل فاطر السموات والارض مبدعهما وانتصابه على انه صفة
منادى او مناداي يا من اسسه انت ولي ناصري او متولي امري في الدنيا والاخرة او الذي يتولاني بالنعمة فيهما توفني
مسلما اقبضني والحقني بالصالحين من ابائي واتباعهم الصالحين في الرتبة والكرامة روي ان يعقوب لما قدم معه في مصر
اربعا وعشرين سنة ثم توفي واوصى ان يدفن بالشام الى جنب ابيه فذهب ودفنه ثم عاد وعاش بعده
ثلثا وعشرين سنة ثم ناقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت وتمناه الله طيبا كطاهر افتحامهم اهل مصر في سدفة حتى هموا
بالفتك فرأوا ان يحملوه في صندوق من مرمر ثم يدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا اشح عافيه ثم نقله موسى عليه السلام
الى مدفن ابائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد دل له من راحيل افراييم ومنشا وهو جد يوشع بن نون وجدة امراة ايوب
وذلك اشارة الى ما ذكر من نبأ يوسف والخطاب فيه للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ من انباء الغيب نوحيه اليك خبر ان لك
وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك لم
تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه في غيابت الجب هم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن
المعلوم ان لا يخفى هو على من يدري اين القيت احدا بسم ذلك فتعلمته منه فاما حذف هذا الشق استغناء بذكره في
تضاعيف القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وما اكثر الناس ولو حرصت على ايمانهم بالغت في اظهار الايات
عليه مؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسألهم عليه على الانباء او القرآن من اجر جعل لما يفسد عليهم تلقي الاخبار
ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين دلالة وكاين من اية وكم من ايتو المعنى يكاين هذا ثبت من الدلالة على
وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده في السموت والارض يمرون عليها تعاليا يات وينابيه فانهم عنها معرضون

لا يتفكرون فيها فيعتبروا بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدأ خبره يمرون فيكون الضمير في عليها والتعريف
على ويأكلون الارض وقرئ والارض يمشون عليها اى يترددون فيها فيرون آثار الهالكة وما يؤمن اكثرهم بالله
اقرارهم بوحدته وخالقيته الا وهم مشركون بعبادة غيره او باتخاذ الاحبار ارباباً ونسبة التبني اليه او القول بالنور
والظلمة او النظر الى الاسباب ومحو ذلك وقيل الآية في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب قامنوا ان تاتيهم
غاشية من عذاب الله عقوبة تغشاهم وتشملهم او تاتيهم الساعة بغتة فجاءة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون
بإتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي يعني الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد وذلك منهج السبيل بقوله ادعو الى الله
وقيل هو حال من الياء على بصيرة في بيان وحجة وانا تاكيد للمستتر في ادعو او على بصيرة لانه حال منه او
مبتدأ خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين وانزهه تنزيها من الشرك وما ارسلنا
من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفي استنباء النساء يوحى اليهم كما اوحي اليك
وتميز وابذلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحي في كل القرآن ووافقه حمزة والكسائي في الحرف الثاني في سورة الانبياء وثمرة
بيان لانه على اصلها هم سائر في النحل والاول من سورة الانبياء من اهل القرى لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو واقلم تسير
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك او من المشركين
بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها وللدار الآخرة وللساعة او الحياة الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي
افلا تعقلون يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء حملا على قوله هذه سبيلي
اى قل لهم افلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل غاية لمحذوف دل عليه الكلام اى لا يغرنهم تمادي اقامتهم
فان من قبلهم امهلوا حتى اذا يئس الرسل من النصر عليهم في الدنيا او من ايمانهم لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين
فيه من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اى كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد
الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم اى وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعد وقيل الاول للمرسل
اليهم والثاني للرسل اى وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعدوهم من النصر وخلط الامر عليهم وما روي عن
عباس ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله تعالى من النصر ان صح هذا فقد اراد بالظن ما يهجس في القلب على
الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة في التراخي والا فمحال على سبيل التمثيل وقرأ غير الكوفيين بالتشديد
وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما وعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اى وظنوا انهم قد كذبوا
عند قومهم لما تراخى عنهم وكذبوا الله تعالى حتم نصرنا فننجي من نشاء النبي والمؤمنين وانما لم نعينهم للدلالة على انه
الذين يستاهلون ان نشاء نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وحفص ويعقوب على لفظ الماضي المبني
للمفعول وقرئ فنجا ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان لتمادي كان في قصصهم
قصص الانبياء واممهم اوفى قصته يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبرأة عن شوائب الهوى
الى الحسن ما كان حديثا يفترى ما كان القرآن حديثا مفترى ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية

وتسهيل كل شيء صالح لأنه في الذين اذا من ورد في الحديث انه قال من قرأ بسبح او غيرها وسط وهذا يدل على ان الصلاة رحمة لنا على خير البرية
ثم قوله يس بضم الياء وفتحها وعن النبي صلى الله عليه وسلم قلوا قال الكوسوج وعن فانه اتى من سلم تلاها وتلقاها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه الامان يوم القيامة مسلم

سورة الرعد مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول الذين كفروا الآية وآيها خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

المر قيل معناه انا الله اعلم وارى تلك آيات الكتاب يعني بالكتاب السورة وتلك اشارة الى آياتها اي تلك الآيات السورة الكاملة او القرآن والذي انزل اليك من ربك هو القرآن كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص او احد الصفتين على الاخرى والرفع بالابتداء وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسبه اتباعه ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا خلل لهم بالنظر والتامل فيه الله الذي رفع السموات مبتدأ وخبره الموصول ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد ترونها سماطين جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم وقرئ عمد كرسل بضمتين وهما صفة لعمد او استيناف للاستشهاد بروية السموات كذلك على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام المشاهدة لها في حقيقة الجسمية واختصاصها بما يقتضي ذلك لابد وان يكون لمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته على هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر كلتيهما لما اريد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة تنفع في حدوث الكائنات وبقائها كل يجري لاجل مسمى لمدة معينة يتم فيها دوارها او لغاية مضروبة يقطع دونها سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت يدبر الامر امر الملكوتية من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك يفصل الآيات يبينها ويميز بعضها من بعض او يحدث الدلائل واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا فيها وتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء المخلوقات وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء وهو الذي مد الارض بسطها طولا وعرضا ليثبت عليها الاقدام وتتقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت من رسا الشيء اذا ثبت جمع راسية والتاء للتانيث على انها صفة اجبل او للمبالغة وانهارا اصلها الجريان سميت بها الانهار وخلق بها فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب التولد لها ومن كل الثمرات متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين اي وجعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض الصغير والكبير يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعد ما كان مضيئا وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر يغشى بالتشديد ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيها فان تكوينها ونخصصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيأ اسبابها وفي الارض قطع متجاورات بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم يكن ذلك لاشتراك تلك القطع في الطبيعية الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة في النسب والاوضاع وجنات من اعناب في زرع ونخيل بساتين فيها انواع الاشجار

ناظر الى قوله سبحانه الى الشمس ١٢ اي متصلة ١٢ لعل نزع الى الاشجار والبقاء بالنسبة الى الاسباب السماوية ١٢

بيضي نال بالراي الجبال

من الجدل وهو القتال وقالوا واو العطف مقحمة على الجملة الاولى لتأكيد الثانية وعلى الاولى تأمر بالتفصيل وازبر بن ربيعة
اخا لبيد وقد اعلى رسول الله فوعد بن لقتله فاخذ عامر بالمجادلة ودار بيده من خلفه ليضربه بالسيف فشغل الله
الرسول وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله تعالى على اربد صاعقة فقتلته ورمى عامر اربد فضاق بيده
سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية فنزلت وهو مثل لكل المحال المماحلة والمجادلة
لانه من محل بفلان اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه محل اذا تكلف استحال الحيلة ولعل اصله التحول بمعنى القحط وقيل
من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول والحيلة على غير قياس وبعضهم ذكر انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال
ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد له دعوة الحق الدعوة
الحق فانه تعالى الذي يحق ان يعبد ويدعى الى عبادته دون غيره وله الدعوة المجابة فان من دعاه اجاب ويؤيده ما بعده
والحق على الوجهين ماينا قض الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على تاويل دعوة المدعو الحق وقيل
هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين انه كانت لاية في عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لا يشعر
محال من الله واجابة لدعوة رسوله او دلالة على انه على الحق وكانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله صلى
عليه وسلم بحمل حاله بهم وصدهم باجابة دعاء الرسول عليهم او بيان ضلالهم وفساد رايهم والذين يدعون اي والاصنام الذين
يدعوهم المشركون فحذف الراجع او والمشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول للدلالة من دونه عليه لا يستجيبون
لهم بشيء من الطلبات الا كاستجابة كباسط كفيه الاستجابة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه يطلب منه ان
يبلغه وما هو ببالغه لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته والاتيان بغير ما حيل عليه وكذلك
الهتهم وقيل شبه حوائهم في قلة جدوى دعائهم لها من اراد ان يغترف الماء لبيشربه فبسط كفيه ليشربه وقرئ بالتاء وباسط بالتنوين وما دعاء الكفرين الا في ضلال في ضياع وخسار وباطل ولله يسجد من في السموات والارض
طوعا وكرها ويحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد لله الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا لخالق النشأة والمرجوع اليه
له ظلهم كارهون النشأة والضرورة وظلالهم بالغدو والاصال يراد به انقيادهم لاحكام ارادته فيهم شاؤا او ابوا وانقياد
ظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقليص وانتصابها طوعا وكرها بالحال او العلة وقوله بالغدو والاصال ظرف للسجود والمراد
بهما الدوام او حال من الظلال والتخصيص لوقتين لان الامتداد والتقلص اظهر فيهما والغدو جمع غداة كقنى وقناة
والاصال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال وهو الدخول في
قل من رب السموات والارض خالقهما ومتولي امرهما قل الله امر نبيه صلى الله عليه وسلم بان يجيب عنهم بذلك اذ لا جواب لهم سواه لانه البين
الذي لا يمكن المراء فيه ولتقنهم الحجة به قل افاتخذتم من دونه ثم الزمهم بذلك اتخاذهم منكرا بعد تبين مقتضى العقل والنقل
لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون
النفع لغيرهم ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رايهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم قل هل يستوي الاعمى
والبصير المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموحد العالم بان ذلك وقيل المعبود الغافل عنكم

والمعبود المطلع على احوال الكرام هل تستوي الظلمات والنور الشرك والتوحيد وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالياء ام جعلوا لله
شركاء بل جعلوا والهمزة للانكار وقوله خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم
والمعنى انهم اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها
ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء لا خالق غيره
فيشاركه في العبادة جعل الخالق موجب العبادة ولازم استحقاقها اثر نفاه عمن سواه ليدل على قوله وهو الواحد اى المتوحد
بالالوهية القهار الغالب على كل شيء انزل من السماء ماء سحابا او من جانب السماء او من السماء نفسها فان المبادي منتهاها
اودية انهارا جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري فيه وتنكيرها للاشعار
بان المطر الواقع على تناوب بين البقاع بقدر ما بقدرها الذي علم الله تعالى انه نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر
فاحتمل السيل زبدا رفعه والربد وضر الغليان زبدا عاليا وربما توقدون عليه في النار يعني الفلز ان كالذهب
والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه ابتغاء حلية طلب حلي او متاع كالاواني والآلات كالحرث
والمقصود من ذلك بيان منافعها زبد مثله اى ومما توقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن
للابتداء او للتبعيض وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء على ان الضمير للناس واضافته للعالم به كذلك يضرب
الله الحق والباطل مثل الحق والباطل فانه مثل الحق في افادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فيسيل به الاودية
على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت بعضه في مناقعه ويسلك بعضه
عروق الارض الى العيون والقنى والآبار وبالفلز الذي ينتفع به في صنوف الحلى واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك
مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما ويبين ذلك بقوله فاما الزبد فيذهب جفاء
يجفأ به اى يرمى به السيل او الفلز المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع الناس كالماء وخالص
الفلز فيمكث في الارض فينتفع به اهلها كذلك يضرب الله الامثال لايضاح المشتبهات للذين استجابوا لربهم الحسنى
الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا له ومع الكفرة واللام متعلقة بيضرب على انه
جعل ضرب المثل لشان الفريقين ضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهي المثوبة او الجنة والذين
لم يستجيبوا له مبتدأ خبره لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به وهو على الاول كلام مبتدأ
لبيان مآل غير المستجيبين اولئك لهم سوء الحساب وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر منه
شيء ومأواهم جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف افمن يعلم ان ما انزل اليك من ربك
الحق فيستجيب كمن هو اعمى عمى القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة لانكار ان يقع شبهة في تشابههما لعل ما ضرب
من المثل لما يتذكر او لو الالباب ذوو العقول المبرأة عن مشايعة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون
بعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى وما عهد الله عليهم في كتبه وعلى السنة انبيائه
الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو لتعميم بعد تخصيص والذين يصلون

مثل ذلك يعني ارسال الرسل قبلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب الذي اوحيناه اليك وهم يكفرون بالرحمن وبحالهم انهم يكفرون بالبليغ الرحمة التي احاطت بكل نعمة ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذي هو مناط المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن فقالوا وما الرحمن قل هو ربي اي الرحمن خالقي ومتولي امري لا اله الا هو لا مستحق العبادة سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب مرجعي ومرجعكم ولو ان قرآنا سيرت به الجبال شرح حذف جوابه والمراد منه تعظيم شأن القرآن والمبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم ولو ان قرآنا نزعت به الجبال عن مقارها او قطعت به الارض تصدعت من خشية الله عند قراءته وشققت فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى فقرأه او فتسمع وتجيب عند قوله لكان هذا القرآن لانه الغاية في الاعجاز والنهاية في التذكير والانذار وانما امنوا به كقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع وسخر لنا به الريح لنركبها ونقطع الى الشام والبعث بتكلم به الموتى كقصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل بالرياح مقلوم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي بل لله الامر جميعا بل لله القدرة على كل شيء وهو اظهر مما تضمنه لو من معنى التفاوت بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات لا ان اردتم لم تتعلق بل لك لعلمه بانه لا ينزل له شكيمتهم وقوله تعالى افلم ييأس الذين امنوا عن ايمانهم مع ما رأوا من جحودهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم لما روي ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرأوا افلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم فان المأيوس عنه لا يكون الا معلوما وكذلك علقه بقوله ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فان معناه نفى هدى بعض الناس لعلم تعلق المشية باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين امنوا عن ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا او بامنوا ولا يزال الذين كفروا وتصيبهم بما صنعوا من الكفر وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم بالبلاء تقلعهم وتقدمهم او تحل قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير عليهم شررها وقيل الآية في كفار مكة فانهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان عليه السلام لا يزال يبعث السرايا تغير حواليهم وتختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحل خطابا لرسول الله فانه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية حتى يأتي وعد الله الموت او القيامة او فتح مكة ان الله لا يخلف الميعاد لامتناع الكذب في كلامه ولقد استهزئ برسل من قبلك فاملیت للذين كفروا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه فالاملاء ان تترك مليا وتمهلهم من الزمان في دعة وامن ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم افمن هو قائم على كل نفس رقيب عليها بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت عنه شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك وجعلوا لله شركاء استيناف او عطف على كسبت ان جعل اما مصدرية او لدى حذفوه وعينوا

عليه ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله قل سموهم تبكيتهم على ان هؤلاء الشركاء لا يستحقون شيئا والمعنى صفوهم فانظروا اهل هم ما يستحقون به العبادة وليسوا هلون الشركة ام تنبئونه بل الذي لا يعلمه وقرئ تنبئونه بالتخفيف بما لا يعلم في الارض بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم او بصفات لهم يستحقونها لا يعلمها وهو العالم بكل شئ الكائن بظاهر من القول لم تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادي على نفسه بالاعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا الباطل حقا او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وصد وابو بالفتح اي وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين ومن يضلل الله يخذله فما له من هاد يوفقه لهم عذاب في الحياة الدنيا بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب ولعذاب الاخرة اشق لشدته ودوامه وما لهم من الله من عذابه او من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي هي مثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره تجري من تحتها الانهار او على طريقة قولك صفة زيد اسمر او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار او على زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة اكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها اي وظلها كذلك لا يتغير كما تنسخ في الدنيا بالشمس تلك اي الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا ما لهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعني المسلمين لاغيرهم وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعني المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام واصحابه ومن امم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلثون بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ومن الاحزاب يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة كالعبدين اشرف واصحابه والسيد والعاقب ولمثليهما من يشكر بعضه وهو ما يخالف شرائعهم او ما يوافقها ما حرفوه منها قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به جواب للمنكرين اي قل لهم اني امرت فيما انزل الي بان اعبد الله واوحده وهو العمدة في الدين والسبيل لكم الى انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الرسل والكتب الالهية في جزئيات الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف اليه ادعو لا الى غيره واليه مآب والبه مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء فلما عداذلك من التفاريع فمما يختلف باختلاف الاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه وكذلك ومثل هذا الانزال المشتمل على الصور الدالة على المعاني التي للحجج عليها انزلناه حكما يحكم في القضايا والوقائع بما يقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها كتقريرديتهم والصلوة الى قبلتهم بعد ما حولت عنها بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك فالك من الله من ولي ولا واق ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات في دينهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك بشرا مثلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما هي لك وما كان لرسول ان يأتي باية تقترح عليه وحكم يلتمس منه الا باذن الله فانه المالك بذلك لكل اجل كتاب

لكل وقت وأمر حكم يثبت على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما يقتضي حكمة
وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا
أو يثبت ما يراه ويمحو في صحيفة قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين وقيل يمحو الآيات وينسخ الكائنات في قرن ثم قرن وابن عامر وحمزة
والكسائي وينبت بالتشديد وعنده أم الكتاب أصل الكتب التي نسخت منها وهو اللوح المحفوظ إذ ما من كائن إلا وهو مكتوب فيه وإما نرينك
بعض الذي نعدهم أو نتوفينك وكيف ما دارت الحال رينك بعض ما وعدناهم أو توفيناه قبله فإنما عليك البلاغ لا غير
وعلينا الحساب لا يهمك إلا إعلامك فلا تحتفل بإعراضهم ولا يستعجل بعذابهم فإنا فاعلون له وهذا طال أمده أو لم يروا
أنا نأتي الأرض أرض الكفرة ننقصها من أطرافها بما نفتحه على المسلمين منها والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذي
يعقب المتوخى بالإبطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لأنه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى أنه حكم للإسلام بالإقبال وعلى
الكفر بالإدبار وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفي النصب على الحال أي يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب
فيحاسبهم عما قليل في الآخرة بعد ما عذبهم بالقتل والإجلاء في الدنيا وقد مكر الذين من قبلهم بالنبيآء وم والمؤمنين منهم
فلله المكر جميعا إذ لا يؤبه بمكر دون مكره فإنه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره فيعلم لمن تكون له عاقبة الدار فيجازي كل نفس بما كسبت
وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين حين يأتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله بهم
واللام تدل على أن المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في الإضافة إلى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر والكاظمي على
الجنس وقرئ الكفرون والذين كفروا والكفار أي أهله وسيعلم من أعلمه إذا أخبره ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل أرادوا
رسولا أليهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فإنه تعالى أظهر من الأدلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد علي ما ومن عنده علم الكتاب
علم القرآن وما ألف على نظمه المعجز أو علم التوراة وهو ابن سلام وأضرابه أو علم اللوح المحفوظ وهو الله تعالى أي كفى بالذي يستحق العبادة
وبالذي لا يعلم ما في اللوح إلا هو شهيدا بيننا فيجزي الكاذب بما يستأهله ويؤيد قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الإبدال وتنفع بالظرف فإنه معتمد
على النفي صلة أو يجوز أن يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعين للثانية وقرئ ومن عنده علم على الوصف بالجر والنبي للمفعول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الرعد أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل سحاب مضى وكل سحاب يكون إلى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله

سورة أبراهيم عليه السلام مكية وهي اثنان وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب هو كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس بإذن ربهم بأمرك إياهم إلى ما يتضمنه من الظلمات من أنواع
الضلال إلى النور الهدى بإذنه بتوفيقه وتسهيله مستعار من الإذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج
أو حال من فاعله أو مفعوله إلى صراط العزيز الحميد بدل من قوله إلى النور بتكرير العامل أو استيناف على أنه جواب
لما أثار عنه وإضافة الصراط إلى الله لما أنه مقصده أو المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على أنه لا يزل سالكه ولا يخيب
سابله الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض من قرأ بقراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبره الويل الذي خبر محذوف والذي نعته
أو على قراءة الباقين عطف بيان للعزيز الحميد لأنه تعالى لاختصاصه بالمعبود على الحق ووصل للكفرين من عذاب شديد يؤذيهم

لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل تقبيض الزوال وهو البعاة واصله النصب لانه مصدر لكانه لم يشتق
لكنه رفع لافادة الثبات الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة يختارونها عليها فان المختار للشيء يطلب من نفسه
ان يكون احب اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويبغونها من اصلها
وهو مقلوب من صد صدود اذا انكب وليس فصيحا لان فصل مثل وجه عن تكلف البديعية ويبغونها
عوجا ويبغونها زيغا ولكونها عن الحق ليقدر حوافيه فيرد في الجزء واوصل الفعل الى الضمير وتوصوف بجملة يحتمل الجرية
للكافرين والنصب على الذم والرفع على انه مبتدأ خبره أولئك في ضلل بعيد اي ضلوا عن الحق وتعوعنه ثم احتمل البعد الحقيقة
للضلال فوصف به فعله للمبالغة او للامر الذي به الضلال فوصف به للملابسة وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
الا بلغة قومه الذي هو منهم وبعثت فيهم ليبين لهم ما امر وابه فيتفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم
اولى الناس اليه بان يبعث فيهم واحق بان يبدؤه وكذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم بان ينذر عشيرته اولا ولو نزل على من بعث
الى امم مختلفة كتب بتبين على الاستهام استقل ذلك بنوع من الاعجاز ولكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد
في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها ومما في اتعاب القرائح وكد النفس من الفرب المقتضية لتحريل الثواب
وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه لمحمد عليه
الصلوة والسلام وانه تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل وكل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك بردة قوله
ليبين لهم فانه ضمير القوم والتورية والاتحيل ونحوهما لو يزيد البيان للعرب فيضل الله من يشاء فيخذله عن ايمان
ويهدي من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز فلا يغلب على مشيته الحكيم الذي لا يضل ولا يهدي الا لحكمة ولقد ارسلنا
موسى بآياتنا يعني اليد والعصا وسائر معجزاته ان اخرج قومك من الظلمات الى النور بمعنى اي اخرج لان في الارسال
معنى القول او بان اخرج فان صيغ الامر سواء في الدلالة على المصدر فيصح ان يوصل بها ان المناسبة قد تكون
بالتجريد بقرائنه التي وقعت على ايام الله الدالة وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه ان في ذلك لايات لكل صبار
شكور يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فانه لا اسم عما نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب
من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن واذ قال موسى
لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون اي اذكروا النعمة وقت انجائه اياكم ويجوز ان تنتصب اذ على
مستقره غير صلة للنعمة وذلك اذا اريد بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال
يسومونكم يولونكم سوء العذاب ويديمون ابناءكم ويستحيون نساءكم احوال من ال فرعون او من ضمير المخاطبين والمراد
بالعذاب هنا غير المراد في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثم ومعطوف عليه التذبيح هاهنا وهو اما جنس
العذاب او استعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة وفي ذلكم من حيث انه يقال انجاه الله تعالى اياهم وامهلهم فيه
بلاء من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان يكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة واذ تاذن ربكم ايضا من
كلام موسى وتاذن بمعنى اذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم

يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح لازيدنكم فضلا على فضلكم
فاعملوا اعمالكم على الكفران عذابي لشديد او من عادة الكريم ان يصدق بالوعد ويخلف بالوعيد والتجارة مفعول به
مفعول به او مفعول ثان على انه يجري مجرى قال لانه ضرب منه وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا
من الثقلين فان الله لغني عن شكركم حميد مستحق للحمد في ذاته محمود في نفسه الملائكة وتطوق سبحته ذرات الحيوانات فما ضر بتم
بالكفر الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح
وعاد وثمود ومن كلام موسى او كلام مبتدأ من الله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة وقعت اعتراضا او الذين
(اي وذكر الذين الخ)
من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود
كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم فعضوها غيظا مما جاء به الرسل كقوله عضوا
عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه او استهزاء عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وايسارا
لهم بالطباق الافواه او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا بما تنبئها على ان لا جواب لهم سواه
وردوها في افواه الانبياء يمنعونهم من اتكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وتخييلا الايدي بمعنى الايادي ردوا
ايادي الانبياء التي هي مواعظهم وما اوحي اليهم من الحكم والشرائع في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم
ردوها الى حيث جاءت منه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفي شك مما تدعونا اليه من الايمان
وقرئ تدعوننا بالادغام مريب موقع في الريبة اوذي ريبة وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الشيء قالت رسلهم
أفي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك اي اما ندعوكم الى الله
وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه واشاروا الى ذلك بقوله فاطر السموات والارض هو صفة او بدل
وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم او يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته ليصرعني اقامة
المفعول له مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه تعالى فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل
(اي ذكر بعضهم)
حتى يغفر في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت
في خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك
فيتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله تعالى وجعله آخر اعماركم قالوا ان انتم الا بشر
مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل مما نحن فيه
(اي الملائكة)
ما نصدقكم ونترك عما كان يعبد اباؤنا بهذه الدعوى فأتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية وعلى
صحة ادعائكم النبوة كانهم لم يعتبروا ما جاؤا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم
رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بالنبوة والحكمة ولا سلطان لنا ان نأتي بما اقترحتموه
الا بمشيئته وعلمه وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله اي ليس لنا الاتيان بالآيات ولا تستبد به استطاعتنا حتى نأتي
(اي الاستقلال)

بما اقترحتموه وانما امره يتعلق بمشيئة الله فيخص كل نبي بنوع من الآيات وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليتوكل عليه
في الصبر على معاندتكم وعداوتكم انكم عقلوا الامر الاشعار بأن يحب المتوكل وقصد اولا بما انفسهم قصدا اوليا لكونه ترى الى
قوله ومالنا الا نتوكل على الله اي اي عذر لنا في ان لا نتوكل عليه وقد هدانا سبلنا التي بها نعرفه ونعلم ان الامر كما
بيده وقرأ ابو عمرو بالتخفيف هنا وفي النحل ولنصبرن على ما اذيتمونا لجواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعلمهم
مبالغتهم بما يجري من انكارهم عليهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما استفادوه من توكلهم المستتبع
عن ايمانهم وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا حلفوا على ان يكون احد الامرين
اما اخراجهم للرسل او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب
لكل رسول ولمن آمن معه وغلبوا الجماعة على الواحد فاوحى اليهم ربهم اي الى الرسل لنهلكن الظالمين على اضمارهم
القول او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ولنسكننكم الارض من بعدهم اي ارضهم وديارهم كقوله واورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لوحي ونحوه ذلك
لمن خاف مقامي بين يدي للحساب او قيامي عليه من قولهم اقام على الامر اذا واظب عليه او قيامه بنفسه من قولهم
اقام زيد بكر جزء ذلك اشارة الى الموحى به واهلاك الظالمين واسكان المؤمنين لمن خاف مقامي او قيامي وهو الموقف
الذي يقوم فيه العباد للحساب وقيل مقامه بوزن المصدر بمعنى القيام او قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل المقام مقحم
بالعذاب او عند ما يوعدون به الكفار واستفتحوا سألوا من الله تعالى الفتح على اعدائهم والقضاء بينهم وبين اعدائهم من
الفتاحة وهي الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فاوحى والضمير للانبياء وقيل للكفرة وقيل للفريقين
فان كلهم سألوا ان ينتصر للحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن وخاب كل جبار عنيد اي مفتح
لهم فانجح المؤمنون وخاب كل جبار متكبر عن الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من
القبيلين كان اوقع من قولهم بهلم اي تعال بين يديه فانه مرصد لها واقف على شفيرها في الدنيا ميعوث اليها
في الاخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك وليس في من شاء عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم
يلقى فيها ما يليق ويسقى من ماء صديد عطف بيان للماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار يجمعونه ليتكلفوا جرعه
وهو صفة الماء او حال من الضمير في يسقى ولا يكاد يسيغه ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يعصره به فيطول
عذابه والتجوع جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس وتأتيه الموت من كل مكان اي اسبابه من الشدائد التي
فتحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجليه وما هو بميت فيستريح ومن ورائه
ومن بين يديه عذاب غليظ اي يستقبل في كل وقت عذاب اشد مما هو عليه وقيل هو الخلود في النار وقيل جنس العذاب
وقيل الاية منقطعة عن قصة الرسل نازلة في اهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنتهم التي ارسل الله عليهم بدعوة
رسوله فجيب دعاءهم فلم يسقهم ووعدهم ان يسقيهم في جهنم بدل سقيام صديد اهل النار مثل الذين كفروا
بربهم مبتدأ خبره محذوف اي فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة او قوله اعمالهم كرماد وما بعده على
الاول جملة مستانفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح حملت

وأسرعت الذهاب به وقرأ نافع الرياح في يوم عاصف العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم بحبوب لبنائها على غير اساس من معرفة الله والتوجه بها اليه تعالى وأعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصفة لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شيء محبوط فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون هو الضلال البعيد فانه الغاية في البعد عن طريق الحق الم تر خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين ان الله خلق السموت والارض بالحق بالحكمة والوجه الذي يحق ان يخلق عليه وقرأ حمزة والكسائي خالق السموات ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم ترتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض استدلال لانه على من خلق اصولهم ما يتوقف عليه تخليقهم ثم توالدهم بتبديل الصور وتغيير الطبائع قادر ان يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه كما قال وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لاختصاص له بمقدور دون مقدور وهذا شانه كان حقيقا بان يؤمن به ويعبد به رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء وبرزوا لله جميعا اي يبرزون من قبورهم يوم القيمة لامر الله تعالى ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله تعالى فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله تعالى عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه فقال الضعفؤا الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعفاء الراي وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو والذين استكبروا الروساء الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب ومصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف فهل انتم مغنون عنا نافعون عنا من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز ان تكونا للتبعيض اي بعض شيء هو بعض عذاب الله والاعراب ما سبق ويحتمل ان يكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء قالوا اي الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اي اخترنا ضلالكم كما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله تعالى طريق النجاة من العذاب لهديناكم ولكن خذلنا فخذلناكم سواء علينا جزعنا عنكم كما عرضتموه لكم بسلو دوننا طريق الخلاص من سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين وتؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا وقال الشيطان لما قضي الامر واحكم وفرغ منه وادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق وعدا مرجيا بالانجاز ووعدتكم اخلفتكم وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم

وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم حيث تبين خلف وعده كما حكى
منه وما كان لي عليكم من سلطان تسلط فالجأكم الى الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم اليها بتسويل وهو ليس من
جنس السلطان ولكنه على طريقته فوضع تحته بنفيه ضرب وجميع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي اسرعتم
لجابتي فلا تلوموني بوسوستي فان من صريح العداوة الايلام بامتثال ذلك ولوموا انفسكم حيث اطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا
ربكم لما دعاكم واحتجت للمعتزلة بامتثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها
ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب
وما انتم بمصرخي بمعتني وقرأ حمزة بكسر الياء على الاصل في التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض في مثله لما فيه
من اجتماع يائين وثلاث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فالحري ان لا تكسر و
قبلها ياء او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف في ضربته وكلمته وحذف الياء اكتفاء
بالكسر اني كفرت بما اشركتمون من قبل ما مصدرية ومن متعلقة باشركتموني اي اني كفرت اليوم باشراكم اياي من
قبل هذا اليوم اي في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستكرته كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى من نحو
ما في قولهم سبحانما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اي كفرت بالذي اشركتموني به وهو الله تخابطا عتكم اياي فيما
دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امر الله تعالى بالسجود لآدم واشراك منقول من شركت
زيد للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكاية امثال ذلك
لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتداركوا قبائحهم وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنت تجري من تحتها الانهر خالدين فيها باذن ربهم باذن الله تعالى وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ ادخل على
التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام اي تحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم الذي
ضرب الله مثلا كيف اتمه ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله
مثلا ويجوز ان تكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدإ محذوف اي هي كشجرة وان تكون
اول مفعولي ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت في الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها
اعلاها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها اي فرعها فاكتفى بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت
صفتها والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثاني ابلغ توتي اكلها تعطي ثمرها كل حين اقته الله لاثمارها
باذن ربها بارادة خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير
لانه تصوير للمعاني وادناؤها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت استوصلت واخذت
جثتها بالكلية من فوق الارض لان عروقها تربة منه مالها من قرار استقرار واختلف في الكلمة والشجرة فقيل الكلمة
الطيبة كلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخبيثة الاشراك بالله تعالى والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد
بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك

وشبهت الشجرة الطيبة بالنخلة وروى ذلك مرفوعا والشجرة الخبيثة بالحنظلة والكشوث والمراد بهم أيضا ذلك يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الذى ثبت بالحجة عندهم وتمكن فى قلوبهم وفى الدنيا فلا يزلون اذا افتتنوا فى دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمعون والذين قتلهم اصحاب الاخدود وفى الاخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا حين معتقلهم فى الوقف ولا يدهشهم اهوال القيمة وروى انه عليه الصلوة والسلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فى قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد فينادى منادٍ من السماء ان صدق عبدى فافرشوا له من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة وروى ان الله الذين آمنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على القليل فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون فى مواقف الفتن ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال آخرين من غير اعتراض عليه ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا اى بشكر نعمته كفرانا بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم وصاروا تاركين لها صاروا بالكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله وأسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه ونشر فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين وأسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء مقهورا مسلوبى النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلى رضى الله عنهما هم كفار قريش بنو المغيرة وبنو أمية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو أمية فمتعوا حتى حين وأحلوا قومهم الذين شايعوهم فى الكفر دار البوار دار الهلاك يحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها او من القوم اى داخلين فيها مقاسين حرها او مفسرة لفعل مقدر ناصبا لجهنم وبئس القرار اى بئس المقر جهنم وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله الذى هو التوحيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم فى اتخاذ الانداد لكن لما كان نتيجة جعل كالغرض فقل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التى يتمتع بها وفى التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهلة دعليه كالمطلوب لافضائه الى المهدية وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله فان مصيركم الى النار وان المخاطبين انهماكه فيما هو به من امر مطاع قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية اضافة العباد الى نفسه تشريف لهم وتنبيه على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومفعول قل محذوف ويدل عليه جوابه اى قل لعبادى الذين آمنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم لرسول بحيث لا يفرق فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر لام الامر ليصح تعلق القول بهما واما حسن ذلك ههنا وليحسن قوله من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال فان تقدير قل لعبادى يقيموا ينفقوا يوجب تكرار الفعل وتقدير قل لعبادى قد آمنوا يقيموا ينفقوا يوجب الفصل بين الشرط وجزائه بما ليس من متعلقه وانفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجزائه لان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان فاعل سرا وعلانية منتصبان على المصدرية لانفاق سر وعلانية او على الحال اى ذوى سر وعلانية او على الظرف اى وقتيه سر وعلانية ولا حب اصلا ان الواجب اخفاء المتطوع به من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يدل به تقصيره او يقضى به نفسه ولا خلال فيه ولا محالة فيستفهم لك خليل اى من قبل ان يأتى يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا بمحالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله تعالى وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفى للعام الله الذى

خلق السموات والارض مبتدأ وخبر وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فيتعين به وهو
يشمل المطعوم والملبوس ومفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له وحال منه ويحتمل عكس ذلك فيجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة
او المصدر لان اخرج في معنى رزق وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره بمشيته الى حيث توجهوا وسخر لكم الانهر تبعا
مسخرة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل لتسخيرها فكم وقيل لتسخيرها هذه الاشياء لتعليم كيفية اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يأتيان
في سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لمسالحكم ومعاشكم وآتاكم من كل ما سألتموه
كل ما سألتموه اي بعض جميع ما سالتموه يعني من كل شيء سالتموه شيئا فان الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله تعالى
ولعل المراد بما سالتموه ما كان حقيقا بان يسأل لاحتياج الناس اليه سئل او لم يسأل ما يحتمل ان يكون موصولة
وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين اي واتاكم من كل شيء ما احتجتم اليه
وسالتموه بلسان الحال ويجوز ان يكون ما نافية في موضع الحال اي واتاكم من كل شيء غير سائليه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
لا تحصروها عدا كقطعوا عدا لتواخيها فضلا عن ان تطيقوا عد آحادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المقر بالتقصير في الشكر غير مقصر
بالاضافة ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان كفار شديد الكفران و
قيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجحد ويمنع واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد بلدة امنا
ذا امن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا امنا ان المسؤول في الاول ازالة الخوف عنه وتصييره امنا
وفي الثاني جعله من البلاد الامنة واجنبني وبني بعدني واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منها في جانب وقرئ واجنبني وهما
على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله تعالى وحفظه اياهم وهو
بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل لم يعبدوا الصنم محتجا بانهم كانت
لهم حجارة يدورون عليها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلته رب انهن
اضللن كثيرا من الناس فكل من تبعني فانه مني فمن تبعني على ديني فانه مني اي بعض مني لا يفك عني في امر الدين ومن عصاني فانك
غفور رحيم تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء وبعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى
الشرك لكن ان الوعيد فرق بينه وبين غيره ربنا اني اسكنت من ذريتي اي بعض ذريتي او ذرية من ذريتي فحذف المفعول
وهم اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانهم متضمن لاسكانهم بوادي غير ذي زرع يعني وادي مكة فانها حجرية كانت
عند بيتك المحرم الذي حرمت التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممتنعا بها مة الجبابرة او ممنعا منه الطوفان
فلم يستول عليه لذلك سمي عتيقا اي معتقا منه ولو عابهدن الدعاء اول ما قدم فلعله قال ذلك باعلامه تعالى او
او ما سيؤول اليه روي ان هاجر كانت لسارة فوهبتها من ابراهيم عليه السلام فولدت منه اسمعيل فغارت عليها
فناشدته ان يخرجها من عندها فاخرجها الى ارض مكة فاخرهما الله عين زمزم فتزودا وارتوا فطيرا فقالوا لولا اطيرا لاعلى الماء
فقصدوه فراوهما وعندهما عين فقالوا لنشركنكما في مائك فاذنا فعلت ربنا ليقيموا الصلوة اللام لام كي وهي متعلقة

باسكنت اى اسكنتهم بهذا الوادى البلقع من كل مرتفق ومرتزق الاقامة الصلوة عند بيتك المحرم وتكرير التلمة
وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم هنا وللمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو
الدعاء لهم باقامة الصلوة كانه طلب منهم الاقامة وسأل من الله تعالى ان يوفقهم لها فاجعل افئدة من الناس
اى افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم والترك
اليهود والنصارى او للابتداء كقولك القلب منى سقيم اى افئدة ناس وقرئ ذرية وهى تحتمل ان تكون مقلوب افئدة كما دئر فى
آدؤر وان تكون اسم فاعل من أفرت الرجله اذا عجلت اى جماعة يعجلون نحوهم وأولة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه
ابدالها بين بين ويجوز ان يكون من ادر تهوى اليهم تسرع اليهم شوقا ووداداً او قرئ تهوى على البناء للمفعول من
اهوى اليه غيره وتهوى من هوى يهوى اذا احب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع وارزقهم من الثمرات مع سكناهم
واديا لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب الله دعوته فجعله حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شئ حتى
يوجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علنا والمعنى انك تعلم
بحوائنا ومصالحنا وارحمنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا للعبودية بك وافتقارا الى رحمتك واستجلابا
لنيل ما عندك وقيل ما نخفى من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة فى التضرع
والبحأ الى الله تعالى وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء لانه العالم بعلم ذاتى يستوى نسبته الى كل معلوم ومن
للاستغراق الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اى وهب لى وانا كبير اس عن الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة
واظهارا لما تفضل فيها من الاية اسمعيل واسحاق روى انه ولد له اسمعيل لتسع وتسعين سنة واسحاق لمائة وثنتى عشرة
سنة ان ربى لسميع الدعاء مجيبه من قولك سمع الملك كلامى واذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل
المضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله تعالى على المجاز وفيه اشعار بانه دعا به وسأل عنه الولد فاجابه
ووهب له سوداحين ما وقع اليأس منه ليكون من اجل النعم واجلاها رب اجعلنى مقيم الصلوة معدلا لها مواظبا
عليها ومن ذريتى عطف على المنصوب فى اجعلنى والتبعيض لعلمه باعلام الله تعالى واستقراء عادته فى الامم الماضية
انه يكون فى ذريته كفار ربنا وتقبل دعاء واستجب دعائى او وتقبل عبادتى ربنا اغفر لى ولوالدى وقرئ ولوالدى بحذف
المفعول للعلم به وقرئ ولوالدى بوزن رمى وقيل اراد بهما ادم وحوا وللمؤمنين يوم يقوم الحساب يثبت مستعارا من القيام على الرجل
كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم جازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون
خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به تثبيته تعالى على ما هو عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا تخفى عليه خافية والوعيد
بانه تعالى معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلته تعالى جهلا بصفاته واغترارا بامهاله تعالى وقيل انه تسلية للمظلوم
وتهديد للظالم انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار يوخرعذابهم وعن ابى عمرو بالنون ليوم تشخص فيه الابصار اى تشخص
ابصارهم فلا تقر فى اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعى او مقبلين ببصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة
هو الاقبال على الشئ مقنعى رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم بل بقيت عيونهم شاخصة

لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء خاليا عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة
ومنه يقال للاحمق والجبان قلبه هواء اى لا راى فيه ولا قوة قال زهير ومن اظلم ان جوجوه هواء وقيل خالية عن الخير
خاوية عن الحق وانذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعنى يوم القيمة او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول
ثان لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل قريب اخر العذاب عنا ورددنا الى الدنيا
وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخرنا اجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك نجب دعوتك ونتبع الرسل
جواب للامر ونظيره لولا اخرتنى الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين او كنتم اقسمتم من قبل ما لكم من زوال
على ارادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون فى الدنيا
لا تزالون بالموت ولم تعهدوا قسموا بطرا وغرورا ولو دل حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون
الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يبعثون حين تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت
وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصى كعاد وثمود واصل سكنتم ان يعدى بفى كفر وغنى واقام
وقد يستعمل بمعنى التبوء فيجرى مجراه كقولك سكنت الدار وتبينتم لكم كيف فعلنا بهم بما تشاهدون فى مساكنهم من
آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم وضربنا لكم الامثال من احوالهم اى بينا لكم انكم مثلهم فى الكفر وتعاطى
القبائح او صفنا لكم افعالهم التى هى فى الغرابة كالامثال المضروبة وقد مكروا امكرهم المستفرغ فيه مجهودهم
لابطال الحق وتقرير الباطل وعند الله مكرهم ومكتوب عنده فيجازيهم عليه او عنده ما يمكر به جزاء
لمكرهم وابطاله وان كان مكرهم فى العظم والشدة بحيث تزول منه الجبال مستوى لا زالة الجبال وقيل ان نافية واللام
موكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر النبى صلى الله عليه وسلم ونحوه وقيل مخففة من
الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا امرا هو كالجبال الراسية ثباتا ومكنا من آيات الله وشرائعه وقرأ الكسائى لتزول بالفتح والرفع
على ان ان المخففة واللام هى الفارقة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كى وقرئ وان كاد مكرهم
فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلى واصله مخلف رسله
وعده فقدم المفعول الثانى بدلا انابانه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذ لم يخلف وعده احدا كيف
يخلف رسله ان الله عزيز غالب لا يمانعه احد ولا يدافعه ذو انتقام لاوليائه مراعد لاعدائه يوم تبدل الارض غير الارض
بدل من يوم يأتيهم او ظرف للانتقام او مقدر باذكر او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل
فيما بعدها والسموات عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون فى الذات كقولك بدلت الدراهم
بالدنانير وعليه قوله بدلنا بهم جلودا غير جلودهم وفى الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله
يبدل الله سيئاتهم حسنات والاية تحتملهما عن ابن عباس رضى الله عنه تبدل الارض من فضة وسموات من ذهب وعن
ابن مسعود وانس يحشر الناس على ارض بيضاء لم يعص عليها احد بخطيئة وعن ابن عباس هى تلك الارض ولكن تغير
صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة انه عليه الصلوة والسلام قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم

المعاطي لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة
ولا يبعد على الله ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة على ما اشرنا اليه قوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وكلا ان
كتاب الفجار لفي سجين وبرزوا من اجل انهم لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان الامر
في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غالب قاهر لا غالب له فلا مستغاث الا اليه فلا يجد غيره و
لا مستجار وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد والاعمال كقوله واذا النفوس
زوجت او قرنوا مع الشياطين ومع ما كانوا يسومونهم من العقائد الزائغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى
رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لما لحقهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم في الاصفاد متعلق بمقرنين
او حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل وزيد الخيل قرنه في صفاد بعض يساعد وبعضه ساقه
واصله الشد سرابيلهم قمصانهم من قطران حال ايضا وهو ما يتسربل من الاهل فيطبخ فيهن به الابل الجربى
الجرباء فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن يشتعل فيه النار بسرعة تطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه
لهم كالقمص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اشراع النار في جلودهم على ان التفاوت
بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الهيئات الردية والكيفيات
الوحشية فيجلب اليها انواعا من الغموم والآلام وعن يعقوب قطران والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي
حره والجملة حال ثانية او حال من الضمير في مقرنين وتغشى وجوههم النار اي تغشاها لانهم لو يتوجهوا بها الى الحق ولم
يستعملوا في تدبر مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوة بالجهالات
ونظيره قوله تعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقوله تعالى يسحبون في النار على وجوههم ليجزي الله كل
نفس اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس من بر وفاجرة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين معاقبون
لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا ان الله سريع الحساب لانه لا يشغله
حساب عن حساب هذا اشارة الى القرآن او السورة او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله
بالغ للمتأسي كفاية تطمئن في الموعظة وليذكر وليتذكر عطف على محذوف اي لينصحوا او ليتذكروا بها البلاغ فيكون اللام
متعلقة بالبلاغ ويجوز ان يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به أنزل او تلى وقرئ بفتح الباء من بذل ربه اذا اعتكر عليه
واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد بالنظر والتأمل فيما فيه من الآيات الدالة عليها او المنبهة على ما يدل
عليه وليذكر ذكر او لوا الالباب فيتذكروا عما يرديهم ويتدكروا بما يحظيهم واعلم انه تعالى ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوائد هي
الغاية والحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل المنذرين واستكمالهم القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد و
استصلاح القوة العملية التي هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بها وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرء سورة ابراهيم اعطي من الاجر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعبد من لم يعبدها

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين الاشارة الى آيات السورة والكتاب هو السورة وكل القرآن وتنكيره للتفخيم اى يا له من كتاب كامل وقرآن مبين الرشد من الغي يا عز نبأ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال المسلمين عند نزول العذاب او حلول الموت او يوم القيامة وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربما بالفتح والتخفيف وفيه ثمان لغات ضم الراء وفتحها مع التشديد والتخفيف وتاء التانيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخولها على الفعل وحقه ان يدخل الماضي لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى الماضي تحققه اجري مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال ومعنى التقليل فيه ان الاحيان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه كل ساعة وقيل يدهشهم اهوال القيامة فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات تمنوا ذلك والغيبة في حكاية وداد تهم كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن ذلك هم دعهم يأكلوا ويتمتعوا ابدا ويلههم الامل يشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للعاقبة فسوف يعلمون سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض افناط الرسول من مراعوائهم وايمانه بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغالهم بالاطائل تحتة وفيه الزام الحجة وتحذير عن ايثار التنعيم وما يؤدي اليه طول الامل وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم اجل مقدر كتب في اللوح والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لا يدخلها الواو كقوله الا لها منذرون لكن لما شابهت صفتها صورة الحال ادخلت عليها تاكيدا للصوقها بالموصوف ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون عن ما يستاخرون عنه وتذكير ضميره امة فيه للحمل على المعنى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر ناداه بانه النبي صلى الله عليه وسلم على التهكم لانه رأى ان ما ناداه له وهو قوله انك لمجنون وتطيرا ذلك قولهم ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وانما عنوا بذلك لقول قول المجانين حتى حين تلا عليهم ان الله نزل عليك الذكر اى القرآن لوما تاتينا تاتي بالملائكة كما تاتي مع من ارسل من الامم لاستشهاد المرسلين اما لاستماع الشئ لوجود غيره والتحضيض بالملائكة ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب على تكذيبهم اياك كما اتت الامم المكذبة قبلكم ان كنت من الصادقين في دعواك ما ينزل الملائكة بالياء مسندا الى ضمير اسم الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص تنزل الملائكة بالنون وابو بكر تتنزل الملائكة بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل الا تنزلا ملتبسا بالحق اى بالوجه الذي قدر واقتضته حكمته ولا حكمة في ان تاتيكم بصور تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحي والعذاب وما كانوا اذا منظرين اذا جوابهم وجزاء لشرط مقدر اى ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم وتاكيد ذلك اكده من وجوه وقرره بقوله وانا له لحافظون اى من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه على اهل اللسان او نفي تطرق الخلل اليه في الدوام بضمان الحفظ له كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير في له للنبي صلى الله عليه وسلم ولقد ارسلنا من قبلك

فرسيخ الاولين في قومهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع
وهو الحطب الصغار تُوقد به الكبار والمعنى بيّنا ارجاعهم وجعلنا هم رسلا فيما بينهم وبين آبائهم من رسول الا كانوا به
يستهزؤن كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وما للحال لا بد خل الا مضارعا معناه او ما ضيا قريبا منه وهذا على
حكاية الحال الماضية كذلك نسلكه مدخله في قلوب المجرمين والسلك ادخال الشيء الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون
والضمير للاستهزاء وفيه دلالة على انه تعالى يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الآخر في قوله لا يؤمنون
به يوجه من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة
المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر تواطؤها في المرجوع اليه ولا يتعين ان يكون الجملة
حالا من الضمير بجواز ان يكون حالا من المجرمين ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه وقد خلت سنة
الاولين اي سنة الله فيهم بأن خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا
لاهل مكة ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون اليها ويرون عجائبها
طول نهارهم مستوضحين لما يرون او تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم لقالوا من غلوهم في العناد وتشكيكهم
في الحق انما سكرت ابصارنا سدت من الابصار بالسحر من السكر ويقبل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت من السكر ويقبل
عليه قراءة من قرأ سكرت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا فخيل ذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات وفي كلمتي الحصر
والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا في السماء بروجا
اثني عشر مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء وزينّاها بالاشكال والهيئات
البهية للناظرين المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها من كل شيطان رجيم
فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها الا من استرق السمع بدل من كل
شيطان واستراق السمع اختلاسه سرقا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات ثم ابدالهم من المناسبة في
الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى
صلوات الله عليه ومنعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكوينها
قبل المولد بجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من استرق السمع فاتبعه فتبعه وحقه
شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكواكب والسنان لما فيهما من البريق والارض
مددناها بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها في الارض وفيها وفي الجبال من كل شيء موزون
مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته او مستحسن متناسب من قولهم كلام موزون او ما يوزن ويقدر له اوله وزن
في ابواب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ بالهمز على التشبيه
بشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائرها
يظنون انهم يرزقونهم كثيرا كاذبا فان الله تعالى يرزقهم واياهم وقيل لكلة الاية الاستدلال

بجعل الارض مادودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزاء في الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة
وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته وتباهي حكمته والتقرير في الالوهية ولاستدلال على العباد بالنعم
عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك فقال وان من شئ الا عندنا خزائنه اي ما من شئ الا ونحن
قادرون على ايجاده وتكوينه اصنافا موجودة منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره وشيئه مقدوراته بالاشياء المخزونة
التي لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد وما ننزله من ينابيع القدرة الا بقدر معلوم حدده الحكمة وتعلقت به المشية فان
تخصيص بعضها بالايجاد في بعض الاوقات مشتمل على بعض الاصناف والحاجة لا تدله من مخصص حكيم وارسلنا الرياح لواقح حوامل
شبه الريح التي جاءت بخير من انشاء سحاب مطر بالحامل كما شبه ماءه بالمقيم او ملقحات البشر والسحاب و
نظيره الطوالع بمعنى المطيحات في قوله * ومخبط عما تطيح الطوالح * وقرئ وارسلنا الرياح على تاويل الجنس فانزلنا من السماء
ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين قادرين متمكنين من اخراجه فنفوا عنهم ما اثبته لنفسه
او حافظين في الغدران والعيون والابار وذلك ايضا دليل على بديع المدبر الحكيم كما تدل عليه حركة الهواء في
بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به انسان من فان صبيعة الماء يقتضي الغور فوقه دون حده لا بد له من
سبب مخصص وانا لنحن نحيي بايجاد الحيوة في بعض الاجسام القابلة لها وغيت بازالتها وقدم ذكر الحيوة بما يعم
الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على قصره على من الوارثون الباقون اذا مات الخلائق كلها ولقد علمنا
المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين منا استقدم ولادة وموتا او من استاخر او من خرج من اصلاب الرجال
ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام وجاهد وسبق الى الطاعة او تاخر عنها شبه من احوالكم وهو بيان لكمال
علمه بعد ما احتج على كمال قدرته فان ما يدل على كمال قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله
عليه وسلم على صف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امراة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتاخر بعض لينظر اليها فنزلت وان ربك هو يحشرهم
لا محالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولي لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد
والتنبيه على ان ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه تفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله
انه حكيم باهر الحكمة متقن في افعاله عليم وسع علمه كل شئ ولقد خلقنا الانسان من صلصال طين يابس يتصلصل
اي يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا انتن تضعيف صل من حمإ طين تغيرا واسودا من طول مجاورة الماء
وهو صفة صلصال اي كائن من حمإ مسنون متصور مصور من سنة الوجه او مصبوب ليبس وينصور كالجواهر
المذابة يصب في القوالب من السن وهو الصب كانه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل
ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه او من تين من سنت الحجر عن الحجر اذا حككته به فان ما يسيل
بينهما يكون مسنونا وليمي سنينا والجان بالجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب
الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها او لتصلبه بفعل يفتر

خلقناه من قبل من قبل خلق الانسان من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر الجرمية فضلا عن الاجساد المولفة التي الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الارضي وقوله من نار باعتبار الجزء الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الاية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على بيان المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء واذ قال ربك واذكر وقت قوله للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته عدلت اجزاءه هيأته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي حتى جرى اثاره في تجاويف اعضائه فتحيى وحي واصل النفخ اجراء الريح في تجويف جسم اخر ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب الذي هو منبع الحرارة الغريزية فيسري بسببها في تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعليقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه تشريفا له فقعوا له ساجدين امر من وقع يقع فسجد الملائكة كلهم اجمعون اكدت بالتي بعد التي للتعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك لكان الثاني خاليا عن التاكيد الا ان يجعل منقطعا اتصل به قوله الا ابليس عط استثناء متصلا كان استثناء على انه جواب سائل قال هلا سجد قال يا ابليس مالك الا تكون اي غرضك في ان لا تكون مع الساجدين لاذهم قال لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفي لا يصح مني وينبغي في حالة ان اسجد للبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون وهو اخس العناصر وخلقني من نار وهي اشرفها استنقص ادم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف قال فاخرج منها اي من السماء او الجنة او زمرة الملائكة فانك رجيم مطرود من رحمة الله تعالى من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو عيد يتضمن الجواب عن شبهته وان عليك اللعنة هذا الطرد والابعاد الى يوم الدين فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومن اليوم زمان الجزاء ومعنى قوله فاذن موذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى اخر ينسى عند هذه وقيل انما حد اللعن به لانه اقصى غاية يضربها الناس ولا يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل قال رب فانظرني فاخرني والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم الى يوم يبعثون اراد ان يجعل فسحة في الاغواء ونجاة عن الموت الذي لا موت بعده وقت البعث فاجله الى الاول دون الثاني قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه اجلك عند الله تعالى او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلاثة يوم القيمة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فضيق عنه او لا بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولكل يوم من ذلك ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث الخلائق في تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة الملك على منصب ابليس لا تخطار الله تعالى على سبيل الاهانة ولاذ لال قال رب بسبب اغويتني الباء للقسم والمقسم به مصدر مضاف الى الفاعل والمقسم عليه جوابه لازينن لهم في الارض والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله احللت

الى الارض وفى اعتقاد التسبب بافعال الله خلاف وقيل السببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالتسبة الى الغى او التسبب لابائه
ابليس لادم عليه السلام والاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن اضلال الله تعالى له وهو سبب لزيادة عيبه وتسليط
له على اغواء بنى ادم بان الله تعالى علم منه ومن يتبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار اهل ولم يمهل وان فى
امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوى الالباب ولاغوينهم اجمعين ولاحتنكنهم
اجمعين على الغواية الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصتهم لطاعتك وعصمتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدى ومكرى
كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر فى كل القرآن اى الذين اخلصوا انفسهم لله قال هذا صراط على حق على ان اراعيه مستقيم
لا تتخرف عنه والاستثناء الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق على يؤدى
الى الوصول الى امرى غير اعوجاج وضلال وقرئ على من جعلوا الشرط ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك
من الغاوين نصب على البدل فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع
محالب الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اومم ان له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى مشية التحريض والتدليس
كما قال وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاول
بين فى قوله من شرطان يكون المستثنى اقل من الباقى لاقتضائه المتناقض لاستثنائين وان جهنم لموعدهم لموعد الغاوين
او المتبعين اجمعين تاكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة
ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل لها سبعة ابواب بدل مما قبله يدخلون منها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم
فى المتابعة وهى تدل على ثم نظمى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع امراضهم
فى الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية اولان اهلها سبع فرق لكل باب منهم من اتباع جزء
مقسوم او نزله فاعلاها للموحدين العصاة والثانى لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس
والسادس للمشركين والسابع لمن افنى قوته بالكفر والمعاصى وقرئ بكر جزء بالتثقيل وقرئ جزء على حذف الهمزة والقاء حركته على الزاى ثم الوقف
عليه بالتشديل ثم اجراء الوصل مجرى الوقف وتنكيرها لان كلا منهم حال صفته او من المستكن فى الظرف لا فى مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما
تقدم موصوفا ان المتقين من اتباعه فى الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة فى جنت وعيون وقرئ بكسر العين حيث وقع
او لكل عزلة منهما كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة والتى
اكتنفت فيها انهار من ماء غير اسن الاية وقرأ نافع وابو عمرو وحفص وهشام وعيون والعيون بضم العين حيث وقع والباقون
بكسر العين ادخلوها على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين لبسلام سالمين
او مسلما عليكم امنين من الآفات والزوال انزعنا فى الدنيا الكدرين قلوبهم او فى الجنة بتطييب نفوسهم ما فى صدورهم
من غل من حقد كان فى الدنيا وعن على رضى الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم او من التعالى
على درجات الجنة ومراتب القرب اخوانا حال من الضمير فى جنت او فاعل ادخلوها او الضمير فى سالمين او الضمير المضاف
اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله على سرر متقابلين ويجوز ان يكون صفتين لاخوانا او حالين من ضمير

لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا من المستترفى على سرر لا يمسهم فيها نصب استيناف او حال بعد حال او حال من الضمير
فى متقابلين ومما مم منها بالحجر حين فان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم وذلك
مما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفى ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يبقى المذنوب باسرها كبيرها وصغيرها
وفى توصيفه تعالى بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتكميل وفى عطف ونبئهم عن ضيف ابراهيم
على نبئ فى عبادى تحقيق لهما بما يعتبرون به اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اى نسلم عليك سلاما او سلمنا عليك
سلاما قال انا منكم وجلون خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا من الاكل والرجل
اضطراب النفس لتوقع ما انكره قالوا لا توجل وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله ولا توجل من اوجله بمعنى اوجله انا نبشرك استيناف
فى معنى التعليل للنهى عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرأ حمزة تبشرك من بشرك بالتخفيف هو اسحاق لقوله تعالى فبشرناها
باسحاق عليم اذا بلغ قال ابشرتمونى على ان مسنى الكبر تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه او انكار لان يبشر به فى مثل
هذه الحالة وكذلك قوله فبم تبشرون اى فبأى امر عجيب تبشرونى او فبأى شئ تبشرونى فان البشارة مما لا يتصور وقوعه
عادة تبشارة بغير شئ وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة فى كل القرآن على ادغام نون الجمع فى نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة
على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع امثال ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء قالوا بشرناك بالحق بما يكون لا محالة
وباليقين الذى لا لبس فيه او بطريقة مى حق وهو قول الله تعالى وامره فلا تكن من القانطين من الايسين من ذلك فانه
تعالى قادر على ان يخلق البشر من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابراهيم عليه السلام باعتبار العادة
دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون اى المخطؤن طريق المعرفة فلا يعرفون معنى
رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائى يقنط بالكسر وقرئ
بالضم وماضيها قنط بالفتح قال فما خطبكم ايها المرسلون اى فما شانكم الذى ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعلهم
ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عالمين بها او البشارة لا تحتاج الى العدد والعدة ولذلك اكتفى بالواحد فى بشارة زكريا
ومريم عليهما السلام او لانهم بشروه فى تضاعيف الحال لان الله اوحى اليه ولو كانت تمام المقصود لابتدئ بها قالوا انا
ارسلنا الى قوم مجرمين يعنى قوم لوط الا ال لوط ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيل بالاجرام وان كان
استثناء من الضمير فى مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وال لوط المؤمنين به وكان المعنى انا
ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا ال لوط منهم لنهلك المجرمين وننجى ال لوط ويدل عليه قوله انا لمنجوهم اجمعين اى مما نعذب
به القوم وهو استثناء اذا اتصل الاستثناء ومتصل بال لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا اجاز ان يكون
قوله الا امرأته استثناء من ال لوط او من ضميرهم على الاول لا يكون الا من ضمير مع اختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا
لمنجوهم اعتراضا وقرئ لمنجوهم بتخفيف وقدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة للهلاك معهم وقرأ
ابو بكر عاصم قدرناها وفى النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون
اجرى مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل الشئ على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم

والامام اسم ما يؤتم به كالنبي واللوح ومصحف البناء والطريق لانها مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني
كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين صالحا ومن معه من المؤمنين والحجر
واد بين المدينة والشام ينسكنونها وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين يعني آيات الكتب المنزل عليهم او معجزاته
كالناقة وسقبها وشربها وزرعها او ما نصب لهم من الادلة وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام و
نقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم او حسبانهم ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم
الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد دوام الشر فلذلك اقتضت
الحكمة اهلاك امثال هؤلاء واراحة فسادهم من الارض وان الساعة لآتية فينتقم الله تعالى لك فيها ممن كذبك
فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ بآية السيف
ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم
او هو الذي خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفي مصحف عثمان رضي الله عنه والي هو الخالق وهو يصلح للقليل و
الكثير والخلاق يخص بالكثير ولقد آتيناك سبعا من المثاني سبع آيات سورة وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعتها الانفال
والتوبة فانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس والحواميم السبع وقيل سبع
صحائف وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع والمثاني من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قراءته او الفاظه
او قصصه ومواعظه ومثنى عليه بالبلاغة والاعجاز ومثن على الله تعالى هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان
يراد بالمثاني القرآن او كتب الله كلها فيكون من التبعيض والقرآن العظيم ان اريد بالسبع الآيات او السور فمن
عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين على الآخر لا تمدن
عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب اليه مأتمتعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما
اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القرآن فرأى ان
احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه عليه الصلوة والسلام وافى باذرعات
سبع قوافل لليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال
لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع و
لا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا وقيل انهم الممتعون به واخفض جناحك للمؤمنين وتواضع لهم وارفق بهم
وقل اني انا النذير المبين انذركم سانا ويرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا كما انزلنا على المقتسمين مثل العذاب
الذي انزلنا عليهم فهو وصف للمفعول المطلق او اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم
ليقفوا الناس عن الايمان بالرسول فاهلكهم الله تعالى يوم بدر او الرهط الذين اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه الصلوة
والسلام وقيل هو صفة مصدر محذوف لقوله ولقد آتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون

هم الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او
قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين وآمن اهل الكتاب امنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القرآن ما تقرر فيه
من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله لا نعذبن الى آخره اعتراضا فيهم الذين جعلوا القرآن
عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل فعلة من عضهته اذا بهته وقيل السحر لانهم
يقولون هو سحر والكهانة لانهم يقولون هو كهانة والبهتان لانهم يبهتون به والعضيهة والعضة الكذب وفي الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة وانما جمع جمع السلامة جبرا للمحذوف منه
والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدأ خبره فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون من التقسيم النسبة الى السحر
عليه وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي فاصدع بما تؤمر ون فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق به بين الحق
والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع واعرض عن المشركين فلا تلتفت
الى ما يقولون انا كفيناك المستهزئين بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود
بن يغوث والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب بالغوا في ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء بهم فقال جبريل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم امرت ان اكفيهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم يتعطف تعظما لاخذه فاصابت عرقا في عقبه
فقطعته فمات واومى الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف الحارث
فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات
والى علي الاسود بن المطلب فعمي الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم في الدارين ولقد نعلم
انك يضيق صدرك بما يقولون من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء بك فسبح بحمد ربك فافزع الى الله فيما نابك
بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق وكن من الساجدين من
المصلين وعنه عليه السلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة واعبد ربك حتى ياتيك اليقين اي الموت فانه متيقن لكل حي مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النحل مكية غير ثلاث آيات وآخرها قوله واصبر وما صبرك الا بالله وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اتى امر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول من قيام الساعة واهلاك الله اياهم كما فعل يوم
بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما يقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بنزلة
الآتي المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه سبحانه وتعالى عما
يشركون تنزه وجل ان يكون له شريك قيل فتح ما اريد بهم وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه
والباقون بالياء على تلوين الخطاب او على ان الخطاب في فلا تستعجلوه للمؤمنين اولهم ولغيرهم لما روي انه لما نزلت
اتى امر الله فرتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه ينزل الملائكة بالروح

بالوحي والقرآن فانه يحيى به القلوب الميتة بالجهل ويقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى
الطريق الذي به علم الرسول صلى الله عليه وسلم ما تحقق موقعه عندهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم
به وقرأ ابن كثير وابو عمرو وينزل من انزل عن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرأ ابو بكر تنزل على المضارع المبني للمفعول
من التنزيل من امره بامره ومن للتبعيض حمله على من يشاء من عباده ان ينجز رسولا ان انذروا بان انذروا او اعلموا من انذرت بكذا
اذا علمته انه لا اله الا انا فاتقون ان لشان لا اله الا انا فاتقون او حققوا اهل الكفر والمعاصي بانه لا اله الا انا وقوله
فاتقون جوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مقيسة لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول او مصدرية وموضع الجر بدلا
من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة والآية تدل على ان نزول الوحي بوساطة الملائكة واجاصله
التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو قصى كمال القوة العملية وان النبوة عطائية
والآيات التي بعدها دليل وحداني ينتهي مرجعه انما تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة
ولو كان له شريك لفقد على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات والارض بالحق اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات
مختلفة قدرها وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون منهما او مما يفتقر في وجوده او بقائه اليهما ومما لا يقدر على خلقها
وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان من نطفة جماد لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع
والشكل فاذا هو خصيم مبين مناظر مجادل مبين للحجة او خصيم مكابر في خالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم
روي ان ابي بن خلف اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم قال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت والانعام
الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره خلقناكم او بالعطف على الانسان وخلقها الكريان تأخر ذكره لاجله وما
بعده تفصيل له فيها دفء ما يدفأ به في البرد وصنائع تتخذ من اصوافها واوبارها واشعارها وظهور تركبها واثمانها عبر عنها بالمنافع لتتناول
جوعها ومنها تأكلون اي تأكلون ما يؤكل منها كاللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الآي او لان
الاكل منها هو المعتاد والمعتمد عليه في المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات الماكولة فعلى سبيل التداوي او التفكه
ولكم فيها جمال زينة حين ترجعون تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة الى المرعى
فان الاضافة تزيين بها في الوقتين وتجمل اهلها في اعين الناظرين اليها وتقديم الرواح لان الجمال فيما اظهر فانها
تقبل ملاي البطون حافلة الضروع ترتاوي الى الحظائر حاضرة لاهلها وقوي حينا على ان ترجعون وتسرحون وصف
له بمعنى يجمل رؤيته وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه ان لم تكن الا بتعب ومشقة وقوي بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق
الامر عليه اصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب ان ربكم لرؤف رحيم حيث رحمكم
خلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام لتركبوها وزينة اي لتركبوها ولتتزينوا
بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولا هو المقصود
من خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض وقوي بغير واو وعلى هذا يحتمل ان تكون علة لتركبوها

ع ٧ قرئ بالياء على الالتفات من الخطاب الى الغيبة ١٢ منه
ع ٨ وان ١٢ منه
ع ٩ خبر لمبتدأ محذوف ١٢ منه
ع ١٠ بالياء على الالتفات من الخطاب الى الغيبة ١٢ منه
ع ١١ لان المضارع المنفي بلا لا يحتاج الى اللام ١٢ منه
ع ١٢ وهي لغة تميم ١٢ منه
ع ١٣ وقرئ بالرفع على الابتداء ١٢ منه
ع ١٤ فاعل يكون ١٢ منه
ع ١٥ اي ما تأكلون ١٢ منه
ع ١٦ اي الكوب عليها ١٢ منه
ع ١٧ اي الروح ١٢ منه
ع ١٨ اي اول الصفر الاخضر ١٢ منه
ع ١٩ اي الاول دون الثاني ١٢ منه
ع ٢٠ فلا يجوز قصته ١٢ منه
ع ٢١ اي الزينة ١٢ منه
ع ٢٢ اي الزينة ١٢ منه
ع ٢٣ اي الزينة ١٢ منه
ع ٢٤ اي الزينة ١٢ منه
ع ٢٥ اي الزينة ١٢ منه
ع ٢٦ اي الزينة ١٢ منه
ع ٢٧ اي الزينة ١٢ منه

او مصدرا في موقع الحال من احد الضميرين اى مسخرات بن او متزينا بها واستدل به على حرمة ركوبها ولا دليل فيه لان الدليل من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الآية مكية و عامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فضل الحيوانات التي يحتاج الناس غالبا احتياجا ضروريا او غير ضروري اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق ما لا علم لكنا به وان يراد به ما خلق في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق اوقافة السبيل وتعديها لها رحمة وفضلا او على قصد السبيل اضافة الصفة الى الموصوف اى قصدكم السبيل او قصد السبيل اليه من تسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد اى مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يقصده السالك لا يميل عنه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جائر مائل عن القصد او المقصد او عن الله وتغيير الاسلوب لان لبيان حق على الله ان يبين طريق الضلالة او لان المقصود بيان سبيله بتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر اى عن القصد ولو شاء لهداكم اجمعين اى لو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ما يشرب منه ولكم صلة انزل وخبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها ليوهم حصر المشروب فيه ولا يأبى به لان مياه العيون والانهار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه في الارض ومنه شجر ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وقيل كل ما ينبت على الارض شجر قال تعلفها اللحم اذا اكل الشجر والخيل في اطعامها اللحم ضرر فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية وأسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامة ما ينبت لكم به الزرع وقرأ ابو بكر بالنون على التعظيم والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وبعض كلها اذ لم ينبت في الارض كل ما يمكن من الثمرات ولعل تقديم ما لبسام فيه على ما يؤكل منه لانه سيصير رضاء خبؤ اليا هو اشرف الاغذية ومن هذا يقدم الزرع والتصريح فيه بالاجناس الثلاثة وترتيبها ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فان من تامل ان الحبة تقع في الارض وتضمحل ثم تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وينشق اسفلها فيخرج منها عروقها تموج منها الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على احسام مختلفة الاشكال والطبائع مع اتحاد الماء ونسبة الطبائع السفلية والتاثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدر متنازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الآية به لذلك وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم بان هيأها لمنافعكم مسخرات بامره حال من الجميع اى نفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها كيف شاء وما اخبرنا له باعيادها تها وتقديره او بحكمه وفيه ايذان بالجواب عما يقال ان للموثرين في تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقفة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل او فصل لاختلاف النوع وان بعضهم مسخر لبعض على الابتداء والخبر فيكون تعميما بعد تخصيص ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون خصهم بالذكر لان العقل لا تهتدي الا

ظاهرة لذوى العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات وما در الكم في الارض مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف في اللون غالبا ان في ذلك
اى وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان او نبات مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف في اللون غالبا ان في ذلك
لاية لقوم يذكرون ان احتاد فيها في الطباع والهيات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم وهو الذي سخر لكم
البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص لتاكلوا منه لحما طريا هو السمك و
وصفه بالطراوة لانه اطرى اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله وعلى اظهر قدرته في خلقه على باطريا في ماء
ذعاق وتمسك به مالك والثورى على ان من حلف لا ياكل لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان
على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا ما يرى ان الله تعالى سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب
دابة بركوبه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان تلبسها نساؤكم فاسند اليهم لانهن من جملتهم
ولانهن تتزين بها لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جوارى فيه تشقه بجريها مقبلة ومدبرة من المخر وهو شق
الماء وقيل صوت جرى الفلك ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اى
تعرفون نعم الله فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى في باب الانعام مرجيث انه تعالى
جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش والقى في الارض رواسي جبالا رواسي ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم
وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة حقيقة بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بادنى
كالا فلاك اوان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلق الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها ولو جهت الجبال
بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله تعالى الارض جعلت تمور فقالت
الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد رسيت بالجبال وانهارا وجعل فيها انهارا لان التي فيه معاشه و
سبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم والى معرفة الله تعالى وعلامات معالم تستدلون بها السابلة من جبل وسهل وريح ونجوما
وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة وبالنجم بضمتين وضمة
وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدي ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا اكثر الامم اسفارا
للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجوم واقحام الضمير
للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبا بذلك والشكر عليه ألزم لهم واوجب عليهم
افمن يخلق كمن لا يخلق انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته والتقريع بخلق ما عد من
مبادي عاته لان يساويه ويستحق مشاركته من لا يقدر على خلق شيء من ذلك بل على ايجاد شيء ما وكان حق
الامر ان لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه تعالى من جنس المخلوقات البعيدة شبيها بها
والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله تعالى غلبا فيه اولو العلم منهم او الاصنام والمراد بها بحسب ما في العلم لانهم
سموها الهة ومن حقه ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة فكانه قيل انه من يحق ان ليس كمن لا يخلق
من اولى العلم فكيف بما لا علم عنده افلا تذكرون فتعرفوا فساد ذلك فانه كالحس اصل العقل الذي يحصو
بادنى تفكر والتفات وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها كما لا تضبطوا عددها فضلا عن ان تضبطوا حق شكرها القيام بشكرها

اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده سبحانه باستحقاق العبادة تنبيها على ان ما وراءها ما عدد نعمائه تحصر ولا
حق عبادته غير مقدر ان الله لغفور حيث يجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها رحيم لا يقطعها التقريط فيه
ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتوبيخ للسراة
باعتبار العلم والذين تدعون من دون الله اى الالهة الذين تعبدهم من دونه وقرا ابو بكر يدعون بالياء وقرا حفص
تلثها بالياء لا يخلقون شيئا لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين انهم لا يخلقون شيئا البتة انهم لا يشاركونه
ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافى الالوهية فقال وهم يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى الخالق ولا
ينبغى ان يكون واجب الوجود اموات غير احياء هم اموات لا تعتريهم الحيوة او اموات حالا او مالا غير احياء بالذات
ليتناول كل معبود والاله ينبغى ان يكون حيا بالذات لا يعترية الممات وما يشعرون ايان يبعثون ولا يعلمون وقت بعثهم
او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم قدرة جزاء على عبادتهم والاله ينبغى ان يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه
تنبيه على ان البعث من توابع التكليف الهكم اله واحد تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج فالذين لا يؤمنون بالاخرة
قلوبهم منكرة وهم مستكبرون بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالاخرة فان الايمان
بها يكون طالبا للدلائل متاملا فيما يسمع فينتفع بها والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم انهم لا يعرفون
الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المالوف فانه ينافى النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه لا لفقد
الدليل والاول هو العمدة فى الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الاخرين لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون فيجازيهم وهو فى موضع الرفع بجر مثله مصدرا وفعل انه لا يحب المستكبرين فضلا عن
الذين استكبروا عن توحيده واتباع رسوله واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القائل بعضهم على سبيل التهكم
او الوافدون على محمد المسلمون قالوا اساطير الاولين اى ما يتدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين واما تهكم
منزلا على التهكم او على الفرض اى على تقدير انه منزل فهو اساطير لا تحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون
ليضلوا اوزارهم كاملة يوم القيمة اى قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار اضلالهم كاملة فان اضلالهم لتجاوز
شرهم فى الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم بعض اوزارهم ضلال من يضلونهم وصحة التبعيض
بغير علم حال من المفعول اى يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدتها الدلالة على جهلهم لا يغتر بهم اذ كان علم
ان يختاروا ويميزوا بين الحق والمبطل الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم اى نمرود
منصوبات ليمكروا بها رسل الله فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها امره من جهة العمد التى بنوا عليها بان
صعقت ثم خر عليهم السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون
ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة الاف ذراع ليتوصل
امر السماء فاهب الله الريح ففرج عليه وعلى قومه فهلكوا ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم او يعذبهم بالنار لقوله ربنا
انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول اين شركائى اضاف الى نفسه استهزاء وحكاية لاضافتهم زيادة فى توبيخهم

قدروا ان قدروا بحسب
تعدوا النعم ۱۲
اى تحمل قدروا ان قدروا
تاجا لاحتمال التعدد ۱۲
قدروا النعم ان قدر
والانعام ظلها الى قدر
تعالى وما انتم ۱۲
الذين قيل ۱۲
اى يسرون ويعلنون
يدعون ۱۲
قد رتب حيث جعلها
خبرا للاول الذى
يعبدون ۱۲
الذى
اصل الكلام الذين
اصل الكلام الذين كان ۱۲
اى على البيت بان
اسقط عليهم السقف
من تحت ۱۲

الذين كنتم تشاقون فيهم تحادون المومنين فى شأنهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقونى فان مشاقة المومنين
كمشاقة الله تعالى قال الذين اوتوا العلم اى الانبياء والعلماء الذين كانوا يدعونكم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم والملئكة
ان الخزى اليوم والسوء الدلة والعذاب على الكفرين وفائدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون
لطفا لمن سمعه الذين تتوفاهم الملئكة وقرأ حمزة بالياء وقرئ بادغام التاء فى التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه
الثلاثة ظالمى انفسهم بان عرضوها للعذاب المخلد فالقوا السلم فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت ما كنا نعمل من
سوء قائلين ما كنا نعمل من سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان مراده القول الدال على الاستسلام
بلى اى فيجيبهم الملئكة بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى اخر الايتين استيناف
ورجوع الى شرح حالهم يوم القيمة وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بالامر نكن فى زعمنا
واعتقادنا عاملين سوء او احتمل ان يكون المراد عليهم هو الله تعالى او اولوا العلم فادخلوا ابواب جهنم محل صنف بابها
المعد له وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها خلدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا يعنى المومنين ماذا
انزل ربكم قالوا خيرا اى انزل خيرا وفى تصديد دليل على انهم لم يتلعثموا فى الجواب واطبقوه على السوال معترفين بالانزال من غير
خلاف الكفرة روى ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبى صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد المقتسمين
قالوا له ماذا انزل ربكم فاذا اجاء للمومنين قالوا خيرا لذلك للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة مكافاة فى الدنيا وكذا
الاخرة خير اى ولنثوابهم فى الاخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعد حكاية
لقولهم بل لا وتفسيرا للخير على انه منتصب بقالوا ولنعم دار المتقين دار الاخرة فحذف لتقدم ذكرها وقوله جنات
عدن خبر مبتدا محذوف ويجوز ان تكون المخصوص بالمدح تجرى من تحتها الانهر لهم فيها ما يشاءون
من انواع المشتهيات وفى تقديم الظرف وتنكير الانهار تنبيه على ان لا نقصان لا يجد جميع ما يريده الا فى الجنة كذلك يجزى الله المتقين مثل هذا
الجزاء يجزيهم وهو يدل على الوجه الاول الذين تتوفاهم الملئكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصى لانه فى مقابلة
ظالمى انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملئكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى
حضرة القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد هكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون حين تبعثون فانها
لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفى وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم الا
ان تاتيهم الملئكة لقبض ارواحهم وقرأ حمزة والكسائى بالياء او ياتى امر ربك القيمة او العذاب المستاصل لكذلك
مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما اصابهم وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن
كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم بما اصابهم الموديه اليه فاصابهم سيئات ما عملوا اى جزاء سيئات اعمالهم سمى جزاء
الضار او تسمية الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون واحاطهم جزاوه والحيق لا يستعمل الا فى الشر وقال
الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ اما قالوا ذلك
استهزاء او عنادا للمعجزة والتكليف متمسكين بان ما شاء الله يجب وما لم يشا يمتنع فتاه الفائدة فيهما او انكارا لقبح

ف ۱۲ قاموس
ف ۱۳ قوله فالقوا السلم
اه وكان ان يكون المراد
قول ارواحهم الخ منه
قوله اى من الحق
بل الحق فى الوطاء
والذى قال كما
عليه ش الخ منه
ظالمى انفسهم الذى
ايجابه فى الجنة
يوم القيمة سنة ول
الخلق ذى يوم تخص
بالشهداء ۱۲

ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله تعالى صدورها عنهم ولشاء خلافه
ملجئا اليه لا عتبارا ذا لم يعتقد واقبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب عن الشبهتين كذلك فعل الذين من قبلهم
فانكروا بالله تعالى وحرموا احلله وردوا رسله فهل على الرسل الا البلاغ المبين الا الابلاغ الموضح للحق وهو ان لم يوثر في هدى من
شاء الله تعالى هداه لكنه مؤد اليه على سبيل التوسط وما شاء الله تعالى وقوعه انما يجب في قوته لا مطلقا (بل باسباب قدرها
تبين ان البعثة امر حررت به الستة الالهية في الامم كلها سببا لهدى من اراد الله تعالى اهتداءه وزيادة الضلال
لمن اراد الله تعالى ضلاله كالعلماء الصالح فانه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف وهو يقيه بقوله ولقد بعثنا
في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله وفقهم للايمان بارشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة اذ لم يوفقهم ولم يرد هدايتهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية
لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال وثباته بفعل الله تعالى وارادته من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح به
في الاية الاخرى فسيروا في الارض يامعشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم
تعتبرون ان تحرص يا محمد على هداهم فان الله لا يهدي من يضل من يريد ضلاله وهو المعنى بمن حقت عليه الضلالة
وقرا غير الكوفيين لا يهدي على البناء للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين من يمنعهم من عذاب الله فيدفع العذاب عنهم واقسموا بالله
جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت عطف على قال الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين
عليه زيادة في البت على فساده وقد رد الله تعالى عليهم ابلغ رد فقال بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لنفسه وهو مدلول
عليه بلى فان يبعث موعد من الله عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده تعالى او لان البعث مقتضى حكمته حقا
صفة اخرى للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من موجب الحكمة التي جرت
عادته تعالى بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمالوف فيتوهمون امتناعه فان تعايين الامرين فقال ليبين لهم
اي يبعثهم ليبين لهم الذي يختلفون فيه هو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون
وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب
والعقاب ثم قال اعقاب قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وهو بيان امكانه وتقريره ان تكوين الله تعالى
قدرته ومشيته لا توقف له على سبق المواد والمدد والا لزم التسلسل فكما امكن له تعالى تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق
مادة ومثال امكن له تعالى تكوينها اعادة بعد بدء ونصب ابن عامر والكسائي هنا وفي يس فيكون عطفا على نقول او جوابا
للامر والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا امم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المهاجرون رضي الله عنهم
ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعايش وابو جندل وسهيل وقوله في الله اي
في حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة مباءة وهي المدينة او تبوئة حسنة ولاجر الاخرة اكبر مما يعجل لهم في الدنيا
وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله تعالى فيه هذا ما وعدك الله تعالى

في الدنيا وما اذخر لك في الاخرة افضل لو كانوا يعلمون الصبر للكفار اي لو علموا ان الله تعالى يجمعهم لهؤلاء المهاجرين
خير الدارين لوافقوهم او للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على الشدائد الكائنة
الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين الى الله تعالى مفوضين اليه الامر كله
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اي جرت السنة الالهية بان لا
يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحى اليه على السنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام فان شككتم فيه فاسألوا
اهل الذكر اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون وفي الاية دليل على انه تعالى لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة
العامة واما قوله جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة والى الانبياء وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة
الرجال وقد روي انه عليه السلام رأى جبريل عليه السلام على صورته التي هو عليها مرتين وعلى جواز الحاجة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات
والزبر اي ارسلناهم بالبينات والزبر اي المجزات والكتب كانه جواب سؤال بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا دخلا في الاستثناء
مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او صفة لهم اي رجالا ملتبسين بالبينات
او بيوحى على المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله على ان قوله فاسألوا اعتراض او بدلا فعلون على ان الشرط للتبكيت
والالزام وانزلنا اليك الذكر اي القرآن وانما سمي ذكرا لانه موعظة وتنبيه لتبين للناس ما نزل اليهم في الذكر
بتوسيط انزاله اليك مما في ايه ونهي عنه او مما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان يتص المقصود او يرشد الى ما يدل عليه
كالقياس ولعلهم يتفكرون وارادة ان يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق افأمن الذين مكروا السيئات
اي المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء والذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ودبروا مواصلة اصحابه عن
الايمان ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون بغتة كما جاء اليسار كما
فعل بقوم لوط او يأخذهم في تقلبهم اي متقلبين في مسارهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين او يأخذهم على تخوف على مخافة
بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون او على تنقص شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا
من تخوفته اذا تنقصته وروي ان عمر رضي الله عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه
لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال الشاعر ونا البوكثير يصف ناقته تخوف الرحل
منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديوانه قال شعر الجاهلية
فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم فان ربكم لرءوف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة اولم يروا الى ما خلق الله من
شيء استفهام انكاري قد قامت الدلالة على امثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه ويعاملوه
بما يجب ان يعامل به يتفيأ ظلاله اي اولم ينظروا الى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة وقرأ حمزة والكسائي ترو بالتاء وقرأ ابو عمر
متفيئا بالتاء من اثنين والشمائل عن اليمين والشمائل عن جانبي كل واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل
توحيد اليمين وجمع الشمائل لاحتباك اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله تجلل الله وهم داخرون وهما حالان
من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة

لجعل ويحدّ الغبار اذا ظانّ واسه لتركيب او يتجأ حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى ترجع الظلال بارتفاع
الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة لما قدّر لها من التفيؤ او واقعة
على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام في انفسها ايضا داخرة اى صاغرة منقادة لافعال الله تعالى فيها
وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل او لان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك
وهو جانبه الشرقي لان الكواكب تظهر منه آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربي المقابل له فان الظلال
في اول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع
الشرقي من الارض ولله يسجد ما في السموات وما في الارض اى ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتأثيره
طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامته اهل السموات والارض وقوله من دابّة بيان
لهما لان الدبيب هي الحركة الجسمانية سواء كان في ارض او سماء والملائكة عطف على المبين به عطف جبريل على الملائكة
للتعظيم او عطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملائكة ارواح مجردة او بيان لما في الارض والملائكة تكرير لما في
السموات وتعيين له اجلالا واعظاما او المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل
لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون عن عبادته
يخافون ربهم من فوقهم يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر لقوله وهو القاهر
فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف الله تعالى لم يستكبر عن عبادته
ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء
وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ذكر العدد مع ان المعدود دليل عليه دلالة على ان مساق النهي اليه او ايماء بان الاثنينية
تنافي الالهية كما ذكر الواحد في قوله انما هو اله واحد للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية
او للتنبيه على ان الوحدة من لوازم الالهية فاياي فارهبون نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب
وتصريحا بالمقصود فكانه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياي فارهبون لا غير وله ما في السموات والارض خلقا و
ملكا وله الدين اى الطاعة واصبا لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب
اى وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اى وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون ولا ضار سواه
كما لا نافع غيره كما قال وما بكم من نعمة فمن الله اى واى شئ اتصل بكم من نعمة فهو من الله تعالى وما شرطية او موصولة
متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله تعالى لا لحصولها
منه تعالى ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة ثم اذا
كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون وهم كفاركم والعبادة غير هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا
بالمشركين كان من البيان كانه قال فاذا فريق وهم انتم ويجوز ان يكون من للتبعيض على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما
نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار

كونها من الله تعالى فتمتعوا امرتهديد وسوف تعلمون اغلظ وعيد وقرئ فيتمتعوا منيا للمفعول عطفا على ليكفروا او على هذا جاز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب ويجعلون بد لا يعلمون اى لالهتهم التى لا يعلم لها انها جماد فيكون الضمير لما والتى لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالاتٍ مثل انها تشفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذوف او فيها على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف والعائد للعلم به نصيبا مما رزقهم من الزروع والانعام تالله لتسئلن عما كنتم تفترون من انها آلهة حقيقية بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات الله تعالى سبحانه تنزيه له من قولهم او تعجب منه وهم ما يشتهون يعنى البنين ويجوز فى ما يشتهون الرفع بالابتداء والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان اقتضى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشئ واحد لكنه لا يبعد تجويزه فى المعطوف واذا بشر احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار اودام النهار كله مسودا من الكآبة والحياء من الناس اسود الوجه كناية عن الاغتمام والتشويه وهو كظيم ممتلئ من الحزن يتوارى يختفى من القوم يستخفى منهم من سوء ما بشر به سوء المبشر به عرفا اى يمسكه محدثا نفسه متفكرا فى ان يراه على هون ذل ام يدسه فى التراب يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتانيث فيهما الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون من تعاطى الولد ما هذا محله عندهم للذين لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء صفة السوء وهى الحاجة الى الولد المنادية بالموت واشتهاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووادهن خشية الاملاق ولله المثل الاعلى وهو الوجود الذاتى والغنى المطلق والجود الفائق والتنزاهة عن صفات المخلوقين وهو العزيز الحكيم المتفرد بكمال القدرة والحكمة لو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس والدابة عليها من دابة فط بشؤم ظلم عوصى ابن مسعود كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء بظلم الابناء ولم يبق الا عاص لاهلك ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى هو يوم القيامة او لعذابهم كى يتوالدوا فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون بل اهلكوا او عذبوا بوادٍ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكونوا كلهم ظالمين حتى الانبياء لجواز ان يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم ويجعلون لله ما يكرهون اى ما يكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء فى الرياسة والاستخفاف بالرسل وايراد الاموال وتصف السنتهم الكذب مع ذلك وهو ان لهم الحسنى اى عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب وصفة للالسنة لا جرم ان لهم النار ردّ لكلامهم واثبات لضده وانهم مفرطون مقدمون الى النار من افرطه فى طلب الماء اذا قدمه وقرأ نافع بكسر الراء على انه من الافراط فى المعاصى وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطه فى طلب الماء ومكسورا من التفريط فى الطاعات تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فاصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين فهو وليهم اليوم اى فى الدنيا وعبر بالليوم عن زمانها او فهو وليهم حين كان يزين لهم او يوم القيامة على انه حكاية حال ماضية او آتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش اى زين الشيطان لكفرة المتقدمين اعمالهم وهو وليهم هؤلاء اليوم يغريهم ويغويهم وان يقدر

مضى أي فهو فوق أمثالهم والولي القرين أو الناصر فيكون نفيا للناصر أيضا على أبلغ الوجوه وهم عذاب النار في القيامة وما
أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر وأحوال المعاد وأحكام الأفعال
ورحمة لقوم يؤمنون معطوفان على محل لتبين فإنهما مفعلا المنزل بخلاف لتبين والله أنزل من السماء ماء فأحيا به
الأرض لتجد بعد يبسها أنواع النبات بعد يبسها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون سماع تدبر وانصاف
وإن لكم في الأنعام لعبرة دلالة يعتبر بها من الجهل إلى العلم نسقيكم مما في بطونه استيناف لبيان العبرة
وإنما ذكر الضمير وحده هنا للفظ وأنثه في سورة المؤمنين للمعنى فإن الأنعام اسم جمع ولذلك عد ذلك سيبويه في المفردات
المبنية على أفعال كأخلاق وأكياش ومن قال إنه جمع نعم جعل الضمير للبعض فإن اللبن لبعضها دون جميعها أو واحد أول
على المعنى فإن المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح هنا وفي المؤمنين من بين فرث ودم
لبنا فإنه يخلق من بعض أجزاء الدم المتولد من الأجزاء اللطيفة التي في الفرث وهو الأشياء المأكولة المنهضمة بعض الانهضام
في الكرش وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن البهيمة إذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان أسفله فرثا وأوسطه لبنا
وأعلاه دما ولعله إن صح فالمراد أن أوسطه يكون مادة اللبن وأعلاه مادة الدم الذي يغذي البدن
لأنهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد تجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش وتبقي ثفله وهو الفرث
تمسكها ثم يفرقها هضما ثانيا فيحدث أخلاطا أربعة مرارا ما يا فتميز القوة المميزة تلك المائية فتدفع ما زاد على قدر الحاجة
من المرتين وتدفعها إلى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي على الأعضاء بحسبها فيجري إلى كل حقه على ما يليق به بتقدير العليم
ثم إن كان الحيوان أنثى زاد إخلاطها على قدر غذائه لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد أولا إلى
الرحم لأجل الجنين فإذا انفصل انصب ذلك الزائد وبعضه إلى الضروع فيبيض مجاورة لحومها الغدية البيض فيصير
لبنا ومن تدبر صنع الله تعالى في أمثال هذه الأخلاط والألبان وأعداد مقاديرها ومجاريها والأسباب المولدة لها والقوى المتصرفة
فيها كل وفقه على ما يليق به اضطر إلى الإقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته ومن أعلى بعيضة لأن اللبن بعض ما في بطونها
والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لأن بين الفرث والدم المحل الذي يبتدأ منه الاسقاء وهي متعلقة
بنسقيكم أو حال من لبنا قدمت عليه لتنكيره وللتنبيه على أنه موضع العبرة خالصا صافيا لا يستصحب لون الدم ولا رائحة
الفرث أو مصفى مما يصحبه من الأجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه سائغا للشاربين يسهل المرور في حلقهم وقرئ
سيغا بالتشديد والتخفيف ومن ثمرات النخيل والأعناب متعلق بمحذوف وقع نعتا لقوله تتخذون منه سكرا أي كائنا من
عصيرها أو قوله تتخذون منه سكرا استيناف لبيان الامتنان أو يتخذون من ثمرة تكرير للظرف تأكيدا أو خبر لمحذوف وصفته تتخذون أي ومن
ثمرات النخيل والأعناب ثمرا تتخذون منه وتذكير الضمير في الوجهين الأولين لأنه للمضاف المحذوف والذي هو العصير أو لكون الثمرات
بمعنى الثمر والسكر مصدر سمي به الخمر وقرئ فاحسنا كالثمر والرئب والدبس الخل والآية إن كانت سابقة على تحريم
الخمر فدلالة على كراهتها ولا محالة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم قال جعلت أعراض الكرام سكرا أي تفلت
بأعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق ما يحصل من ثماره إن في ذلك لآية لقوم يعقلون يستعملون

عقولهم بالنظر والتامل فى الايات وأوحى ربك الى النحل الهمها وقذف فى قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين ان اتخذى
بان الخذارى ويجوز ان تكون ان مفسرة لان فى الايحاء معنى القول وتانيث الضمير على المعنى فان النحل مذكور من البيوتا
ومن الشجر ومما يعرشون ذكر بمن فى التبعيض لانها لا تبنى فى كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم او قف فيه كما فى عليه ما ان منها
وانما سمى ما يبنيه يتعسل فيه بيتا تشبيها ببيت الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التى لا يقوى عليها احذا
المهندسين الا بالات وانظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الياء للياء وقرا ابن عامر وابو بكر يعرشون
بكسر الراء ثم كلى من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها نفسك وحلوها فاسلكى ما اكلت سبل ربك فى مسالك التى يحيل فيها
بقدرته النور الزهر والابيض منه وانما الاصفر فزهر الاترج عسلا من جوانك او فاسلكى الطرق التى الهمك فى عمل العسل او فاسلكى راجعة الى بيوتك سبل
ربك لا تتوعر عليك ولا تتبس ذللا جمع ذلول وهى حال من السبل اى مذللة ذللها الله تعالى وسهلها او من الضمير فى
اسلكى اى انت ذلل منقادة لما امرت به يخرج من بطونها كانه علل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل
الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم شراب يعنى العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل
تاكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل فى بطنها عسلا ثم تقيا ويحار للشتاء ومن زعم انها تلتقط ما فوالها اجزاء طلية
حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها فى بيوتها ادخارا فاذا اجتمع فى بيوتها شئ كثير منها كان العسل
فى البطون بالافواه مختلف الوانه ابيض واصفر واحمر واسود بسبب اختلاف سن النحل والفصل فيه شفاء للناس بتفسير
كما فى الامراض البلغمية او مع غيره كما فى سائر الامراض اذ قل ما يكون مفردا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه
مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخى
يشتكى بطنه فقال عليه السلام اسقه عسلا فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقال
صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله تعالى فبرأ فكانما انشط من عقال قيل الضمير للقرآن او لما بين الله من
احوال النحل ان فى ذلك لاية لقوم يتفكرون فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال
العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد له من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفاكم باجال مختلفة
ومنكم من يرد الى ارذل العمر اخسه يعنى الهرم الذى يشابه الطفولية فى نقصان القوة والعقل وقيل لسبعين
سنة وقيل خمس وسبعون لكيلا يعلم بعد علم شيئا اى يصير حالة شبيهة بحال الطفولية فى النسيان وسوء الفهم
ان الله عليم بمقادير اعمارهم قدير على امانة الشباب النشيط وسقى الهرم الفانى وفيه تنبيه على ان تفاوت حال الناس
ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب بنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ احد
هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فمنكم غنى ومنكم فقير ومنكم موالى يتولون رزقهم ورزق
غيرهم ومنكم مماليك يحالهم على خلاف ذلك فما الذين فضلوا برادى رزقهم بمعطى رزقهم على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم
فانتم فيه وهم سواء يعنى ان الله تعالى رزقكم وجعل بعضكم موالى بعض ولم يجعل مماليكم موالى لانفسكم
فانتم وهم فيه سواء فالموالى والمماليك سواء فكيف تجعلون بعض مماليكم شركاء لى فى رزقى وعبادتى
لازمة للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز ان تكون واقعة موقع الجواب كانه قيل فما للذين

فضّلوا برادّي يردّ فهم على ما ملكت ايمانهم فليستوا في الرزق على انه ردّ وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله تعالى
بعض مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله تعالى عليهم فليسوا وهم فيه فكيف يجعلون نعمة الله
يجحدون حيث يجعلون له شريكا فانه يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم ويجحدوا الله من عند الله تعالى
او حيث انكروا امثال هذه البديهيات بعد ما انعم الله تعالى عليهم بايضاحها والباء لتضمن الجحود معنى الكفر وقرأ ابو بكر يجحدون بالتاء
لقوله خلقكم وفضّل بعضكم والله جعل لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم لتانسوا بها وليكون اولادكم
مثلكم وقيل هو خلق حواء من آدم وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة اولادا او اولاد اولاد او اعوانا فان الحافد هو السريع في
الخدمة والبنات يخدمن في البيوت اكثر خدمة وقيل هم الاختان على البنات وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون
انفسهم والعطف لتغاير الوصفين ورزقكم من الطيبات من اللذائذ او من الحلالات ومن للتبعيض فان
المرزوق في الدنيا المنتفع منها اقبالا طل وبنون وهو ان الاصنام تنفعهم وان من الطيبات ما يحرمونه عليهم
كالبحائر والسوائب وبنعمة الله ثم يكفرون حيث اضافوا النعمة الى الاصنام او حرموا ما احل الله تعالى لهم وتقديم الصلة
على الفعل اما للاهتمام او لايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة على الفواصل ويعبدون من دون الله ما لا يملك
لهم رزقا من السموات والارض شيئا من مطر ونبات قرئ ان جعلته مصدرا افشيا منصوبا به والا فبدل منه
ولا يستطيعون ان يتملكوه او لا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمير فيه لتوحيده في لا يملك لان ما مفرقة في معنى الآلهة
ويجوز ان يعود الى الكفار اي ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون شيئا من ذلك فكيف بالجماد فلا تضربوا لله
الامثال فلا تجعلوا لله مثلا تشركون به او تقيسوه عليه تعالى ان ضرب المثل تشبيه حال بحال ان الله يعلم فسادما تقولون عليه
من القياس على عبادة عبيد الملك اداخل في التعظيم من عبادته او عظم جرمكم فيما تفعلون وانتم لا تعلمون ذلك
ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهي او لانه يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فلا جواز ان يكون نقصة ويجوز ان
يراد فلا تضربوا لله الامثال فانه يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن
يستوون عنده فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل
مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله تعالى مالا كثيرا فهو يتصرف فيه
وينفق منه كيف يشاء واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع اشتراكهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية
بين الاصنام التي هي اعجز المخلوقات وبين الله تعالى الغني القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق يقيد
العبد بالمملوك للتمييز من الحر فانه ايضا عبد الله تعالى وسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون وجعله قسيما لذلك
المتصرف لان المملوك لا يملك ولا ظهر ان من موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لانه للجنسين فان المعنى
هل يستوي الاحرار والعبيد الحمد لله بل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها بل اكثرهم لا يعلمون
فيضيفون النعم تعالى الى غيره ويعبدونه لاجلها وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء من الصنائع والتدابير لنقصان عقله وهو كل على مولاه عيال وثقل على من يليه اينما يوجهه لا يأت بخير

يرسله مولاه فاذا امر وقرئ يوجهه على البناء للمفعول ويوجهه بمعنى يوجه كقوله اينما يوجهه لا يأت بخير ونحو وكفاية مهمّ هل يستوي حرّ ومن يأمر بالعدل ومن هو فريم منطيق ذو كفاية ودشر ينفع الناس بجميعهم على العدل الشامل لجامع الفضائل وهو على صراط مستقيم وهو في نفسه على طريق مستقيم لا يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعي وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لانهما كمال منايقابلها وهذا تمثيل لثاني ضربي الله تعالى نفسه وللاصنام لابطال الشركة بينه تعالى وبينها او للمؤمن والكافر ولله غيب السموات والارض يختص به تعالى علمه لا يعلمه غيره تعالى وهو ما غاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيمة فان علمه غائب عن اهل السموات والارض وما امر الساعة وما امر قيام الساعة في سرعته وسهولته الا كلمح البصر الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اقرب واوامرها اقرب منه بان يكون في زمان نصف ذلك الكرجع بل في الان الذي تبتدأ فيه فانه تعالى يحيي الخلائق دفعة ويميتهم دفعة كان فان واو للتخيير او بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشيء الذي تقولون فيه هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغة في استقراب ان الله على كل شيء قدير فيقدر ان يحيي الخلائق دفعة كما قدر ان يحييهم متدرجا شرح على ما قرئ به فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على انه لغة واتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء وبزيادة مثلها فان لا تعلمون شيئا جملة حالية وجعل لكم السمع والابصار والافئدة اداة تعلمون بها فتحسون بمشاعركم غرضيات الاشياء فتدركونها فتتهيأون بها لكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرر الاحساس حتى يحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل العلوم النظرية الكسبية بالنظر فيها لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما انعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه والم يروا الى الطير وقرأه ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء على خطاب العامة مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب الموافية له في جو السماء في الهواء الممتد من الارض ما يمسكهن فيه الا الله فان ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها ان في ذلك لايات لتسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيها وامساكها في الهواء على خلاف طبعها لقوم يؤمنون لانهم هم المنتفعون بها والله جعل لكم من بيوتكم سكنا موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر وفعل بمعنى مفعول وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا هي القباب المتخذة من الادم وبجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من حيث انها بنية على جلودها يصدق عليها انها من جلودها تستخفونها تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها يوم ظعنكم وقت نرحالكم ويوم اقامتكم ووضعها او ضربها وقت الحضر او النزول وقرأ الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة وسمى اصوافها واوبارها واشعارها الصوف للضائنة والوبر للابل والشعر للمعز اثاثا بيانا لمنافعها الى ضرب الانعام لانها من جملتها اثاثا ما يلبث ويفترش ومتاعا ما يتجر به الى حين الى ملقى من الزمان فانها الصالحة لها تبقى مدة مديدة او الى حين مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم والله جعل لكم مما خلق من الشجر والجبل والابنية وغيرها ظلالا تتقون به حر الشمس وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت والمحوتة فيها جمع كن وجعل

لكم من سبيل ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها فتقيكم الحر خصه بالذكر لكفاية أحد الضدين أو لان وقاية الحر أهم عندهم وسرابيل تقيكم بأسكم يعني الدروع والجواشن والسربال الجيد كما يليق لذلك كذلك أتم هذه النعم التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون أي تنظرون في نعمه فتؤمنون به أو تنقادون لحكمه تعالى وقرئ تسلمون من السلامة أي تشكرون فتسلمون من العذاب أو تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح يليس الدروع فإن تولوا أعرضوا ولم يقبلوا منك فإنما عليك البلاغ المبين فلا يضرك فإنما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا إما قائم السبب مقام المسبب يعرفون نعمة الله أي يعرف المشركون نعمة الله التي عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبأنها من الله تعالى ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها أو قولهم إنها بشفاعة الهتنا أو بسببك أو بأعراضهم عن أداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم أنكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة وأكثرهم الكافرون الجاحدون عنادا وذكر الأكثر إما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل أو التفريط في النظر أو لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف وإما لانه يقام مقام الكل كما في قوله بل أكثرهم لا يعلمون ويوم نبعث من كل أمة شهيدا وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار إذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع إلى الدنيا وتم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلي عما يتمنون به من شهادة الانبياء عليهم السلام عليهم ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون من العتبى وهو الرضا وانتصابه يوم بمحذوف تقديره اذكر وخوفهم أو يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله وإذا رأى الذين ظلموا العذاب عذاب جهنم فلا يخفف عنهم أي العذاب ولا هم ينظرون يمهلون وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم أوثانهم التي دعوها شركاء أو الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك نعبدهم أو نطيعهم وهو اعتراف بأنهم كانوا مخطئين في ذلك أو التماس بأن يشفع عنهم فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون أي أجابوهم بالتكذيب بأنهم شركاء الله تعالى أو أنهم عبدوهم حقيقة وإنما عبدوا أهواءهم كقوله كلا وسيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله تعالى الاصنام يومئذ أو في أنهم حملوهم على الكفر والأمر بها كقوله وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي وألقوا إليهم السلم أي استسلموا له كقوله وما كانوا يفترون من أن آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرأ آلهتهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا لصدهم فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم يعني نبيهم فإن نبي كل أمة بعث منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على أمتك ونزلنا عليك الكتاب استئناف أو حال بإضمار قد وتبيانا بيانا بليغا لكل شيء من أمور الدين على التفصيل والاجمال بالاحالة إلى السنة أو القياس وهدى ورحمة للجميع وإنما خص المحروم من تفرطه وبشرى للمسلمين خاصة إن الله يأمر بالعدل بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك

والقول بالمكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة الترهب وخلقا كالتوسط بين البخل والتبذير كالاحسان احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل أو بحسب الكيفية كما قال عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الافراط في مشايعة القوة الشهوية كالزنا فانه أقبح الحوال الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر على متعاطيه في قارفة القوة الغضبية والبغي والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر بتوسط احد هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي اجمع اية في القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون ولو لم يكن في القرآن غير هذه الاية لصدق عليه انه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه على ان يعظكم بالامر والنهي والتمييز بين الخير والشر لعلكم تذكرون تتعظون وأوفوا بعهد الله يعني البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام لقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله اذا عاهدتم وقيل النذر وقيل الايمان بالله ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة او مطلق الايمان بعد توكيدها توثيقها بذكر الله او منه ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها انكاثا هي ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تغزل ذلك تأمر جواريها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا بانكم البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون في نقض الايمان والعهود ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت اي نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام انكاثا حالة بمعنى منكثة فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شانه وقيل التي هي نقضت غزلها ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في لا تكونوا او في الجار الواقع موقع الخبر اي لا تكونوا مشبهين بامراة هذا شانها متخذي ايمانكم مفسدة ودغلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون امة هي اربى من امة بان تكون جماعة اكثر عددا او وفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او الكثرة مناديهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا رأوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به الضمير لكون امة لانه بمعنى المصدر اي يختبركم بكونهم اربى ليظهر التمسكون بحبل الوفاء لعهد الله وبيعة رسوله ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المومنين وضعفهم وقيل الضمير للربا وقيل للامر بالوفاء وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون اذ اجازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدي من يشاء بالتوفيق ولتسئلن عما كنتم تعملون سوال تكليت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد التمثيل تاكيد وصيانة في قبح المنهي فتزل قدم بعد ثبوتها على الاسلام بعد ما ثبت عليها والمراد اقدامهم وانما وحد وذكر للدلالة على ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله بصدكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره وكم عذاب عظيم في الاخرة

Ahmet Hakkı Efendi Collection

ولا تشتروا بعهد الله ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعفاء المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد اتباعا عند الله من الخير والتنعيم في الدنيا والثواب في الآخرة هو خير لكم مما يعد لكم إن كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم والتمييز ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد يفنى وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل على ان نعيم اهل الجنة باق ولنجزين الذين صبروا واجرهم على الفاقة واذى الكفار او على مشاق التكاليف وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون باحسن ما كانوا يعملون بالترجح غلبة من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء احسن من اعمالهم من عمل صالحا من ذكر او انثى بينه بالنوعين دفعا للتخصيص وهو مؤمن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العقاب فلنحيينه حياة طيبة في الدنيا بعيش طيب فانه ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الاجر العظيم في الآخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا فربما كان الحرص وخوف الفوات وان يتهنى بعيشه وقيل في الآخرة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة فاذا قرأت القرآن اذا اردت قراءته كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فسئل الله ان يعيذك وساوسه لانه يوسوس في القراءة والجمهور على انه للاستحباب لما فيه دليل على ان المصلي يستعيذ في كل ركعة لان الحكم المرتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه يدل بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون على اولياء الله المؤمنين به والمتوكلين عليه انما سلطانه لانهم لا يطيعون امره ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة لعله ويتوهم منه ان له سلطانا انما سلطانه على الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه والذين هم به مشركون او بسبب اشراكهم واذا بدلنا اية بالنسخ جعل الاية الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل من المصالح فلعل ما يكون مصلحة في وقت لعارض مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة عند يكون مصلحة الان فيثبته مكانه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وينزل بالتخفيف قالوا اي الكفرة انما انت مفتر متقول على الله تعالى ما امرت بشيء ثم بدا لك فنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا بل اكثرهم لا يعلمون حكمة الاحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب قل نزله روح القدس من ربك يعني جبريل عليه السلام واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله مدرجا على حسب المصالح مما يقتضي التبديل من ربك بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين امنوا على الايمان بانه كلام فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم والهمت قلوبهم هدى وبشرى للمسلمين المستدلين بالحكم وهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه

يعرض بحصول اضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر يعنون جبرا
الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عائش غلام حويطب بن عبد العزى قال اسلم وكان صاحب كتب
وقيل سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ولغة الرجل ان يميلوون قولهم عن الاستقامة اليه
ليأخذوا من كتب العجم ويقرأ عزة والكسائي يلحدون بفتح الياء والحاء لسان اعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين
ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين احدهما ان ما يسمعه منه كلام اعجمي
لا يفهمه وهو لا انت والقرآن عربي تفهمونه بادنى تامل فكيف يكون مما تلقفه منه وثانيهما انه تعلم منه المعنى بمستقيم
كلامه ولكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذلك اعجمي وهذا عربي والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ
مع ان العلوم الكثيرة التي في القرآن لا يمكن تعلمها الا لمن له ممارسة تامة فائقة في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف لمن
ذلك من غير ممارسة سوى سماع منه بعض اوقات مروره عليهما كلمات عجمية لعلهما لم يعرفوا فما معناها فطعنهم
في القرآن بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يصلون انها من الله فضلا
عما يتلوه الله الى الحق اولى سبيل النجاة وقيل الى الجنة ولهم عذاب اليم في الآخرة هدد هم على كفرهم بالقرآن بعد
اماطة شبههم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله لانهم لا يخافون
عقابا يردعهم عنه واولئك اشارة الى الذين كفروا والى قريش هم الكاذبون اي الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب
لان تكذيب آيات الله تعالى والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب واذ الذين عادتهم الكذب لا يضرهم عنه دين
ولا مروة او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر من كفر بالله من بعد ايمانه بدل من الذين لا يؤمنون
وما بينهما اعتراض او من اولئك او من الكاذبون او مبتدأ خبره بعد وقوله عليه قوله فعليهم غضب
ويجوز ان ينتصب بالذم وان تكون من شرطية محذوف الجواب الا من اكره على الارتداد او كلمة
الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة لعم القول والعقد كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان لم يتغير
عقيدته وفيه دليل على ان الايمان هو المتصدق بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا العقد
وطاب به نفسا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه روي ان قريشا اكرهوا عمارا
وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ قبلها بحربة في قبلها وقالوا انك اسلمت
من اجل الرجال ففتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا مكرها
فقيل يا رسول الله ان عمارا اكفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان
بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان
كان الافضل ان يتجنب حتى لا اعزاز للدين كما فعله ابواه لما روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول
في محمد فقال رسول الله قال فما تقول في فقال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في فقال اسمع رسول الله قال فما

الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول ولا تقولوا الكذب لمتعلق
لتصفكم فيقول هذا حلال وهذا حرام او مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية
اى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب لا تحرموا ولا تحللوا بمجرد قول ينطق به
السنتكم من غير دليل ووصف السنتكم الكذب مبالغة فى وصف كلامهم بالكذب كأن حقيقة
الكذب كانت مجهولة والسنتهم كانت تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولكن ذلك على من فصيح الكلام كقولهم
وجه يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب او كذب بالرفع صفة
للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمنه العرض ان
الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لما كان المفترى بفترى لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه
بقوله متاع قليل اى ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب اليم اى فى الآخرة
وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك اى فى سورة الانعام فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى
ظفر من قبيل متعلق بقصصنا او بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا
عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم فى التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا
السوء بجهالة لتبسهم او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله تعالى بعقابه وعدم التدبر فى العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم
الافتراء على الله تعالى وغيره ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها اى من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيب
على التوبة ان ابراهيم كان امة لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد الا متفرقة فى اشخاص كثيرة كقوله وليس من الله
بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد وهو عليه السلام رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذى جادل فرق المشركين
وابطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن فى النبوة
والحرج ما حللته او لانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هى فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة لمن
اذا قصد او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة ويقتدون بسيرته لقوله انى جاعلك للناس اماما قانتا
لله مطيعا له تعالى قائما بأوامره تعالى حنيفا مائلا عن الباطل وكرر ذكر المشركين كما زعموا ان قريشا كانوا يزعمون انهم كانوا
على ملة ابراهيم شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة اجتباه
للنبوة وهداه الى صراط مستقيم فى الدعوة الى الله تعالى وآتيناه فى الدنيا حسنة بان حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه
ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا فى السعة والطاعة وانه فى الآخرة لمن الصالحين الذين هم من اهل الجنة كما سأله بقوله واجعل
لى لسان صدق فى الآخرين ثم اوحينا اليك يا محمد وقرئ اما لتعظيمه والتنبيه على ان اجل ما اوتى ابراهيم اتباع الرسول ملة
ابراهيم ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا فى التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلائل بعد اخرى والمجادلة مع كل
احد على حسب فهمه وما كان من المشركين بل كان قدوة الموحدين انما جعل السبت تعظيم السبت والتحل فيه للعبادة على
الذين اختلفوا فيه اى على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عليه السلام ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فأبوا الا طائفة منهم
وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض فأكرمهم الله تعالى السبت وشدد عليهم لا كرهم

وقيل معناه انما حمل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموا اخرى واحتالوا له

وذكرهم هنا التهديد بل المشركين بكل ذكر اشرت الى عظمت بانعم الله تعالى وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بالمجازاة على الاختلاف بمجازاة كل فريق من الامرين والمعظمين بما يستحقه ادع من بعثت اليهم الى سبيل ربك الى الاسلام

بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة الخطاب الذي تلين به القلوب وتقبله النفوس بالترغيب والترهيب وجادلهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه الاثير والمقدمات التي يشهد فان ذلك انفع في نفسك

فيهم ويلين شكيمتهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي انما عليك الدعوة وحصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فاليه يرجعون وهو المجازي لهم وان عاقبتم

فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والى من شايعه بالمخالفة ومراعاة العدل من بني اصبهم فان الدعوة لا تنفك عنها من حيث انها تتضمن دفع العادات وترك الشهوات والقدح في دين

الاسلام والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه عليه السلام لما رأى حمزة وقد مثل به فقال والله لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمينه وفيه دليل على ان المقتص

ان يماثل الجاني وليس له ان يجاوزه وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الاكمل بقوله و

صبرتم لهو اي الصبر خير للصابرين من الانتقام للمنتقمين ثم صرح الامر به لرسوله لانه اولى الناس به

علمه بالله تعالى وثوقه عليه تعالى فقال واصبر وما صبرك الا بالله اي الا بتوفيقه تعالى وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكافرين

او على المؤمنين وما فعل بهم ولا تك في ضيق قرئ بالكسر وهو لغة في الضيق كالهين والهين وقرأ ابن كثير في ضيق بالكسر

وفي النمل وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق ان الله مع الذين اتقوا المعاصي

هم محسنون في اعمالهم بالولاية والفضل او مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره تعالى والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه

عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلتها اعطاه الله من الاجر كالذي مات ولحسن الوصية

سورة بني اسرائيل مكية وقيل الا قوله وان كادوا ليفتنونك الخ ثمانية آيات وفيها

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي اسرى بعبده ليلا

سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقيل يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال قد قلت لما جاءني فقال سبحان من علقمة الفاخر وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز

بعد واسرى وسرى بمعنى ليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء ولذلك

من الليل اي بعضه كقوله ومن الليل فتهجد به من المسجد الحرام بعينه لما روي انه عليه الصلوة والسلام

المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاه جبريل بالبراق او من الحرم وسماه المسجد الحرام لان

مسجد او لانه محيط به او بالطابق المسجد المنتهى لما روي انه عليه السلام كان نائما في بيت ام هاني

صلوة العشاء فاسرى به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لى النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد فجاء
قريش فتحيروا منه استحالة وارتد ناس ممن امن به وسعى رجال الى ابى بكر رضى الله عنه فقال ان كان قال ذلك فقد
صدق قالوا افتصدقه على ذلك قال انى لاصدقه على ابعد من ذلك فسمى الصديق واستتبعته طائفة سافروا الى بيت
المقدس فجلى الله له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا امّا النعت فقد اصاب فقال اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد رحالها واحوالها
وقال اقبلنا يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر ثم
لم يؤمنوا قالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف فى انه كان ذلك فى المنام او فى اليقظة بروحه
او بجسده والاكثر على انه اسرى بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب
قريش واستحالوه استحالة والاستحالة ممنوعة ثابتة فى الهندسة ان ما بين طرفى قرص الشمس ضعف ما بين طرفى
كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة فان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى فى اقل من ثانية وقد برهن فى كلام
ان الاجسام متساوية فى قبول الاعراض وان الله تعالى قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة
فى بدن النبى صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات وظهورها فى المسجد الاقصى بيت المقدس
لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذى باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحى ومتعبد الانبياء
من لدن موسى والمعطوف بلا انهار والاشجار الزيتية من اليتيا كان هابه فى برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدة
بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك
البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقوال محمد صلى الله عليه وسلم البصير بافعاله فيكرمه ويقربه
على حسب ذلك واتينا موسى الكتب وجعلناه وهدى لبنى اسرائيل الا تتخذوا والى على ان لا تتخذوا والقول كتبت اليه ان افعل
وقرأ ابو عمرو بالياء على الغيبة ومن دونى وكيلا ربا تكلون اليه اموركم غيرى ذرية من حملنا مع نوح نصب على
الاختصاص او النداء ان قرئ ان لا تتخذوا بالتاء او على ارادة القول مفعولا لا تتخذوا ومن دونى حال من وكيلا فيكون كقوله
ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف او بدل من واو تتخذوا وذرية بكسر
الذال وفيه تذكير بانعام الله تعالى عليهم فى انجاء ابائهم من الغرق بحملهم مع نوح فى السفينة انه كان عبدا شكورا
كان عبدا شكورا يحمد الله تعالى فى جميع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية
على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه السلام وقضينا الى بنى اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا فى الكتاب
فى التوراة لتفسدن فى الارض جواب قسم محذوف وقضينا على ابناء القضاء المبتوت بجرى القسم مرتين افسادتين اولاهما
مخالفة احكام التوراة وقتل شعياء وقيل ارميا وثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليه السلام والتغلب
عليهم كبيرا وتستكبرن عن طاعة الله تعالى واظلمن الناس وافاجلة وعد اولاهما وعد عقاب اولاهما بعثنا عليكم عبادا
لنا اولى بأس شديد قتلة جالوت وقيل جالوت الجزرى وقيل سنحاريب من اهل نينوى اولى بأس شديد
ذوى قوة وبطش فى الحرب بشل بين فجاسوا خلال الديار وسطها وقرئ بالحاء وهما لغتان خلل الديار وسطها

القتل والغارة قتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التوراة وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله تعالى الكافر على ذلك
أولوا البعث بالتخلية وعلام المنع وكان وعد أمفعوله وكان وعد عقابهم لابد أن يفعل ثم ترددتم أيها الكرة أي الدولة
والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم وذلك بأن ألقى الله تعالى في قلب ملكهم بن أسفندار لما رأى رؤيا الملك من جذ كشتاسف
بن لهراسف شفقة عليهم فرد أسراءهم إلى الشام وملكه وأيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من أتباع بخت نصر وبان سلط
داود على جالوت فقتله وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا أما كثرة والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع
نفر وهم المجتمعون للذهاب إلى العدو إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم لأن ثوابه لها وإن أسأتم فلها فإن وبالها عليها وأعاد ذكره بالام
إذ دوا بجانا فإذا جاء وعد الآخرة وعد العقوبة المرة الآخرة ليسوءوا وجوهكم أي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها باديةً
آثار المساءة فيها بحذف لدلالة ذكره أو لا على وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد أو البعث
أو الله ويعضده قراءة الكسائي بالنون وفي ليسوءن بالنون واليا والنون المخففة والمثقلة وليسون بفتح اللام على الأوجه الأربعة
على أنه جواب إذا والام في قوله وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف هو بعثناهم كما دخلوه أول مرة وليتبروا وليهلكوا ما علوا
ما غلبوه واستولوا عليه أو مدة علوهم تتبيرا وذلك بأن سلط الله تعالى عليهم الفرس مرة أخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك
الطوائف اسمه جوزرز وقيل بخرد وس وقيل دخل صاحب الجيش مذبح فرأى بينهم فوجل فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا
دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقتمونا وقتل عليه الوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال إن لم تصدقوني ما تركت منكم أحدا
فقالوا إنه دم يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما أصاب قومك من أجلك فاهدأ بإذن الله
قيل إن لا أبقي أحدا منهم فهدأ عسى ربكم أن يرحمكم لبعد المرة الآخرة وإن عدتم عدنا بالسيف ثانية إلى
عقوبتكم وقد عادوا بقتلهم زكريا ومحمد صلى الله عليه وسلم وقصد قتله فعاد الله تعالى بتسليطه عليهم فقتل قريظة وأجلى بني النضير
وضرب الجزية على الباقين هذا لهم في الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون الخروج منها أبدا لا يادون
وقيل بساطا كما يبسط الحصير إن هذا القرآن يهدي التي هي أقوم للحالة أو الطريقة التي هي أقوم الحالات والطرق ويبشر
المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وقرأ حمزة والكسائي يبشر بالتخفيف وأن الذين لا يؤمنون
بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما عطف على أن لهم أجرا كبيرا أو المعنى أنه يبشر المؤمنين بشارتين ثوابهم وعقاب
أعدائهم أو على يبشر بإضمار يخبر ويدع الإنسان بالشر ويدعو الله تعالى عند غضبه بالشر على نفسه وماله وأولاده
بما يحسبه خيرا أو هو شر دعائه بالخير مثل دعائه بالخير وكان الإنسان عجولا يسارع لكل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته
وقيل المراد آدم عليه السلام فإنه لما انتهى الروح إلى سرته ذهب لينهض فسقط وروي أنه عليه السلام رفع رأسه إلى السماء فرأى
لا نيته فأعجبته فلما نفخت قبل أن تبلغ ركبتيه فهم ليقوم فقال خلق عجل فسمي بذلك ثم ندم صلى الله عليه وسلم فقال اللهم أنا ابن البشر فمن دعوت عليه فاجعل
دعائي رحمة له وتزلت ويجوز أن يراد بالإنسان الكافر والدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين
اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية فلعجل له في الحال وجعلنا الليل والنهار آيتين يدلان على القادر الحكيم شيئا بعد شيء
تسق أحدهما بإمكان خيرة فمحونا آية الليل أي الآية التي هي الليل بالإشراق والإضافة فيها للتبيين كإضافة العدد إلى المعدود وجعلنا آية

على دخل في الجزء
الفرع وفي نسخة
قال فيه ان
الفرع فرع
على التي تكون للجزء
دون اللام التي
تكون للجزء
ان يجعل اللام
للاختصاص فيها
اي نسبة الجزء
الى الكل
٣٥٨

النهار مبصرة مضيئة او مبصرة للناس من ابصره فبصر او منبصرا باهله كقولهم اجبنا الرجل اذا كان اهل جبناء وقيل الايتان الشمس والقمر وتقدير الكلام وجعلنا ايتي الليل والنهار ايتين او جعلنا الليل والنهار ذوي ايتين ومحو ايته الليل التي هي القمر جعلها مظلمة في نفسها مطموسة النور او نقص نورها شيئا فشيئا الى المحاق وجعل ايته النهار التي هي الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع يبصر الاشياء بضوئها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا باختلافهما او بسيركما على ما اعلم الله عليه حساب السنين والحساب وجنس الحساب وكل شيء تفتقرون اليه في امر الدين والدنيا فصلناه تفصيلا بينا ما يشتبه غير ملتبس وكل انسان الزمناه طائره عمله وما تفأل له كانه طير اليه من عش الغيب وذكر القلادة لما كانوا يتشاءمون ويتيامنون بسنوح الطائر وبروحه استعيرا لما هو سبب للخير والشر من قدر الله تعالى وعمل العبد عنقه لزوم الطوق في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا هو صحيفة اعماله او نفسه المتنقشة باثار اعماله فان الافعال الاختيارية تحدث في النفس احوالا ولذلك يفيد تكريرها ملكات تقضيه بانه مفعول او حال من مفعول محذوف وهو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ونخرج من خرج يخرج وقرئ ويخرج اي الله عز وجل يلقاه منشورا لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا اقرأنيك على ارادة القول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي كفى نفسك الباء مولدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه لما بمعنى الحاسب كالضريب بمعنى الضارب وضريب القداح بمعنى ضاربهم جعل عليه كذا او بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكير اسم الفاعل على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال وعلى تاويل النفس بالشخص من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها لا يجني اهتداؤه غيره ولا يدري ضلاله سواه ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزر نفس اخرى بل انما تحمل وزرها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يبين الحجج ويمهل الشرائع فيلزم بعدم الحجة وفيه دليل على انه لا حكم قبل الشرع واذا اردنا ان نهلك قرية وقد انعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق او دنى وقته المقدر كقوله اذا اراد المريض ان يموت ازاد مرضه شدة امرنا مترفيها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق بقوله ففسقوا فيها لقولك امرته فقرأ فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز من الحمل عليه والتسبب له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم واقضى بهم الى الفسوق ويحتمل ان لا يكون له مفعول سوى كقولهم امرته فعصى وقيل معناه كثرنا يقال امر الشيء وامرته فاثر اذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النتج وهو ايضا يجاء بمعنى الطاعة ويؤيده ايضا قراءة يعقوب امرنا وروايته امرنا عن ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من امر بالضم امارة اي جعلناهم امراء وتخصيص المترفين بان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الجماعة واقدر على الفجور فحق عليها القول يعني كلمة العذاب السابقة بمقتضى حكمته او بظهور معاصيهم فدمرناها تدميرا اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارها وكم اهلكنا وكثيرا اهلكنا من القرون بيان للكثرة وتمييز له من بعد نوح نعاد وثمود وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من كان يريد العاجلة

مقصورا عليها همة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قيل العجل والمعجل الا بالمشية والارادة لانه لا يجد كل ممن يتمناه ولا كل
واجد جميع ما يهواه وليعلم ان الامر بالمشية والعلم فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ يشاء والضمير لكل
للدنيا على ما يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد به ذلك وقيل الاية في المنافقين كانوا يراؤون المسلمين ويغزون معهم
ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله تعالى ومن
اراد الاخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو ان يأتي بما امر به والانتهاء عما نهي عنه لا التقرب بما يعتقدون بارادتهم وفاعلة
اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن حال من ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فان العمرة فاولئك الجامعون للشرائط
الثلاثة كان سعيهم مشكورا من الله تعالى اي مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله تعالى اثابة الطاعة كلا كل واحد من الفريقين
والتنوين بدل من المضاف اليه ثم بالعطاء مرة بعد اخرى ويجعل الفعل مددا للسالف هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا من عطاء
ربك من معطاه متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر فضلا انظر كيف
فضلنا بعضهم على بعض في الرزق وانتصابه كيف بفضلنا على الحال وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا اي تفاوت
في الاخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها لا تجعل مع الله الها اخر الخطاب للرسول والمراد
به امته او لكل احد فتقعد فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعلت كانها حربة او فتخذل من قولهم قعد عن الشيء اذا
عجز مذموما من الخلق ومخذولا لا جاما على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والحزن لان من الله تعالى ومفهومه ان الموحد يكون
ممدوحا منصورا وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به الا تعبدوا ابان لا تعبدوا الا اياه لان غاية التعظيم لا يحق الا لمن له غاية
العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي الاخرة ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا ناهية وبالوالدين احسانا وبان
تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز ان يتعلق الباء بالاحسان لان صلة
لا يتقدم عليه اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اسمان الشرطية زيدت عليهما ما تاكيدا ولذلك صح لحوق
النون المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يبلغن او بدل على قراءة حمزة والكسائي من الف يبلغان الراجح الى الوالدين وكلاهما
عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولم يجز ان يكون تاكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا في كنفه وكفالته
فلا تقل لهما اف فلا تتضجر مما يستقذر منهما ويستثقل من مؤنتهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذي
اتضجر منه وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتسويته في قراءة نافع وحفص للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب
بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر
انواع الاذى قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا لقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله
عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو في صف المشركين ولا تنهرهما عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان بهما وقيل لا تزجرهما
عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر واحد كالنهي والنهم اخوان وقل لهما بدل التانيف والنهر قولا كريما جميلا لائقا بهما
واخفض لهما جناح الذل تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله وحدأة ينهى قد كشفت
وقوة ماذا اصبحت بين الشمال زمامها للشمال بدا وللقرة زماما وامر بخفضها مبالغة او اراد جناحه كقوله واخفض

جناحك للمهنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذل وقرئ
الذل بالكسر وهو لانقياد والتعت منه ذلول من الرحمة من فرط رحمتك عليهما لا افتقارهما الى من كان افقر خلق الله تعالى
اليهما وقل رب ارحمهما وادع الله تعالى ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة
ان يهديهما كما ربياني صغيرا رحمة تمثل رحمتهما علي وتربيتهما اياي وارشادهما لي في صغري وفاء بوعدك للراحمين روي
ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الى منهما ما وليا مني في الصغر هل قضيتهما قال لا
لانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما ربكم اعلم بما في نفوسكم من قصد
البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستئناف ان تكونوا صالحين قاصدين
للصلاح فانه كان للاوابين التوابين غفورا اما فرطة منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد
عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويدرج فيه الجاني على ابويه التائب من جنايته اولا ويؤتي لوروده على اثره وآت ذا القربى
حقه من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل
المراد بذي القربى قاربي الرسول صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم والمساكين وابن السبيل وآتهم نصيبهم من الخمس ولا تبذر تبذيرا تصرف
المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لسعد وهو
يتوضأ ما هذا السرف وقال في الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين امتثالا
في الاراءة فان التضييع والاتلاف شر اما قصد فاعتم واتباعهم لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي
روي انهم كانوا يخرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة فيفعلها فنهاهم الله تعالى عن ذلك وامرهم
بالانفاق في القربات وكان الشيطان لربه كفورا مبالغا في الكفر به تعالى فينبغي ان لا يطاع ولما اعرضن عنهم وان اعرضت
عن ذوي القربى والمساكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية ابتغاء
رحمة من ربك ترجوها لانتظار رزق من الله تعالى ترجوه ان يأتيك فتعطيهم او منتظرا لهم ان يأتيك فتعطيهم وقيل معناه لفقد رزق
من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله فقل لهم
قولا ميسورا اي فقل لهم قولا ميسورا لينا يتعاورهم رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل السعد
الرجل وبخس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم الله ورزقنا واياكم ولا تجعل يدك مغلولة
الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما امرا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم فتقعد
ملوما فقيرا ملوما عند الله تعالى وعند الناس لاسرافه وسوء التدبير محسورا نادما او منقطعا بك لا شيء عندك
من حسر السفر اذا بلغ منه وعن جابر رضي الله تعالى عنه بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه صبي فقال ان امي
تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت له قل له ان امي تستكسيك
الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه اياه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا للصلوة فلم يخرج
فانزل الله ذلك تسلاه بقوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر بوسعه ويضيقه بمشيته التابعة للحكمة فليس

ما يرهقك من الاضافة الا لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا بصيرا العلم سرهم وعلنهم من مصالحهم ما يخفى عليهم
أن يراد ان البسط والقبض من امر الله تعالى العلم السرائر والظواهر فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا فانه تعالى يبسط تارة
ويقبض تارة اخرى فاستنوا بسنته سبحانه وتعالى لا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يكون قصدا قوما
ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق في مخافة افلاسهم ان ترزقهم او اولادهم هو وأدهم ما تهم مخافة الفقر فنهاهم الله تعالى عنه وضمن
لهم ارزاقهم فقال نحن نرزقهم وإياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع و
الخطأ الاخرى يقال خطئ خطأ كاثم اثما وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان خطأ وهو اسم من خطئ ضد الصواب وقيل لغة فيه
كمثل ومثل وحذر وحذر وقرأ ابن كثير خطأ بالمد والكسر هو اما لغة او مصدر خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء
تخاطأ في قوله تخاطأه القناص حتى وجد ثه وخرطومه في سقع الماء رسب فهو مبني عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطا بحذف
الهمزة مفتوحا ومكسورا ولا تقربوا الزنا بالعزم والابتان بالمقدمات فضلا ان تباشروه انه كان فاحشة فعلة ظاهرة
القبح وساء سبيلا وبئس الطريق طريقه وهو التعرض على قطع الانساب وهيج الفتن ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق الا بإحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس بغير نفس عمدا وظلما
مظلوما غير مستوجب للقتل فقد جعلنا لوليه للذي يلي امره بعد وفاته وهو الوارث سلطانا تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى
القتل على من عليه او بالقصاص على القاتل فان قوله مظلوما يدل على ان القتل عمدا عدوان فان الخطأ لا يسمى ظلما فلا يسرف
اى القاتل في القتل بان يقتل من لا يحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك او الولي بالمثلة او قتل غير القاتل
ويؤيد الاول قراءة التاء فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائي فلا تسرف على خطاب احدهما انه كان منصورا علة النهي على الاستئناف
والضمير اما للمقتول فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الاخرة بالثواب واما لوليه فان الله ناصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته واما للذي يقتله فانه اسرافا بايجاب القصاص او التعزير
والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم فضلا ان تتصرفوا فيه الا بالتي هي احسن الا بالطريقة التي هي احسن
حتى يبلغ اشده غاية جواز التصرف الذي دل عليه الاستثناء واوفوا بالعهد باعاهد كم الله تعالى من تكاليفه طوعا او علة وهو
وغيره ان العهد كان مسئولا مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه وتفي به او مسئولا عنه يسال الناكث
ويعاتب عليه او يسال العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للمؤودة بأي ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان
صاحب العهد كان مسئولا واوفوا الكيل اذا كلتم ولا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو رومي
معرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لان العجمي اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف والتنكير
ونحوها صار عربيا وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف هنا وفي الشعراء ذلك خير وأحسن تأويلا واحسن عاقبة تفعيل
من آل اذا رجع ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة ما ليس لك به علم ما لم تتعلق به
علمك تقليدا او رجما بالغيب والحجر به من عينه اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند
سواء كان قطعا او ظنا واستعماله بهذا المعنى شائع وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرؤية

وشهادة الزور وتوبيده قوله عليه السلام من فقأ عين مؤمن بما ليس فيه حبسه الله تعالى في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وقوله
الكبيت ولا أرمي البرى بغير ذنب ولا اقفو الحواصن إن قفينا إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك اى كل هذه الاعضاء
فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسئولة عن الحوالها شاهدة على صاحبها هذا وإن اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث
انه اسم جمع للذا وهو لعيم القبيلتين جاء لغيرهم كقوله والعيش بعدا ولئك الايام كان عنه مسئولا في ثلاثتها ضمير كل
اى كان كل واحد منها مسئولا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف او لصاحب السمع
والبصر وقيل مسئولا مسندا الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم والمعنى يسأل صاحب عنه وهو خطاء لان الفاعل ما يقوم
مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مواخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها
بالفتح ولا تمش في الارض مرحا اى خارجا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا هو باعتبار الحكم البالغ وان كان المصدر الكثير من صيغ النعت
انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بشدة وطأتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل
للنهي بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس التذليل كل ذلك اشارة الى الخصال الخمس والعشرين
المذكورة من قوله ولا تجعل مع الله الها اخر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها المكتوبة في الواح موسى كان سيئة يعني
المنهي عنه فان المذكورة مأمورات بضدها ومناهٍ وقراءة الحجازيان والبصريان سيئة على انها خبر كان والاسم ضمير كل
وذلك اشارة الى ما ينهى عنه خاصة وعلى هذا قوله عند ربك مكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة على
المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان او في الظرف على انه
صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة
بارادته تعالى ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة التي هي معرفة الحق لذاته لتعمل
ولا تجعل مع الله الها آخر تكرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فان لا فضل له بطل عمله ومن فضل فعله
وتركه غيره تخاضع سعيه وانه راس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ما هو عائدة الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته
في العقبى فتقال فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله تعالى افاصفاكم ربكم
بالبنين خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله تعالى والهمزة للانكار والمعنى افخصكم ربكم بافضل الاولاد وهو البنون
واتخذ من الملائكة اناثا بنات لنفسه تعالى هذا خلاف ما عليه عقلاكم وعادتكم انكم لتقولون قولا عظيما باضافة
الاولاد اليه وفي خاصة بعض الاجسام البسرعة زوالها بتفضيل انفسكم عليه تعالى حيث تجعلون له ما تكرهون ثم يجعل الملائكة
الذين هم من اشرف خلق الله تعالى اوثانهم ولقد صرفنا كررناه المعنى بوجوه من التقرير في هذا القرآن في موضع منه
ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه تعالى بتقدير صرفنا القول في هذا المعنى او اوقعنا التصريف
فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ليذكروا وليتذكروا وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الفرقان ليذكروا من الذكر الذي
هو بمعنى التذكر وما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمانينة اليه قل لو كان معه آلهة كما تقولون
ايها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده على ان الكلام مع الرسول وافقهما نافع وابن عامر وابو عمرو

اى عما يقولون ١٢

ويعقوب في الثانية على ان الاولى مما امر الرسول ان يخاطب المشركين به والثانية مما نزه به نفسه عن مقالهم اذ لا
يتعوز الى ذي العرش سبيلا جواب عن قولهم وجزاء للشرط والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمعازة كما يفعل
الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته تعالى وعجزهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون
الى ربهم الوسيلة سبحانه تنزيه له وتعالى عما يقولون علوا كبيرا استباعد لغاية البعد عما يقولونه فانه سبحانه
في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته والتجاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يتم بقاؤه
يسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم تنزهه مما هو من لوازم الامكان وتوابع
الحدوث بلسان الحال حيث تدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم
ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ
والدلالة لاسناده الى ما يصور منه اللفظ والى ما لا يتصور منه وعليه عامة من جوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرأ ابن
كثير ونافع وابن عامر وابو بكر ليسبح بالياء انه كان حليما حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غفورا
لمن تاب منكم واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا يحجبهم عن فهم ما تقرؤه
عليهم مستورا اذا استتر كقوله وعده مأتيا او مستورا عن الحس وبحجاب الخلق لا يفهمون او مستورا في نفسه
انهم لا يفهمون نفي عنهم ان يفهموا ما انزل عليهم من الايات بعد ما نفى عنهم الفقه للدلالات المنصوبة
في الانفس والآفاق تقريرا لما له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح به بقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه
وتحول دونها وعن ادراك الحق وقبوله ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على
قلوبهم اكنة اي منعناهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا ومنعناهم عن استماعه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى
لمنكريه ما يمنع من فهم المعنى وادراك اللفظ واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولدا غير مشفوع به الهتهم مصدر وقع موقع
الحال واصله يجد وحده او بمعنى واحدا وحده ولوا على ادبارهم نفورا هاربا من استماع التوحيد ونفرة وتولية ويجوز
ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن اعلم بما يستمعون به بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقرآن اذ يستمعون اليك
ظرف لاعلم ولكن او اذ هم نجوى اي نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذوو
نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجي اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا مقدرا باذكر او بدل
من اذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا والمسحور هو الذي سحر به فزال عقله
وقيل الذي له سحر وهو الرئة اي لا رجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال متناولة
بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا الى طعن موجه فيتهافتون ويحيرون
كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع او الى الرشاد وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا وحطاما ائنا لمبعوثون خلقا جديدا على
الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من المباعدة والمناقاة والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون
لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها او خلقا مصدرا وحالا قل جوابا لهم كونوا حجارة

أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم اى مما يكبر عندكم عن قبول الحياة لكونه ابعد شئ منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن احياءكم لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما ورفاتا وقد كانت غضة موصوفة بالحياة قبل والشئ اقبل للمعهد فيه مما لم يعهد فسيقولون من يعيدنا قال الذي فطركم اول مرة وكنتم ترابا وفتوا بعد شئ من الحياة فسينغضون اليك رؤسهم فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا فان كل ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر او الظرف اى يكون في زمان قريب وان يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون اى يوم يبعثكم فتبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتها وتيسر امرهما وان المقصود منها الاحضار للمحاسبة والجزاء بحمده حال انهم يحامدون الله تعالى على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين لبعثه تعالى العباد الحامدين له تعالى وتظنون ان لبثتم الا قليلا ولستقصرون مدة لبثكم في القبور كالذي مر على قرية او مدة حيوتكم لما ترون من الهول وقل لعبادي يعني المؤمنين يقولوا التي هي احسن الكلمة التي هي احسن وكان يحاشوا المشركين ان الشيطان ينزغ بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل المحاشنة بهم تفضي الى العناد وازدياد الفساد ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم وان يشأ يعذبكم تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اى قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فان ذلك يهيجهم على الشر مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم حتى تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فلا ترهقهم ومر اصحابك بالاحتمال منهم روى ان المشركين اوذوا في اوايل امرهم فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزلت وقيل ستم رجل فهم به فامره الله تعالى بالعفو وربك اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون المرأة انجو اصحابه ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبرى عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع حتى داود عليه السلام فان شرفها بما اوحي اليه من الكتاب لا بما اوتيه من الملك قيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله عليه السلام وقوله وآتينا داود زبورا تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء والمتلو خير الاسم المدلول عليه بما كتب في الزبور من ان الارض يرثها عبادي الصالحون وتنكيره ههنا وتعريفه في قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور لانه في الاصل فعول للمفعول كالحلوب والركوب او للمصدر كالقبول ويؤيده قراءة الحمزة بالضم فهو كالعباس والفضلي ان كان المراد واتينا داود بعض الزبر او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول عليه السلام قل ادعوا الذين زعمتم انها آلهة من دونه كالملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم اولئك الذين يدعون يبتغون الى ارباجهم الوسيلة هؤلاء الاطهر يبتغون الى الله تعالى القربة بالطاعة ايهم اقرب بدل من واو يبتغون اى يبتغي من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغيرهم ويرجون رحمته ويخافون عذابه كسائر العباد فكيف يزعمون انهم الهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الملائكة والرسول وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت والاستيصال او معذبوها عذابا شديدا بالقتل

وانواع السلية كان ذلك في اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا ومما منعنا ان نرسل بالآيات ومصروفنا عن ارسالها
الآيات التي اقترحتها قريش الا ان كذب بها الاولون الاكملة بيب الاولين الذين هم امثالهم في الطبع كعاد وثمود وقد
لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك واستوجبوا الاستيصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا ان لا نستاصلهم
لان منهم من يؤمن او يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال وآتينا ثمود الناقة مبصرة
بينة ذات ابصار او ابصار امحلت عليهم فظلموا بها فكفروا بها او ظلموا انفسهم بسبب عقرها وما
نرسل بالآيات اى المقترحة تخويفا من نزول العذاب المستأصل فان لم يخافوا نزل وبغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن لا
بعذاب الآخرة فان امرهم بعثت اليهم موخرا الى يوم القيمة والبلية مزيلة او في موقع الحال والمفعول محذوف
واذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس فهم في قبضة قدرته تعالى او احاط بقريش بعنى اهلكهم
من احاط بهم العدو وهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقيق وقوعه وما جعلنا الرؤيا التي اريناك ليلة
المعراج وتعلق به من قال انه كان في المنام ومن قال انه كان في اليقظة فسر الرويا بالرؤية او عام الحديبية حين راى انه دخل
مكة وفيه ان الاية مكية كما ان يقال راها بمكة وحكاها حينئذ ولعله لم يرها الا في وقعة بدر لقوله تعالى اذ يريكهم
الله في منامك قليلا ولما روى انه لما ورد ماءه قال لكاني انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان وهذا
مصرع فلان فلم تمط احدهم عن موضعه فلما اسلموا قال ما كذبت ولا كذبت والشجرة الملعونة في القرآن عطف على الرويا وهي شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا
يزعم ان النار تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجرة ولم يعلموا ان من قدر ان يخلق النار في الشجرة الخضراء قادر ان يخلق
النار والشجرة في النار كما ان النعامة من اذنابها وقطع الحديد انعاة الحية التي تسبكها قادر ان يخلق في النار شجرة لا تحترق او
لعنها في القرآن لعن طاعمها وصفت به على المجاز للمبالغة او وصفها بانها في اصل الجحيم فانه اجدر مكان
من الرحمة او بانها مكروهة موذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد اولت بالشيطان وابي جهل
والحكم بن ابي العاص وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اى والشجرة الملعونة في القرآن كذلك
ونخوفهم بانواع التخويف فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا الا عتوا متجاوزا الحد ورد قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم سجدة الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين فحذف الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى
الموصول اى خلقته وهو طين او منه اى اسجد له واصله طين وفيه على الوجوه اياء بعلة الانكار قال ارايتك هذا
كرمت علي الكاف لمجرد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا مفعول اول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف
للدلالة صلته عليه والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بامري بالسجود له لاكرمنه علي لئن اخرتن الى يوم القيمة
كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم لاحتنكن لاستولين من حنك الدابة اذا جعل في حنكها حبلا لاقودنها
اقاوم شكيمتهم حتى احتنك ذريته الا قليلا اى من عصمته منهم فاخلصه من حبائلي واما كلم ان ذلك استدراج
اى الاستدراج

ع خلك بالتحريك يبدو نرخ وبضم راء وسكون زاء دوم وغيران اصلاح

من قول الملائكة التجعل فيها أمن يفسد فيها مع التقرير او تقريرا سابقا من خلقه ذوي علم وشهوة وغضب قال اذهب امض لما قصدته
وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولته له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب
على الغائب فيجوز ان يكون الخطاب لابليس وحده وجنوده تابعين على الالتفات جزاء موفورا مكملا من قولهم فرس ضاحك عرضه وقوة وانتصاب
جزاء على المصدر باضمار فعله او بما في جزاء وكم من معنى يجازون او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز واستخف من
استطعت منهم ان تستفزه والفز الخفيف بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب عليهم من الجلبة وهي
الصياح بخيلك ورجلك بأعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله عليه السلام يا خيل الله اركبي والرجل
اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا للتسلط على من اغويه بتمثيل صوت على قوم فاستفزهم من
اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استأصلهم وقرأ عفص برجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كالسبل والسبل ومعناه
جعل الرجل شرا لرجالك ومرتبا لهم شاركهم في الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والاولاد
بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل والحمل على الاديان الزائغة
والحرف المذمومة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال على كرامة الاباء وتلخير
التوبة لطول الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان مواعيده والغرور ترتيب الخطأ بما يوهم انه
صواب ان عبادي يعني المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد في قوله الا عبادك منهم المخلصين يخصصهم ليس لك
سلطان تملي على اغوائهم قدرة وكفى بربك وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة منك على الحقيقة ربكم الذي يزجي هو الذي
يجري لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الربح والنوع الاصعب التي لا تكون عندكم انه كان بكم رحيما حيث هيأ لكم ما
تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يعسر من اسبابه واذا استكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون ذهب عن خواطركم كل من تدعونه
في حوادثكم الا اياه وحده فانكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون لكشف الا اياه أو ضل كل من تعبدونه عن
اغاثتكم الا الله فلما نجاكم من الغرق الى البر اعرضتم عن التوحيد وقيل التسعتم في كفران النعمة كقول ذي الرمة على
فتى مكن في المعالي فاعرض في المكارم واستطال وكان الانسان كفورا كالتعليل للاعراض افامنتم الهمزة للانكار والفاء
للعطف على محذوف وتقديره النجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر ان يهلككم في البر بالغرق قدر ان يهلككم
في البر بالخسف وغيره ان يخسف بكم جانب البر ان يقلبه الله والتجم عليه ويقيه بسببكم فينكم حاصبا او صالة ليخسف وقرأ
ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفي الاربعة التي بعدها وفي ذكر الجانب تنبيه على انهم لما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان
الجوانب والجهات في قدرته سواء لا يستقل بوم من فيه من اسباب الهلاك او يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب اي ترمي بالحصباء
ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله تعالى ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى بان لا تخلق دواعي
قلبكم الى ان ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر شيئا الا قصفته اي كسرته فتغرقكم وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير
الريح بما كفرتم بسبب كفرانكم واكفر انكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا اذا فعلنا به ما فعلنا ولقد كرمنا بني آدم
بحسن الصورة واعتدال القامة والتمييز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتقدير

الى الاسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في الارض والتمكن من المصالح والنساج الاسباب والمسبات العلوية والسفلية
الى ما يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك مما ذكره ابن عباس رضي الله عنه
وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وحملناهم في البر والبحر على الدواب
والسفن من حملته حمارا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم فيها حتى لم يخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء ورزقناهم
من الطيبات المستلذ مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة والاستيلاء او
بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده و
المسئلة موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف يوم ندعوا نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ
يدعوا ويدعى ويدعو على قلب الالف واوا في لغة من يقول اغزوا وعلى ان الواو علامة الجمع كما في قوله واسروا النجوى الذين
ظلموا او ضمير وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة الملابسة بها فانها ليست كعلامة الرفع وهو قد يقدر كما في يدعى
كل اناس بامامهم ممن ايتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا صالح يا
كذا اي ينقطع علقة الانساب ويبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل
باسمائهم جمع كتف وخفاف والحكمة في ذلك اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين عليهما السلام
وان لا يفتضح اولاد الزنا فمن اوتي من المدعوين كتابه بيمينه اي كتاب عمله فاولئك يقرؤن كتابهم ابتهاجا
ويجوز ان يراد من اوتي كتابه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من اجورهم ادنى شيء وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتي في
معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على ان من اوتي كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه عض يديه من الحسرة
والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة فكذلك لو يذكرهم مع ان قوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى ايضا
مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان في هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان في الاخرة اعمى
لا يرى طريق النجاة واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد وقيل ان الالة والمهلة وقيل لان الاهتداء يعد
لا ينفعه والاعمى مستعار ممن فاقد الحاسة وقيل الثاني للتفضيل من عمي بقلبه كالجهل والابله ولذلك لم يعامله
ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تامة عن كانت الفه في حكم المتوسطة في عامكم تخلا في النعت فان الفه واقعة في الطرف
لفظا وحكما وكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء في التثنية وقد املها حمزة والكسائي وابو بكر وان كادوا
ليفتنونك نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصلا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نحني
صلواتنا وكل ربوا الناس فهو لنا اكل ربوا علينا فهو موضوع عنا وان نحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت
العرب فعلت ذلك خفل الله امرنا وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بالهتنا وتمسها بيدك وان
هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشان قاربوا بما غلبتهم ان يوقعوك في الفتنة بالاستزلال عن الذي اوحينا
اليك من الاحكام لتفتري علينا غيره عبر ما اوحينا اليك واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك
بافتنانك وليا لهم بريئا مني ومن ربي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا فتقارب

ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خلقهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا
فمنعتك ان تقرب من الركون فضلا من ان تركن اليهم وهو صريح فى انه عليه السلام ما قارب باجابتهم مع قوة الداعى اليها وكمال
على ان العصمة بتوفيق الله تعالى وحفظه اذ لا ذنب لك اى لو قاربت لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اى عذاب الدنيا وعذاب
الاخرة ضعفا عظيما يعذب به ذا الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا
فى الحيوة وعذابا ضعفا فى الممات بمعنى مضاعفا حين فى للوصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف
موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الاخرة وبضعف الممات عذاب القبر
لاجل لك علينا نصيرا يدفع العذاب عنك وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم من
الارض ارض مكة بالحوك منها واذا لا يلبثون خلفك ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان
كذلك فانهم اهلكوا بيد بعد هجرته بسنة وقيل الاية نزلت فى اليهود حسدوا مقام النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة
فقالوا الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك فى قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع فقتل
منهم بنو قريظة ونجلى بنو النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذن على انه معطوف على جملة قوله وان كادوا والاستفزاز لك على خبر كاد
فان اذن لا تعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه
قال حفت الديار اذا خلا اهلها منهم فما تمام بسط الشواطب بينهن حصيرا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر
اى سن الله ذلك سنتوا وان يهلك كل ما تاخر جوز سطوهم من بين اظهرهم فالسنة لله تعالى واضافتها الى الرسل لانها من اجلهم
ويدل عليه ولا تجد لسنتنا تحويلا اى تغييرا اقم الصلوة لدلوك الشمس الدلوك والهاء يدل عليه قوله عليه السلام اتانى جبريل
لدلوك الشمس حين زالت فصلى الظهر وقيل الغروب واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدالك لا يستقر
يده وكن اما تركب من الدال واللام كدح ودرج ودلع ودلف ودلاه وقيل الدلوك من الدالك لان الناظر اليها يدلك
عينه ليدفع شعاعها واللام للتاقيت مثلها فى ثلث خلون الى غسق الليل الى ظلمته وهو وقت صلوة العشاء الاخيرة
وقرآن الفجر وصلوة الصبح سميت قرآنا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا دليل
فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة فى صلوة الفجر دل لامر بافامتها على الوجوب فيها فضلا فى
غيرها فيما سارت قرآن الفجر كان مشهودا تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد الفدرة من تبدل الظلمة
بالضياء والنوم الذى هو لخ الموت بالانتباه او لكثير من المصلين او من حقان يشهده الحجم الغفير لاية جامعة للصلوات
الخمس ان فسر الدلوك بالزوال لصلوات الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب
وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدا الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب الشفق ومن الليل
فتهجد به وبعض الليل فاترك الهجود للصلوة والتهجد للقرآن نافلة لك فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة
او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما يحمدك القائم فيه وكل من عرفه او
مطلوب فى كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة انه عليه السلام قال هو المقام الذى

أستشفع فيه لامتي ولاشعارة بان الناس يجمعون فيه وسماه الله مقام الشفاعة وانتصابه على الظرفية
قوله اى فيثبت مقاما اه بتضمين يبعثك معناه او الحال معنى ان يبعثك ذا مقام وقل رب ادخلني اى في القبر مدخل صدق
ادخالا مرضيا واخرجني اى منه عند البعث مخرج صدق اخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والخروج
من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما
وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه موديا حقه وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه
منه وفي مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا واجعل لي من لدنك سلطانا
نصيرا حجة تنصرني على من خالفني وملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين
كله ليخلفهم في الارض وقل جاء الحق الاسلام وزهق الباطل وذهب وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج
ان الباطل كان زهوقا مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود انه عليه السلام دخل مكة يوم الفتح وفيها للاثة وستون صنما
فجعل ينكت بمخصرة في عين واحد منها فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب بوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة
فوق الكعبة وكان من صفر فقال ايا علي ادم به فصعد فرمى به فكسره ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين هاديا
تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن للبيان فانه كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى ان منه ما شفاء
من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف ولا يزيد الظالمين الا خسارا لتكذيبهم وكفرهم به
واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله وناى بجانبه لوى عطفه وبعد نفسه
عنه كانه مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر وناء على
القلب او على انه بمعنى نهض واذا مسه الشر من مرض او فقر كان يؤسا شديد اليأس من روح الله قل كل يعمل على شاكلته
قل كل احد يعمل على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم
اعلم بمن هو اهدى سبيلا اسد طريقا وابين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسئلونك
عن الروح الذي يحيى به بدن الانسان ويدبره قل الروح من امر ربي من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد
من اصل كاعضاء جسده او وجد بامر محدث بتكوينه على ان السؤال من قدمه وحدوثه وقيل ما استاثره الله بعلمه
روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي
وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القضيتين واظهر الروح وهو مبهم في التوراة وقيل الروح جبريل
وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القرآن ومن امر ربي معناه من وحيه وما اوتيتم من العلم الا قليلا لا تستقيدونه
بوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما هو من البضروريات المستفادة من احاد المحسوسات
ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما او علم اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله المعرفة لذاته وهو اشارة
الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته لا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى في جواب ما رب
العالمين لما لم يكن بعض غاته رد الله عليهم لما قال لهم ذلك قالوا الخ مختصون بهذا الخطاب فقال بل لكم وانتم قالوا

ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فذرات ولو ان ما في الارض
من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الحق والخير ما يسعه القوة البشرية بل النظم
به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله تعالى التي لا نهاية لها قليل بيان ان خير الدارين هو الاضافة اليه
كثير ولكن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه الثاني مقام جزاء الشرط
والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن محوناه عن المصاحف والصدور ثم لا تجد لك به علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده
مسطورا محفوظا الا رحمة من ربك فانها ان تلبث فلعلها تسترد عليك يجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة
من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا ببقائه بعد المنة في تنزيله ان فضله كان عليك كبيرا كارساله وانزال
الكتاب عليك علية وابقائه في حفظك قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن في البلاغة وحسن النظم
كمال المعنى لا ياتون بمثله فيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة
ولو سمي لكان جواب الشرط بالاجرام لكون الشرط ماضيا كقولك هيهات اتاه خليل يوم مسئبة يقول لا غائب
مالي الا حرم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يرد كرام الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه
عن كونه معجزة وكيف لا وهم كانوا وسائط في اتيانه ويجوز ان يكون الآية تقرير القوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ولقد صرفنا كررنا
بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان للناس في هذا القرآن من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه وقعا في النفس
فابى اكثر الناس الا كفورا الا جحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا الا به متاول بالنفي وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا
من الارض ينبوعا نعتنا واقتراحا بعد الزامهم الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون ويعقوب
تفجر بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر
او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا اي تكون لك بستان يشتمل على ذلك وتسقط السماء كما زعمت
علينا كسفا يعنون قوله تعالى ان نشأ نخسف بهم الارض ونسقط عليهم كسفا من السماء وقطع لفظا من قد سكنه ابن كثير
وابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القرآن الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة ونافع وابو بكر في غيرهما
وخص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسد وسدا او فعل بمعنى مفعول كالطحن او اتى بالله والملائكة قبيلا
كفيلا بما تدعيه اي شاهدا على صحته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة
لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله فان وقيارا بها لغريب او جماعة فيكون حالا من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف
من ذهب قد زخرف به واصله الزينة او ترقى في السماء في معارجها ولن نؤمن لرقيك وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه
وكان فيه تصديقك قل سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم وتنزيها لله من ان ياتي او يحكم عليه او يشاركه احد
في القدرة هل كنت الا بشرا كسائر الناس رسولا كسائر الرسل فكانوا لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم
حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى تتخيروها على هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل
فقد ذكر في آيات اخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السماء وما منع الناس ان يؤمنوا

الخلص الخ
الصيد العرار
وقرئ بالجمع
بالجيم فالجيم
والنصاح مرفوع
فعل ماض
حاضر
فيض

من يتعاطى متعلقها في الآخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدلوا لاحكم مسانف لما قبله على الجزاء
ولذلك غاير فيه سياق الكلام فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم فقلنا له سلهم من فرعون ليريهم لهم معك او سلهم من حاله
دينهم ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل على لفظ الماضي لغيرهم وهو لغة قريش وآية متعلق بقلنا او سأل
على هذه القراءة او قل يا محمد بني اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون اذ جاءهم او عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك او لتسلي
نفسك او لتعلم انه تعالى اوتي ما اقترحوه ظاهرة على العناد والمكابرة فلم يقبلوها او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة
توجب قوة اليقين وطمأنينة القلب وعلى هذا كان اذ هم بابا بينا او بامر يخيروك على انه جواب الامر او باضمار
اذكر على الاستيناف فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت يا فرعون قرأ الكسائي
بالضم على اخبار عن نفسه ما انزل هؤلاء يعني الآيات الا رب السموات والارض بصائر بينات تبصرك صدقي
ولكنك تعاند وانتصابه على الحال واني لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك
عن هذا اي ما صرفك او هالكا فان ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون كذب وخبث وظن موسى عليه السلام
يحوم حول اليقين من تظاهر امارات وقرئ ان لاظنك بالضم يا فرعون مثبورا على ان المخففة واللام الفارقة فاراد فرعون ان
يستفزهم ان يستخف موسى وقومه وينفيهم من الارض ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستيصال فاغرقناه
ومن معه جميعا فقلنا من بعده يا بني اسرائيل اسكنوا الارض التي اردتم ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة الكرة او الحياة او الساعة او الدار الآخرة يعني قيام القيامة
جئنا بكم لفيفا مختلطين ايانا كم وايانا هم شرحناكم بينكم ونيرسعداءكم من اشقياءكم كورا للفيف الجماعات من قبائل
شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما انزلنا القرآن الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه
وقيل وما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشيطان ولعله
اراد به نفي اعانة الشيطان له اول الامر واخره وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب
فلا عليك الا التبشير والانذار وقرآنا فرقناه نزلناه مفرقا فاسبحنا وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما في قوله تعالى
لتقرأه على الناس على مكث على مهل وتؤدة
فانه ايسر للحفظ واعون في الفهم وقرئ بالفتح ولغة فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل آمنوا به او لا تؤمنوا
فان ايمانكم بالقرآن لا يزيد به كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصانا وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل له اي
ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم ومم العلماء الذين قرؤا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة
وتمكنوا من التمييز بين المحق والمبطل واراد الغتاك وصفة ما انزل عليك في تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على
سبيل التسلية كانه قيل لنسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم اذا تتلى عليهم القرآن يخرون
للاذقان سجدا يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله او شكرا لانجازه تعالى وعده في تلك الكتب ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم
على فترة من الرسل وانزال القرآن عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف الوعد ان كان وعد ربنا لمفعولا لانه كان وعده

كانتا لاعجالة ويخرون للاذقان يبكون كررّه لاختلاف الحال والسبب فان الاول للشكر عند البخار الوعد
والثاني اثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله تعالى وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من
وجه الساجد واللام فيه للاختصاص الخرورية ويزيدهم سماع القرآن خشوعا لما يزيدهم عمل او يشتمل بالله تعالى او عجوا
الله او دعوا الرحمن لما نزل حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين
وهو يدعو الها اخر او قالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله تعالى في التوراة فالمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين
باعتبار انهما يطلقان على ذات واحد وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات الذي هو المقصود وعلى الثاني انهما
سيان في حسن الاطلاق والاقضاء الى المقصود وهو جواب لقوله ايا ما تدعو فله الاسماء الحسنى والاعامة في الاية بمعنى التسمية
بتعدي الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه وما صلة لتاكيد ما في اي
من الابهام والضمير في له للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام ايا ما تدعو فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء
الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام ولا تجهر بصلاتك
بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها حتى لا تسمع من خلفك
من المؤمنين وابتغ بين ذلك سبيلا بين الجهر والمخافة سبيلا وسطا فان الاقتصاد في جميع الامور محمود وروي ان
ابا بكر رضي الله عنه كان يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر رضي الله عنه يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ
الوسنان فلما نزلت اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك
كلها ولا تخافت بها بأسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا
ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية ولم يكن له ولي من الذل ولي يواليه من اجل من له لمن فيها بولاية
نفي عن ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا او اضطرارا ومما يوهنه ويقوبه وربت الحمد على الله
على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه كامل الذات المتفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك بغته
وضم عليه قوله ولم يكن له شريك الخ وكبره تكبيرا وعظمه تعظيما بالغ في التعظيم والتبجيل واجعل ذلك دأبك
ان يعترف بالقصور عن حقه في ذلك وفي تعليم الله السلام اذا قضى الغلام من بني عبد المطلب عامه هذه الاية وعنه عليه السلام من قرأ سورة
بني اسرائيل وقت غلبة عند ذكر الوالدين كان له مطارفا في الجنة والقطار الفا وغيره وملئا او فيه سورة الكهف مكية وقيل الا قوله تعالى
واصبر نفسك الاية وهي مائة واحدى عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله تعالى اياه اعظم انعامه
وذلك لانه الهادي الى ما فيه سعادة الدارين والداعي الى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد ولم يجعل له عوجا شيئا
من العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى وانحراف من الدعوة الى الحق وهو شامل للمعاني كالجور في الاعيان وقيما مستقيما
معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيما على سائر الكتب مصدقا لها ومهيمنا عليها وصفه بالتكميل بعد وصفه بالكمال وعلى الكتب السابقة
يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر مقدر جعله قيما او على الحال من الضمير في له او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل

قيما لينذر بأسا شديدا الى لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاول لكفاية دلالة القرينة واقتصر على الغرض المسوق اليه من لدنه صادر من عنده وقرأ ابو بكر باسكان الدال اسكان الباء من سبعة مع الاشمام ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا هو الجنة ماكثين فيه ابدا بلا انقطاع وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا خصهم بالذكر وكرر الانذار استعظاما بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يعين المنذر به استهانة بتقلم ذكره ما لهم به من علم اى بأصولية او باتخاذه او بالقول والمعنى انهم يقولونه عن جهل مفرط وتوثيم كاذب لتضليل الساذجة من اولادهم من غير علم بالمعنى الذى زاد وابه فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المولى والانزاء بالله اذا لم يعلموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ اليه تعالى ولا بآبائهم الذين يقولونه بمعنى النبى كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه فى الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ما يتخذه ويخالف غيره ذلك من الزينة وكلمة نصب على التمييز قوى بالرفع على الفاعلية والاول ابلغ واد على المقصود تخرج من افواههم صفة لها تفيد استعظام الجراءة على اخراجها من افواههم الخارج بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر هنا بمعنى بئس وقوى كبرت بالسكون مع الاشمام ان يقولون الا كذبا بأن تعلق باخا نفسك قاتلها على اثارهم اذا تواعن الاحيان شبهه لما ذا خله من الوجل على قولهم بمن فاد فقناعيرته وهو يخص على اثارهم ويخص نفسه وجعل عليهم وقرئ باخع نفسك على الاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث يعنى القرآن اسفا للتأسف عليهم او متأسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على ان فلا يجوز اعمال باخع لاذ لجعل حكاية حال ماضية انا جعلنا ما على الارض من الحيوان والنبات والمعادن زينة لها ولاهلها لنبلوهم اى نعاملهم معاملة من يبتغى ان يعلم احسن عملا فى تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر بهم وقنع منه بما يزجى به ايامه وصبر فدعا على ما ينبغى وفيه تسكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ترابا مستويا بالارض وبجعله كصعيد املس لا نبات فيه ام حسبت بل حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم فى بقاء حيرتهم مدة مديدة كانوا من ايآتنا عجبا وقصتهم بالاضافة الى خلق ما على الارض من الاجناس والانواع الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة تؤيد ها اليها ليس بعجيب مع انه من اياته تعالى النزر الحقير والكهف الغار الواسع فى الجبل والرقيم اسم الجبل او الوادى الذى فيه كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم قال السدى بن ابى الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا او صيدهم والقوم فى الكهف هجدا ولوح رصاصى او حجرى رقمت فيه اسماءهم وجعلت على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم اخرون كانوا ثلثة خرجوا فى بعض الليالى فاويهم المبيت الى غار فانحطت صخرة وسدت بابه فقال احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله تعالى يرحمنا بها فقال واحد استأجرت اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل فى بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم فغضب اخذ اجره فوضعته فى جانب البيت ثم مر بى بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله تعالى فجمع الى بعد حين شيخا ضعيفا لا عرفه وقال ان لى عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت تعلم ان ذلك لوجهك فافرج عنا

فاصبح بالصعيد حتى راوا الضوء وقال المشركان في فصل واصابت الناس شدة فجاء بنو امرأة فطلبت منهم مرارا فقلت
والله ما عرفون نفسك فابت وعادت ثم رجعت ثلثا ثم ذكرت لزوجها فقال اجيبي له واعيني عيالك فابت وبلت
الى نفسها فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت مالك قالت اخاف الله فقلت لها خفته في الشدة ولم اخفه في الرخاء
فتركتها واعطيتها ما كنت اعطيها اللهم ان فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي ابوان هرمان
وكانت لي غنم وكنت اطعمهما قبلها ثم ارجع الى غنمي فحبسني ذات يوم غيث فلم ارح حتى امسيت فاتيت اهلي واخذت
حلبت فجئت بالحلب حتى قمت عند رؤوسهما اكره ايقاظهما وان اشرب قبلهما فلم يزالا نائمين فشق علي ان اوقظهما فتوقعت حالسا وحلبي على يدي حتى ابرقا فسقيتهما اللهم ان فعلته لوجهك فافرج عنا ففرج الله فخرجوا فرفع ذلك بهم ان يتجاوزوا الى الكفر يعني فيه من اشراف الروم اراد مهم دقيانوس على الشرك فابوا وهربوا الى الكهف فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة توجب
لنا المغفرة والرزق والامن من العدو وهيئ لنا من امرنا امرا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا نصيب به
رشدين مهتدين او اجعل امرنا كله رشدا كقولك رايت منك اسدا او اصل التهيئة احداث هيئة الشيء وقضينا على آذانهم
اذا نمنم اي ضربنا عليها بحجاب يمنع السماع بمعنى انمناهم انامة لا تنبههم الاصوات فحذف المفعول كما حذف في قولهم بنى على امرأته
في الكهف سنين ظرفان لضربنا عددا اي ذوات عدد ووصف السنين بما يحتمل التكثير والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم
عند تعالم بعثناهم ايقظناهم ليتعلم ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا للمتعلق اولا تعلقا استقباليا اي الحزبين من
المختلفين منهم او من غيرهم في مدة لبثهم احصى لما لبثوا امدا اضبط لمدد الزمان لبثهم وما في اي من معنى الاستفهام علق
عنه لنعلم او مبتدأ واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعوله ولما لبثوا حال منه او مفعول له وقيل انه للمفعول
واللام مزيدة وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بمعنى الضبط والمعنى ان المتولي امدا
لفعل حمل عليه كقوله وامر به هينا ايا السيئ القوانا نحن نقص عليك نبأهم بالحق بالصدق انهم فتية شبان
جمع فتى كصبي وصبية امنوا بربهم وحدانيته وشايعوا نبيهم وقويناهم بالصبر على هجر الوطن والاهل
والمال والجراءة على اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا بين يديه فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها
لقد قلنا اذا شططا والله لقد قلنا قولا ذا شطط اي ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم هؤلاء قومنا عطف بيان للضمير
او للفتية خبره وهو لحبا في معنى الكمال لولا يأتون عليهم على عبادتهم بسلطان بين ببرهان ظاهر فان الدين لا يؤخذ
الا بحجة فيه دليل على ان لا دليل عليه من الديانات وجود وان التقليد فيه غير جائز فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
بنسبة الشريك اليه تعالى واذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم لبعض وما يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب اي واذا اعتزلتم
القوم ومعبوديهم الا الله تعالى فاتوا بهم كانوا يعبدون الله تعالى ويعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان يكون ما
مصدرية على تقدير واذ اعتزلتموهم وعبادتهم كه عبادة الله تعالى وان تكون نافية على انها اخبار من الله تعالى في شأنهم
بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم يبسط لكم الرزق ويوسع عليكم من رحمته
في الدارين ويهيئ لكم من امركم مرفقا ما ترتفقون به اي تنتفعون من جهتهم بذلك لصرح بهيئتهم وقوة وثوقهم

Marginalia in Arabic and Persian

بفضل الله وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض فان قياسه الفتح
وترى الشمس لو رأيتهم والخطاب لرسول الله او لكل احد اذا طلعت تراور عن كهفهم تميل عنه ولا تقع شعاعها عليهم
فتؤذيهم لان الكهف كان جنوبيا او كان الله تعالى يزورها عنهم وأصله تتزاور فادغمت التاء في الزاي وقرأ الكوفيون بحذفها وابن
عامر ويعقوب تزدر كتحمر وقرئ تزور كتحمار وكلها من الزور وهو الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقة اليمين ذات اسم اليمين وكذا
عرب تقرضهم تقطعهم وتصرم عنهم ذات الشمال يعني يمين الكهف وشماله كقوله وهم في فجوة منه اي وهم في متسع من الكهف
يعني في وسطه بحيث يناله روح الهواء ولا يؤذيهم بحر الغار ولا حر الشمس وذلك لان باب الكهف في مقابلة بنات
النعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مطلعها مطارد ها تظلع ما قابله
عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فتقع شعاعها على جنبيه ويحل عفونته
ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فتؤذي اجسادهم وتبلي ثيابهم ذلك من آيات الله اي شأنهم او ابواءهم الى الكهف كذلك او اخبارك
اوازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة من آياته من يتهد الله بالتوفيق فهو المهتدي الذي اصاب الفلاح والمراد به اما الثناء
عليهم او التنبيه على ان استئمال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله تعالى للتأمل فيها والاستبصار بها
ومن يضلل ومن يخذله فلن تجد له وليا مرشدا من يليه ويرشده وتحسبهم ايقاظا لانفتاح عيونهم او لكثرة تقلبهم
وهم رقود نيام وتقلبهم وهم رقد تهم ذات اليمين وذات الشمال كيلا تأكل الارض ايليها من ابدانهم على طول الزمان وقرئ
ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وتقليبهم على المصدر منصوب بفعل يدل عليه وتحسبهم اي وترى تقلبهم وكلبهم هو
كلب مر وابيه فتحهم فطردوه فانطلق حتى اتى قريبا منهم فربض فقال لئن دخلت عليهم لأفزعنهم فولى هاربا ولذلك ملئت منهم رعبا
كلب يؤويل قراءة من قرأ وكالبهم اي وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل بالام صيد
بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة لو اطلعت عليهم فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو لوليت منهم
فرارا لملئت منهم وقرارا لامتلأ الصدر لانه نوع من الولاية والعلة والحال ولملئت منهم رعبا خوفا يلأ صدرك
لما البسهم الله تعالى من المهابة او لعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم ومن معوية انه غر الروم فمر بالكهف فقال
لو كشف لنا عن حالهم فنظرنا اليهم فقال لابن عباس رضي الله عنهما البس لك ذلك فلم يمنع الله تعالى من هو خير منك فقال
لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمهم وبعثناهم اثرناهم من نومهم او من موتهم كقوله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم
ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله تعالى
ويستبصروا به امر البعث وليشكروا ما انعم به عليهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم بناء
على غالب ظنهم لان النائم لا يحس مدة نومه ولذلك احالوا العلم الى الله تعالى قالوا ربكم اعلم بما لبثتم ويجوز ان يكون
ذلك قول بعضهم وهذا انكار الآخرين عليهم وقيل انهم دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة وظنوا انهم في يومهم
او اليوم الذي بعده قالوا ولذلك لما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم لما علموا ان الامر ملتبس

لا طريق لهم الى عمله اخذ فابعثوا بهم وقالوا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة والورق الفضة مضروبة
كانت في غيرها وقرأ ابو عمرو وابو بكر وحمزة ورُوح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتشقيل وادغام القاف في الكاف وبالتخفيف
مكسوا الواو مدغما وغير مدغم ورُدّ المدغم لالتقاء الساكنين على غير حدّه وحملهم له دليل على ان التزود راى
المتوكلين والمدينة طرسوس فلينظر ايها اى اهلها ازكى طعاما احل واطيب واكثر او رخص فليأتكم برزق منه وليتلطف
وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يغبن في الشخص حتى لا يعرفوه ولا يشعرن بكم احدا ولا يفعلن ما يودّي الى الشعور انهم
ان يظهروا عليكم ان يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدّر فانهم يرجموكم يقتلوكم بالرجم او يعيدوكم في
ملتهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما امتناهم وبعثناهم ليزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم ليعلموا ليعلم الذين اطلعنا هم
على حالهم ان وعد الله بالبعث والموعود الذي هو البعث حق لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث
وان الساعة لا ريب فيها وان القيامة لا ريب في امكانها فان من توفى بنفوسهم وامسكها ثلثمائة سنين حافظا ابدانها
عن تحلل والفتت ثم ارسلها اليها قادر ان يتوفى نفوس جميع الناس ويمسكها اياها الى ان تحشر ابدانها فيردّها عليها
اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا اى عثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم امرهم امر دينهم وكان بعضهم يقول يبعث
الارواح مجردة دون الاجساد وبعضهم يقول يبعثان معا لا يرتفع الخلاف وتتبين انهما يبعثان معا او امر القتية
حين ماتوا هم الله تابا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال اخرون ناموا نومة لولا مرة او قالت طائفة تبنى عليهم
بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال اخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال الله تعالى فقالوا ابنوا
عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض امّا من الله تعالى
ردّا على الخائضين في امرهم من اولئك المتنازعين او من المتنازعين فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم او من
المتنازعين بعد الردّ الى الله تعالى بعد ما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في تساهيمهم فلم يحققوا لهم ذلك حكى ان المبعوث لما دخل
في السوق واخرج الدراهم وكان عليه اسم دقيانوس تعجبوا بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا وقص
عليه القصص فقال بعضهم ان اباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك والاهل
المدينة معه من كان منهم وكافروا بصرهم وكلومهم ثم قالت الفتية للملك لتودعك الله تعالى ونعيذك من شر الجن
والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فاقدهم الملك في الكهف بنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى
حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فمحى عليهم المدخل فبنوا ثمة مسجدا سيقولون اى الخائضون في قصتهم في عهد
الرسول عليه السلام من اهل الكتاب والمؤمنين ثلثة رابعهم كلبهم اى هم ثلثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم
قيل هو قول اليهود وقيل هو قول السيد ابن بصاري نجران وكان يعقوبيا ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قاله النصارى
او العاقب منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب موتيا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه واتيانا به اوكلما
بالغيب من قولهم رجما بالظن اذا ظن وانما لم يعطف الكلام بالواو ليدل على ان كل واحد من القولين
مستقل بالانكار والواو في قوله وثامنهم كلبهم دخلت تأكيدا لدخولها في الثمانية التي هي الاصل في العدد
كما دخلت في قوله وفتحت ابوابها لان جواب اذا لا يكون الا بالواو وقيل الواو للحال والجملة بعد العدد صفة
للنكرة قبله كقولك جاءني رجل معه آخر وعلى هذا فائدة الواو تأكيد لصوق الصفة بالموصوف

---

١٢ قاموس ٥٢ اطلع فلانا على سره اظهره ١٢ قاموس ٥٣ الرجن الظن قال في القاموس الرجن الظن والكذب بالاصابح والشق في الصخر ٥٤ مرجح ضعيف يتنازعون ويتهمون وكذا ضمير امرهم على احد التقديرين ٥٥ مرجح قصير ٥٦ ليعلموا ليعلم الناظرون ٥٧ بالنصر والفتح لرسوله والمؤمنين على النصارى خلاف ٥٨ اى في قصتهم ٥٩ اى يقولون خمسة ٦٠ اى يقولون

وثامنهم كلبهم هو اما قاله المسلمون باخبار الرسول لهم عن جبريل عليهما السلام وايماء الله تعالى اليه بان اتبعه قوله قل ربي
اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل واتبع الاولين قوله رجما بالغيب وبان اثبت العلم لهم لطائفة بعد ما حصر اقوال الطوائف
في الثلثة المذكورة فان عدم ايراد رابع في نحو هذا المحل دليل العدم مع الاصل ينفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما قوله رجما
بالغيب لتعيين الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة لتاكيد
لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصاقها بها امر ثابت وعن علي رضي الله عنه هم سبعة وثامنهم كلبهم اسماهم
يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره وكان يستشيرهم
والسابع الراعي الذي وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل الاقوال الثلثة لاهل الكتاب فالقليل منهم
فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا فلا تجادل في شان الفتية الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما قص القرآن
من غير تحميل لهم والرد عليهم ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تسال احدا منهم عن قصتهم سؤال مسترشد فان فيما
اوحي اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنت تريد تفضيح المسؤل عنه وتزييف ما عنده فانه
يخل بمكارم الاخلاق ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله تهي تاديب من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
حين قالت لهم قريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه فقال ياتوني غدا اخبركم ولم يستثن
فاحتبس عليه الوحي بضعة عشر يوما حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهي اي ولا تقولن لاجل شيء تعزم عليه اني فاعله
فيما يستقبل الا بان يشاء الله اي الا ملتبسا بمشيته تعالى قائلا ان شاء الله او الا وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان
ياذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها دونه
لا يناسب النهي واذكر ربك مشيئة ربك قل ان شاء الله كما روي انه لما نزل قال عليه السلام انشاء الله اذا نسيت ذاكرا
منك نسيانك لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس رضي الله عنه ولو بعد سنة ما لم يحنث وكذلك جوزتا خيرا الاستثناء عنه
وعامة الفقهاء على خلافه لان مثل ذلك لو تعقبها ايمان لم يقتصر جوازا ولا طلاق ولا عتاق ولو بعلم صدق ولا كذب وليس في الاية والخبر ان الا
المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر معمول له عليه ويجوز ان المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت
الاستثناء مبالغة فالحث عليه اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك على التدارك واذكره اذ
اعتراك النسيان لتدارك المنسي وقل عسى ان يهدين ربي يدلني لاقرب من هذا رشدا لاقرب شيء رشدا واظهر دلالة على
نبوتي من نبأ اصحاب الكهف وقد هداه لاعظم من ذلك كقصص الانبياء المتقادمة عهدها واخبارهم واخبار الغيوب والحوادث النازلة في الاعصار
المستقبلة الى قيام الساعة اولا قرب شيئا واوني خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا يعني لبثهم
فيه احياء مضروبا على اذانهم وهو بيان لما اجمله قيل وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما
اختلفوا في عددهم فقال بعضهم ثلثمائة وقال بعضهم ثلثمائة وتسع سنين وقرأ حمزة والكسائي ثلثمائة سنين بالاضافة
على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وان الاصل في العدد اضافته
الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين من ثلث قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض له ما غاب فيهما وخفي

ف ان الحمل على
قتاد الاقوال وحصرها ١٢
ف فان الحمال يدل على اقتران
الصفة بالموصوف الى وفي الحال
التعنت
في زمان الحال ١٢ ف اي الاخبر ١٢ اجاز في قلان
الطالب اذ كان الاخبر ١٢ اجاز في يطلب ان تكلف ١٢ اذا
تعنتا اذا جاز ان يطلب ان تكلف ان يفعل
ف وقد لان الاستثناء من ان يكون مفعولا
على تقدير تعليق الاستثناء من ان يكون فاعلا
لان الجاز الاستثناء الفعل وعدم
ف اي مفعول يشاء الفعل وعدم
فانه كان الاول فاذن يكون الكلام
لنعوذ ان لا يكون ف اي فاعل فعلا كان الاان
الكلام ح الى فاعل الفعل اي ان
يشاء الله ذلك فلا افعل وظاهر
ان ليس الاداء ان تقول

٤٧٩

فانه لو قال الا ان ما قال
الثاني فانما الاان لا يشق عليه ايضا والكلام
قوله ان فاعل على هذا ما منهيا عنه لان
تقديرا الكلام ح الى فاعل فعلا
كذا الان يشاء الله فعلا ذلك
الفعل فاني لا اقدر عليه ح ف ذلك
ف ان يكون ما مرة ١٢ الان يكون
منهيا عنه ١٢ ف هذا على تقدير ان
يكون مفعول يشاء محذوفا اي فان
فانه يكون المشيئة ح شرط
دون الفعل اي ما لا يليه بين
الفاعل ما نظائره عن الاقتداء اطلاقا

احوال اهلها فلا يخفى عليه تعالى شيء منها والتصريح بذلك للدلالة على ان امره تعالى فوق الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحيط بشيء ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء يرجع الى الله تعالى ومحل الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر فصار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر مبنيا لانه فاعل فارز الضمير لائق الصيغة له اولزيادة الباء كما في قوله تعالى وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير السامع ورد وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من دونه من دوليّ من يتولى امورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وقرأ ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهي كل احد من الاشراك لما دل اشتمال القرآن على اصحاب الكهف من حيث انهم من الغيبيات بالاضافة الى الرسول عليه السلام على انه وحي معجز امره بان يداوم دراسته ويلتزم اتباعه فقال واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك من القرآن ولا تسمع لقولهم ايت بقرآن غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل اليه ان هممت واثر نفسك واحبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي في مجامع اوقاتهم او في طرفي النهار وقرأ ابن عامر بالغدوة وفيه ان ضمة عين كلم في الاكثر فيكون اللام فيه على تاويل التنكير يريدون وجهه رضاء الله تعالى وطاعته ولا تعد عيناك عنهم ولا تجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى نبو وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعدل من اعداه وصرفه والمراد نهي الرسول عليه السلام ان يزدري بفقراء المؤمنين وتعلو عينه عن رثاثة زيهم طمعا الى طراوة زي الاغنياء تريد زينة الحياة الدنيا حال من الكاف في المشهورة ومن المستكن في الفعل في غيرها ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا مجازا كما يجعل الشيء على خلاف ما هو به في دعائك على الطرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على ان اللائق له الى هذا الاستدعاء قلبه عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه الشرف لخلية النفس لا نزينة الجسد وانه لو اطاعه كان مثلهم في الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله تعالى قالوا انه مثل احنكته اذا وجدته كذلك او نسبته اليه او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بذكرنا لقلوب الذين لا تبتغي في قلوبهم الا عمان وحكي على ان المراد ليس الا هو هذا ذكرا ولا يقوله واتبع هواه وجوابه ما مر غير مرة وقرئ اغفلنا باسناد الفعل الى الله بمعنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا اياه بالمواخذة وكان امره فرطا اي تقدما على الحق وبطلا من فرس فرط اي متقدم الخيل ومنه الفارط وقل الحق من ربكم ما يكون من جهة الله تعالى لا ما يقتضيه الهوى ويجوز ان يكون الحق خبر محذوف وفي ربكم حالا فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر لا ابالي بايمان من امن وكفر من كفر هو لا يقتضي استقلال العبد بفعله فانه وان كان بمشيته فمشيته بمشيته تعالى انا اعتدنا هيأنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالجسد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على الحكاية بئس الشراب وساءت مرتفقا متكأ من رفقت بالكسر ارفق اذا اتكأت على المرفق بئس المتكأ لهم النار وقيل بئس الشراب من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء او حال من المهل او الضمير في الكاف

يبس التراب المهل وساءت النار مرتفقا منكا واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الحد وهو لمقابلة قوله وحسنت
مرتفقا والا فالارتفاق لاهل النار ان الذين امنوا وعملوا الصالحات بالاضبيع اجر من احسن عملا خبران الاولى على
ما جيزها والراجع محذوف تقديره من احسن عملا منهم او مستغنى عنه بعموم من احسن عملا كما هو مستغنى عنه فى قولك
نعم الرجل زيد او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا على الحقيقة لا يحسن اطلاقه الا على الذين امنوا وعملوا الصالحات
اولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الانهار وما يلبها اعتراض على الاول استيناف لبيان الاجر او خبر
ثان يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة لاساور وتنكيرها للتعظيم حسنها من
الاحاطة به وهو جمع اسورة او اسوار فى جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا الان الخضرة احسن الالوان واكثرها
طراوة من سندس ورق استبرق ما رق من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيهما التشهى
الانفس وتلذذ الاحين متكئين فيها على الارائك على السرر كما هو هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعم
الارائك مرتفقا متكا واضرب لهم مثلا للكافر والمومن رجلين حال رجلين مقدرين او موجودين قيل هما الخوان
من بنى اسرائيل كافر اسمه قطرس ومومن اسمه يهوذا وثامن ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطر فاشترى الكافر بها ضياعا
وعقارا وصرفها المومن فى وجوه الخير واتاهما الملك حكاه الله تعالى وقيل المثل لهما اخوان من بنى مخزوم كافر
وهو الاسود بن عبد الاسد ومومن وهو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
جعلنا لاحدهما جنتين بستانين من اعناب من الكروم والجملة بيانها بيان التمثيل او صفة للرجلين وحففناهما
بنخل وجعلنا النخل محيطة بهما موزعة ايها كروما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله
وزيدة ابناء مفعول ثانيا لقولك عششته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه
متواصل العمارة على اشكل الحسن والترتيب لا يتوقع كلتا الجنتين اتت اكلها ثمرها وافراد الضمير لافراد كل منا وقرئ
كل الجنتين اتى كله ولم تظلم منه ولم تنقص من اكلها شيئا يعهد فى سائر البساتين فان الثمار تتم فى عام وتنقص فى
عام غالبا وفجرنا خلالهما نهرا يطردان فيه ليدوم شربها فانه لاصل ويزيد بهاء هما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف وكان له
ثمر انواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثره وقرا عاصم بفتح الثاء والميم والوعمر بضم الثاء واسكان الميم والباقون
بضمهما وكذلك فى قوله تعالى واحيط بثمره فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه فى الكلام من حاره اذا راجع انا اكثر منك
مالا واعز نفرا احشم واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها
ويفاخره بها وافراد الجنة لان المراد ما جنته وهى ما منح به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة له غيرها ولا حظ
فى الجنة التى وعد المتقون او لان كلا منهما جنة من جنتيه بالاخرى او لان الدخول يكون فى واحدة واحدة و
هو ظالم لنفسه بضارها بحبه وكفره قال ما اظن ان تبيد هذه الجنة ابدا لطول امله وتمادى
غفلته واغتراره بمهلته وما اظن الساعة قائمة كائنة ولئن رددت الى ربى بالبعث كما زعمت لاجدن خيرا منها
من جنته ومرجعا اى منقلبا مصيرا والضمير فى منهما للجنتين منقلبا ومرجعا وعاقبة لانهما فانيتان وتلك باقية وانما اقسم على ذلك

لاعتقاده انه تعالى انما اولاه مالا ولاه لاستيهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو معه اينما يلقاه تعالى قال له صاحبه وهو
يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب كافرا بنعمته اصل مادتك ومادة اصلك ثم سواك نطفة فانها ما ذكر القرينة
اي ادم عليه الصلوة والسلام ١٢
ثم سواك رجلا ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال لعجل كفره بالله لان منشاه الشك في كمال
قدرة الله تعالى لكن لك ربي لكن انا اقول هو الله ربي وانا لا اشرك بربي احدا اصله لكني انا فحذفت الهمزة بنقل الحركة اودونيه فتلاقت النونان فيكان الادغام وقوا ابن عامر ويعقوب
في رواية بالالف في الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشان وهو
بالجملة الواقعة خبرا اليه خبرانا او ضمير الله تعالى وانت الله ربي خبره والجملة خبرانا او الاستدراك من الكفر كانه قال انت كافر
الله تعالى لكني مؤمن به تعالى وقرئ لكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا هو ربي ولولا اذ دخلت جنتك قلت وهلا قلت عند دخولها
ما شاء الله الامر ما شاء الله تعالى او ما شاء الله تعالى كان على ان ما موصولة او اي شيء شاء الله تعالى كان على انها شرطية والجواب محذوف
اقرارا بانها وما فيها بمشيته الله تعالى ان شاء ابقاها وان شاء ابادها لا قوة الا بالله تعالى وقلت لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز
على نفسك والقدرة لله وانما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها فبمعونته واقداره وعن النبي عليه السلام من راى شيئا فاعجبه فقال ما شاء
الله لا قوة الا بالله لم يضره ان ترني انا اقل منك مالا وولدا يحتمل ان يكون انا فصلا وان يكون تاكيدا للمفعول الاول وقرئ اقل
بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول ثاني لترن وفي قوله ولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد عسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك في
الدنيا او في الاخرة لايمان وهو جواب الشرط ويرسل حسبانا مرامية بالبوائق على جنتك لكفرك حسبانا من السماء مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق
وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها او عذاب حساب لاعمال السيئة فتصبح صعيدا زلقا ارضا ملساء بزلق
عليها باستيصال بنائها واشجارها او تصبح ماؤها غورا غائرا في الارض مصدر وصف به كالزلق فلن تستطيع
طلبا للماء الغائر ترددا في رده واحيط بثمره واهلك امواله جمع ثمر كخشب وخشب او ثمره جمع ثمار كحمار وحمر او ثمره بالضم كخشبه
من احاط به العدو فانه اذا احاط به غلبه واذا غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو
اذا جاءهم مستعليا عليهم فاصبح يقلب كفيه ظهر البطن تالفها وتحسر على ما انفق فيها في عمارتها وهو متعلق
بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكانه قيل فاصبح يندم او حال اي متحسرا على ما انفق فيها وهي خاوية اي
ساقطة على عروشها بان سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها وتقول عطف على يقلب وحال من
ضميره يا ليتني لم اشرك بربي احدا كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتى من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم
يهلك الله تعالى استانفه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه ولم تكن له فئة وقرا حمزة والكسائي بالياء
لتقدمه ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او رد الهلاك اولا يتبعون بمثله من دون الله فانه القادر على
ذلك وحده وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله تعالى منه هنالك في ذلك المقام وتلك
الحال الولاية لله الحق النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقرير له ولم تكن له فئة ينصرونه او ينصر فيها اولياءه
المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المومن ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي
من الجنات واصحابها ١٢

واستتبع ضبعه قرنه لك بانه من سنن ابليس ولما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سببه الاختيار بها
حب الشهوات وتسويل الشيطان زعمهم اولا في زخارف الدنيا بما يعجب به نفسه الزوال وهو يحمل الصالحات خير وابقى
من انفسها واعلاها اثر نبههم عن الشيطان بذكر ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا امر هيكل تكرير في القرآن كان من الجن
حال باضمار قال واستيناف للتعليل كانه قيل ما باله لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه فخرج عن ثمرة ترك السجود
الفاء تشبيب فيه دليل على ان امالك لا يعصي البتة وانما عصى ابليس لانه كان جنيا في اصله والكلام المستقصى فيه في سورة
البقرة افتتخذونه وذريته اعقبيا وجدا منه تجادونه والهمزة للانكار والتعجب وذريته اولاده او اتباعه وسماهم ذرية
مجازا اولياء من دوني وتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي وبئس للظالمين بدلا من الله تعالى ابليس
وذريته ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم نفى احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض
ولصار بعضهم خلق بعض ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله وما كنت متخذ المضلين عضدا
اي اعوانا ردا لاتخاذهم اولياء من دون الله تعالى شركاء له تعالى في العبادة فان استحقاق العبادة من توابع الخالقية والاشراك
فيه يستلزم الاشراك فيها ووضع المضلين موضع الضمير ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين
والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو امنوا بتبعهم الناس كما يزعمون ولو
تلفتت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين للدين ونصدة قراءة من قرأ وما
كنت على خطاب الرسول عليه السلام وقرئ متخذ المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا
كخدم جمع عاضد من عضد اذا قواه ويوم يقول اي الله للكفار وقرأ حمزة بالنون نادوا شركائي الذين زعمتم
انهم شركائي او شفعاء كم ليمنعوكم من عذابي واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد شاهدوا من دونه وقيل ابليس
وذريته فدعوهم فنادوهم للاغاثة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم بين الكفار والهتهم موبقا
مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هي في شدتها هلاك كقول عمر رض لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم
مكان او مصدر من وبق يوبق وبقا وبق يبق وبوقا اذا هلك وقيل البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا
هلاكا يوم القيمة ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها ولم يجدوا عنها
مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون اليه لفرط دهشتهم في هذا القرآن للناس من كل مثل من كل جنس يحتاجون اليه
وكان الانسان اكثر شيء يناقش منه الجدل لاحضوه بالباطل واتصابه على التمييز وما منع الناس ان يؤمنوا
من الايمان اذ جاءهم الهدى وهو الرسول الداعي والقرآن المبين ويستغفروا ربهم ومن الاستغفار عن الذنوب
الا ان تأتيهم سنة الاولين الا طلب استئصال او تقدير ان تأتيهم سنة الاولين وهو الاستيصال بعذاب المقاتلة
واقبل المضاف اليه مقامه او يأتيهم العذاب عذاب الاخرة قبلا عيانا وقرأ الكوفيون قبلا بضمتين وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى
انواع وقرئ بفتحتين في هو بين لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبلا وقبلا واتصابه على الحال من الضمير او
العذاب وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين للمؤمنين والكافرين ويجادل الذين كفروا

بالباطل بافتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والنزول عن قضية اصحاب الكهف ونحوها لتعنتهم ليزيلوا بالجدال الحق عن مقره ويبطلوه من اراد حاضل القدم وتعوز لاقتها وذلك قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا لو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك والخطاب والآيات بعض القرآن وما انذروا وانذارهم او الذي انذروا به من العقاب هزوا استهزاء وقرئ هزوا بالسكون وهو مما يستهزأ به ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه بالقرآن فاعرض عنها بايلاء ظهره ولم يتذكر بها ونسي ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتها انا جعلنا على قلوبهم اكنة تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه كراهتان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى وفي اذانهم وقرا ممنعهم ان يسمعوه حق استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا التحقيق ولا تفضيل لانهم لا يفقهون كلا يسمعون واذا كما عرفت جزاء وجواب للاول عليه السلام على تقدير قوله مالي لا ادعوهم فان حرصه عليه السلام على اسلامهم يدل عليه وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب استشهاد على ذلك بامهال قريش مع اقترافهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لهم موعد وهو يوم بدر او يوم القيمة لن يجدوا من دونه موئلا ملجأ يقال وأل اذا نجا وأل اليه اذا لجأ اليه وتلك القرى يعني قرى عاد وثمود واخواتهم وتلك مبتدأ وخبره اهلكناهم او مفعول مضمر مفسره والقرى صفته ولا بد من تقدير مضاف في احدهما ليكون مرجع الضمير ظلموا كقريش بالتكذيب والمراء وانواع المعاصي وجعلنا لمهلكهم موعدا لاهلكهم وقتا معلوما لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا يغتروا بامهالهم ولا يتأخر العذاب عنهم وقرأ ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام اي لاهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض واذ قال موسى منقول باذكر لنفسه يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده لا ابرح لا ازال سائرا فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله حتى ابلغ مجمع البحرين من حيث انها تستدعي غاية عليه ويجوز ان يكون اصله لا ابرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف والمضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانتصب الضمير والفعل وان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول مما انا عليه من السير والطلب ولا فارقه فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وقيل لقاء الخضر فيه وقيل ان موسى وخضر عليهما السلام فان موسى كان بحر علم الظاهر وخضر بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على القياس وذو من بفعل كالمشرق والمسقط مصدرا حقبا او اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع ما بلوغ المجمع او مضي الحقب او حتى ابلغ الآن امضي زمانا اتيقن معه فوات البحر والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روي ان موسى خطب اثر بعد هلاك القبط وذهب نفسه مصر خطبة بليغة فاعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله تعالى اليه بلى عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر في ايام افريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى سأل ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس

الى جانبه على ان يصيب بحمة تدل على هدى اوتزده عن ردى فقال ان كان في عبادك اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك
الخضر قال اين الطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك
فقال لفتاه اذا افقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغ بينهما اى مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه
على الاتساع او بمعنى الوصل نسيا حوتهما نسي موسى ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له ما راى من حيوته ووقوعه
في البحر وكان موسى وقد فاضطرب الحوت المشوى ووثب في البحر معجزة لموسى او الخضر عليهما السلام وقيل توضأ يوشع
من عين الحيوة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء وقيل نسيا تفقد امرهما وما يكون منه امارة على الظفر بالمطلوب
فاتخذ سبيله في البحر سربا فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل الممسك الله تعالى جرية الماء
على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا
مجمع البحرين قال لفتاه اتنا غداءنا ما متعلق به لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما
جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر القى عليه الجوع والنصب وقيل لم يجع موسى في سفر غيره وتوبيده التفصيل بالاهم فالاهم
قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة يعني الصخرة التي رقد عندها موسى عليه السلام وقيل
هي الصخرة التي دون نظر الزيت فاني نسيت الحوت فقد تم او نسيت ذكره بما رايت منه وما انسانيه الا الشيطان
ان اذكره اي وما انساني ذكره الا الشيطان فان ان اذكره بدل من الضمير وقوي ان اذكره وهو اعتذار عن نسيانه
بشغل الشيطان له بوساوسه والخيال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما مضى عن مشاهدتها امتثالا لامر موسى
والفها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار والاعجاب بشاهده الى جناب القدس واعراضه من
مشاهدة الايات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه او لان علم احتمال القوة للجائين واشتغالها باطراف
عن الاخر لعجل من نقصان واتخذ سبيله في البحر عجبا سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب واتخاذا عجبا والمفعول الثاني
هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر اي قال في اخر كلامه او موسى في جوابه عجبا تعجبا من ذلك الحال وقيل الفعل
لموسى اي اتخذه موسى سبيل الحوت في البحر عجبا قال ذلك اي امر الحوت ما كنا نبغ نطلب لانه امارة المطلوب فارتدا
على اثارهما قصصا رجعا في الطريق الذي جاءا فيه قصصا يقصان قصصا اي يتبعان اثارهما اتباعا او مقتصين حتى
اتيا الصخرة فرجل عبدا من عبادنا المجهول على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس لتبناه وحمر
عندنا هي الرحمة والنبوة وعلمناه من لدنا علما مما يختص به ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب قال له موسى هل
اتبعك على ان تعلمن على شرط ان تعلمني وفي وضع الحال من الكاف ما علمت رشدا علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرا
البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمني ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقول
من علم الذي له مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا بد في بنوته وكونه صاحب شريعة ان
يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا في ابواب الدين فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم من ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين
وفروعه لا مطلقا وعدل الى في ذلك غاية التواضع وكان ذا دين فاستجهل نفسه واستاذن ان يكون تابعا له وسال منه

منان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه فقال انك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجه التاكيد كانه لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله وكيف تصبر على امر لم تحط به خبرا اى وكيف تصبر وانت نبي تراعي الاولى من امور ظاهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك وخبر امثالك ومصداق الآن لم تحط به علما لتخبر به غيرك قال ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير منكر عليك ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا اى ستجدني صابرا وغير عاص وعلى ستجدني في تعليق الوعد بالمشية اما للتيمن او لتعلم بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد فلا تخلف فيه وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشية الله تعالى قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء فلا تفاتحني بالسؤال عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث لك منه ذكرا حتى ابتدائك به وقرأ نافع وابن عامر فلا تسالني بالنون الثقيلة فانطلقا على الساحل يطلبان السفينة حتى اذا ركبا في السفينة خرقها احل الخضر فاسا خرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها قال اخرقتها لتغرق اهلها فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي الى غرقها وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير وقرأ حمزة والكسائي ليغرق اهلها على اسناده الى الاهل لانهم حلت شيئا امرا او نكرا اعظم من الاول قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا تذكيرا لما ذكره قبل قال لا تؤاخذني بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته يعني وصيته بان لا تعترض عليه او بنسياني اياها وهو اعتذار بالنسيان الخارجة في معرض النهي عن المواخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك اي لا تواخذني بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد شيء آخر ليسيه ولا ترهقني من امري عسرا ولا تغشني عسرا من امري بالمضايقة والمواخذة على المنسي فان ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا اي بعدما خرجا من السفينة حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل قتل عبثا وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة على انه كما لقيه قتله من غير ترقف واستكشاف حال ولذلك قال اقتلت نفسا زاكية بغير نفس اي ظاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ورويس عن يعقوب زكية والاول ابلغ وقال ابو عمرو الزكية التي لم تذنب قط والزاكية التي اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم او انه لم يرها قد اذنبت ذنبا يقتضي قتلها او قتلت نفسا فقادها بها تنبيه على ان القتل انما يباح حدا او قصاصا وكلاهما منتف ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء لعدم اعتراض موسى عليه وفي الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام وكذلك فصله بقوله لقد جئت شيئا نكرا اي منكرا وقرأ نافع في رواية قالون وورش وابن عامر ويعقوب وابو بكر نكرا بضمتين قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا تزاد فيه لك مكافحة بالعتاب على نقض الوصية وسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشعار بالاستنكار ولم يرع بالتذكير اول مرة حتى زاد في الاستنكار ثانيا مرة قال ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني بان سالتك صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبني اي فلا تجعلني

صاحبك قال بلغت من لدن في عذر قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك ثلث مرات وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرأ نافع لدني بتحريك
النون والاكثر بها عن نون الدعامة لقوله قدني من نصر الخبيبين قرئ وابو بكر لدني بتحريك والنون واسكان الدال الضاد
من عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية انطاكية وقيل برقة وقيل بالاندلس بصرة وقيل بالجزيرة وان ارمينية استطعما اهلها فابوا ان
يضيفوهما وقرئ يضيفوهما من اضاف بقال ضافه اذا نزل به ضيفا واضافه وضيفه انزله واصل التركيب الميل يقال ضاف
السهم عن الغرض اذا مال فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض يدانى ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعيرها
الهم والعزم قال زهير الوعد صادفا وعزم ما يعد ويخلف عن دماء بني عقيل وقال ان دهرا يلف شملي بجمل لزمانا يهم بالاحسان
وانقض نفعل من قضضته اذا كسرته ومنه القضاض الطير والكواكب هويها وقرئ ان ينقض وقرئ ان يقض
وان ينقاض بالصاد المهملة من انفاضت السن اذا انشقت طولا فاقامه بعمارته او بعود عمد به وقيل مسحه
بيده فقام وقيل نقضه وبناه قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا وقرئ ايضا لتخذت على افتعل ليتعدى به او لتعريضا بانه
فضول لما فيه لو من التفي كانه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ
افتعل من تخل كما تيه من تيع وقرأ ابن كثير والبصريان لتخذت اي لاخذت واظهر ابن كثير وابو
عمرو الذال وادغمه الباقون قال هذا فراق بيني وبينك الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني
اولى لك هو تعرض الثالث والوقت هنا هذا الاعتراض سمت فراقنا او هذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة
المصدر الى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الاصل بيانك بتاء ويل ما لم تستطع عليه صبرا ايا الخبر الباهر
فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر واحدها مسكين
على ان المسكين يطلق على من له شيء ما اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين لتحسرهم على ذهاب الملك وتلهفهم كما
لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك قد اخذ
او خلفهم وكان اسمه جلندى او هدد بن بدد وقيل صنوار بن جلندا الازدي يأخذ كل سفينة غصبا من صحيحة
وكان سبق الظلم الى شر قوله فاردت ان اعيبها عن قوله وكان وراءهم ملك لان ارادة التعييب لسبب
عن خوف الغصب وانما قدم للعناية او لان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك ربما
على اقوى الجزئين دون واداءها وعقبه بالاخر على سبيل التعليل والتتميم وقرئ كل سفينة بالحرز والمعنى عليها
واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما ان يغشيهما طغيانا وكفرا ان حملهما حبه على متابعته
شرا او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيحملهما حبه على ان يدخلا على اهله ومنه وطاغ كافر او يعديهما بالعلة فيرتدا ابا صلاله او بما يحملهما
على طغيانه وكفره حبا واما خشي فمعناه كما علمه من ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان يحدث الخضر وقرئ كتب اليه كيف
قتله وقد اوحى الى النبي عليه السلام عن قتل الولدان فكتب اليه اذا علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى
فذلك ان تقتل وقرئ فخاف ربك اي فكره كراهة من خاف سوء عاقبته ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله عز وجل

فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه ان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زكوة وطهرا من الذنوب في الاخلاق الرديئة وأقرب رحما رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله تعالى به امة من الامم وقرأ نافع وابو عمرو وابن كثير وابن عامر ويعقوب وحمزة بضم الحاء بالتثقيل وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكوة واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول جيسون وكان كنزهما لوحا من ذهب وفضة ذوى ذلك مرفوعا والدليل على كنزهما في قوله والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتهما وما تعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وكان ابوهما صالحا تنبيه على ان يتيقنا ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظ فيه سبعة آباء وكان سبعين اسما كاسمه فاراد ربك ان يبلغا اشدهما اي الحلم وكمال العقل وكنزهما رحمة من ربك مرحومين من ربك ويجوز ان يكون علة او مصدرا له فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك ولعل السداد الا ارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعجيب وثانيا الى الله تعالى والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله تعالى بدله وثالثا الى الله تعالى وحده لانه لا مدخل له في بلوغ الغلامين اولا ان الاول في نفسه شر والثالث خير والثاني ممتزج او لاختلاف حال العارف في الالتفات الى الوسائط وما فعلته وما فعلت ما رأيته عن امري عن رأيي وانما فعلته بامر الله تعالى وجل ومبنى ذلك على انه متى تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل مهم من اصول خيران الشرائع في تفاصيله مختلفة ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا اي ما لم تستطع مخالفة الناس تخفيفا ومن فوائد هذه القصة ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لا يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يلوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي الادب في المقال وان ينبه المتجاهل على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره فتريها جرأته وكيتكاؤه عن ذي القرنين يعني اسكندر الرومي ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب لذلك سمي ذا القرنين او لانه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها او قيل لانه انقرض في ايامه قرنان من الناس وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك لشجاعته كما يقال للكبش للشجاع كانه ينطح اقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسائلون منهم اليهود سألوه امتحانا او مشركو مكة قيل سألوا عليكم منه ذكرا في خطابكم للسائلين واهل الذي القرنين وقيل لله تعالى انا مكنا له في الارض اي ملكناه اقدرنا له التمكن من التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول وآتيناه من كل شيء اراده وتوجه اليه سببا وصلة توصله اليه من العلم والقدرة والآلة فاتبع سببا اي فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف بتخفيف التاء حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ذات حمأة من حمئت البئر اذا صارت ذات حمأة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر حامية اي حارة ولا تنافي بينهما لجواز ان يكون العين جامعة للوصفين او حمئة على ان اصلها مقلوبة من الهمزة بكسرها قبلها ولعله بلغ ساحل

على ذا الكون حمئة بمعنى حامية اي حارة ١٢

المحيط فراها كذلك اذا نظر اليها من بعيد لبعدها عن الماء ولذلك قال وجدها تغرب في عين حمئة ولم يقل كانت تغرب قيل ان ابن عباس سمع معاوية يقرأ كذلك فقال لحمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين ان ذا القرنين كان في التوراة وجد حين غربها عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما قذف البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل وقيل الاول قوله قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا اي فاختار الدعوة وقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره واستمر على ظلمه الذي هو الشرك فسنعذبه انا ومن بقي في الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله تعالى في الاخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله وكما من امن وعمل صالحا وهو ما يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء الحسنى وقرئ جزاء الحسنى وقرأ حمزة والكسائي وينصب وحفص جزاء منونا منصوبا على الحال اي فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدر حالا اي يجزى بها جزاء او التمييز وقرئ منصوبا غير منون على اضافة جزاء الى الحسنى بتنوينه حذف للالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه للمبتدا والحسنى بدله ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اي ليكن شانك صعبهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن اصر على الكفر والثاني لمن تاب عنه وكلاه الله تعالى اياه ان كان نبيا فيوحى وان كان غيره فبالهام او على لسان نبي وسنقول له من امرنا ما نامره به يسرا سهلا متيسرا غير شاق وتقديره وذا تيسير بضمتين ثم اتبع سببا ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف بخفقة التاء وكذلك ما بعده حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف اي مكان مطلع الشمس فانه مصدر وحكمها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس او البناء فان ارضهم لا تمسك البناء وانهم اتخذوا الاسراب يدل عليه الآية كذلك اي امر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك او امره فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجدها وتجعل وصفة قوم اي على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم وقد احطنا بما لديه من الجنود والآيات والعدد والاسباب جزاعا بما في بطونهم وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير ثم اتبع سببا يعني طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب اخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين المبني بينهما سداه وهما جبلا ارمينية واذربيجان وقيل جبلان منيفان في اواخر الشمال في منقطع ارض الترك من وراءهما يأجوج ومأجوج وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم ما خلقه الله تعالى والمفتوح ما عمله الناس لانه في الاصل مصدر سمي به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين ههنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفة وحيل من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائي يفقهون اي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه قالوا يا ذا القرنين اي قال مترجمهم وفي مصحف ابن مسعود قالوا له قال الذين من دونهم ان يأجوج ومأجوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح عليه السلام وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل

الاسمان العجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من أجّ الظليم إذا أسرع واصلهما الهمزة كما قرأ عاصم منه صرفهما للتعريف
والتأنيث مثل نوح وفي أرضنا أي أرض ذي القرنين والخراب والفساد الزرع وقيل كانوا مجتازين الربيع فلا يذرون
خضراً إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس فهل نجعل لك خرجاً جعلاً تخرجه من أموالنا وقرأ
حمزة والكسائي خراجاً وهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الأرض والغلة والخرج المصدر على أن تجعل بيننا وبينهم
سداً تجعلون دوني وتجعلون علينا وقد ضمه من ضم السدين غير حمزة والكسائي قال ما مكني فيه ربي خير مما جعلتم لي
فيه مكنني من المال والملك خير مما تبذلون لي من الخرج ولا حاجة بي إليه وقرأ ابن كثير مكنني على الأصل فأعينوني
بقوة أي بقوة وغلمة أو بما أتقوى به من الآلات تجعل بينكم وبينهم ردماً حاجزاً حصيناً وهو أكبر من السد من قولهم
ثوب مرمّ إذا كان رقاعاً فوق رقاع آتوني زبر الحديد قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا يأتي رد الخراج
والاقتصار على المعونة لأن الإتيان بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة أبي بكر ردما ائتوني بكسر التنوين موصولة الهمزة
على معنى جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها في امرتك الخير ولأن إعطاء الآلة من الإعانة بالقوة دون
الخراج على المعنى حتى إذا ساوى بين الصدفين بين جانبي الجبلين أو بين المنفذين سد بها وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان
بضمتين وأبو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل
لأن كلا منهما منعطل من الآخر ومنه التصادف للتقابل قال انفخوا أي قال للعملة انفخوا في الكير والحديد حتى
إذا جعله جعل المنفوخ فيه ناراً كالنار بالإحماء قال آتوني أفرغ عليه قطراً أي آتوني قطراً أي نحاساً مذاباً أفرغ
عليه فالمجاز في الأول للدلالة الثانية عليه وبه تمسك البصريون على أن إعمال الثاني من العاملين المتوجهين
نحو معمول واحد أولى إذ لو كان قطراً مفعول آتوني لأضمر مفعول أفرغ عند الكسائي من الإلباس
وأبو بكر قال ائتوني موصولة الألف فما استطاعوا أدغم التاء حذف الهمزة
جامعاً بين ساكنين على غير حده وقرئ قبل السد
وما استطاعوه لله تقبلاً لتخفه وصلابته
والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم
المذاب عليها فاختلط والتصق
بكلاليب من حديد ونحاس مم
وعد ربي وقت وعده بخروج يأجوج
بالأرض مصدراً بمعنى مفعول ومنه
ربي حقاً كائناً لا محالة و

وعرضنا لهم يومئذ للكافرين وابرزناها واظهرناها لهم عرضا الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري عن آياتي
التي ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم وكانوا لا يستطيعون سمعا استماعا للذكرى وكلامي لفرط صممهم عن الحق
لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصمتت مسامعهم بالكلية افحسب الذين كفروا افظنوا
ولاستفهام للانكار ان يتخذوا واعبادي اتخاذهم الملائكة والمسيح من دوني اولياء سجودين نافعهم او لا اعدناهم به محل
المفعول الثاني كما يجعل والخبر للقربة او سدان يتخذ وامسد مفعوليه وقرئ افحسب الذين كفروا اي فكافيهم
في النجاة فان بمافي حيزه مرتفع بانه فاعل حسب فان اللغت اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل وغيره
انا اعتدنا نحن جهنم للكافرين نزلا ما يقام للنازل وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم وراءها من العذاب ما يستحقر دونه
قل هل ننبئكم ياكم الاخسرين اعمالا نصب على التمييز وجمع لانه من اسماء الفاعلين او لتنوع اعمالهم الذين ضل
سعيهم ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهبانية فانهم جرد انفسهم واخربوها ومحل الرفع على
الخبر المحذوف فانه جواب السؤال او الجر على البدل والنصب على الذم وثم يحسبون انهم يحسنون صنعا لعبهم
واعتقادهم انهم على الحق اولئك الذين كفروا بآيات ربهم بالقرآن او بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة
ولقائه بالبعث على ما هو قائما عليه او لقاء عذابه فحبطت اعمالهم لكفرهم فلا يقيم لهم يوم القيمة وزنا
فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او فلا نضع لهم ميزانا يوزن به اعمالهم لانحباطها ذلك الامر ذلك الا
جزاؤهم جهنم جملة مبينة له ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف اي جزائهم به او جزاؤهم بدله
وخبره او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا بكفرهم واتخذوا آياتي ورسلي هزوا اي بسبب ذلك ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات حتى اذا طلعت الشمس فانه مصدر وحدها نطلع حتى اذا حاذت رؤوس الكفار فيما سبق من حكم الله تعالى وصده والفروس اعلى درجات الجنة واصلها البستان
مطلع الشمس فانه مصدر وحدها نطلع حتى اذا حاذت رؤوس الكفار فيما سبق من حكم الله تعالى وصده والفروس اعلى درجات الجنة واصلها البستان
الجنة والاسرادل الا بدية كذلك اي امرهم ذي القرنين حما وصدا وهو اسم ما يحمل به الشيء كالحمل للدابة والسليط السراج
في اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف
القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم وقد احطنا بما لديه من الجنود وآلاته
بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير
معترضا بين المشرق والمغرب اخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين المبنيين سدا او سد بينهما ان
ارمينية واذربيجان وقيل جبلان منيفان في اواخر الشمال في منقطع ارض الترك من ورائهما
وابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم
والمفتوح لما حصله الناس لانه في الاصل مصدر سمي به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس
به وهو من الظروف المتصرفة وحيل من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم
يفقهون كلام من يكلمهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه قالوا يا ذا القرنين اي قال مترجمهم وفي مصحف ابن مسعود
قال الذين من دونهم ان يأجوج ومأجوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح عليه السلام وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل

الرياء والاية سبامعة خلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص في الطاعة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم عند مضجعه كان له نور في مضجعه يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم فان كان مضجعه بمكة كان له نور يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور وحشو ذلك النور ملئكة يصلون عليه حتى يستيقظ وعنه عليه السلام من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء

تمثال الزبرقان ع
فارس

ع
الحشر بلا الوساوة وغيرها الشيخ وما يحصل فيما حشر ليلة ١٢

ع
يصلون اصلوة الرعد والرعشة والاستغفار
١٢ فارس

٤٩٣

قد سلت

طبع المجلد الاول من التفسير المعروف

بالبيضاوي على المسمى كاسمه

انوار التنزيل واسرار التاويل

ويتلوه المجلد الثاني بعون الملك الجليل